الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة

تأليف

كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني البغدادي
المعروف بابن الفوطي
المتوفى سنة ٧٢٣ هـ

تحقيق

مهدي النجم

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون



الطبعة الأولى
٢٠٠٣ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3442-6
90000>
9782745134424

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمد خاتم المُرسَلين وعلى آله الطيِّبين.

قبل أكثر من عشر سنوات اقترح عليّ الدكتور عبد الرزاق الأنباري أن أقوم بإعادة تحقيق كتاب «الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة» لابن الفُوطي، الذي نشره المرحوم الدكتور مصطفى جواد في العام ١٩٣٢، وتعليق حواشٍ تُعنى بشرح المصطلحات الفنيّة، كأسماء الوظائف والآلات وغيرها مما لم يفعله الدكتور مصطفى جواد رحمه الله، إضافة إلى ترجمة الأعلام والأماكن وتوثيق الحوادث التاريخية التي تضمّنها هذا الكتاب النفيس. إلا أني تردّدت في الإقدام على ذلك بسبب الرأي الذي طلع به فيما بعد شيخنا المرحوم مصطفى جواد، وهو استحالة كون هذا الكتاب هو «الحوادث الجامعة» الذي ألّفه ابن الفُوطي.

إن طرافة معلومات هذا الكتاب، وندرة مصادر تلك الفترة من تاريخ العراق تجعل من الإقدام على ذلك أمرًا ذا جدوى، إضافة إلى إصرار الدكتور الأنباري وكثير من الباحثين على صحة نسبة هذا الكتاب لابن الفُوطي.

وعلى ذلك فقد بدأت بتحقيق الكتاب على المخطوطة المُصَوَّرة في مكتبة الأوقاف العراقية دون البحث عن صحة اسم الكتاب وصاحبه.

واليوم وقد مضى على تحقيق النص أكثر من عشر سنوات رأيت أن أُقدّمه منسوبًا لابن الفُوطي تاركًا صحة هذه النسبة أو عدمها لما ستتمخّض عنه الأيام، أو ما سيتوصّل إليه الباحثون، وحسبي أني أُقدّم نصًا نفيسًا مُمتِعًا في تاريخ فترة من الزمن عزّ فيها الباحثون.

مخطوطة الكتاب:

لقد اكتسبت المخطوطة التي وجدت غفلًا من اسمها واسم مؤلّفها أهمية خاصّة لدى الباحثين، منذ أن أعلن عنها الباحث جرجيس صفا في العام ١٩٠٢ (مجلة المشرق ـ السنة الخامسة ـ ص ١٦٤ ـ ١٦٧) وحتى الآن، وذلك لأنها أرّخت عصرًا «انصرف القلم عن التحبير والكتابة في أكثره، ولضياع ما كانت الأقلام أبرزته» كما يقول الباحث يعقوب سركيس[1]، وقد تكرّر الإعلان بهذا المخطوط النادر وعرض بعض مادته، منذ ذلك الوقت.

قلت: إن الباحث جرجيس صفا كان أول مَن أشار إلى هذا الكتاب المخطوط في مجلة المشرق بمقالة عنوانها «كتبي المخطوطة» تطرق فيها إلى ذكر المستنصرية ووصف ساعتها العجيبة بخصوص بحث عن مؤلّف لابن الساعي.

وفي العام ١٩٠٧ نقل الأب لويس شيخو في مجلة المشرق «السنة العاشرة ص ٨٠» عن كتاب قديم مخطوط غفل عن اسم مؤلّفه تكامل بناء الإيوان الذي أُنشيء مقابل المدرسة المستنصرية في سنة ٦٣٣ هـ. وقال إنه يظنه كتاب «مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٦ هـ.

إلا أن جرجيس صفا عاد في العام ١٩١٣ فنشر مقالة سمّاها «تعريف بعض مخطوطات مكتبتي» وصف فيها هذا المخطوط الفريد في «مجلة المشرق ـ السنة ١٦ ص ٢٤٢» فقال:

تاريخ، خط جميل، قديم، قطع كامل، نحو مائة وثمانين ورقة، مخروم من أوله، ومؤلّفه مجهول، وقد قابلت هذا الكتاب على عدّة كتب تاريخية فلم أجد أنه واحد منها، وظاهر منه أنه كُتِبَ بيد مؤلّفه، بدليل الضرب على بعض أسطر منه... ثم قال:

«كانت هذه النسخة للظاهر بيبرس بن أيبك الصالحي، فإنه كتب عليها بخطّه ما يأتي: طالع فيه العبد الفقير بيبرس بن أيبك الصالحي».

ثم نشر الأب شيخو في العام ١٩٢٠ في «مجلة المشرق السنة ١٨ ص ٥٩٦» مقالة بعنوان «شذرات تاريخية من صحائف مَنسيّة» قال إنه نقلها من تاريخ قديم كان

---

(١) مجلة لغة العرب، الجزء ٦ من السنة الخامسة.

قد وصفه جرجيس صفا بين مخطوطاته، وقال إن الكتاب الآن في يد الباحث أحمد تيمور باشا.

وقد نقل بعض الباحثين منه ما يعنيهم في بحوثهم، ومنهم ماري بن سليمان في «أخبار بطاركة كرسي المشرق» ومرة عندما سُئِلَ عن ظهور الأوراق المالية التي كانت تسمى «الچاد» بالجيم المثلثة الفارسية[1].

كما أدخل أحمد تيمور باشا بعض نصوص هذه المخطوطة في كتابه «التصوير عند العرب» فوصف نقلًا عنها وصف الساعة التي وضعها المستنصر بالله»[2].

ونقل عنه الأُستاذ غنيمة في كتابه «نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق» وسمّاه «تاريخ العراق في عهد المغول» لمؤلف مجهول.

وفي سنة ١٩٢٢ أهدى أحمد تيمور باشا نسخة من هذا المخطوط إلى الأب أنستاس ماري الكرملي، ثم أهدى نسخة فوتوغرافية منه إلى مكتبة الأوقاف العراقية (وهي التي اعتمد عليها المرحوم مصطفى جواد عندما قام بنشرها عام ١٩٣٢).

اطّلع الباحث يعقوب سركيس على نسخة الأب الكرملي، فاهتم بها، فقابل بينها وبين ما نشر منها في مجلة المشرق، فإذا الكتاب هو هو[3]، واستأذن الأب بنسخه، وأخذ يبحث عن صاحبه، وكان يتوقع معرفته في الكتب التالية:

١ ـ مؤلّفات ابن الفوطي، المتوفّى سنة ٧٢٣ هـ.

٢ ـ مؤلّفات الذهبي.

٣ ـ الوافي في الوفيات لصلاح الدين الصفدي المتوفّى سنة ٧٦٤ هـ.

٤ ـ ذيل الوافي المسمّى الصافي والمستوفي بعد الوافي لأبي المحاسن بن تغري بردي المتوفّى سنة ٨٧٤ هـ.

٥ ـ الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني المتوفّى سنة ٨٥٢، وفيما هو على ذلك التقى بالشيخ محمد رضا الشبيبي رحمه الله، وكان عائدًا من الشام، فحدّثه عن مجمع الآداب وتلخيصه الذي وجده في المكتبة الظاهرية،

---

(١) مجلة المشرق، ٢٤: ١٩٢٦: ص ٧٣٦.

(٢) مجلة الزهراء، المجلد ٣ لسنة ١٩٢٦ ص ٢٥٤.

(٣) انظر: بحث يعقوب سركيس في مجلة لغة العرب الجزء السادس من السنة الخامسة.

وأرشده إلى بحث نشره الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف في مجلة العرفان. وبينما كان يبحث عن مؤلّفات ابن الفُوطي التي ذكرها الشيخ الشبيبي ـ لعلّها تهديه إلى اسم المخطوط الغفل أو إلى اسم صاحبه ـ اطّلع على بحث الأستاذ المعلوف في مجلة العرفان «المجلد ١١ (١٩٢٦) ص ٦٢٥» فقرأ قول المعلوف:

«الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة للشيخ كمال الدين عبد الرزاق المعروف بابن الفُوطي» فرأى أنه عنوان وقرن ينطبقان كل الانطباق على المخطوط الذي بقي غفلًا حتى الآن، والذي اصطلح عليه غنيمة مضطرًا إلى تسميته بـ «تاريخ العراق في عهد المغول» لمؤلّف مجهول، في كتابه «نزهة المشتاق».

لقد ابتدأ المخطوط بأحداث السنة ٦٢٦ هـ، جرّاء الخرم في أوله، وقدّر الباحث سركيس أن النقص لا يقل عن عدّة سنين، قال:

وقفنا على أن في الكتاب الغفل نقصًا في أوله، ولم يَسَعني أن أهتدي إلى مقداره، لكن ما جاء في مطاوي كلامه بيّن لي أن المفقود منه لا يقلّ عن عدّة سنين بدليل ما ذكره في سنة ٦٤٠ هـ في خبر وفاة أبي المظفر باتكين بن عبد الله الرومي الناصري، وكان مملوكًا لعائشة ابنة المستنجد بالله المعروفة بالفيروزجية، وهذا ما كتبه عنه:

«وله نظم حَسَن، منه ما قاله حين قتل بنو معروف بتل المقير في بطائح واسط، وكان حاضرًا الواقعة، وقد تقدّم ذكرها». وإذا رجعنا إلى ابن الأثير وجدنا هذه الواقعة في سنة ٦١٦ هـ، فالنقص عشر سنوات على أقلّ تقدير»[١].

ولمّا كانت سِنو الكتاب تمتد إلى سنة ٧٠٠ هـ فليس هو إذن بكتاب «مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي على ما ظنه الأب لويس شيخو، إذ إن وفاة السبط في سنة ٦٥٦ هـ.

(١) ويرى المرحوم مصطفى جواد أن الكتاب لحوادث مائة سنة، ومما يؤكّد ذلك ـ ولا سيما أنه ينتهي لسنة ٧٠٠ ـ أن النقص لم يكن إلّا لحوادث ما بعد سنة ٦٠٠ هـ، ويؤكّد ذلك قوله في حوادث سنة ٦٣٠ ما صورته:

«وفيها وصل الأمير حسام الدين أبو فراس بن جعفر بن أبي فراس الذي كان أمير الحاج في الأيام الناصرية، وقد تقدم ذكر مفارقته للحاج ومصيره إلى الشام ومصر»، فهذا يقتضي وقوع مفارقته قبل سنة ٦٢٦ هـ، فإنها غير مذكورة فيما بعدها من الكتاب، وكذا قوله في حوادث سنة ٦٤٦ هـ عن غرق بغداد ما نصّه: «ولم تبلغ هذه الزيادة التي كانت سنة أربع عشرة وستمائة»، وليس في الكتابة حوادث تلك السنة المشار إليها كما هو معلوم. انظر: مقدمة «الحوادث الجامعة» بتحقيق المرحوم مصطفى جواد.

وبذلك فقدّم جزم سركيس أن هذا المخطوط هو «الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة»، وما مخالفة المخطوط عن العنوان إلا نقصه الطارىء في أوله.

واعتمد المرحوم مصطفى جواد على ما توصّل إليه الباحث سركيس (وكان قد عزم على تحقيقه ونشره إلا أنه توقف بسبب عدم معرفة اسم المخطوط ومؤلّفه» فنشره بهذا الاسم في العام ١٩٣٢ بعد أن أضاف دليلًا يؤكد رأي الباحث يعقوب سركيس، فقال: «ومما يؤيد أن هذا الكتاب له قوله في حوادث سنة «٦٩٦» عن السلطان غازان بن أرغون بن أباقا بن هولاكو وزيارته المدرسة المستنصرية: «فدخل خزانة الكتب ولمحها» فإن المؤرّخين ذكروا أن عبد الرزّاق ابن الفوطي كان إذ ذاك خازن كتب المستنصرية، وأنت ترى أنه لم يذكر خزانة الكتب دون مواضع المدرسة المهمة إلا للنكتة التي قدّمناها، ولا يذكر هذا اللمح إلا مَن له مقصد، لأن التخصيص يُخرِجها عن الذِّكر المُتعارَف. وإن الذي سهّل معرفة صاحب الكتاب هو: «كشف الظنون» للحاج خليفة، فقد قال في «١/ ٤٥٥» منه: «الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة» لكمال الدين عبد الرزاق بن أحمد المعروف بابن الفُوطي البغدادي المتوفّى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة»[1].

إلا أن الدكتور مصطفى جواد رحمه الله رأى فيما بعد استحالة أن يكون هذا الكتاب هو «الحوادث الجامعة» لابن الفُوطي.

يقول في مقدمة «تلخيص مجمع الآداب»:

«وقد أجَلْنا النظر، وأعمَلنا الرَّوِيَّة، وأعَدْنا غير مرة تصفّح هذا الكتاب، فانتهى بنا الرأي إلى استحالة أن يكون هو «الحوادث الجامعة» لابن الفُوطي».

وقد بنى رحمه الله استحالة ذلك على أمور منها:

١ ـ خفاء ذاتية المؤلّف وشخصيته، مع أن ابن الفوطي ظاهر الذاتية في مؤلّفاته، يدلّ على ذلك كتابه «تلخيص مجمع الآداب» فهو كثير القول فيه: «قلت» و«رأيت» و«سمعت» و«صديقنا» و«رفيقنا» و«شيخنا» و«المُحسِن إلينا» و«المفضّل علينا» و«مولانا» و«حدّثنا» و«قال لنا»... الخ.

٢ ـ اختلاف أسلوبي المؤلّفين في طريقة الاقتصاص والنقل والاقتباس.

---

(١) انظر: مقدمة «الحوادث الجامعة» بتحقيق المرحوم مصطفى جواد.

٣ ـ اختلاف خطّيّ المؤلّفين اختلافًا بيّنًا.

٤ ـ كَوْن «الحوادث الجامعة» في الوفيات، كما ذكر ابن رجب وحاجي خليفة، وهذه في الحوادث والوفيات، ويتوخّى الحوادث قبل الوفيات.

٥ ـ إن مؤلّف هذا التاريخ ذكر مؤرّخين من أساتذة ابن الفُوطي، كابن الساعي، وظهير الدين الكازروني، ونقل من تواريخهما كأنهما غريبين عنه وبعيدين عن عصره، مع أن ابن الفُوطي يصرِّح كثيرًا بأسمائهما في التلخيص.

٦ ـ عدم العاطفة الدينية عن المسلمين في الكتاب المذكور، فهو لم يذكر كلمة (شهادة) ولا كلمة (شهيد) في حادثة استيلاء هولاكو على بغداد، مع أن ابن الفوطي مع عيشه بين المغول برهة وخدمته لهم يذكر شهداء تلك الوقعة الفظيعة بكلمة الشهادة أو الاستشهاد.

٧ ـ نقل مؤلّف هذا التاريخ عن جماعة لم ينقل عنهم ابن الفوطي، كعفيف الدين أبي عبد الرحمٰن بن أحمد المعروف بابن البديع.

٨ ـ إن مؤلّف هذا التاريخ نقل أخبارًا عن غيره، مع أن ابن الفوطي كان قد سمع بعض تلك الأخبار وشهد بعضها بحيث لا يحتاج إلى مؤرّخ ينقلها من كتبه[١].

ويؤكد الدكتور أن له أدلّة أخرى لا يسع المقام لشرحها[٢].

غير أنه أجاز أن يكون الكتاب إلى أكثر من واحد، منهم:

فخر الدين أبو الفضل محمد بن مجد الدين علي بن أبي الميامن بن أسينا الواسطي، الذي ولد سنة ٦٤٢ هـ/ ١٢٤٤ م، أي: كان معاصرًا لابن الفوطي، وهو عالِم بالحوادث والتواريخ (ترجمته في «تلخيص مجمع الآداب» ج ٤ ق ٣ ص ٣٥٥).

ومنهم: محبّ الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبي بكر العلوي الكرخي ثم البغدادي المقرىء، الذي وُلِدَ سنة ٦٥٧ هـ/ ١٢٥٨ م، وتوفي

(١) انظر: مقدمة «تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ق ١ ص ٦٢ ـ ٦٦. وانظر كذلك: العزاوي: «تاريخ العراق» ج ١ ص ٢٣، الذي أضاف سببًا آخر هو: «أن نسخة الأصل المنقول منها لم يذكر فيها عنوان الكتاب ولا أوله ولا منتهاه ولا تاريخ كتابته، مما يساعد على معرفة اسم مؤلفه». وانظر كذلك: كوركيس عواد: «الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة»، مجلة سومر سنة ٩٥٧ م ١٣ هـ (ج ١، ص ٥٣).

(٢) انظر: مقدمة «تلخيص مجمع الآداب» (ج ٤، ق ١ ص ٦٢ ـ ٦٦).

سنة ٧٢١ هـ/١٣٢١م، وصنف تاريخًا على السنين[1]. (ترجمته في «التلخيص» ج ٥ كتاب اللام والميم ص ٣١٥).

ومنهم: سعيد الدهلي، المتوفى سنة ٧٤٩ هـ، قال: له تآليف، منها: «تفتيت الأكباد في واقعة بغداد»، ولعلّ كتاب «الحوادث» من جمعه[2].

بذلك رأى الدكتور مصطفى جواد رحمه الله استحالة أن يكون هذا الكتاب هو «الحوادث الجامعة» وأن مؤلّفه ابن الفُوطي، وشايعه على ذلك باحثون كثيرون. ولم تكن مشايعتهم له إلا اعتمادًا على رأيه، لوزنه العلمي أولًا ولأنه رحمه الله المعنيّ به أكثر من غيره ثانيًا.

وبالرغم من وَجاهة تلك العِلَل والأسباب التي جعلته يعدل عن نسبة الكتاب لابن الفوطي، إلا أنه يمكن الردّ عليها وتفنيد بعضها. وأعرف أن كثيرًا من الباحثين يجزمون بصحة نسبة هذا الكتاب إلى ابن الفوطي، إلا أنهم لم يردّوا على الدكتور جواد أسبابه لأنهم للآن لم يقعوا على دليل قاطع يعتمدون عليه ويحتجّون به.

وأحسب كذلك أن رأي الباحث يعقوب سركيس لا زال وجيهًا ولكنه ليس قاطعًا حتى نجد ما يقطع بصحته.

أما ابن الفُوطي ـ الذي أبقينا نسبة الكتاب إليه ـ فهو عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي المعالي بن محمد بن محمود بن أحمد بن محمد أبي المعالي المفضل بن عباس بن عبد الله بن معن بن زائدة الشيباني، الصابوني، البغدادي، المعروف بابن الفوطي، والفوطي: جدّه لأمه، وهو أبو الفضل كمال الدين، المروزي الأصل، البغدادي.

وُلِدَ سنة ٦٤٢ هـ، وسمع من محيي الدين ابن الجوزي، والمبارك بن المستعصم، وغيرهما، وأُسِرَ باستيلاء هولاكو على بغداد في العام ٦٥٦ هـ، ثم لقيه نصير الدين الطوسي، فاتصل به واشتغل عليه، وأشرف على خزانة الكتب بمرصد مراغة، وكانت من أكبر المكتبات، فاطّلع على نفائس الكتب.

وكان أديبًا مؤرّخًا، يكتب الشعر بالعربية والفارسية، ذو خط رائع جميل.

---

(١) انظر في: «التراث العربي» (١/١٠٢)، وفيه: وكتاب الحوادث منطبق على التاريخ الذي ألّفه هذا الفاضل اللغوي المقرئ، ويكون عزوه إليه راجحًا على غيره من العزو.

(٢) انظر في: «التراث العربي» (١/٤٥٧).

توفي سنة ٧٢٣ هـ، وقد ترك مؤلّفات كثيرة، منها مؤلّفاته:

١ ـ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، ذكره حاجي خليفة ثلاث مرات في كتابه «كشف الظنون».

٢ ـ مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب، في خمسين مجلدة.

٣ ـ تلخيص مجمع الألقاب، وهو اختصار «مجمع الآداب»، يوجد المجلد الرابع منه في المكتبة الظاهرية، وقد حقّقه ونشره المرحوم الدكتور مصطفى جواد.

٤ ـ درر الأصداف في بحور الأوصاف، مرتّب على وضع الوجود من المبدأ إلى المعاد، وقدره عشرون مجلدًا. ذكر في «الفوات» و«الدّرر الكامنة».

٥ ـ الدّرر الناصعة في شعراء المائة السابعة. ذكر في «الفوات» و«الدّرر الكامنة».

٦ ـ تلقيح الأفهام في المؤتلف والمختلف.

٧ ـ التاريخ على الحوادث من آدم إلى خراب بغداد.

انظر ترجمته في:

الذهبي المتوفّى سنة ٧١٨ هـ: منتقى المعجم المختص (مخطوط في مكتبة الأوقاف العراقية، ضمن مجموع رقم ٢٨٤١) ونسب الكتاب أيضًا لابن قاضي شهبة.

وتذكرة الحفّاظ، ودول الإسلام، ومعجم الشيوخ، والصفدي المتوفّى سنة ٧٦٤ هـ.

الوافي بالوفيات (مخطوطة مُصَوّرة في المكتبة المركزية، جامعة بغداد، تحت رقم ٩٢٠).

وابن شاكر الكتبي المتوفّى سنة ٧٦٤ هـ: «فوات الوفيات».

وابن رافع السلامي المتوفّى سنة ٧٧٤: «منتخب المختار»، «تاريخ علماء بغداد».

وابن كثير المتوفّى سنة ٧٧٤ هـ: البداية والنهاية.

وابن حجر العسقلاني المتوفّى سنة ٨٥٢: «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة»، وغيرهم.

ومقدمة تلخيص مجمع الآداب، بتحقيق الدكتور مصطفى جواد.

ولزكية حسن إبراهيم الديلمي: «المؤرّخ البغدادي ابن الفوطي: وكتابه تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب» وهو رسالة ماجستير مُقَدَّمة إلى مجلس كلية الآداب/ جامعة بغداد/ قسم التاريخ سنة ١٩٩٠.

ولا ننسى كتاب «مؤرخ العراق ابن الفوطي» للعلّامة الشيخ محمد رضا الشبيبي، في جزئين صدرا ببغداد في ١٩٥٠ و١٩٥٨.

وسواء صحّت نسبة الكتاب إلى ابن الفوطي أو إلى غيره، فإنما نقدّمه كوثيقة تاريخية نادرة، ومصدرًا نفيسًا في سرد وقائع تاريخ العراق في العصر المغولي وأحداث القرن السابع الهجري، ذلك القرن الذي «عزّت فيه التواريخ وقلّ المحقّقون ونزر الصادقون».

فقد ترجم فيه العلماء واللغويون والفلاسفة والأطباء ورجال الدولة، من ملوك وسلاطين وقادة جيوش ووزراء وغيرهم، كما كشف عن أسماء الوظائف في أواخر الدولة العباسية ثم في دولة المغول في العراق، وواجبات موظّفيها، وأرّخ للحياة الاجتماعية، ووصف تقاليد الناس وعاداتهم وصفًا رائعًا وطريفًا.

كما تحرّى خطط بغداد، وعمائرها ومساجدها، ومدارسها، وخزائن الكتب فيها، والمشاهد، والقبور، والطرق، والمحلات.

وتحدّث عن أنواع الدواوين، وكيفية تعيين الوزراء والنقباء والأمراء والمتصوّفة والمدرّسين وغيرهم والخلع عليهم، كما تحدّث عن عزلهم بإسهاب ممتع، والحالة الاقتصادية، وارتفاع الأسعار وانخفاضها، والتجارة والتجّار، وغير ذلك من جوانب الحياة المتعددة في ذلك العصر، فهو بذلك كتاب ممتع طريف، ذو فوائد جمّة قد لا تجدها مجتمعة في كتاب آخر.

وقد حاولت جاهدًا أن أُترجم الأعلام الوارد ذِكرها فيه، وكذلك المواضع والبلدان، وأفسّر أسماء الوظائف والدواوين، والمصطلحات الأخرى، كما حاولت أن أدلّ على مصادر الحوادث التاريخية التي تطرّق إليها الكتاب.

آمل أن أكون قد قدّمت عملًا يُنتَفَع به، والله وليّ التوفيق.

مهـدي

الصفحة الأولى من المخطوطة

سنه سبع مايه

وفي المحرم [illegible] السلطان غازان الى بلاد الشام وعبر [illegible] الفرات حتى

[illegible] وسار هو على الجسر وعبر الفرات فلما وصلت مقدمته

[illegible] الشام صار المسلمون من الشاميين وعم المغل سوادهم

وعلو منهم [illegible] الاسر [illegible] الغيوث وشدة البرد ودوام

ذلك حتى [illegible] وتلفت خيولهم [illegible] عليهم فخرج السلطان

على [illegible] الامر [illegible] الى [illegible] شاه الى [illegible]

[illegible] الشام ومصر [illegible] السلطان [illegible]

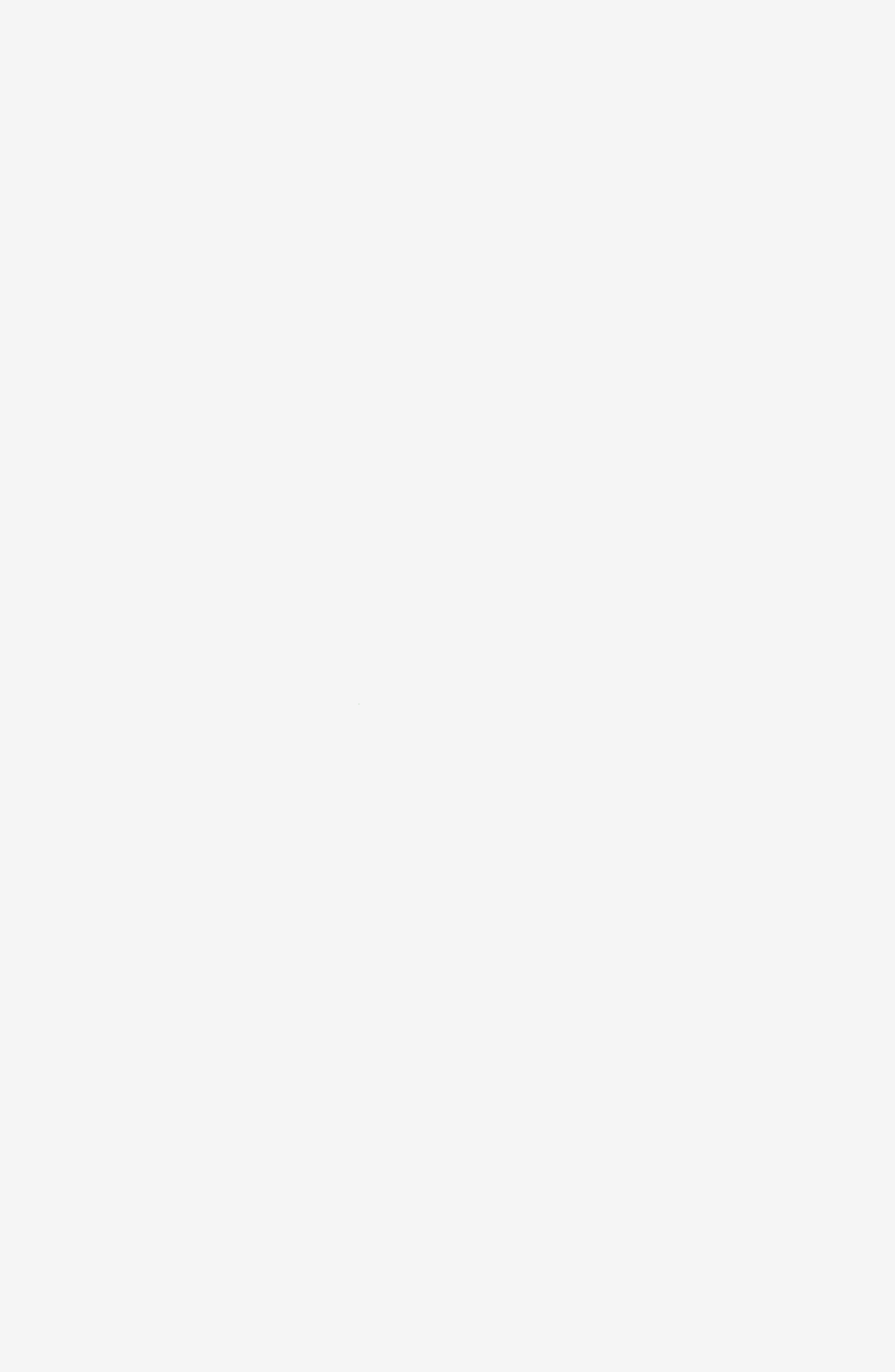
له في [illegible] وخرج السلطان من [illegible] عايدا الى بلاده وسيا

وفي [illegible] المسلمين [illegible] صاحب [illegible] بغداد [illegible] وحل

الى [illegible] علما [illegible] و[illegible]

[illegible] عامة

الصفحة الأخيرة من المخطوطة



بسم الله الرحمن الرحيم

[بقية سنة ست وعشرين وستمائة][*]

. . . . أحد[1] خدم الخليفة إلى المارستان العضدي[2] ومعهم عبد العزيز ابن القبيطي[3]، واعتبرت الحوائج التي في المخزن، فسأل صاحب المخزن[4] خازن المارستان[5] والطبيب والقوام[6]: كم تكفي هذه الحوائج مرضى المارستان؟ فاتفقوا على أن تكفيهم سنة، فقال: قد أنهى ابن القبيطي أن المارستان خالٍ من الحوائج وأنه يشتري ما يحتاج إليه المرضى، ثم أمر به فصفع إلى أن وقع إلى الأرض وتقدم بحمله إلى حجرة المجانين، فحُبِس بها مسلسلًا وأفرج عنه بعد شهر.

(*) العنوان ما بين المعقوفين من وضعي، حيث إن النسخة تبدأ من هذا المقطع.

(1) سقط أول الخبر فيما سقط من الكتاب.

(2) منسوب إلى عضد الدولة أبي شجاع فناخسرو ابن ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه الديلمي، بناه على الجانب الغربي من دجلة، وفرغ من بنائه سنة (٣٦٨ هـ). انظر: وفيات الأعيان (٤/٥٤). وكان ـ على ما حققه الدكتور مصطفى جواد ـ على شاطىء دجلة مما يقابل مقبرة المنطقة اليوم بين الكاظمية وبغداد.

(3) قال الدكتور جواد في حاشيته: سَيَرد في حوادث سنة ٦٤٧ هـ من هذا الكتاب ـ إن شاء الله ـ اسم ما صورته «عبد العزيز ابن القبيطي» ويتكرر بنص (ابن القميطي) فلعله هو، لأن الظن واجب في مثل هذه الشُّبهة.

(4) صاحب المخزن: الذي يتولى مخزن الخليفة، وهو بيت المال الذي يُخزَّن فيه كل ما يدخل إيرادًا للدولة، أو ما يخرج منه من وجوه الصرف.

(5) خازن المارستان: الذي يتولى خزن الأدوية والأثاث في المارستان، والمارستان ـ بفتح الراء ـ فارسي، ولم يجىء في الكلام القديم المعرب، وهي مركّبة من «بيما» وتعني مريض، و«رستان» وتعني مكان، ثم اختصرت فصارت مارستان.

(6) القوام: قوام الأمر نظامه وعماده، والقوام: الذين يقيمون شأن المارستان. لسان العرب مادة (قوم).

وفي غرة رجب المبارك فرقت الرسوم بالبدرية[١] وفتح الرباط المستجدّ بدار الروم[٢] الذي أنشأه الخليفة المستنصر بالله[٣] مجاور المسجد ذي المنارة الذي أمر بعمارته وأسكنه جماعة من الصوفية، وجعل شيخهم الشيخ أبا صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر[٤] وخلع عليه وعلى الجماعة وعملت به الدعوة.

وفيه استدعي شهاب الدين محمود بن أحمد الزنجاني[٥] مدرّس النظامية[٦] إلى دار الوزارة[٧]، فأُخِذ وهو على السدَّة يذكر الدروس وعُزل وتوجه إلى داره بغير

(١) نسبة إلى بدر مولى المعتضد بالله، وهي محلة كانت ـ على ما حققه الدكتور مصطفى جواد ـ في الجانب الشرقيّ من بغداد، ومن أبواب دار الخلافة المسورة بالجانب الشرقي «باب بدر»، والمحلة كانت قريبة منه وبإزائه. وانظر: دليل خارطة بغداد (ص ١٥١).

(٢) وفي معجم البلدان (٢/ ٥١١): «دير الروم، وهو بيعة كبيرة حسنة البناء محكمة الصنعة... وهي ببغداد في الجانب الشرقي منها... والأصل في هذا الاسم: أن أسرى من الروم قُدِم بهم إلى المهدي وأسكنوا دارًا في هذا الموضع فسُمّيت بهم». وانظر: مختصر التاريخ (ص ٢٦١ «الحاشية»)، ودليل خارطة بغداد (ص ١١٦).

(٣) أبو جعفر المنصور بن محمد الظاهر بن أحمد الناصر، وأمّه أم ولد روميّه، ولد سنة ٥٨٨ هـ، وبُويع له بالخلافة سنة ٦٢٣ هـ، وتوفي سنة ٦٤٠ هـ. انظر: مختصر التاريخ (ص ٢٥٨)، والفخري (ص ٢٤٢)، وغيرهما من كتب التواريخ التي أجمعت على أنه كان شهمًا جوّادًا شجاعًا حسن التدبير، ترك آثارًا جليلة، لعلّ أهمها المدرسة المستنصرية، وسيرد ذكره كثيرًا في هذا الكتاب.

(٤) نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلي، البغدادي، ولد سنة ٥٦٤ هـ، وقلّده الخليفة الظاهر قضاء الحنابلة، وعزله المستنصر وولّاه الرباط الذي بناه بدار الروم، وكان ديّنًا متواضعًا، ألّف في الفقه والحديث: «إرشاد المبتدئين» و«مجالس في الحديث» و«أربعون حديثًا». توفي سنة ٦٣٣ هـ، وسيذكر المؤلف ذلك. انظر: العبر (٥/ ١٣٦)، وشذرات الذهب (٥/ ١٦١)، وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ١٩١)، والأعلام (٨/ ٣٤٣).

(٥) محمود بن أحمد بن محمود، أبو المناقب، شهاب الدين، الزنجاني؛ من أهل زنجان قرب أذربيجان، وُلد سنة ٥٧٣ هـ، واستوطن بغداد وولي فيها قضاء القضاة، وعزل ودرس بالنظامية والمستنصرية، وكان أديبًا لغويًا، من فقهاء الشافعية الكبار، صنّف كتابًا في تفسير القرآن و«ترويح الأرواح في تهذيب الصحاح»، توفي ببغداد سنة ٦٥٦ هـ، قيل: قتله المغول، وقيل: بل كان من المتعاونين معهم، وسنبحث في هذا الخلاف في موضعه من أحداث سنة ٦٥٦ هـ. انظر: الأعلام (٨/ ٣٧)، وفيه إشارة إلى مصادر ترجمته.

(٦) منسوبة إلى نظام الملك أبي علي الحسن بن علي بن إسحٰق، قوام الدين الطوسي، وُلد سنة ٤٠٨ هـ بنوقان (إحدى مدن طوس) ووُزِّر للسلاجقة، وشرع في بناء المدرسة النظامية سنة ٤٥٧ هـ، واستمر البناء بها مدة سنتين. أنشأها لتدريس المذهب الشافعي خاصّةً، وتوفي سنة ٤٨٥ هـ. انظر: وفيات الأعيان (٢/ ١٢٨)، وشذرات الذهب (٣/ ٣٧٣)، وكتاب الروضتين (١/ ٢٥).

(٧) دار الوزارة: مقرّها الرسمي، فهي مركز عمل الوزير أو من يقوم بعمله.

طرحة[١]، ورتب عوضه عماد الدين أبو بكر محمد بن يحيى السلامي المعروف بابن الحبير[٢]، وخلع عليه وأقرّه على تدريسه بمدرسة فخر الدولة[٣] ابن المطلب بعقد المصطنع[٤] وعلى المدرسة الأسبهبذية بين الدربين.

وفيه أحضر أبو القاسم علي ابن البوري[٥] إلى باب النوبي[٦] وضرب مائة عصًا وقطع لسانه وحمل إلى حبس المدائن، وكان شابًا حسن الصورة تامّ الخلقة جميلًا، نقل عنه ما اقتضت السياسة أن يعمل به ذلك، نعوذ بالله من طوارق اللّيل والنهار:

وفي شعبان تكامل بناء المسجد المستجدّ المعروف بقمرية[٧] بالجانب الغربي على شاطئ دجلة المقابل للرباط البسطامي[٨]، ونقل إليه الفرش والآلات وقناديل

---

(١) الطرحة: طمار مصنوع من الشال الموصلي الذي يُلاث على العمامة ويطرح على الكتفين فيتدلّى على الظهر، اختصّ بها المدرّسون في هذه العصور. انظر: دوزي المعجم المفصل (ص ٢١٢)، وتاج العروس (٢/١٨٩).

(٢) القاضي أبو بكر محمد بن يحيى بن مظفر، البغدادي الشافعي المعروف بابن الحُبير (بضم الحاء)، كان ديّنًا خيّرًا مناظرًا، من أئمة المذهب الشافعي، وُلد سنة ٥٥٩ هـ، وتوفي سنة ٦٣٩ هـ. انظر: شذرات الذهب (٥/٢٠٥)، وطبقات الشافعية للإسنوي (١/٤٤٩)، والعبر (٥/١٦٢).

(٣) فخر الدولة أبو المظفر الحسن بن هبة الله بن المطلب الكرماني ثم البغدادي الوزير الصوفي المولود سنة ٤٩١ هـ، والمتوفّى سنة ٥٧٨ هـ. وسيذكر المؤلف نقل رفاته في حوادث سنة ٦٤٧ هـ، إلى مشهد الإمام موسى بن جعفر. وتسمّى مدرسته بمدرسة دار الذهب، وكان قد أنشأها لتدريس المذهب الشافعي. انظر ترجمته في: تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٣ ص ١٥٥).

(٤) عقد المصطنع: يقع في المأمونية، ورجح الدكتور مصطفى جواد اعتمادًا على ما ذكره ياقوت في مادة (قراح) من المعجم أن يكون عند مركز شرطة قاضي الحمامات من الشورجة.

(٥) نسبة إلى بورى «قرية قرب عكبراء، وببغداد جماعة من الكتاب وغيرهم يُنسبون إليها»، معجم البلدان (١/٥٠٧).

(٦) باب النوبي: نسبة إلى سعيد النوبي، ويُعرف أيضاً بـ«باب العتبة»، نسبة إلى العتبة التي يقبّلها الرسل والأمراء والملوك ورؤساء الحجاج إذا قدموا بغداد. انظر: لسترنج ( )، ودليل خارطة بغداد (ص ١٥٨)، وأسوار بغداد د. صبري الهيتي «مجلة المورد، المجلد الثامن، العدد الرابع، سنة ١٩٧٩ م».

(٧) لا يزال مسجد قمرية معمورًا في الضفة الغربية من دجلة (د. مصطفى جواد).

(٨) الرباط البسطامي: منسوب إلى الشيخ الذي بني له، وهو أبو الحسن البسطامي المتوفّى سنة ٤٩٣ هـ، بناه له أبو الغنائم بن المحلبان أحد رجال الدولة العباسية، ويسمى أيضًا رباط شيخ=

الذهب والفضة والشموع وغير ذلك، وفتح في شهر رمضان ورتب فيه مصليًا الشيخ عبد الصمد بن أحمد بن أبي الجيش[١]، وأثبت فيه ثلاثون صبيًا يتلقنون القرآن عليه، ورتب فيه معيد[٢] يحفظهم التلاقين، ورتّب أيضًا فيه الشيخ حسن بن الزبيدي[٣] محدّثًا يقرأ عليهم الحديث النبوي في كل يوم اثنين وخميس. ورتّب أيضًا قارئ للحديث، وجعل في المسجد خزانة للكتب، وحمل إليها كتب كثيرة. وفيها نفذ فخر الدين أبو طالب أحمد[٤] ابن الدامغاني والشيخ أبو البركات عبد الرحمٰن ابن شيخ الشيوخ[٥] والأمير فلك الدين محمد[٦] بن سنقر الطويل إلى جلال الدين

= الشيوخ. انظر: كامل ابن الأثير، وفي دليل خارطة بغداد (ص ١٩٠) أن الرباط البسطامي كان راكبًا ضفة نهر عيسى الفرع وضفة نهر دجلة في ملتقاهما.

(١) الشيخ عبد الصمد بن أحمد بن أبي الجيش، أبو أحمد البغدادي الحنبلي، وُلد سنة ٥٩٣ هـ، وقرأ القراءات على الفخر الموصلي، وأجاز له ابن الجوزي، وتتلمذ له كثيرون، وولي مشيخة مسجد قمرية، ثم ولاه المستنصر رباط سوسيان، وبعد اجتياح بغداد ولي خزن الديوان والخطابة بجامع القصر، توفي سنة ٦٧٦ هـ. انظر: العبر (٥/ ٣١١)، والشذرات (٥/ ٣٥٣)، وفيه أن له ديوان خطب في سبع مجلدات، والذيل على طبقات الحنابلة (٢/ ٢٩٠)، وتاريخ علماء بغداد (ص ٩٦).

(٢) المعيد دون المدرس، وهو الذي يعيد الدرس بعد إلقاء المدرّس المحاضرة على الطلبة. انظر: المدرسة المستنصرية (ص ٦٨).

(٣) الفقيه أبو علي الحسن بن المبارك بن محمد الحنفي، المعروف بابن الزبيدي، المولود في سنة ٥٤٣ هـ، والمتوفّى سنة ٦٢٩ هـ. انظر: العبر (٥/ ١١٣)، وفيه أنه ولد سنة ٥٤٢ هـ، والمختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله (٢/ ٢٥)، وتلخيص مجمع الآداب (ج ٥ الترجمة ١٩٢٥)، وله ترجمة في الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية (١/ ٢٠٠)، وبغية الوعاة (ص ٢٢٦).

(٤) فخر الدين أبو طالب أحمد بن محمد بن الحسن الدامغاني البغدادي، سيذكر المؤلف تعيينه في (أشراف الديوان) سنة ٦٢٧ هـ، وفي حوادث ٦٥٧ هـ بعدما أوقع التتار ببغداد، كما سيذكر قتله بأسَنَة، إذ اتهمه المغول أنه قد بعث صبيًا من أولاد الخلفاء إلى الشام. انظر أخباره في: العسجد المسبوك (ص ٥٣٢ و٥٦٣ و٦١٧)، وتلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٣ ص ٩٩)، وفيه أنه توفي سنة ٦٥٨ هـ.

(٥) مشيخة الشيوخ: من المناصب الدينية، ومهمتها النظر في أمور المشيخات (المؤسسات) الاجتماعية والدينية، مثل مشيخة الصوفية ومشيخة دور العلم والربط وغيرها، وشيخ الشيوخ هنا هو صدر الدين إسمٰعيل بن أحمد النيسابوري، وأبناؤه يعرفون ببني شيخ الشيوخ، وذكر عبد الرحمٰن في التلخيص (ج ٤ ق ٣ ص ٩٩).

(٦) فلك الدين، أبو المظفر محمد بن فلك الدين سنقرين عبد الله التركي الناصري، من كبار الأمراء، ووالدته أخت الأمير سليمان شاه بن برحم (سيأتي ذكره). وُلد برقوقا سنة ٥٩٢ هـ، وولي زعامة شهرزور ولم يلبث بها طويلًا، إذ استولى عليها التتار. انظر: التلخيص (ج ٤ ق ٣=

منكوبري[1] بن خوارزمشاه محمد بن تكش مع رسول كان وصل منه وهو يومئذ على خلاط[2] محاصرًا لها ونفذ له معهم تشريفات وكراع ولباس الفتوّة[3]. ووكل فخر الدين ابن الدامغاني في فتوته من الخليفة المستنصر بالله والشيخ أبي البركات نقيب الفتوّة، وكان ذلك بموجب سؤاله.

وفي غرّة ذي القعدة خلع على الأمير شمس الدين أصلانتكين[4] وأخرج نائبًا عن أمير الحاج، فورد الخبر إلى بغداد أن قومًا من عرب البطنين[5] خرجوا على الحاج، وعدلوا بهم عن الطريق المسلوكة في كل سنة وطلبوا منهم خفارة[6] واختطفوا من أطرافهم، وأسفرت الحال إلى تقرير اثني عشر ألف دينار تسلّم إليهم وينصرفون

= ص ٥١٦).

(١) هو منكوبرتي: بالتاء قبل الياء.

(٢) خلاط: بلدة عامرة مشهورة، وهي قصبة أرمينية، وهي من فتوح عياض بن غنم (معجم البلدان ٢/ ٣٨٠)، وهذه هي المرة الرابعة التي يحاصر فيها جلال الدين منكوبرتي مدينة خلاط منذ سنة ٦٢٣ هـ، وكانت خلاط تحت حكم الملك الأشرف الذي كان ينازع بني أبيه الأيوبيين على حكم دمشق التي استطاع صاحبها الملك المعظم أن يقيم حلفًا ضد أخيه الأشرف، وكان أقطاب هذا الحلف: جلال الدين منكوبرتي ومظفر الدين صاحب إربل وناصر الدين صاحب ماردين وقد استطاع جلال الدين احتلال خلاط بعد حصار شديد جدًا استمر حتى أواخر جمادى الأولى من سنة ٦٢٧ هـ، فأعمل في أهلها السيف وقتل وسبى وفعل ما لم يفعله أحد، وكان أهل خلاط قد أضرّ بهم الحصار فاستنجدوا بالخليفة المستنصر، الذي أرسل إلى جلال الدين لأجل رفع الحصار والخطبة له في بلاد خوارزم، كما استنجدوا بالملك الكامل الذي لم يفعل شيئًا لأجلهم. انظر: العسجد المسبوك (ص ٤٣٧)، والعبر (٥/ ١٠٥)، وتتمة المختصر (٢/ ٢٢٥)، والنسوي سيرة السلطان جلال الدين (٢٥٩)، ومختصر تاريخ الدول (ص ٢٤٥).

(٣) لباس الفتوة: هو سراويل. والفتوة نظام أحدثه العباسيّون وجدّده الخليفة الناصر لدين الله سنة ٦٠٤ هـ. ويراد بالفتوّة استجماع الأخلاق الكريمة وجميل الطباع والإيثار والشجاعة والاعتماد على النفس. وقد اهتمّ به الناصر كثيرًا وجعل له مراسم، وهو يشبه نظام الكشف اليوم. وصاحب الفتوة يدعى الفتى، والجمع فتيان. انظر: الجامع المختصر (ص ٢٢١).

(٤) سيذكر المؤلف ولايته إمارة الحاج سنة (٦٢٧ هـ)، وعزله عنها سنة (٦٣١ هـ).

(٥) هكذا في نسخة الأصل، قال الدكتور مصطفى جواد في حاشيته: ولعلّه الطائيين من قبيلة طيء المشهورة وهم من طريق مكّة، وهي البطان على ما حقّقه حمد الجاسر في المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية القسم الأول (ص ٣١٠)، وفي معجم البلدان (١/ ٤٤٦): بطان ـ بكسر أوله ـ منزل بطريق الكوفة بعد الشقوق من جهة مكة بعد الثعلبية. وفي صبح الأعشى (٤/ ٢٠٥): أن البطنين ممّن ينضاف آل فضل الربيعيين ويدخل فيهم، وهو الأصح.

(٦) الخفارة: أجرة الخفر، أي: المحافظة كالجعالة (حاشية الدكتور جواد).

عنهم، فصححت[١] لهم من نفقات السُّبل ومال المخزن المُعَدّ للصدقة من غير إلزام أحد من الحاج بشيء، وانفصلوا عنهم، فتقدم الخليفة بالتعيين على الأمير جمال الدين قشتمر[٢] وأن يخرج معه خمسة آلاف فارس ويقصد الأعراب المذكورين، فتوجه في ثاني عشر ذي الحجّة، فلما وصل الكوفة عيّن على جماعة نفذهم طلائع، فلما وصل لينة[٣] عاد منهم من أخبره أن مددهم من الثعلبية[٤] إلى زرود[٥] وهم يرقبون وصل الحاج، فرحل من لينة على غير الطريق المسلوك، فوصل من الطوالع من أخبره أن بينه وبين العرب نحو مرحلتين وهم نزول بالحضرا[٦] والثعلبية، فجعل أمراء العسكر ومشايخ العرب، وعين لهم وقت اللقاء، ثم ركب وسار ليلته أجمع حتى وصل إليهم، فاقتتلوا أشدّ قتال فانهزمت العرب وقتل منهم خلق كثير، فاحتوى العسكر على أموالهم دون أولادهم ونسائهم، وأقاموا بالموضع المذكور إلى أن وصل الحاج الثعلبية، واجتمعوا بهم واصطحبوا راجعين إلى بغداد.

وفيها، عزل محيي الدين يوسف[٧] ابن الجوزي عن النظر بخزانة

(١) صححت: معناه جمعت وحققت، وهو مولد (حاشية الدكتور جواد).

(٢) جمال الدين قشتمر بن عبد الله التركي، مقدم العساكر، سيرد ذكره في مواضع عديدة من الكتاب، كما سيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٣٧ هـ، وقد ورد ذكره في وفيات هذه السنة في الشذرات (٥/١٨٩)، والعبر (٥/١١٣)، كما ورد ذكره في مواضع عديدة من الجامع المختصر (ج ٩)، ومجمع الآداب (ج ٤).

(٣) لينة: منزل في طريق الحاج من جهة العراق. انظر: وفيات الأعيان (٤/١٢١)، ومعجم البلدان (٥/٢٩).

(٤) الثعلبية: من منازل طريق مكة من الكوفة، معجم البلدان (٢/٧٨).

(٥) زرود: بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة. معجم البلدان (٣/١٣٩).

(٦) كذا في الأصل. قال الدكتور مصطفى جواد: ولعله القصر. قال ابن جبير: ثم أسرينا منها ـ أي: من البيداء ـ ونزلنا ضحوةً يوم الأربعاء بزرود، وهي وهدة في بسيط من الأرض فيها رمال منهالة وبها حلق كثير ودويرات صغار شبه الحصن، يُعرف بهذه الجهات بالقصر، والماء بهذا الموضع في آبار غير عذبة، فنزلنا ضحوة يوم الخميس بوضع يعرف بالثعلبية، فبقرب القصر من الثعلبية يترجح قولنا السابق. انظر: رحلة ابن جبير (ص ١١٨).

(٧) يوسف ابن الشيخ أبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد التيمي البكري البغدادي الحنبلي، وهو ابن العلامة المشهور أبي الفرج ابن الجوزي، وُلد سنة ٥٨٠ هـ، وتفقه على أبيه وغيره، وصدرت رسائل الديوان إلى الشام والشرق والموصل والجزيرة من إنشائه، وحدّث ببغداد ومصر وسواهما. وأنشأ المدرسة الجوزية بدمشق، وولي التدريب بالمستنصرية، وتولى أستاذية دار الخلافة أيام المستعصم، وكان قد نشأ برعاية والدة الخليفة الناصر، إذ توفي أبوه وعمره (١٧) سنة. وسيرد ذكره كثيرًا في هذا الكتاب، كما سيذكر مقتله مع أولاده=

الغلات[١] بباب المراتب[٢]، ورتّب عوضه كمال الدين عبد الرحمٰن[٣] بن ياسين، ثم عزل أيضًا عن ديوان الجوالي[٤] ورتب عوضه محيي الدين محمد بن فضلان[٥] وتقدم إليه باعتماد الشرع المطهّر في أخذ الجزية[٦] من أهل الذمّة، فزاد على من عليه دون الدينار، لأنه لا يجوز في مذهب الشافعي رضي الله عنه أن يُؤخذ من أحد أقلّ من دينار إذا كان فقيرًا، وإن كان متوسطًا أخذ منه ديناران، وإن كان غنيًا أخذ منه أربعة دنانير، لا يجوز أن ينقص أحد من أهل هذه الطبقات الثلاث عن هذه المقادير اقتداءً بعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فإنه جعل أهل السواد ثلاث طبقات على ما تقدم شرحه، اقتداءً برسول الله ﷺ، فإنه لما بعث معاذًا[٧] إلى اليمن قاضيًا أمره أن يأخذ

= علي يد التتار سنة ٦٥٦ هـ. انظر: العبر (٥/٢٣)، وشذرات الذهب (٥/٢٨٦)، وذيل طبقات الحنابلة (٢/٢٥٨)، والأعلام (٩/٣١٢)، وفيه أن المؤلف رأى كتابه «المذهب الأحمد في مذهب أحمد» في المكتبة السعودية بالرياض رقم (٨٦/٣٦)، وله أيضًا «الإيضاح» في الجدل و«معادن الإبريز في تفسير الكتاب العزيز»، وفي النجوم الزاهرة مختارات من شعره.

(١) خزانة الغلات: المخزن الذي تخزن فيه الغلال التي ترد إلى الدولة، سواء على شكل ضريبة عينية أو من ممتلكات الخلافة والدولة. انظر: «صادق حسن السوداني: الوظائف الإدارية في الدولة الناصرية لدين الله العباس، المورد مجلد ٣، عدد ٢، سنة ١٩٧٤».

(٢) باب المراتب: أحد أبواب دار الخلافة ببغداد، كان من أجلّ أبوابها وأشرفها، وكان حاجبه عظيم القدر ونافذ الأمر. معجم البلدان (١/٣١٢).

(٣) كمال الدين، عبد الرحمٰن: سيذكره المؤلف استطرادًا في حوادث سنة ٦٣١ هـ، ولكنه لم يذكر وفاته.

(٤) ديوان الجوالي: جمع جالية، وهي جزيةُ أهل الذمّة في بلاد الإسلام، الذين يؤدون للخليفة الجزية بمقتضى الشريعة، ويستوفي هذا الديوان الجزية من أهل الذمة على مذهب الإمام الشافعي. انظر: الجامع المختصر (٩/٤٢)، والوظائف الإدارية، صادق السوداني، المورد (مجلد ٣ عدد ٢ سنة ١٩٧٤).

(٥) محيي الدين محمد بن فضلان، هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن علي بن الفضل الشافعي، وُلد سنة (٥٦٨ هـ)، وولي القضاء للناصر، فلما استخلف الظاهر عزله، ورحل إلى خراسان وناظر علماءها، وولي تدريس النظامية ببغداد، ثم تولى قضاء القضاة سنة ٦١٩ هـ، وأضيف إليه النظر في الوقوف، ثم ولي ديوان الجوالي وكتب إلى الخليفة كتابًا فريدًا في هذا الموضوع، سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٣١ هـ من هذا الكتاب، وهي سنة وفاته. انظر: العبر (٥/١٢٦)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٥/٤٤)، وفيه ابن واثق بن علي بن الفضل بن هبة الله، وشذرات الذهب (٥/١٤٦).

(٦) يطلق لفظ الجزية في الشريعة على الأموال التي تفرض على أهل الذمة.

(٧) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري، كان من وجوه الصحابة، من البدريين، ولّاه رسول الله ﷺ قضاء اليمن، فلما استخلف أبو بكر ذهب إلى الشام، وأصيب في طاعون عمواس فمات. انظر: طبقات ابن سعد (ج ٣ ق ٢ ص ١٢٠)، والإصابة (ترجمة ٨٠٣٧)، =

من كل حالم دينارًا، وفي رواية: ومن الغني أربعة دنانير، ومن المتوسط دينارين، ولا تقدير لأكثر الجزية، فإنه لو طالب الإمام أو نائبه أضعاف ذلك جاز، حتى لو امتنعوا من أداء الزيادة كانوا ناقضين للعهد.

وفيها توفي يعقوب[١] بن صابر الحرّاني الأصل البغدادي المولد المنجنيقي، كان شيخًا فاضلًا مقدمًا على أهل صناعته وعنده أدب، ويقول الشعر. فمن شعره:

هل لمن يرتجي البقاء خلودُ ... وسوى الله كلُّ حيّ يبيدُ[٢]
والذي كان من ترابٍ وإن عا ... ش طويلًا إلى التراب يعودُ
ومصير الأنام طرًا إلى ما ... صار فيه آباؤهم والجدودُ

ومنها:

أين حوّاء أين آدم إذ فا ... تهما الخلد والثوى والخلود
أين عاد بل أين جنّة عاد ... إرم ابن صالح وثمود

وهي طويلة، آخرها:

لا الشقيّ الغويُّ من نُوَبِ الأ ... يّام ينجو ولا السعيدُ الرشيدُ
ومتى سلت المَنايا سيوفًا ... فالموالي حصيدها والعبيدُ

ومن شعره[٣]:

كلفت بعلم المنجنيق ورميه ... لهدم الصياصي وافتتاح المرابط
ونظم القوافي والمديح لشقوتي[٤] ... فلم أخلُ في الحالين من هدم حائط

وكان كثير الدخول على الوزير ناصر[٥] بن مهدي، ثم صار إذا جاء يجلس

= والاستيعاب بهامش الإصابة (٣/ ٩٥٤).

(١) أبو يوسف يعقوب بن صابر بن بركات، نجم الدين الحراني، شاعر، مغرى بالسلاح وصناعته، صنّف كتابًا سماه «عمرة المسالك في سياسة الممالك»، مدح الملوك والوزراء، وجمع شعره في ديوان سمّاه «مغاني المعاني». انظر: وفيات الأعيان (٧/ ٣٥)، وشذرات الذهب (٥/ ١٢٠)، والعسجد المسبوك (٤٤٠)، والبداية والنهاية (١٣/ ١٢٥)، والأعلام (٩/ ٢٦١).

(٢) الأبيات من قصيدة له في البداية والنهاية (١٣/ ١٢٥).

(٣) البيتان في الوفيات (٧/ ٣٧)، والشذرات (٥/ ١٢٠).

(٤) في الوفيات «وعدت إلى نظم القريض لشقوتي».

(٥) ناصر بن مهدي بن حمزة العلوي، نصير الدين أبو الحسن، المازندراني، الرازي، فاضل من ذوي الرأي، أصله من الري، وانتقل إلى بغداد، فقرّبه الخليفة الناصر فكان نائب الوزارة سنة=

ظاهر الستر، فقال:

قولوا لمولانا الوزير الذي أضاع وُدّي ونوى هجري
وصرت إن جئت إلى بابه أجلسني في ظاهر الستر
إن كان ذنبي أنني شاعرٌ فاصفح فقد تبت من الشعر

ثم انقطع عنه مدّة، فلما دخل إليه أنكر عليه انقطاعه، فقال:

وقالوا قد صددتَ ومِلْتَ عنّا فقلتُ أبيتُ تكرار المحال
أَنِفْتُ من الوِداد إلى أناسٍ رأوا حالي ولم يرثوا لحالي

ثم هجاه، فقال[1]:

خليلَي قولا للخليفة أحمد توق وقيت السوء ما أنت صانع[2]
وزيرك هذا بين أمرين فيهما صنيعك يا خير البرية ضائع[3]
لَئِن كان حقًّا من سلالة حيدر[4] فهذا وزير في الخلافة طامع
وإن كان فيما يدّعي غير صادق فأضيع ما كانت لديه الصنائع

وله في غلام ثقيل الروادف:

يقعده في النهوض ردف قيامتي دونه تقوم
أفديه من مقعد مقيم عندي به المقعد المقيم

وله في زامر:

وزامر بات نديمًا لنا ما بين سكران ومخمور
تقتلنا الخمر ونحيا به كأنه ينفخ في الصُّور

= ٥٩٢ هـ، ثم تقلّد الوزارة سنة ٦٠٢ هـ، ولم يكن راضيًا عن تحكم المماليك، فأكثروا فيه القول، فعزله الخليفة وكرّمه. وتوفي ببغداد سنة ٦١٧ هـ. انظر: الغمزي في الأحكام السلطانية (ص ٢٣٩)، والعبر (٥/ ٧١)، والشذرات (٥/ ٧٨)، وعمدة الطالب (ص ٦٢)، والبداية والنهاية (١٣/ ٤٧).

(١) الأبيات في عمدة الطالب (ص ٦٢)، والبداية والنهاية (١٣/ ٤٧)، بدون نسبة.

(٢) في عمدة الطالب:
ألا من مبلغ عني الخليفة أحمدا توق وقيت الشر ما أنت صانع

(٣) في عمدة الطالب: (شيئين) بدل (أمرين) و(فعالك) بدل (صنيعك).

(٤) في عمدة الطالب: من سلالة أحمد.

وأنشد يومًا قول القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني[١]:

ألقني في لظى فإن غيّرتني ... فتيقن أن لست بالياقوت
شمل النسج كل من حاكَ لكن ... نسج داود ليس كالعنكبوت[٢]

فقال في جوابها[٣]:

أيُها المدّعي الفَخارَ دَعِ الفخر ... لذي الكبرياء والجبروت
نسج داود لم يفد صاحبَ[٤] الغا ... ر وكان الفخار للعنكبوت
وكذاك النعام يبتلع[٥] الجمر ... وما الجمر للنعام بقوت
وبقاء السمند[٦] في لهب النار ... مزيلٌ فضيلة الياقوت

وفيها، توفي أبو الفضل جبريل[٧] بن زطينا كاتب الديوان، كان أولًا نصرانيًا وأسلم في أيام الخليفة الناصر لدين الله، وكان ذا فضل وأدب، وله نظم ونثر وأشياء مُستحسنة. ومن شعره[٨]:

إن سهرت عينك في طاعةٍ ... فذاك خيرٌ لك من نوم
أمسُكَ قد فات بعِلاته ... فاستدرك الفائت في اليوم
وإن قسا القلب لأكداره ... فَصَفِّه بالذكر والصوم

---

(١) هو عبد الرحيم بن علي بن السعيد اللخمي المعروف بالقاضي الفاضل، وزير من أئمة الكتاب، وُلد بعسقلان سنة (٥٢٩ هـ)، وانتقل إلى الاسكندرية، ثم إلى القاهرة، وكان من وزراء السلطان صلاح الدين الأيوبي ومن المقرّبين إليه. توفي سنة ٥٩٦ هـ. انظر: النجوم الزاهرة (٦/ ١٥٦)، وكتاب الروضتين (٢/ ٢٤١)، والدارس في تاريخ المدارس (١/ ٨٩)، والأعلام (٤/ ١٢١).

(٢) قال ابن خلكان: «وقفت يومًا بالقاهرة على كراريس فيها شعره، وقد أجاد في كل ما نظمه، ورأيت فيها البيتين المشهورين المنسوبين إلى جماعة من الشعراء، ولا يعرف قائلهما على الحقيقة، وهما: «ألقِني في لظًى فإن غيرتني...».

(٣) الأبيات في وفيات الأعيان (٧/ ٤).

(٤) في الوفيات: ليلة الغار.

(٥) في الوفيات: يلتقم.

(٦) السمند، ويقال السمندل أيضًا قال ابن خلكان: ذكروا أنه طائر يقع في النار فلا تؤثر فيه (الوفيات (٧/ ٤٣).

(٧) جبريل أو جبرائيل بن منصور بن هبة الله، ينتهي نسبه إلى النعمان بن المنذر، ويعرف بابن زطينا البغدادي، كان شاعرًا فصيحًا، وله مواعظ بليغة وشعر. انظر: البداية والنهاية (١٣/ ١٢٦)، وشعراء بغداد للخاقاني (٢/ ٣١٩).

(٨) الأبيات في البداية والنهاية (١٣/ ١٢٦).

ولـــه:

إذا أعْيَى عليك الأمر فارجع إلى ربٍّ عوائده جميله
فكم من مسلك مع ضيق سلك تجلّى واستبان بغير حيله

ولـــه:

أريد من نفسي نشاط الشّباب ودون ما أبغيه شَيْب الغراب
فكيف والسبعون جاوزتُها ومذهب العمر رمي بالذهاب
ومطلبي عزّ وما دونه تأباه نفسي وأموري صعاب
وقد تحيّرت ولا غرو أن يحار من يطلب ما لا يُصاب

وفيها، توفي الأستاذ سعد الدين محمد بن جلدك خازن دار التشريفات، كان شيخًا عاقلًا تولّى خدمة الخليفة الناصر لدين الله مدّة عمره وصحبه سفرًا وحضرًا، وكان يتولّى حمل مطالعاته إلى الوزير وغيره ممن تبرز إليه مطالعته.

وفيها، توفي الملك المسعود أبو المظفر يوسف[1] ابن الكامل الملك محمد ابن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب بن شادي. لما ملك أبوه الملك الكامل اليمن واستولى على مكّة ولّاها ابنه الملك المسعود هذا، فاستناب بها أميرًا، وكان هو يتردّد إليها، ومقامه باليمن، ولم تكن سيرته حسنة ولا طريقته محمودة. قيل: إنه دخل مكّة في هذه السنة فأساء السيرة في أهلها ثم رمى طيور الحرم الشريف بالبندق[2] فشلّت يده وأدركه أجله بها، فمات ودُفن بالمعلّى[3]، وكان شابًا.

---

(١) انظر: تتمة المختصر من أخبار البشر (٢/ ٢٢٣)، وفيه: «مات وعمره ست وعشرون سنة، وملكه أربع عشرة سنة»، والعسجد المسبوك (٤٣٩)، وشذرات الذهب (٥/ ١٢٠) وفيه: «الملك المسعود أقسيس بن الكامل، وأقسيس بلغة اليمن موت، وكان جبارًا عنيدًا»، والبداية والنهاية (١٣/ ١٢٤)، وفيه «أقسيس» بالقاف، والوفيات (٥/ ٧٦ و٨٢)، وفيه أنه ولد في سنة ٥٩٧ هـ، وفيه «أطسيس». وانظر: بهجة الزمن في تاريخ اليمن (ص ٨٢).

(٢) البندق كلمة فارسية تطلق على كرات صغيرة من الرصاص، أو من الحجر أو من الطين، كانوا يقذفونها بواسطة الأقواس كالنبل، وتستخدم في الحرب أو الرياضة، وفي العصر العباسي شاع استخدام البندق، وعني الخلفاء بهذه الرياضة حتى جعل الخليفة الناصر لدين الله من رمي البندق فنًا وسباقًا وشرفًا.

(٣) وفي تتمة المختصر (٢/ ٢٢٣) «المعلاة» وهي موضع بين مكة وبدر. انظر: معجم البلدان (٥/ ١٥٨)، والبداية والنهاية (١٣/ ١٢٤)، وفيه «باب المعلى».

سنة سبع وعشرين وستمائة

في غرّة المحرم، جلس محيي الدين أبو عبد الله محمد بن فضلان في ديوان الجوالي واستوفى الجزية من أهل الذمة، فكان أحدهم يقف بين يديه إلى أن توزن جزيته ويكتب له ورق وهو صاغر، فلقوا من ذلك شدّة. وكان أبو علي ابن المسيحي رئيس الطب، له اختصاص ودخول إلى دار الخليفة، فأظهر المرض واعتذر وسأل أن تُؤخذ جزيته من يد ولده، فلم تقبل منه، فحضر وأدّاها، ومضى ابن الشويح[١] رأس مشيئة[٢] اليهود إلى داره ليلًا وسأله أن يأخذ الجزية منه، فلم يلتفت إليه، وقال له: لا بدّ أن تحضر نهارًا إلى الديوان وتؤدّيها، وشدّد في ذلك ولم يسامح أحدًا.

وفيها، وَلِيَ شمس الدين أبو الأزهر أحمد[٣] ابن الناقد أُستاذيّة الدار[٤]، وخلع عليه ذلك إضافة إلى وكالة الخليفة[٥] المستنصر بالله.

---

(١) ابن الشويح، وفي العسجد المسبوك (ص ٥٥٩): الشيوخ (بالخاء)، وهو أبو الفتح إسحٰق بن أبي الحسن بن أبي البركات بن الشويح. قال صاحب العسجد: كان شيخًا صالحًا مسنًا قد جاوز الثمانين، وعنده فضل وأدب ويكتب خطًا حسنًا وينظم شعرًا جيدًا مع معرفة تامّة بعلم النحو مع عمل المواليد وتحويلها وتسيير الكواكب والحكم عليها، وسيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٦٤٥ هـ.

(٢) رأس المشيئة، وفي العسجد المسبوك (ص ٥٥٩): رأس المثيبة، وكذلك في تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٣ ص ١١٢)، وفسّرها الدكتور جواد في حاشيته على التلخيص بأنها على وزن المدينة، وهي المشيخة الدينية، وسيرد في حوادث سنة ٦٤٥ هـ بصورة «المشبه». وانظر الجامع المختصر (٩/ ٢٢٦)، وذكر الدكتور ناجي معروف بصورة «رأس المشيئة» قال: ولعلها المشيبة لأنها باللغة العبرية «روشن يشيبا» تاريخ علماء المستنصرية (٢/ ٤٦٤).

(٣) ولقب فيما بعد بنصير الدين (وقد شاع في هذه العصور تغيير الألقاب بتغيير المناصب) أبو الأزهر، أحمد بن محمد بن الناقد، وُلد سنة ٥٧١ هـ، وكان في بداية أمره وكيلًا للخليفة، ثم انتقل منها إلى أستاذية الدار، ثم ولي نيابة الوزارة بعد خلع القمي ـ وسيذكر ذلك ـ قال ابن الطقطقي: فنهض بأعبائها نهوضًا حسنًا، وقام بضبط المملكة قيامًا مرضيًا، وكان عظيم الأمانة، توفي سنة ٦٤٢ هـ. انظر: الفخري (ص ٢٤٣)، والعسجد المسبوك (٦٢٨).

(٤) أستاذية الدار، وصاحبها أستاذ الدار، يتولى شؤون دار الخلافة ونفقاتها وأمور الأسرة العباسية المقصورة في دار الخلافة، وله الحكم في غلمان الخليفة وباب داره. ويرى الدكتور ناجي معروف أنه بمثابة رئيس الديوان الملكي أو القصر الجمهوري اليوم. انظر: خطط المقريزي (٣/ ٦٤)، وصبح الأعشى (٤/ ٢٠)، وتاريخ علماء المستنصرية (٢/ ٢٥٢)، والوظائف الإدارية في عهد الخليفة الناصر (المورد مجلد ٣ عدد ٢ سنة ١٩٧٢).

(٥) وكيل الخليفة الذي يمضي المعاقدات والمعاهدات والبياعات نيابة عنه.

وفيها، وصل فخر الدين أحمد ابن الدامغاني وشمس الدين عبد الرحمٰن شيخ الشيوخ[١]، والأمير فلك الدين محمد بن سنقر الطويل، وسعد الدين حسن ابن الحاجب علي[٢] المقدم ذكر توجّههم في السنة الخالية إلى جلال الدين منكوبرتي، وكان اجتماعهم به ظاهر خلاط وهو نازل عليها ومحاصرٌ لها، فخلعوا عليه وألبسوه سراويل الفتوّة، ووصل بعدهم بأيام رسول منه برسالة، مضمونها شكر الإنعام عليه والإخبار بفتح خلاط وملكها. فخلع عليه وعلى خواصه، وأنزل دار الأمير محمد ابن الأنباري على دجلة، فأقام أيامًا ثم عاد.

وفيها، نقل عن عبد الله[٣] بن إسماعيل صاحب ابن المنى الواعظ ما اقتضى أنه أحضر إلى دار الوزارة وضرب مائة عصًا وقطع لسانه وحمل إلى المارستان العضدي، وحبس في حجرة المجانين وأفرج عنه بعد ثلاثة أشهر.

وفي غرّة شهر رجب المبارك، فرقت الرسوم من البرّ على أربابها جاري العادة، وأبرز من دار الخليفة إلى أستاذ الدار شمس الدين أحمد ابن الناقد ما أمر بتفرقته على الفقراء والمحتاجين ببغداد.

وفيها، قلّد قاضي القضاة[٤] عبد الرحمٰن بن مقبل الواسطي[٥] أبا عبد الله

(١) ورد اسمه في حوادث السنة السابقة بصورة «الشيخ عبد الرحمٰن ابن شيخ الشيوخ»، وانظر الحاشية.

(٢) لم يذكر في حوادث السنة الخالية، وقد ذكر في تلخيص مجمع الآداب (ح ٤ ص ٣ ص ٩٣).

(٣) شمس الدين أبو طالب عبد الله بن إسمٰعيل بن علي بن الحسين البغدادي الأزجي الواعظ، الحنبلي، المعروف والده بالفخر، غلام ابن المنى، اشتغل بالوعظ، ووعظ ببغداد ومصر، وحدّث، وله نظم. قال المنذري: سمعت شيئًا من شعره، توفي سنة ٦٣٤ هـ، ولم يذكر المؤلف ذلك في وفيات هذه السنة. انظر: شذرات الذهب (١٦٨/٥).

(٤) قاضي القضاة: من أرباب الوظائف الدينية المهمة، وهي أرفع هذه الوظائف، ويقابلها اليوم (وزير العدل)، وهو يتولى النظر بأمور الحسبة بمقتضى الشرع. ويبدو أن للقضاء ثلاث مراتب، إذ يلي منصب قاضي القضاة رتبة أقضى القضاة، يليها القاضي. انظر: تاريخ علماء المستنصرية (٤٩/٢)، والجامع المختصر (المقدمة).

(٥) هو عبد الرحمٰن بن مقبل بن علي، عماد الدين، أبو المعالي الواسطي الشافعي، ولد سنة ٥٧٠ هـ، وتفقه ودرّس وأفتى، وناب في القضاء عن أبي صالح الجيلي، ثم تولّى بعده القضاء، ودرّس بالمستنصرية، ثم عزل سنة ٦٣٣ هـ. فانصرف للعبادة، وولي مشيخة أحد الربط سنة ٦٣٥ هـ، وتوفي سنة ٦٣٩ هـ. انظر ترجمته في حوادث سنة وفاته من هذا الكتاب، والعبر (١٦١/٥)، والعسجد المسبوك (ص ٥٠٥).

محمد بن أبي الفضل الحنفي[١] ويعرف بربيب الأبري، قضاء واسط وولاية الوقوف[٢] بها.

وفيها، تقدم الخليفة المستنصر بالله إلى فخر الدين أحمد[٣] ابن نائب الوزارة[٤] مؤيّد الدين القمي[٥]، بعمارة مساجد[٦] الكرخ فشرع في ذلك، فلما تكاملت عمارتها رتّب بها الأئمّة والمؤذّنون.

وفيها، تكامل بناء قصر مبارك، الذي أمر بعمارته بباب البصرة[٧] المشرف على الصراة[٨].

---

(١) وسيذكر المؤلف عزله في حوادث سنة ٦٢٨ هـ، وقد ورد ذكره في العسجد المسبوك (ص ٤٦٤) مع أبياتٍ له قالها حينما أمر الخليفة المستنصر بالتعامل بالدراهم الفضّية بدلًا من قراضة الذهب.

(٢) ولاية الوقوف، وتسمّى أيضًا ولاية الأحباس، يتولى صاحبها رزق الجوامع والمساجد والربط والزوايا والمدارس وما هو على سبيل البر، ومن شروط من يتقلّده أن يكون عالمًا فقيهًا مشاركًا في الفضائل والأدب. انظر: صبح الأعشى (٤/ ٣٤).

(٣) فخر الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم القمي، ترجمه ابن الفوطي في التلخيص (ج ٤ ق ٣ ص ١٠٤)، قال: ظهر منه في وزارة أبيه من القوة والحرمة والنقمة ما جاوز فيه حدّ التأديب وبلغ منه إلى الفظيع الغريب، من قطع الأيدي وصلم الآذان، وازداد ذلك منه حتى ولي الشرطة وحجبة باب النوبي، وكان ذا فطنة ودهاء. وسيذكر المؤلف عزل أبيه والقبض عليه في حوادث سنة ٦٢٩ هـ. وانظر: تجارب السلف (ص ٣٤٣).

(٤) نائب الوزارة: دون الوزير، وهو الذي ينفذ أوامر الخليفة. تاريخ علماء المستنصرية (٢/ ٢٥٢).

(٥) مؤيّد الدين، محمد بن محمد بن عبد الكريم القمي، ينتسب إلى المقداد بن الأسود الصحابي المشهور، ولد بقم ونشأ ببغداد، كان خبيرًا بأمور الدواوين، أديبًا حافظًا، بدأ بخدمة سلاطين العجم، ثم قدم إلى بغداد وعين في كتابة الإنشاء، ثم تولى الوزارة للناصر، ثم للظاهر، ثم للمستنصر، ثم قبض عليه وحبس مدّة، فمرض ومات سنة ٦٣٠ هـ، وسيذكر المؤلف خبر عزله بتفصيل. انظر: الفخري (ص ٢٤١)، والوافي بالوفيات (١/ ١٤٧)، وتجارب السلف (ص ٣٤٣)، والأعلام (٧/ ٢٥٤).

(٦) وذلك لأن هذه المساجد تهدّمت في غزوة بغداد شرقيها وغربيها سنة ٦١٤ هـ. (حاشية الدكتور جواد).

(٧) باب البصرة: هو الباب الجنوبي الشرقي من بغداد.

(٨) الصراة: نهر يأخذ من نهر عيسى من عند بلدة يقال لها «المحوّل» بينها وبين بغداد فرسخ، ويتفرّع منه أنهار إلى أن يصل إلى بغداد. معجم البلدان (٣/ ٣٩٩).

وفيها، نقل ظهير الدين الحسن بن عبد الله[١]، من أشراف الديوان إلى صدرية المخزن[٢]، ورتب العدل فخر الدين أحمد ابن الدامغاني عوضه في أشراف الديوان.

وفيها، وصل رسول من محمد بن يوسف بن هود[٣]، يخبر باستيلائه على معظم بلاد الغرب واستعادتها من أيدي غصابها بني عبد المؤمن[٤]، وإقامة الدعوة بها للدولة العباسية، فأكرم الرسول ثم كتب على يده شيء إلى مرسله وخلع عليه وأذن له في العود.

وفيها، تكامل بناء سور الرصافة، الذي أمر بعمارته الخليفة المستنصر بالله.

وفيها، وَلِيَ الأمير شمس الدين أصلان تكين الناصري، إمارة الحاج، وحجّ الناس في هذه السنة.

وفيها، توفي عضد الدين أبو نصر المبارك[٥] بن الضحاك، وكان شيخًا ديّنًا

---

(١) سيذكر المؤلف تولّيه عرض الجيش، كما سيذكر وفاته في حوادث سنة ٦٣٥ هـ. انظر: ترجمته هناك.

(٢) صدرية المخزن: صدر المخزن كوزير المالية اليوم، ويسمى أيضًا صاحب المخزن، وواجبه الإشراف على مخزونات الدولة، وإدارة اقتصاد البلد. انظر: تاريخ علماء المستنصرية (٢/ ٢٥١)، والوظائف الإدارية في عهد الخليفة الناصر (المورد مجلد ٣ عدد ٢ سنة ١٩٧٤).

(٣) محمد بن يوسف بن هود، آخر ملوك دولة الطوائف، كان مقيمًا بسرقسطة، وثار على الموحدين سنة (٦٢٥ هـ)، وقاتله والي مرسية (من بني عبد المؤمن)، وانتصر ابن هود ودخل مرسية، وَخطبَ باسم المستنصر العباسي، وقاتله والي شاطبة، فانتصر ابن هود أيضًا وزحف عليه إدريس بن يعقوب، فتقهقر ابن هود واعتصم بمرسية، وعظم أمره وتابعه أهل شاطبة وقرطبة وأشبيلية، واستولى على الجزيرة الخضراء وجبل الفتح، توفي سنة ٦٣٤ هـ. انظر: العسجد المسبوك (ص ٤٤٢)، والأعلام (٨/ ٣٣)، وفيه إشارة إلى أهم مصادر دراسته.

(٤) عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان، أبو محمد الكومي، نسبة إلى كومية من قبائل البربر، ولد في مدينة تاجرت بالمغرب، ونشأ فيها طالب علم، والتقى بابن تومرت الذي ملك المغرب الأقصى وجعله قائدًا لجيوشه، وولي الخلافة بعد وفاته سنة ٥٢٤ هـ، ودعي أمير المؤمنين فاستأصل الملثمين ودخل مراكش سنة ٥٤١ هـ، واستولى على أشبيلية وقرطبة وغرناطة والجزائر وسائر بلاد أفريقية، وأنشأ الأساطيل، توفي سنة ٥٥٨ هـ، وأخباره كثيرة أشار إليها صاحب الأعلام (٤/ ٣١٩)، وانظر: وفيات الأعيان (٣/ ٢٣٧)، والعبر (٤/ ١٦٥)، والشذرات (٤/ ١٨٣).

(٥) المبارك بن محمد بن هبة الله بن الضحاك، أبو نصر البغدادي، الأسدي، القرشي، من بيت معروف بالكتابة، تولى الأعمال الديوانية، وكان من أعيان أهل بيته، ولد سنة ٥٥٢ هـ، وأنفذه الخليفة الناصر لدين الله رسولًا إلى الملك العادل محمد بن أيوب سنة ٦٠٥ هـ، ورتب ناظرًا في ديوان الجوالي، ثم أستاذ الدار سنة ٦٠٦ هـ، ولم يزل به إلى أن توفي ودفن في مشهد=

فاضلًا أديبًا، وكان من المعدلين[١] بمدينة السلام، ورتب ناظرًا بديوان الجوالي، وكتب ديوان الإنشاء[٢]، ثم نفذ رسولًا إلى صاحب الشام، فلما عاد رتب أستاذ دار الخلافة، فكان على ذلك إلى أن توفّي، وكان له شعر حسن، فمما نسب إليه ما رثى به بعض أصحابه، وهو:

لئن مضى أحمد حميدًا ما الموت في أخذه حميد
أو بخلت مقلة بدمعٍ فهي على مثله تجود

وفيها، توفي الأمير نور الدين ككسنقر التركي المعروف بالحلقي، كان أولًا لبعض أمراء العراق، فلما توجه الوزير ابن القصاب[٣] إلى هناك واستولى على تلك الأماكن، حضر عنده بعض الأمراء فشاهد معه ككسنقر المذكور فاستحسن صورته وأعجبه قدّه وهيفه، فأشار إلى بعض المماليك بأن يتحدّث إليه ويطمعه في سيده بحيث يطلب منه الانفصال عنه ويعده أن ينفذ به إلى بغداد ويصير بها أميرًا أكبر من سيده، فاجتمع به المملوك وفاوضه في ذلك ورغّبه، فشافه سيده بذلك، فقلق قلقًا شديدًا وتضرّع إليه في أن لا يفارقه، فلم يرق له، فمنعه سيده من الخروج فألقى نفسه من الدار ومضى هاربًا إلى الوزير واستجار ببابه، فأدخله إليه وسمع كلامه، وأحضر سيده وتحدث معه في بيعه فلم يجب إلى ذلك، فأمر الوزير بإنفاذ ككسنقر إلى بغداد مع ثقة، فلما وصل ورآه الخليفة فأحسن إليه وتلقاه بالقبول، ولم يزل في ارتقاء وعلوّ منزلة، وقرّبه حتى ولاه الإمارة وجعله أمير السلاح[٤] وأقطعه[٥]

= الإمام موسى بن جعفر، وكان أديبًا شاعرًا مترسّلاً. انظر: تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ١ ص ٤٤٩).

(١) المعدل: الشاهد المزكى بشاهدين عدلين وتكون الشهادة عند القاضي وفي مجلسه. انظر: النظام القضائي في بغداد في العصر العباسي (ص ٣٨٣) وما بعدها.

(٢) ديوان الإنشاء بمثابة وزارة الإعلام اليوم.

(٣) مؤيد الدين، أبو المظفر محمد بن أحمد ابن القصاب، أعجمي الأصل، كان أبوه يبيع اللحم ببغداد، ونشأ هو مشتغلًا بالعلوم والآداب قال ابن الطقطقي «قاد العساكر وفتح الفتوح، وجمع بين رئاستي السيف والقلم، ومضى إلى بلاد خوزستان وفتحها، ثم مضى إلى بلاد العجم فملك أكثرها». تولّى على عهد الناصر لدين الله منصب نائب الوزارة ست سنين، ثم استوزره، وخرج إلى همدان فتوفي بها سنة ٥٩٢ هـ. انظر: الفخري في الأحكام السلطانية (ص ٢٣٨)، والمسجد المسبوك (ص ٢٣٠)، ومختصر التاريخ (ص ٢٥٠)، والأعلام (١٦٩/٧).

(٤) إمارة السلاح: يتولى صاحبها حمل سلاح الخليفة ويكون مسؤولًا عن بيت السلاح، ولا يكون صاحبه إلا من الأمراء المقدمين. انظر: صبح الأعشى (١١/٤ و١٨).

(٥) الإقطاعات تجري على الأمراء، وهو أن يُقْطَعوا بلدًا أو أراضي واسعة مقابل أن يحمل إلى=

معاملة[١] الحدادية[٢] من أعمال واسط، ثم أقطع قوسان[٣]، وأضيف إليه جماعة من الأمراء، ولم يزل يداوم على الشراب حتى غلب عليه البلغم وسمن سمنًا عظيمًا عطّله عن الحركة وامتنع من الركوب، فلم يزل على ذلك إلى أن توفي. وأمّا سيده فإنه لم يزل بعد فراقه مشغوفًا به هائمًا عليه، مفكّرًا فيه، حتى أخذه السل فأحرقه ومات.

وفيها، عاد الأمير مجير الدين جعفر بن أبي فراس الحلي إلى بغداد وكان مقيمًا بمصر عند ولده، فلما وصل وقع الرضى عنه من الخليفة المستنصر بالله. وكان سبب توجّهه إلى مصر أن الخليفة الناصر كان قد أمّره وجعل إليه شحنكية[٤] واسط والبصرة، ثم عزله عن ذلك ولم يوله، فانقطع إلى التعبّد وحجّ في إمارة ولده حسام الدين علي الحاج[٥]، فلما فارق ولده الحاج وتوجه إلى مصر مضى صحبته وأقام إلى الآن، وعاد إلى بغداد في غرة رجب، وأقام بداره فأدركته المنية في آخر ذي الحجّة، فصلّي عليه في جامع القصر[٦] وحُمل إلى مشهد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

وفيها، توفي أحمد[٧] بن أبي السعود الرصافي الكاتب، كان يخدم ولي العهد

= ديوان الزمام مالاً اتفق عليه سنويًا. صبح الأعشى (٤/ ٥٠).

(١) المعاملة ـ وجمعها المعاملات ـ بمثابة الكورة في التقسيم القديم والوحدة الإدارية المالية في الوقت الحاضر.

(٢) الحدادية: قرية كبيرة بالبطيحة، من أعمال واسط. معجم البلدان (٢/ ٢٢٧).

(٣) قوسان: كورة كبيرة، ونهر عليه مدن وقرى بين النعمانية وواسط، ونهره الذي يسقي زروعه يقال له: الزاب الأعلى. معجم البلدان (٤/ ٤١٣).

(٤) الشحنكية، وصاحبها الشحنة، وظيفة استحدثت أيام السلاجقة لتحل محل صاحب الشرطة في مطاردة اللصوص وإشاعة الأمن ومعاقبة المسيئين. انظر: لسان العرب (١٣/ ٢٣٤).

(٥) حسام الدين محمد بن مجير الدين جعفر، سيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة (٦٤١ هـ)، وسيترجمه ترجمة مختصرة.

(٦) جامع القصر، وهو بمثابة الجامع الرسمي للدولة العباسية، ففيه تقام صلاة الجمعة، وتقرأ عهود القضاة، ويُصلى فيه على جنائز الأعيان. بناه الخليفة المكتفي خلال سنوات حكمه (٢٨٩ ـ ٢٩٥)، وبنيت فيه (في سنة ٦٧٨ هـ) مئذنة لا تزال قائمة تسمى بمنارة سوق الغزل. انظر: دليل خارطة بغداد (ص ١٢٥).

(٧) أحمد بن أبي السعود بن حسان الرصافي، ذكره الصفدي في الوافي بالوفيات (ج ٥ ورقة ١٦٩) قال: كان طيب العشرة لطيف الأخلاق، متوددًا، توفي بمكة بعد قضاء نسكه، وذكر=

أبا نصر محمد[١] ابن الخليفة الناصر لدين الله، وكان يكتب له أنساب الطير والحمام، وكان يكتب خطًا مليحًا على طريقة ابن البوّاب[٢]، وكان معجبًا بخطّه، كتب نهج البلاغة بخطّه ونادى عليه فدفع فيه خمسة دنانير فلم يبعه، ثم نودي في الحال على قوائم، بخط ابن البواب خمسة عشر دينارًا، فاستشاط وقال: يدفع في نهج البلاغة بخطي خمسة دنانير ويدفع في قوائم بخط ابن البواب خمسة عشر دينارًا. وليس بين الخطّين كبير فرق، ولا سيما هذا التفاوت. ثم ذكر قصة ابن حيوس[٣] لما أجيز على قصيدة عملها ألف دينار، وتسامع الشعراء فحضر منهم جماعة وعرض كل منهم قصيدة، فلم يعط أحد منهم شيئًا، فكتب أحدهم إلى الممدوح:

على بابك المعمور منا عصابة ... مفاليس فانظر في أمورِ المفاليس[٤]

وقد رضيت هذي العصابة كلّها[٥] ... بعُشْر الذي أعطيته لابن حيوس

وما بيننا هذا التفاوت كله ... ولكن سعيد لا يقاس بمنحوس

سنة ثمان وعشرين وستمائة

في المحرم، وصل إلى بغداد مظفر الدين أبو سعيد كوكبري بن زين الدين علي



= شيئًا من شعره. انظر: شعراء بغداد للخاقاني (١/ ٢٨١)، نقلاً عن مخطوطة فوات الوفيات، وفي التلخيص (ج ٤ ق ٣ ص ٨٦) فخر الدين أبو جعفر أحمد بن عبد السلام الرصافي الشامي.

(١) الخليفة الظاهر بأمر الله فيما بعد، ولد سنة (٥٧٠ هـ) وولي الخلافة سنة (٦٢٢ هـ)، وتوفي سنة (٦٢٣ هـ). انظر: مختصر التاريخ (ص ٢٥٤).

(٢) ابن البواب، أبو الحسن علي بن هلال الخطاط المشهور، من أهل بغداد، هذب طريقة (ابن مقلة)، ونسخ القرآن الكريم ٦٤ مرة، ولا تزال إحداها محفوظة في مكتبة «لاله لي» بالقسطنطينية، توفي سنة ٤٢٣ هـ. انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٣٤٢)، والإعلام (٥/ ١٨٣).

(٣) ابن حيّوس: محمد بن سلطان بن محي بن محمد بن حيوس، ولد سنة ٣٩٤ هـ بدمشق، وكان شاعر الشام في عصره، ولما اختلّ أمر الفاطميين في الشام رحل إلى حلب وانقطع إلى أصحابها (بني مرداس) إلى أن توفي سنة ٤٧٣ هـ، وديوانه مطبوع في مجلدين. انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٤٣٨)، والعبر (٣/ ٢٧٩)، وشذرات الذهب (٣/ ٣٤٣)، والأعلام (٧/ ١٨)، ومقدمة ديوانه (ط. دمشق ١٩٥١).

(٤) انظر الأبيات والخبر في: وفيات الأعيان (٤/ ٤٤٠) وقد نسبها لأبي الحسن أحمد بن محمد بن الدويرة.

(٥) في الوفيات: وقد قنعت منك الجماعة كلُّها.

كوجك[١] صاحب إربل[٢]، ولم يكن قدم بغداد قبل ذلك، وكان معه محيي الدين يوسف ابن الجوزي، وسعد الدين حسن ابن الحاجب علي، وكانا قد توجّها إليه في السنة الخالية فخرج إلى لقائه فخر الدين أحمد بن مؤيد الدين القمي نائب الوزارة، والأمراء كافة والقضاة والمدرّسون وجميع أرباب المناصب، فلقوه على نحو من فرسخ، ولقيه فخر الدين ابن القمي بظاهر السور[٣] واعتنقا راكبين ثم نزلا، فقال له فخر الدين لما انتهى إلى مقار العزّ والجلال ومعدن الرحمة والكرم والإفضال: لا زالت الأبواب الشريفة ملجأ للقاصدين، والأعتاب المنيفة منهلًا للواردين، وصولك يا مظفر الدين رسم، أعلى الله المراسم الشريفة وأسماها وأنفذ أوامرها في مشارق الأرض ومغاربها وأمضاها، قصدك وتلقّيك وإحماد مساعيك إكرامًا لك واحترامًا لجانبك، فيقابل ما شملك من الإنعام بتقبيل الرغام، والدعاء الصالح الوافر الأقسام المفترض على كافّة الأنام والله وليّ أمير المؤمنين. فقبل الأرض حينئذٍ مرارًا، ثم دخلوا جميعًا إلى البلد، فلمّا وصل باب النوبي ساق فخر الدين ونزل مظفر الدين وقبّل الأرض، وعضده الأجل نور الدين أبو الفضل ابن الناقد أحد حجّاب المناطق بالديوان، ثم ركب وقصد دار الوزارة، فلقي مؤيّد الدين القمي وجلس هناك، وركب نائب الوزارة وولده وجميع أرباب الدولة والأمراء، وتوجهوا نحو دار الخلافة.

---

(١) مظفر الدين أبو سعيد كوكبري بن زيد بن الدين علي كوجك، ولي مملكة إربل بعد وفاة أبيه سنة ٥٦٣ هـ وعمره (١٤) سنة، فكتب أتابكه مجاهد الدين محضرًا أنه لا يصلح للملك لصغره، وولي مكانه أخوه يوسف، فسكن حران واتّصل بالسلطان صلاح الدين الأيوبي وشهد معه بعض الوقائع، فأبدى شجاعة وإقدامًا، وقرّبه صلاح الدين وزوجه بأخته ربيعة، وحضر يوسف متنجدًا لصلاح الدين فمات في عكا، فعاد مظفر الدين إلى إربل واستقرّ بها إلى أن توفي سنة ٦٣٠ هـ (وسيذكر المؤلف ذلك) عن إحدى وثمانين سنة، وكان قد أوصى أن تسلم إربل إلى الخليفة العباسي بعد وفاته. انظر: الشذرات (٥/١٣٨)، والعبر (٥/١٢١) وفيه: ابن زين الدين علي بن كوجك، وكوجك بالعربي: اللطيف القدر، والعسجد المسبوك (ص ٤٥٢)، وتتمة المختصر (٢/٢٢٤) وفيه: «أنه كان عسوفًا في استخراج الأموال» بينما ذكر غيره أنه كان ديّنًا كثير البر، جوادًا، بنى دورًا للأيتام والأرامل والملاقيط، وكان يتعهدها بنفسه، وقال ياقوت: «وطباع هذا الأمير مختلفة جدًا متضادة، فإنه كثير الظلم، عسوف بالرعية، راغب في أخذ الأموال من غير وجهها، وهو مع ذلك مفضل على الفقراء، كثير الصدقات على الغرباء...». معجم البلدان (١/١٣٨)، وانظر: البداية والنهاية (١٣/١٣٧).

(٢) إربل: انظر معجم البلدان (١/١٣٧) وفيه: «قلعة حصينة ومدينة كبيرة، في فضاء من الأرض واسع بسيط، ولقلعتها خندق عميق، وهي في طرف من المدينة».

(٣) هو السور الممتد من شمالي قلعة بغداد حول بغداد حتى ينتهي إلى دجلة بالباب الشرقي، (حاشية الدكتور مصطفى جواد).

فأمّا مؤيد الدين وولده وخواصّه، فدخلوا من الباب القائمي[١] بالمشرعة. وأمّا الولاة والأمراء فدخلوا من باب عليان[٢] وباب الحرم[٣]، وانتهى الجميع إلى تحت التاج[٤] على شاطئ دجلة، ووقفوا تحت الدار الشاطئية ذات الشبابيك، ثم استدعى مظفر الدين من دار الوزارة بالأمير عز الدين ألب قرا الظاهري[٥] وبأحد خدم الخليفة، فحضر فرفعت الستارة فقبّل الجميع الأرض، وكان قد نصب تحت الشبّاك الأوسط كرسي ذو درج، فرقي عليه نائب الوزارة وأستاذ الدار ابن الناقد، ومظفر الدين، وسلم مظفر الدين مشيرًا بيده إلى الشباك تاليًا قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ [المائدة: الآية ٣]، فردّ الخليفة عليه السلام، فقبّل الأرض مرارًا ثم شكر الخليفة سعيه، فأكثر من تقبيل الأرض والدعاء فأسبلت الستارة وعدل بمظفر الدين إلى حجرة، فخلع عليه فيها، وقلّد سيفين وقدم له فرس بمركب ذهبًا ومشدّة[٦]، ورفع وراءه سنجقان[٧] مذهبان وخرج من الباب القائمي المعروف بباب التمر بالمشرعة، وبه كان قد دخل ومضى والناس في خدمته إلى حيث أنزل بدار شمس الدين عليّ بن سنقر[٨]، بدرب فراشا[٩] وأنزل جماعة من الأمراء الواصلين معه

---

(١) الباب القائمي: ويسمى أيضًا باب سوق التمر، أحد أبواب سور بغداد التسعة. انظر: أسوار بغداد، عبد الله السوداني (المورد مجلد ٨ عدد ٤ سنة ١٩٧٩).

(٢) باب عليان: أحد أبواب سور دار الخلافة.

(٣) باب الحرم: أحد أبواب سور دار الخلافة. انظر: دليل خارطة بغداد (ص ١٥٩).

(٤) هو قصر التاج، أول من بناه جعفر البرمكي، ثم صار للمأمون، ونزله الحسن بن سهل فسمي بالقصر الحسني، وصار لابنته بوران، فاستنزلها عنه المعتمد وثم صار للمعتضد بالله فأضاف إليه ما جاوره، وأتمّ عمارته ابنه المكتفي. انظر: معجم البلدان (٢/٣)، ومختصر التاريخ (ص ١٦٤).

(٥) عز الدين، أبو الفوارس ألب أبو قرا بن عبد الله التركي الظاهري، كان من المقدمين أيام المستنصر ثم سخط عليه واعتقله آخر أيامه، فلما ولي المستعصم عيّنه شحنة بغداد، قتله هولاكو صبرًا سنة ٦٥٦ هـ. انظر: تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ١ ص ٣٦).

(٦) المشدّة: مما تزيّن به الفرس في عنقها (ح الدكتور جواد).

(٧) السناجق: رايات صفر صغار. صبح الأعشى (٨/٤).

(٨) شمس الدين علي ابن الأمير فلك الدين سنقر، جعل هو أميرًا بعد وفاة والده سنة ٥٩٦ هـ، وتزوّج بابنة كبير الأمراء الناصرية عز الدين نجاح الشرابي، وقد ورد ذكره في مواضع متعدّدة من تلخيص مجمع الآداب، وسيذكر المؤلف عزله عن الإمارة في سنة ٦٣٢، ولزومه بيته وقصره نفسه فيه.

(٩) وفي معجم البلدان: وببغداد محلة في نهر المعلى يقال لها درب فراشة، وقال مؤلفا دليل خارطة بغداد (ص ٢٤٤): ويظهر لنا أن درب فراشة منسوب إلى «فراشة» مولى الخليفة=

في دور في عدة محال، وباقي عسكره في المخيم ظاهر البلد، وأقيمت له ولأصحابه الإقامات الوافرة، ثم سأل زيارة المشاهد والربط ببغداد، فعمل له في كل مكان وليمة، وصلّى في جامع القصر جمعتين داخل الرواق إلى جانب المنبر، ثم حضر في منتصف صفر مؤيد الدين القمي نائب الوزارة وولده والجماعة الذين حضروا يوم دخوله وجرت الحال على ما تقدّم شرحه، وخاطبه الخليفة بما طابت به نفسه، فقبّل الأرض وابتهل بالدعاء، وتلا قوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يس: الآيتان ٢٦، ٢٧]، ثم أسبلت الستارة وخلع عليه في تلك الحجرة، وأعطي كوسات[١] وأعلامًا وخمسين ألف دينار، برسم نفقة الطريق، وبرسم حاشيته، وأصحابه عشرة آلاف دينار. وخرج من هناك إلى دار الوزارة وحضر جميع أصحابه فخلع عليهم بحضوره، وأقام بعد ذلك أيامًا ثم خرج إلى مخيّمه بظاهر سور سوق السلطان[٢] وتوجّه إلى بلده، وكانت مدة مقامه ببغداد عشرين يومًا، ومضى معه مُحيي الدين ابن الجوزي، وسعد الدين حسن ابن الحاجب علي، وعادا في ربيع الأول وأخبرا أن مظفر الدين حلف أمراءه وأعيان بلده على طاعة الخليفة وتسليم البلد عند وفاته إليه[٣].

وفيها، عزل قاضي القضاة عبد الرحمٰن بن مقبل، أبا عبد الله محمد بن أبي الفضل الحنفي عن قضاء واسط، وكان قد قلّده القضاء في السنة الخالية، فأقام بها شهورًا فلم يحمد مجاورة أهلها، وأصعد ليقرّر قاعدة تمكّنه المقام بها من توفير الجاه، فلم يتهيّأ له ذلك.

وفي صفر، دخل بعض الأتراك إلى دار الوزير مؤيّد الدين القمي وطلب غفلة الستري[٤] وانتهى إلى مجلسه فلم يصادفه جالسًا، وكان بيده سيف مشهور وكان آخر النهار وقد تقوّض الجماعة من الديوان، فصاح عليه خادم، فتبادر الغلمان وأمسكوه،

= المهدي.

(١) الكوسات: صنوجات من نحاس شبه الترس الصغير، يدق بأحدها ثم الآخر بإيقاع مخصوص، وهي من رسوم الأمراء، ويسمّون أصحاب الكوسات. انظر: صبح الأعشى (١٨/٤).

(٢) باب سوق السلطان، هو على ما حقّقه الدكتور مصطفى جواد: باب المعظم اليوم، وسوق السلطان يبتدئ من الميدان وينتهي إلى المستنصرية، ويسمى سوق الثلاثاء، وسمي بباب السلطان نسبة إلى السلطان طغرل بك، الذي دخل بغداد منه. وانظر: أسوار بغداد (المورد مجلد ٨ عدد ٤ سنة ١٩٧٩).

(٣) وذلك لأنه لم يكن له ولد، انظر تتمة المختصر (٢/٢٣٤).

(٤) الستري، هو الموكل بالستار لرفعه وإسباله عند الإيعاز، (ح. الدكتور جواد).

وانتهى ذلك إلى مؤيّد الدين فجلس وأحضر التركي بين يديه وسأله عمّا حمله على ذلك؟ فلم يقل شيئًا، فضرب ضربًا مبرحًا، فذكر أن له مدّة لم يصله شيء من معيشته وهو ملازم الخدمة وقد أضرّ به ذلك، فحمله فقره وحاجته وغيظه على ما فعل، فأمر بصلبه فصُلِب وحطّ بعد يومين.

وفيها، أُنهِيَ إلى الديوان أن إنسانًا يهوديًا أسلم وتزوّج مسلمة ثم ارتدّ إلى دين اليهود، فأمر بقتله فأُحضر وصُلِب.

وقُطِع لسان إنسان جيء به من همذان[١] تحت الاستظهار[٢]، نُقِل عنه أنه ادّعى هناك اتصالًا بالخليفة المستنصر بالله، ثم حُمِل إلى المارستان فحُبِس به.

وفيها، اجتاز رجل بباب مسجد قد نُصِب عليه خشب ليجعل عليه أضواء لأجل الختمة فوقع عليه جذع فمات وحمل إلى بيته، فقال الجيران: هذا تخاصم هو وزوجته اليوم فخرج وهو يقول: اشتهيت أن يقع عليّ شيء حتى أموت وأستريح منكم.

وفي ليلة عيد الفطر، فُتِح باب في حائط دار الوزارة وجُعِل عليه شباك حديد وجلس فيه مؤيد الدين القمي نائب الوزارة واستعرض العسكر.

وفي شوّال، تكامل بناء المدرسة التي أنشأها شرف الدين إقبال[٣] الشرابي بسوق العجم بالشارع الأعظم[٤] بالقرب من عقد سور سوق السلطان مقابل درب الملاحين[٥]، وكان المتولّي لبنائها شمس الدين أبو الأزهر أحمد ابن الناقد وكيل الخليفة المستنصر بالله، وشرط الواقف له النظر فيها وفي أوقافها، ثم بعده إلى من يلي وكالة الخلافة، وفُتِحت في آخر شوال ورتّب بها الشيخ تاج الدين محمد بن

---

(١) همذان: افتتحها المغيرة بن شعبة سنة ٢٤ هـ، معجم البلدان (٥/ ٤١٠).

(٢) تحت الاستظهار: أي على حالة الإكرام والمراعاة.

(٣) سيرد ذكره في مواضع أخرى وسنترجمه في حاشية أخرى، انظر خبر بناء المدرسة في البداية والنهاية (١٣/ ١٢٩).

(٤) الشارع الأعظم هو ـ على ما حققه مؤلفا دليل خارطة بغداد (ص ١٧٥) ـ: يمتد من الجنوب من محلة المأمونية ومحلة باب الأزج، ويتصل بالشارع الأعظم الممتد شرقي الرصافة، وقد وصف هذا الطريق ياقوت الحموي في مادة (فراح) من معجم البلدان وصفًا جميلًا يدل على أنه مشى فيه غير مرة أيام إقامته ببغداد.

(٥) درب الملاحين ـ على ما حقّقه الدكتور مصطفى جواد ـ يوافق مستشفى المجيدية اليوم، (المستشفى الحموي فيما بعد) الممتد من باب المعظم إلى دجلة.

الحسن الأرموي[١] مدرسًا، وخلع عليه وعلى الفقهاء والعبيد وجميع الحاشية ومن تولى عمارتها، وحضر جميع المدرسين والفقهاء على اختلاف المذاهب، وقاضي القضاة عبد الرحمٰن بن مقبل، فجلس في صدر الإيوان وجلس في طرفَي الإيوان محيي الدين محمد بن فضلان، وعماد الدين أبو صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر، فكلاهما قد كان قاضي قضاة، وعمل من أنواع الأطعمة والحلواء ما تعبى في صحنها قبابًا، وحمل من ذلك إلى جميع المدارس والأربطة، وقُرِئت الختمة[٢] وتكلّم الشيخ محمد الواعظ[٣] ثم جلس المدرس بعده وذكر دروسًا أربعة، فأعرب عن غزارة فضله وتوسّع علمه.

وفيها، خلع على الأمير شمس الدين أصلان تكين خلعة إمارة الحاج، وحجّ بالناس.

وفيها، توفي بركة بن محمود الساعي المشهور بالسعي والعدو، وكان من أهل الحربية[٤] سعى من واسط إلى بغداد في يومٍ وليلة ومن تكريت إلى بغداد، في يوم واحد، وحصل له بسبب ذلك مال كثير وجاه عريض، واتّصل بخدمة الخليفة الناصر لدين الله وجعله أخيرًا مقدمًا لرجال باب الغربة[٥]، فكان على ذلك إلى أن توفي.

وفيها، توفي الملك الأمجد أبو المظفر بهرام شاه[٦] بن فروخ شاه بن

---

(١) محمد بن الحسن بن عبد الله الأرموي، تاج الدين، أبو الفضائل، من تلامذة الإمام فخر الدين الرازي صاحب «المحصول» الذي اختصره الأرموي، توفي سنة ٦٥٣ هـ، وسيذكر المؤلف ذلك. انظر: طبقات الشافعية للإسنوي (١/ ٤٥٢)، والأرموي: نسبة إلى أرمية من بلاد أذربيجان.

(٢) تابعة لـ: الختمة.

(٣) سيذكر المؤلف أنه قطع عن الوعظ في سنة (٦٢٩ هـ)، كما سيذكر وفاته في حوادث سنة (٦٥٦) وسيترجم له باختصار.

(٤) الحربية: تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخي، أحد قوّاد أبي جعفر المنصور، وهي محلة كبيرة ببغداد عند باب حرب قرب مقبرة بشر الحافي وأحمد بن حنبل. انظر: معجم البلدان (٢/ ٢٣٧)، وبغداد مدينة السلام لابن الفقيه البغدادي (ص ٦٤).

(٥) باب الغربة: أحد أبواب سور دار الخلافة، وسُمّي بباب الغربة لأن شجرة غرب كانت نابتة بالقرب منه. انظر: دليل خارطة بغداد (ص ١٥٧).

(٦) الملك الأمجد بهرام شاه، ولّاه صلاح الدين الأيوبي بعلبك بعد وفاة أبيه، وشارك في سنة ٥٩٤ في صدّ هجوم الفرنج على حمص وأقام ببعلبك إلى أن أخرجه منها الملك الأشرف بمساعدة صاحب حمص سنة ٦٢٧ هـ، فانتقل إلى دمشق وأقام بها، توفي سنة ٦٢٨ هـ، قتله أحد=

شاهنشاه بن أيوب بن شادي صاحب بعلبك[١]، كان قد ملكها بعد أبيه فانتزعها الملك الأشرف موسى[٢] ابن العادل أبي بكر محمد بن أيوب منه قهرًا، وأخرجه عنها فرحل إلى دمشق وأقام بها، فاتّهم بعض مماليكه بسرقة منطقة وحبسه، فوثب عليه ليلًا وقتله، فأخذ المملوك وقُتِل. وكان الملك الأمجد أديبًا فاضلًا شاعرًا، فمن شعره يقول[٣]:

يؤرقني حنين وأذكار ... وقد خَلَت المعاهد والديار
تناءى الظاعنون فلي فؤاد ... تسير مع الهوادج حيث ساروا
وليلي بعد بُعْدهم طويل ... فأين مضت ليالِيٌ الغضار[٤]
فمن ذا يستعير لنا عيونًا ... تنامُ ومن رأى عينًا تعار

سنة تسع وعشرين وستمائة

في هذه السنة، وردت الأخبار بانتشار عساكر المغول في بلاد أذربيجان[٥] وتطرقهم إلى ما يقاربها من النواحي والأعمال إلى نحو شهرزور[٦]، فأخرج الخليفة

= مماليكه، وكان أديبًا شاعرًا له ديوان شعر وحققه ناظم رشيد ونال به الماجستير من جامعة بغداد عام ٦٧٣. انظر: وفيات الأعيان (٢/ ٤٥٣)، وفوات الوفيات (١/ ١٥٠)، وشذرات الذهب (٥/ ١٢٧)، والعسجد المسبوك (٤٤٦)، والبداية والنهاية (١٣/ ١٣١)، والعبر (٥/ ١١٠)، وشفاء القلوب (ص ٣٣٣).

(١) بعلبك: مدينة قديمة، فيها أبنية وآثار وقصور على أساطين الرخام، وبينها وبين دمشق ثلاثة أيام. معجم البلدان (١/ ٤٥٣).

(٢) أبو الفتح موسى ابن العادل أبي بكر بن أيوب، الملك الأشرف مظفر الدين، ملك أولًا مدينة الرها سنة ٥٩٨ هـ ثم حران، ولما توفي أخوه الملك الأوحد سنة ٦٠٩ هـ وهو صاحب خلاط وميافارقين ونواحيهما أضيفت مملكته إلى الأشرف، ثم ملك نصيبين وسنجار ومعظم بلاد الجزيرة، وشارك في صدّ الإفرنج عن دمياط، ثم أخذ دمشق من صاحبها الناصر داود وجعلها دار إقامته، وأخذ خوارزم شاه من مدينة خلاط سنة ٦٠٦ هـ، فأعادها منه سنة ٦٢٧ هـ، وتوفي سنة ٦٣٥ هـ، وكان كريمًا عادلًا حليمًا حسن السيرة، بنى دار الحديث بدمشق. انظر: وفيات الأعيان (٥/ ٣٣٠)، والعبر (٥/ ١٤٦)، والشذرات (٥/ ١٧٥).

(٣) الأبيات من قصيدةٍ له في البداية والنهاية (١٣/ ١٣١).

(٤) وفي البداية والنهاية «القصار».

(٥) أذربيجان: حدّها من برذعة مشرقًا إلى أرزنجان مغربًا، ويتصل حدّها من جهة الشمال ببلاد الديلم، وهو إقليم واسع، ومن مشهور مدنها تبريز، وهي قصبتها وأكبر مدنها، (معجم البلدان ١/ ١٢٨).

(٦) شهرزور: بلدة كبيرة معدودة من أعمال إربل، بناها روزين الضحاك، وهي لفظة عجمية معناها=

المستنصر بالله الأموال وجهّز العساكر وأرسل إلى سائر البلاد للجمع والاحتشاد، فورد كتاب مظفر الدين كوكبري صاحب إربل ويسأل إنجاده بالعساكر ليتفق معهم، فتقدم الخليفة بخروج العساكر، فبرزوا إلى ظاهر البلد وتجهّزوا وساروا[١] ومقدمهم جمال الدين قشتمر الناصري، ومعه من الأمراء شمس الدين قيران[٢]، وعلاء الدين إيلدكز وبهاء الدين أرغش، وفلك الدين زعيم البيات[٣]، فساروا قاصدين مظفر الدين كوكبري صاحب إربل فالتقوا به في موضع قريب من الكرخيتي[٤]، فأقاموا هناك بقية شهر رجب وشعبان، فجرى بين بعض مماليك الخليفة وبيطار من أصحاب مظفر الدين صاحب إربل خصومة، فعاونه جماعة من أصحابه فانتشب بسبب ذلك بين العسكرين فتنة أدّت إلى قتل وجراح، فركب مظفر الدين بسلاحه وكذلك أصحابه، ثم وقف في باطن دهليز سرادقه، وكادت الحرب تنشب بينهم، فركب جمال الدين قشتمر بغير سلاح ولا مداس، ومنع غلمانه ومماليكه من متابعته، ودخل في غمار الوقعة وقصد خيمة مظفر الدين صاحب إربل، فوجده راكبًا بالعدة الكاملة يحرّض أصحابه على القتال، فلاطفه وخجله وقبح له ذلك، فعرف وجه الصواب فرجع عمّا كان عزم عليه، وسكنت الفتنة. ثم اتّفقوا على الرحيل إلى مدينة شهرزور لأنهم بلغهم أن المغول قد وصلوا ساميان[٥] وحاصروا حاصبك، فنفذ جمال الدين قشتمر جماعة طلائع، وجعل مقدمهم أرتر العراقي، ثم رحلوا في ثامن شهر رمضان ونزلوا في موضع يعرف بالأكراد، فورد الخبر إليهم بوصول أمين الدين كافور[٦] خادم الخليفة

= بالعربي بلد روز. انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٧٠)، ومعجم البلدان (٣/ ٣٧٥).

(١) في العبر (٥/ ١١٣) والشذرات (٥/ ١٢٩): «وفيها ـ أي سنة ٦٢٩ هـ ـ عاثت التتار لموت جلال الدين، ووصلوا إلى شهرزور، فأنفق المستنصر بالله في العساكر وجهزهم مع قشتمر الناصري فانضموا إلى صاحب إربل فتقهقرت التتار».

(٢) شمس الدين قيران الظاهري، الأمير، أبو المكارم، سيذكر المؤلف وفاته في سنة ٦٤٦ هـ وكان من كبار الأمراء. انظر العسجد المسبوك (ص ٥٥٢)، وفيه أنه توفي سنة ٦٤٥ هـ.

(٣) هو أبو المظفر أمير باز بن حاجي بن منكلو البياتي، ترجمه ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٣ ص ٤٩١) قال: كان من بيت قديم في الإمارة، شجاعًا، استدعاه الوزير إلى بغداد فقدمها وهو مريض، فمات قبل أن يدخلها سنة ٦٤٤ هـ.

(٤) الكرخيتي: قال ياقوت: كرخيني بكسر الخاء المعجمة ثم ياء ساكنة ونون وياء ممالة، وهي قلعة في مطاء من الأرض حسنة حصينة بين دقوقا وإربل، رأيتها وهي على تلّ عالٍ ولها ربض صغير. معجم البلدان (٤/ ٤٥٠).

(٥) هكذا ورد في معجم البلدان (٣/ ١٧٨)، سامين من قرى همذان.

(٦) أمين الدين كافور الظاهري، كان من كبار الخدم، كثير الصدقات، حجّ مرارًا، وولي دار=

المستنصر بالله، فركب جمال الدين قشتمر ومظفر الدين صاحب إربل وجميع الأمراء للقائه، فاجتمعوا به وعرفهم ما أمر به الخليفة، ثم عاد في سحرة تلك الليلة إلى بغداد وأحضر في تاسع رمضان عند جمال الدين قشتمر ثلاثة نفر وامرأة من المغول فسألهم عن أخبارهم، فذكروا أنهم فارقوهم راجعين من مراغة[(١)]، فأخذ عليهم شروط الإسلام فأسلموا، فضمهم إليه ثم رحلوا وساروا حتى عبروا الدربند[(٢)]، فوصل إليهم الدكز مخبرًا أنهم صادفوا يزكا[(٣)] منهم على غرة، وجرت بينهم هوشة[(٤)]، وأن المغول استظهروا عليهم لكثرتهم ومعرفتهم بالأرض، وقتلوا مقدم الطلائع[(٥)] وجماعة من العسكر، فعند ذلك جدّوا في السير فوصلوا شهرزور ونزلوا بقرية يقال لها موغان[(٦)] غربي شهرزور، فلم يمكنهم المقام هناك لعدم الماء العذب فيه، ومات في ذلك المنزل خلق كثير بهذا السبب، فعند ذلك أظهر مظفر الدين صاحب إربل المرض وشدّته، فدخل إليه جمال الدين قشتمر عائدًا فوجده ملقى على ظهره، فقال: لا غناء لي عن التوجّه إلى البلد، وطلب منه ولده شرف الدين علي[(٧)] وقال: يكون معي إذا مت ليتسلّم البلد، وطلب أيضًا الأمير سعد الدين حسن ابن الحاجب علي، ليسلم إليهما خفيتان[(٨)]، فأجابه إلى ذلك، فتوجّه مظفر الدين قاصدًا بلده وتوجّه قشتمر إلى الكرخيني. وأمّا مظفر الدين فإنه وصل إلى إربل، وأقام شرف الدين وسعد الدين عنده أيامًا ثم سرحهما فعادا إلى الكرخيني، وأخبراه أنه في أتمّ عافية وأن ذلك كان حيلةً منه، وكان جمال الدين قشتمر قد نفذ الأمير ابن حسام الدين طرغل[(٩)]

= التشريفات، وكان مقرّبًا من إقبال الشرابي، توفي سنة ٦٥٣ هـ (وسيذكر المؤلف ذلك)، كما ذكره في تلخيص مجمع الآداب في ترجمة «مرشد الهندي» (ج ٤ ق ١ ص٣٥٧). وانظر: العسجد المسبوك (ص ٦٢١) وفيه أنه توفي سنة ٦٥٤ هـ.

(١) مراغة: مدينة كبيرة مشهورة من أعظم مدرن أذربيجان، معجم البلدان (٥/ ٩٣).

(٢) الدربند، هو باب من الأبواب كما في معجم البلدان (٢/ ٤٤٩)، وانظر (١/ ٣٠٣) منه.

(٣) اليزك: لفظة تركية تقابل السرية عند العرب. (٤) الهوشة: الفتنة والهيج والاضطراب.

(٥) تقدّم أن مقدم الطلائع أرتز العراقي.

(٦) موغان، وفي معجم البلدان (٥/ ٢٢٥): موقان «بالقاف»، قال: وأهله يسمونه موغان، بالغين المعجمة، وهي عجمية، ولاية فيها قرى ومروج كثيرة، تحتلها التركمان للرعي، وهي بأذربيجان.

(٧) شرف الدين علي بن جمال الدين قشتمر، سيذكر المؤلف أنه توفي شابًا سنة ٦٣٥ هـ.

(٨) وفي معجم البلدان (٢/ ٣٧٩) «خفتيان» التاء قبل الياء، وفي وفيات الأعيان (٣/ ٥٥): خفتيكان، وهي قلعتان عظيمتان من أعمال إربل، إحداهما على طريق مراغة والأخرى في طريق شهرزور.

(٩) لعله طغرل، فهو المتعارف في تسميتهم (ح. د. جواد).

ونور الدين الدكز إلى الدربند يزكا، فذهبا يتصيّدان فما أحسّا إلا وقد أحاط المغول بخيمتهما فأخذوها وما فيها، فلما بلغ ذلك جمال الدين قشتمر ركب بمن معه وضعد رأس الجبل هناك واعتبر العساكر فلم يجد إلّا الأمراء والمماليك ومتميّزي الأجناد، وترقّب وصول المغول فأسفرت الحال عن يزك كان لهم، وأن قطعة منهم بالدربند، فاقتضى رأيه الرجوع والنزول في المنزل تطييبًا للناس من النفور والانزعاج، فحضر جميع الأمراء عنده وظهير الدين الحسن بن عبد الله عارض الجيش[(١)]، ودارت المشورة بينهم في كيفية لقاء عدوّهم، فكل منهم أشار بشيء، إلا عارض الجيش فإنه قال: الرأي معكم، فاتفقوا على الرحيل ليلًا من غير طبل ولا شغل، والمسير إلى شهركرد[(٢)] فهناك وطأة واسعة وأرض فسيحة تصلح للحرب، فرحلوا همسة من غير حركة تُسمع، فصبحوا شهركرد. وأمّا من كان معهم من العساكر الغرباء فإنهم رحلوا متفرّقين كل منهم طلب بلده، وأقام جمال الدين قشتمر ومن معه من العساكر فلم يقدم أحد المغول إلى محاربته فأنهى ذلك إلى الديوان، فتقدم إليه بالعود فرحل قاصدًا مدينة السلام، فلم يؤذن له في دخول البلد، فأقام بظاهره إلى صفر، سنة ثلاثين وستمائة، ثم أذن له بالدخول.

وفي هذه السنة، نُقِل عن عبد الله بن ذبابة ما اقتضى ضربه على باب النوبي وقطع لسانه وإحضاره إلى البصرة وإلزامه المقام بها.

وفيها، جرت فتنة بين أهل باب الأزج[(٣)] وبين أهل المختارة[(٤)] وتراموا بالبندق والمقاليع[(٥)] والآجر وتجالدوا بالسيوف، فقُتِل من الفريقين وجُرِح جماعة، فتقدم في عشية اليوم التالي بخروج الجند وكفّهم عن ذلك، فخرج نائب باب النوبي ومعه

---

(١) عرض الجيش، عرض الشيء عليه أراه إياه، وهو من عرض الجند بين يدي الخليفة لإظهارهم واختبار أحوالهم، وعارض الجيش هو المتولي لشؤون العساكر الخليفية. انظر: صبح الأعشى (١٧/٤)، وتاريخ علماء المستنصرية (٢/ ٢٥٠).

(٢) شهركرد: مدينة من طرق تركستان، قريبة من الجند. مراصد الاطلاع (٢/ ٨٢٣).

(٣) باب الأزج: محلة ببغداد، كانت ـ على ما حققه الدكتور مصطفى جواد ـ بموضع بباب الشيخ عبد القادر الجيلي اليوم الممتد إلى دجلة.

(٤) المختارة: إحدى محلات بغداد، وفي دليل خارطة بغداد (ص ١٧) «الحاشية»: وهي القسم الشمالي الغربي من محلة قنبر علي.

(٥) المقلاع: عبارة عن كفة توضع فيها القذيفة، والكفة مربوطة بثلاثة حبال، تمسك من أطرافها وبعد تدويرها مرات باليد يفلت طرف واحد من الحبال فيقذف ما في الكفة إلى بعدٍ عظيم، وقد استخدم العيارون هذا السلاح كثيرًا.

جماعة من الجند وكفّهم وقبض على جماعة منهم فضربهم وقطع أعصابهم، فسكنت الفتنة.

وفيها، صعد إنسان إلى الشيخ محمد الواعظ[١] وهو على منبر وعظه بباب بدر ومعه سمان[٢] وقال له: إني رأيت النبيّ ﷺ في المنام، وقال لي: لِأحمل هذا السمان إلى محمد الواعظ وقل له يعطيه للخليفة، فاستيقظت وهو في يدي، فقال له: أمسكه معك إلى حين فراغ المجلس، فأُنهِيَتِ الحال إلى الخليفة فتقدم بأن يعزر وينكل به على كذبه على النبيّ ﷺ.

وفيها، قلّد قاضي القضاة عبد الرحمٰن بن مقبل الواسطي أحمد بن عنتر الهمامي[٣] قضاء واسط وخلع عليه، فخرج والبسملة[٤] بين يديه متوجّهًا إلى داره، فاجتاز على دار الوزارة وكان مؤيّد الدين القمي جالسًا في الشباك[٥]، فأنكره وسأل عنه فعرف الصورة، ولم يكن قاضي القضاة استأذنه في ترتيبه، فأنكر الحال على قاضي القضاة، فنفذ في الحال إلى المذكور وكيلًا شافهه بالعزل، ثم إنه بعد ذلك شفع إلى الوزير في ابن عنتر فتقدم إلى قاضي القضاة بإعادته، فأعاده.

وفيها، أذن الخليفة المستنصر بالله لولده الأمير المؤيّدي أحمد عبد الله[٦] أن يوكل العدل، عبد الوهاب بن المظفر وكالة شرعية فوكله، وأشهد على نفسه بذلك العدلين علي ابن النيار[٧] مؤدّبه، ومحمد بن حديد.

---

(١) محمد الواعظ، تقدم ذكره، وسيذكر المؤلف قطعة عن الوعظ في هذه السنة.

(٢) السمان: طائر معروف.

(٣) الهمامي، نسبة إلى الهمامية، وهي بلدة من نواحي واسط، لها نهر يأخذ من دجلة. انظر: معجم البلدان (٥/ ٤١٠).

(٤) البسملة: هي بسم الله الرحمٰن الرحيم، مكتوبة معلقة.

(٥) الشباك: دار القضاء، تقول: رتب قاضيًا في الشباك، وهو كشباك دار الوزارة للوزير ونائبه. انظر: تاريخ علماء المستنصرية (٢/ ٢٥٥).

(٦) كذا ورد في الأصل، وهو أبو أحمد عبد الله بن أبي جعفر، وقد ولي الخلافة بعد أبيه وسُمّي المستعصم بالله. انظر: مختصر التاريخ (ص ٢٦٤ و٢٦٦) وكتب التاريخ الأخرى.

(٧) علي بن محمد بن الحسين ابن النيار، أبو المظفر، فاضل، فقيه، عيّن مشرفًا على خزانة كتب النظامية، ثم مؤدبًا للمستعصم وأخيه فعلمهما القرآن، وقرّبه المستعصم، وسلّم إليه سائر الربط وسمّاه شيخ الشيوخ، وعرض عليه الوزارة فأبى. قُتل عند احتلال بغداد سنة ٦٥٦ هـ (وسيذكر المؤلف ذلك)، ومعه ابنه وابن أخيه. انظر: العسجد المسبوك (٦٣٤ هـ)، وترجمه الأستاذ معروف ترجمة وافية في تاريخ علماء المستنصرية.

وفيها، تقدم الخليفة إلى الأمير شمس الدين باتكين[١] زعيم البصرة بعمارة جامعها وتجديده وإحكامه وتشييده، وإنشاء مارستان هناك، وأن يكون الغرامة عليه من خالص مال الخليفة وأن توقف عليه وقوفًا سنّية موفرة الحاصل[٢].

ذكر عزل الوزير مؤيد الدين القمي ولاية نصير الدين أبي الأزهر أحمد ابن الناقد[٣]

في يوم السبت سابع عشر شوّال، تقدم إلى مؤيّد الدين أبي طالب محمد بن أحمد ابن العلقمي[٤] مشرف دار التشريفات يومئذ أن يحضر عند أستاذ الدار شمس الدين أبي الأزهر أحمد ابن الناقد، ويتّفقا على القبض على نائب الوزارة مؤيّد الدين القمي، فجمع أستاذ الدار رجال النوبتين وأمرهم بالمبيت في دار الخلافة، ولم يشعر أحدًا منهم بشيء، فلما أغلق بابا النوبي والعامّة[٥]، عيّن على جماعة مع ابن شجاع مقدم باب الأتراك[٦]، بالقبض على القمي إذا فتح باب النوبي، وعيّن على جماعة مع حسن بن صالح المعمار للقبض على ولده في الساعة المعينة، وعيّن

---

(١) باتكين، أرمني الأصل، وهو مملوك أم الخليفة الناصر لدين الله، سيذكر المؤلف ولايته إربل بعد وفاة صاحبها مظفر الدين كوكبري سنة ٦٣٠ هـ وفراره منها عندما هاجمها التتار سنة ٦٣٤ هـ، ورجوعه إلى بغداد ووفاته بها سنة ٦٤٠ هـ. انظر ترجمته في حوادث سنة ٦٤٠ هـ من هذا الكتاب، ووفيات الأعيان (٣/ ٥٠٤).

(٢) انظر الخبر في: العسجد المسبوك (ص ٤٤٨).

(٣) انظر الخبر في: العسجد المسبوك (ص ٤٤٨)، وقد انفرد ابن الفوطي بذكر تفاصيل عزل القمي عن الوزارة.

(٤) مؤيّد الدين أبو طالب محمد بن أحمد العلقمي، أسدي، أصله من النيل، قيل لجده العلقمي لأنه حفر النهر المسمى بالعلقمي، ولد سنة ٥٩١ هـ، تقلّد عدة مناصب آخرها الوزارة (وسيذكر المؤلف ذلك)، وكان أديبًا كاتبًا مترسلًا، اتّهمه بعض المؤرخين بممالأة المغول، ودافع عنه آخرون، توفي بعد الوقعة بقليل سنة ٦٥٦. انظر: «مؤيد الدين ابن العلقمي وأسرار سقوط الدولة العباسية» لمحمد حسين الساعدي، وفيه إشارة لأهم مصادر ترجمته.

(٥) في دليل خارطة بغداد (ص ١٥٨): «وكان في السور إلى الشرق من باب بدر بابان كبيران لدار الخلافة، وهما باب النوبي، وباب العامة. أمّا باب العامة فكان يعرف بباب عمورية أيضًا، يقال: إن المعتصم جلب أبواب الحديد الضخمة من مدينة عمورية». وانظر: أسوار بغداد (المورد مجلد ٨ عدد ٤ سنة ١٩٧٩).

(٦) باب الأتراك: أحد الأبواب التي تؤدي إليها الطرق المتفرّعة من شارع دار الخلافة الممتدّ بمحاذاة دجلة من باب العزبة إلى باب المراتب. انظر: دليل خارطة بغداد (ص١٦٠).

جماعة للقبض على أخيه وجميع أصحابه وخواصه، فلما فتح باب النوبي خرج الجميع بالسيوف وهجموا عليه وعلى ولده وأخيه وجميع أصحابه في ساعة واحدة، فلم يفلت منهم صغير ولا كبير. فأمّا هو وولده فنقلا ليلًا إلى باطن دار الخلافة فحُبِسا هناك. وأمّا بناته ونساؤه فنقلن إلى دارٍ بالقصر من دار الخلافة، وأمّا أخوه ومماليكه وأصحابه فحُمِلوا إلى الديوان[١].

وفي يوم السبت المذكور، استُدْعِي[٢] أستاذ الدار شمس الدين أبو الأزهر أحمد ابن الناقد إلى دار الخلافة، وخلع عليه نيابة الوزارة وقلّد سيفًا وقدّم له مركب بركب ذهبًا وركب من باب البستان المقابل لدار التشريفات وبين يديه جميع الحجاب، وقد تقدّمه إلى الديوان جميع أرباب الدولة، فدخل إليه وجلس في الموضع الذي جرت عادة نوّاب الوزارة بالجلوس فيه، وكتب الإنهاء[٣] وبرز الجواب فقرأه قائمًا على الحاضرين، وأمر الخليفة بأن يخاطب بخطاب الوزير أبي الحسن ناصر بن المهدي العلوي[٤]، وهو المولى الوزير الأعظم الصاحب الكبير المعظّم، العالم العادل، المؤيّد المظفر المجاهد نصير الدين صدر الإسلام، غرس الإمام، شرف الأنام، عضد الدولة، جلال المِلّة، مغيث الأمّة، عماد الملك، اختيار الخلافة المعظّمة مجتبى الإمامة المكرّمة، تاج الملوك، سيّد صدور العالمين، ملك وزراء الشرق والغرب، غياث الورى، أبو الأزهر أحمد بن محمد ابن الناقد ظهير أمير المؤمنين، ووليّه المخلص في طاعته، الموثوق به في صحة عقيدته[٥].

وفي يوم الاثنين تاسع عشر شوال ولي مؤيّد الدين أبو طالب محمد ابن العلقمي أستاذية الدار، وخلع عليه في دار الوزارة وركب في جمع كثير وأُسكن في الدار المقابلة لباب الفردوس[٦]، ولما قُبِض على القمي قال الشعراء في ذلك أشعارًا كثيرة، منها ما قاله الحاجب محمد بن عبد الملك الوظائفي وحرّض الخليفة على قتلهما

---

(١) وسيذكر المؤلف إطلاقهم في حوادث سنة ٦٣٠ هـ.

(٢) انظر مراسم تعيينه في: العسجد المسبوك (ص ٤٤٨).

(٣) الإنهاء كتاب الشكر الذي يقدمه كبار الموظفين للخليفة بعد تعيينهم في مناصبهم. انظر: تاريخ علماء المستنصرية (٢/ ٢٥٢).

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) انظر نص الخطاب في: العسجد المسبوك (ص ٤٤٩).

(٦) باب الفردوس: أحد أبواب دار الخلافة. انظر: معجم البلدان (٤/ ٢٤٧).

بألفاظ رماة البندق، وهو:

لقد انتحى المستنصر المنصور ... يوم المكين[1] كما انتحى المنصور
ملك الخراساني[2] ذاك ببغيه ... وكذا خراسانينا المأسور
لا تبقِهِ يا خير من وطئ الحصا ... فالحزم أن لا يهمل الموتور
وأفصم عرى عنق القصير فدونه ... في المكر والكَيْد الوكيد قصير
مولاي في وجه العداة صرعت ... مصطحبًا وطير المخر فيه وكور
أخليت منه الجوّ في ندبٍ وكم ... حامت عليه ولم تنله نسور
خيشته لكن مفيقًا فاتبع ... ما سنّه في البندق الجمهور
والرأي تذكية المفيق فإنه ... ما زال يملك روعه ويطير
فالكي مخلقه لديه واضع ... في حدّه عضد له وظهير
لا تأمننّ عليهما في محبسٍ ... ضنك فعندهما له تدبير
كم هارب من قلّة في قلعة ... ولكم نجا بقيوده مطمور
فاقتلهما بالسيف أحوط حارس ... لهما وهذا أول وأخير
ضلّ الملكين بكلّ ما صنعت به ... آراؤه في دسته المغرور
وتر الخلافة بالخلاف ولم يكن ... قد ردّ تدبير الملوك وزير
فعزمت فيه عزمة نبوية ... كادت لسطوتها السماء تمور
حرست ثغور المسلمين بعزله ... وتبسّمت للعالمين ثغور

وفيها، وَلِيَ جمال الدين علي ابن البوري حجابة باب النوبي[3].

وفيها، قطع الشيخ محمد المعروف بالواعظ عن الوعظ ومُنِع من الجلوس بباب بدر، وكذلك العدل إسمٰعيل ابن النعال الواعظ[4].

---

(١) المكين: هو لقب القمي قبل أن يلي الوزارة.

(٢) يعني أبا مسلم الخراساني، الذي قتله أبو جعفر المنصور.

(٣) كان متولي حجابة باب النوبي، يقوم بأعمال صاحب الشرطة، ومن واجباته الأساسية ضبط الأمن وإخماد الفتن، ويعاقب مثيري الفتن المذهبية والمسيئين، وقد استمدت هذا المنصب بعد زوال حكم السلاجقة عن العراق.

(٤) إسمٰعيل بن محمود ابن النعال، سيذكر المؤلف في حوادث سنة ٦٥٣ هـ، أنه أحضر للوعظ بباب بدر فلم يستصلح.

وفي ذي القعدة، استناب نصير الدين أبو الأزهر أحمد ابن الناقد نائب الوزارة أخاه جمال الدين عبد الله في الوكالة[١] ليتوفّر هو على أمر الوزارة. وفيه أنعم الخليفة على الأمير علاء الدين الطبرسي[٢]، المعروف بالدويدار الكبير، بالدار المقابلة لباب الحرم المجاورة لداره، وانتقل عنها معلى[٣] بن الدباهي.

وحجّ بالناس في هذه السنة الأمير شمس الدين أصلان تكين الناصري.

وفيها، توفّي أبو بكر محمد[٤] بن عبد الغني المعروف بابن نقطة، كان على طريقة حميدة وقاعدة جميلة، عُنِي بعلم الحديث وسماعه، وسافر البلاد في طلبه.

وفي خامس شوّال، توفّي جمال الدين محمد[٥] بن علي بن خليد الكاتب شيخ فاضل عالم بالسِّيَر والأخبار، كتب بخطّه كثيرًا وجمع عدّة مجاميع، واختصر كتاب الأغاني للأصفهاني وخدم في عدّة أعمال، منها كتابة المخزن وخزانة الغلّات بباب المراتب، وإشراف البلاد الحلية وغير ذلك، وصنّف كتابًا في علم الكتابة وسمّاه «جوهر اللباب في علم الحساب».



(١) أي وكالة الخليفة: وقد تقدم أن أحمد ابن الناقد كان يليها عندما كان أستاذ دار الخليفة.

(٢) الدويدار: حامل دواة الخليفة، يتولى أمرها مع ما ينظم إلى ذلك، وهو لفظ مركّب من كلمتين، إحداهما عربية وهي الدواة، والأخرى دار ومعناها ممسك، صبح الأعشى (١٩/٤)، وعلاء الدين من كبار الأمراء في الدولة العباسية، وسيرد ذكره كثيرًا في هذا الكتاب، كما سيترجم له المؤلف في حوادث سنة ٦٥٠ هـ، وهي سنة وفاته.

(٣) أبو منصور معلى بن أبي السعادات بن علوان ابن الدباهي الفخري، سيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة (٦٣٣ هـ).

(٤) أبو بكر محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع بن أبي نصر البغدادي، الحنبلي، من أهل بغداد، ولد سنة (٥٧٩ هـ)، وطلب الحديث، وكانت له معرفة بالتاريخ والأنساب، رحل إلى مصر وخراسان والشام والجزيرة، من مؤلفاته: «ذيل على الإكمال، لابن ماكولا»، وكتاب في الأنساب، و«التقييد بمعرفة الرواة والسنن والأسانيد»، ونقطة التي عرف بها: جارية ربت جد أبيه كما يقول. انظر: تاريخ إربل (٢٤٨/١)، ووفيات الأعيان (٣٩٢/٤)، والعبر (١١٧/٥)، والشذرات (١٣٣/٥)، وفيه أن أباه مات في نفس السنة، وكان زاهدًا عابدًا. والبداية والنهاية (١٣٣/١٣).

(٥) محمد بن علي بن خليد، جمال الدين، أبو الفرج، انظر ترجمته في: العسجد المسبوك (ص ٤٥٠)، وما جاء فيه لم يزد عمّا جاء هنا إلّا قليلًا. والأعلام (١٦٩/٧).

سنة ثلاثين وستمائة

في المحرم، قُلّد[١] العدل مجد الدين أبو القاسم هبة الله ابن المنصوري الخطيب، نقابة نقباء العباسيّين والصلاة والخطابة وخلع عليه قميص أطلس بطراز مذهبًا ودراعة خارًا أسود، وعمامة ثوب خارًا أسود مذهب بغير ذؤابة، وطيلسان قصب كحلي، وسيف محلّى بالذهب وامتطى فرسًا بمركب ذهبًا، وقرئ بعض عهده في دار الوزارة وسُلّم إليه، وركب في جماعة إلى دار أنعم عليه بسكناها في المطبق من دار الخلافة، وأنعم عليه بخمسمائة دينار، وهو من أعيان عدول مدينة السلام وأفاضل أرباب الطريقة المتكلّمين بلسان أهل الحقيقة، وكان يصحب الفقراء دائمًا ويأخذ نفسه بالرياضة والسياحة والصوم الدائم والتخشّن والتباعد من العالم، وكان الموفق عبد الغافر[٢] ابن الفوطي من جملة تلامذته، فعمل فيه أبياتًا طويلة، لما انتهى حالها إلى الديوان أنكر ذلك عليه ووكل به أيامًا ولم يخرج إلا بشفاعته، وأوّل الأبيات[٣]:

ناديت شيخي من شدة الحرب ... وشيخنا في الحرير والذهب
في دسته جالسًا ببسملة ... بين يديه إن قام في أدب
وركبة منه كنت أعهده ... بذمّ أربابها على الرتب
وكان أبناؤها لديه على ... سخطٍ من الله شامل الغضب
أصاب في الرأي من دعاك لها ... وأنت لما أجبتَ لم تصب
أوّل صوتٍ دعاك عن غرضٍ ... لبّيته مقبلًا على السبب

(١) ورد الخبر في العسجد المسبوك (ص ٤٥١)، والبداية والنهاية (١٣/ ١٣٥)، ويكاد التطابق في إيراد الخبر يكون حرفيًا بين ما جاء هنا وبين ما ورد في العسجد.

(٢) كذا ورد في الأصل، والصحيح عبد القاهر، وهو موفق الدين أبو محمد عبد القاهر بن محمد البغدادي الحنبلي، المعروف بابن الفوطي، ولد سنة ٥٩٣ هـ، قرأ الأدب على أبي البقاء العكبري، وقرأ كتاب المثل السائر على مصنفه ضياء الدين ابن الأثير في الموصل، قيل: إنه كان فقيرًا ذا عيال ولم يوافق نفسه على الخيانة. وولي كتابة ديوان العرض، وقتل عند احتلال بغداد سنة ٦٥٦ هـ. انظر: شذرات الذهب (٥/ ٢٧٨)، وتلخيص مجمع الآداب (ج ٥ ق ٢ ص ٧٦٣)، وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٦٥).

(٣) وردت القصيدة في مخطوطة عقود الجنان (ج ٢ ورقة ٣٥)، وأشار إليها ابن كثير في البداية والنهاية (١٣/ ١٣٥).

ويقول فيها:

قد كنت ذاك الذي تظنّ به … لو لم تكن مسرعًا إلى الرتب
شيخي أين الذي يعلّمنا الز … هد ويعتدّه من القرب
أين الذي لم يزل يسلكنا[1] … إلى خروجٍ عن كل مكتسب
أين الذي لم يزل يعرّفنا … فضل التعرّي[2] بالجوع والتعب

ومنها:

أين الذي لم يزل يرغّبنا … في الصوف لبسًا له وفي الجَشْب[3]
وأين من غرّنا بزخرفه … متى اعتقدناه زاهدَ العرب
وأين ذاك التجريد[4] يشعرنا … أن سواه في السعي لم يخب
وأين من لم يزل يذمّ لنا … الدنيا وقول المحال والكَذِب
وأين من لم يزل بأدمعه … يخدعنا باكيًا على الخشب
وأين من كان في مواعظه … يصول زجرًا عن كل مجتنب
ويقطع القول لا يتمّمه … منقلبًا بالسّماع والطرب
ويقسم العمر أنه رجل … ليس في الوجود من إرَب
لو كانت الأرض كلّها ذهبًا … أعرض عنها إعراض مكتئبٍ
أسفر ذاك الناموس مختيلًا … عن راغب في التراث مستلب
وكان ذاك الصراخ يزعجنا … شكوى فقير على الدنا وصب
شيخي بعد الذمّ الصريح لما … أبيته جئته على طلب
نسيتَ ما قلته على ورعٍ … عني لما اكتسبت بالدأب
وَيْلٌ له إن يَمُت بخدمته … يَمُت كفورًا وليس بالعجب
ما كان مال السلطان مكتسبًا … لمؤمن سالم من العطب
هذا ورزقي من وقف أربطة … قدرٌ طفيف أعطاه بالتعب

---

(١) تسلّك من مصطلحات الصوفية، وهي تفعل من السلوك، ويريدون الأخذ بمسلكهم.

(٢) التعرّي، يريد به التجرّد، وهو من مصطلحات الصوفية، بمعنى الزهد وترك كل ما يشين العبادة الخالصة.

(٣) الجَشْب: جَشُبَ الطعام: غَلُظَ، أو بلا أدم، يريد الخشونة في العيش.

(٤) التجريد: من مصطلحات الصوفية، يقارب معنى الزهد وترك كل شيء والتفرّغ للعبادة.

ولست في ثروة أسر بها   دنياي منها موفورة النشب
فليت شعري ماذا أقول   وقد حللت منها في مرتعٍ خصب
أعطيت كراثة فتهت بها   عن طلبٍ كان أشرف الطلب
لو أنها نجمة خشيت على   دينك شركًا يكون عن كثب
وأن ذاك الحنيك منعطفًا   لجام من يدّعي ولم ينب
شيخي بعد التفضيل منتقبًا   ثوبًا قصيرًا مجاوز الرّكب
اختلت في ملبس ذلاذله   تسحب من طولها على الترب
يرفعها كل شادنٍ غنج   يفتن نساكنا على الرهب
واعتضت من عصي الزهادة من   حولك مشي الغلمان بالقضب
لو كنت والله زاهدًا ورعًا   لم ترضَ دنيا الغرور باللّعب
وكان في الله شاغلٌ أبدًا   عمّا تراه بعين محتجب
لا يغترر بعد ذا أخو ثقة   بمحسن في جميل مطلب
وليتّعظ مدّعي تقربه   بحال شيخي الفتون وليَتُب

فكتب النقيب قطب الدين الحسن[1] ابن الأقساسي إلى النقيب مجد الدين المذكور أبياتًا كالمعتذر عنه والمسلّي له، يقول في أوّلها:

إن صحاب النبيّ جلهم   غير عليّ وآله النجب
مالوا إلى الملك بعد زهدهم   واضطربوا بعده على الرُّتَب
وكلّهم كان زاهدًا وَرِعًا   مشجّمًا في الكلامِ والخطب

فأخذ عليه فيها مآخذ فيما يرجع إلى ذكر الصحابة والتابعين وتصدّى له جماعة وعملوا قصائد في الردّ عليه، وبالغوا في التشنيع عليه، حتى إن قومًا استفتوا عليه الفقهاء ونسبوه إلى أنه طعن في الصحابة والتابعين ونسبهم إلى قلّة الدين، فأفتاهم الفقهاء بموجب ما صدرت به الفُتْيا.

---

(١) كذا ورد، وهو الحسين بن الحسن بن علي بن حمزة، يتصل نسبه بزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، يعرف بالأقساسي، نسبة إلى أقساس، وهي قرية كبيرة بالكوفة، ولد سنة ٥٧١ هـ، واشتغل بالأدب وقال الشعر، وكان فصيحًا لطيف العشرة، حاضر الجواب لذيذ المفاكهة، حبسه الناصر لدين الله وقرّبه المستنصر بالله وولاه نقابة الطالبيين سنة ٦٢٤ هـ، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي سنة ٦٤٥ هـ. انظر: عمدة الطالب (ص ٢١٢)، وتلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٤ ص ٦٢٩)، والعسجد المسبوك (ص ٥٥٦).

وفيها، قدم راجح[١] بن قتادة مكّة شرفها الله تعالىٰ في جمع كبير ودخلها واستولى عليها، وطرد من كان بها من عسكر الكامل[٢] أبي المعالي محمد ابن العادل صاحب مصر، فلما بلغ الكامل ذلك أرسل إلى مكّة عسكرًا، فلمّا علم راجح بقدومهم نزح عنها فدخلها العسكر بغير محاربة، وطيّبوا قلوب أهلها وأحسنوا إليهم، بخلاف ما فعل راجح لمّا وليها.

وفيها، حصر الكامل أبو المعالي المذكور مدينة آمد[٣]، وضيّق على أهلها وأضعفهم بقلّة الميرة وغيرها، واستولى عليها وملكها عنوةً[٤]، وكان صاحبها الملك مسعود[٥] الدوادار الملك.

وفيها، رد النظر في أوقاف مدارس الحنفية والربط وجامع السلطان إلى فخر الدين أبي طالب أحمد ابن الدامغاني مشرف الديوان، وكُفّت يد نواب قاضي القضاة ابن مقبل عنها.

وفيها، وصل الأمير حسام الدين أبو فراس بن جعفر بن أبي فراس الذي كان أمير الحاج في الأيام الناصرية، وقد تقدّم[٦] ذكر مفارقته للحاج ومسيره إلى الشام

---

(١) راجح بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني العلوي، أمير من الشجعان، تولى إمارة مكة، انتزعها من عمّال مصر، واستعيدت منه، وتوالى ذلك مرارًا، ثم وثب عليه ابنه غانم وحجر عليه، وكان الخليفة المستعصم بذلك، فأقره عليها سنة ٦٥٢ هـ، وسيذكر المؤلف ذلك في حوادث هذه السنة، وتوفي راجح سنة ٦٥٤ هـ. انظر: عمدة الطالب (ص ١١٦)، والعسجد المسبوك (ص ٤٥٢)، والأعلام (٣/ ٣١)، وفيه إشارة إلى مصادر ترجمته الأخرى.

(٢) الكامل أبو المعالي محمد ابن العادل الأيوبي، صاحب مصر والشام، استولى على اليمن ومكّة، واستعاد دمياط من الفرنج، وكان شجاعًا حازمًا، حسن التدبير، فقيهًا، متأدبًا يقول الشعر، ويقرب العلماء وأهل الأدب ويحضر مجالسهم، توفي سنة ٦٣٥ هـ. انظر: مرآة الزمان (ج ٨ ق ٢ ص ٧١٥)، وخطط المقريزي (٣/ ٨٩)، وتاريخ مختصر الدول (ص ٢٥٠)، والبداية والنهاية (١٣/ ١٤٩)، والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٩٩)، والعسجد المسبوك (ص ٤٨٢).

(٣) آمد: أعظم مدن ديار بكر وأجلّها قدرًا، وهو بلد قديم حصين ركين مبني بالحجارة على نشز من دجلة. معجم البلدان (١/ ٥٦).

(٤) ورد خبر استيلاء الكامل على آمد في: العسجد المسبوك (ص ٤٥٢)، والبداية والنهاية (٤٥٢)، والشذرات (٥/ ١٣٤)، والعبر (٥/ ١١٧)، وفيه أنه سلّمها إلى ولده الصالح نجم الدين أيوب.

(٥) هو الملك المسعود مودود ابن الملك الصالح الأتابكي، انظر المصادر السابقة، وقد أجمعت على أنه كان ظالمًا فاسقًا يأخذ الحرم غصبًا، وانظر أيضًا محمود ياسين أحمد التكريتي: الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة (ص ١٩٧).

(٦) قال الدكتور جواد في حاشيته على هذا الخبر: هذا يدل على بعض ما تلف من أول الكتاب.

ومصر، ملتجئًا إلى الكامل أبي المعالي محمد ابن العادل، هربًا من الوزير القمي وحذرًا من قصده إياه، فلما بلغه عزله كاتب الديوان استأذن في العود، فأُجيب سؤاله، فلمّا وصل إلى مدينة السلام حضر عند نصير الدين ابن الناقد نائب الوزارة فخلع عليه، ومضى إلى داره بسوق العجم، ثم استُدْعِي بعد أيام وخلع عليه وأُعطي سيفًا محلّى بالذهاب وأُعطي فرسًا وأُعطي سبعة أحمال كوسات وأعلامًا، وضُمّ إليه جماعة من العسكر وأُقطع بلد دقوقا[١].

وفيها، صرف تاج الدين أبو الفتوح علي بن هبة الله ابن الدوامي، عن أشراف دار التشريفات وخرج راجلًا إلى داره، ورتّب عوضه تاج الدين أبو المظفر محمد ابن الضحاك.

وفي جمادى الآخرة، فرج عن ولد مؤيّد الدين القمي وجميع أصحابه وأتباعه.

وفي شهر رمضان، فُتِحت[٢] دور الضيافة بجانبي مدينة السلام جريًا على العادة في كل سنة، وزِيد فيها داران، إحداهما بدار الخلافة لأولاد الخلفاء المقيمين في دار الشجرة[٣]، والأخرى بخربة ابن جردة[٤]، للفقراء الهاشميين.

وفي هذه السنة، سَيّر جمال الدين بكلك الناصري[٥] إلى قلعة زرده ومعه عدّة من العسكر، فحصرها وضيّق على من بها وجرت بينهم حروب كثيرة وقتالٌ شديد، فملكها عنوةً وقهرًا واستولى عليها، وأرسل إلى الخليفة يعرّفه ذلك، فاستبشر به ونظم الشعراء في ذلك أشعارًا كثيرة.

---

(١) دقوقا، وفي معجم البلدان (٢/ ٤٥٩): «دقوقا: مدينة بين إربل وبغداد معروفة»، وهي طاووق حاليًا.

(٢) الخبر في البداية والنهاية (١٣/ ١٣٥).

(٣) من دور الخلافة ببغداد، بناها المقتدر بالله، وكانت فسيحة ذات بساتين سمّيت بذلك لشجرة كانت هناك من الذهب والفضّة في وسط بركة كبيرة مدوّرة أمام إيوانها وبين شجر بستانها. معجم البلدان (١/ ٤٢١).

(٤) خربة ابن جردة: تنسب إلى محمد بن أحمد بن الحسن بن جردة، أبو عبد الله البيّع، المتوفى سنة ٤٧٦ هـ. انظر ترجمته في: ذيل تاريخ مدينة السلام (١/ ٨٠)، وتقع بشرقي بغداد، وكانت مجاورة لباب إبرز، ولخربة ابن جردة ذكر في التواريخ.

(٥) جمال الدين بكلك الناصري، سيذكر المؤلف أنه قاد جيش الخليفة لصدّ التتار سنة ٦٣٥ هـ فانهزم جيشه وقتل في المعركة. انظر: العسجد المسبوك (ص ٤٨١).

ذكر فتح أربل[١]

في سابع عشر شهر رمضان، ورد الخبر إلى بغداد بوفاة مظفر الدين أبي سعيد كوكبري بن زين الدين علي كوجك صاحب أربل، فتقدّم الخليفة بتعيين جماعة من الأمراء يكون مقدمهم الأمير أرغش الناصري الرومي، وعلاء الدين الدكز الناصري للتوجّه إلى أربل، وتقدم إلى ظهير الدين أبي علي الحسن بن عبد الله عارض الجيش بالتوجّه أيضًا، فتوجّهوا مصعدين في خامس عشر الشهر.

وفي ثالث شوال، توجّه شرف الدين أبو الفضائل إقبال الشرابي بالعسكر، فوصلوا في ثالث عشر شوّال، وكان في القلعة ـ خادمان أحدهما اسمه يرنقش[٢] والآخر اسمه خالص ـ كانا قد كتبا إلى الخليفة وإلى عماد الدين زنكي[٣] صهر مظفر الدين والي بني أيوب، حيث ثقل مظفر الدين في المرض، يعرّفانهم ذلك، وقالا: مَنْ سَبَق إلينا كانت منّتنا عليه، وكتبا إلى الملك الصالح أيوب[٤] ابن الكامل أبي المعالي محمد يعلمانه بموته ويحثّانه على المجيء، فلما شاهدا عساكر الخليفة سقط في أيديهما وعَلِما أنه قد انتهى إلى الخليفة ما فعلا فامتنعا من فتح البلد، فلما رأى الشرابي أنهم أغلقوا أبواب المدينة دونه استدعى الأمير جمال الدين قشتمر وقال له: ما لهذا الأمر سؤال، وإذا فعلت شيئًا لا يسع غيرك إلا موافقتك، فركب في الحال من غير استراحة ودار ليله أجمع حول البلد، وهم على السور بالأضواء والطبول، ثم قسم أبواب البلد على الأمراء، وضرب هو خيمه مقابل باب عمكا واللونة أعظم الأبواب وأكثر المقاتلة هناك، ونصب البيت الخشب مقابل الباب بالقرب منه بحيث يسمع كلامهم ويسمعون كلامه، ويصل نشاب الجرخ[٥] إليه، ولم يزل نهاره أجمع

---

(١) انظر الخبر في: العسجد المسبوك (ص ٤٣٢)، والبداية والنهاية (١٣/ ١٣٥).

(٢) في العسجد المسبوك: «برنقش».

(٣) عماد الدين بن عز الدين مسعود، صاحب شهرزور، كان زوج ابنة مظفر الدين كوكبري، توفي سنة ٦٣٠ هـ. وفيات الأعيان (٥/ ٢٠٨).

(٤) الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل محمد بن أبي بكر الأيوبي، أحد كبار ملوك الأيوبيين، ولد ونشأ بالقاهرة، وولي بعد خلع أخيه العادل سنة ٦٣٧، وضبط الدولة بحزم، وفي أواخر أيامه أغار الإفرنج على دمياط واحتلّوها، وكان غائبًا بدمشق، فقدم ونزل أمام الإفرنج وهو مريض، فمات بناحية المنصورة. انظر: السلوك للمقريزي (١/ ٢٩٦)، ووفيات الأعيان (٥/ ٨٢)، والبداية والنهاية (١٣/ ١٤٩)، والعبر (٥/ ١٩٣)، وسيرد ذكره في حوادث سنتي ٦٣٥ هـ و٦٣٦ هـ، عندما استولى على دمشق.

(٥) الجرخ: وجمعها جروخ، آلة من آلات الحرب القديمة، ترمى عنها السهام والنقط. انظر: =

يرقب ما يعملون ويشاهد ما يصنعون، وفي اللّيل يدور على العساكر ويحرّض على الحراسة والحِفظ، والشرابي يراسل الخادمَيْن المذكورَيْن ويخوّفهما عاقبة العصيان، فسألا أن يؤخّرا يومين فأُجيبا، وكان غرضهما أن يصل الملك الصالح أيوب المقدم ذكره، فلما انقضى الأمد نفذ جمال الدين قشتمر إلى أحد زعمائهم وقال له: أخلفتم الوعد، وخوّفهم وحذّرهم، فردَّ عليه جوابًا غير مرضي، ثم رمى وراء رسوله بالنشاب فوقع قريبًا من الأطناب، فقال قشتمر لجماعة من مماليكه: اقربوا منهم وتحرّشوا بهم، فأخذوا في سبّهم ورموا بالنشاب إلى جهتهم، فما زال الأمر يزداد حتى وقع الزحف على البلد وقت العصر، واشتدّ الرمي من فوق السور بالنار وأنواع السلاح، وكَثُر في الفريقين القتل والجراح، وسار قشتمر حتى وقف على الخندق، فاشتدّ القتال حينئذ وقَوِي جأش المقاتلين بوجوده، فركب الشرابي في لامة حربه ووقف على نشز، فأُخبر قشتمر بركوبه فقصده ووقف إلى جانبه، فساعة اجتماعهما أُخبرا بالنصر والفتح وتسليم القلعة، ونهب أوباش العسكر بعض دورها، واستولى العسكر على البلد عنوةً، وكتب الشرابي على جناح طائر إلى الخليفة بصورة الحال، فحصل الاستبشار بذلك وضُرِبت الطبول على باب النوبي، وأُفرج عن جميع المعتقلين في الحبوس، وحضر الشعراء في الديوان وأوردوا قصائد تتضمّن الهناء بهذا الفتح والنصر. فممن أورد: القاضي أبو المعالي القاسم بن أبي الحديد المدائني[1] قصيدة أولها:

ما يثبت الملك بين الخوف والخطر ... حتى يقام ويسقى من دم البشر
لكل شيءٍ طريق يستفاد به ... وليس للعز غير الصارم الذكر

ومنها:

ما فتح أربل عن بختٍ لذي دعةٍ ... ولا اتّفاقًا كبعض النصر والظفر
لكنّه كان قصد القادرين وأفـ ... ـعال المطيعين عن قصدٍ وعن فكر
فليسمح الأشعري[2] اليوم لي فأنا ... في فتح أربل لا ألوي على القدر

= رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية (٢/ ١٧٤).

(١) أبو أحمد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن حسين بن أبي الحديد، أبو المعالي موفق الدين، يدعى القاسم، ولد سنة ٥٥٩ هـ بالمدائن، وتوفي سنة ٦٥٦ هـ بعد احتلال بغداد، وكان أديبًا شاعرًا كاتبًا مترسّلًا. انظر: شذرات الذهب (٥/ ٢٨٠)، والعسجد المسبوك (ص ٦٤١)، وعيون التواريخ (٢/ ١٦٣).

(٢) الأشعري، هو أبو الحسن علي بن إسمٰعيل بن إسحٰق الأشعري، من ولد أبي موسى=

وقال أخوه عز الدين عبد الحميد[1] الكاتب قصيدة، اتّفق له فيها أن الوزير كان ترتيبه يوم سابع عشر شوال سنة تسع وعشرين وفتح أربل يوم سابع عشر شوال سنة ثلاثين، فقال[2]:

يا يوم سابع عشر شوال الذي رزق السعادة أولًا وأخيرا
هنئت فيه بفتح أربل مثلما هنئت فيه وقد جلست وزيرا

وتقدّم الخليفة بإحضار الأمير شمس الدين باتكين أمير البصرة، فكوتب بالحضور، فوصل من البصرة إلى رابع ذي القعدة، وحضر نصير الدين ابن الناقد نائب الوزارة، فشافهه[3] بولاية أربل وتقدم إليه بالتوجه إليها على فوره، فتوجّه من وقته فوصلها في تاسع عشر الشهر، وحضر عند شرف الدين إقبال الشرابي في المخيم بظاهر أربل، فخلع عليه وقلّده سيفًا وأمطاه فرسًا وأعطاه كوسات وأعلامًا، فركب في جمع كثير من الأمراء والأجناد ودخل الجامع، فقرئ عهده به بمحضر من أهل البلد وغيرهم، تولى قراءته ظهير الدين الحسن بن عبد الله، وكان قد عيّن عليه لوزارته، وركب إلى القلعة ونزل في دار الإمارة التي كان يسكنها مظفر الدين، ثم خلع الشرابي على ظهير الدين الحسن بن عبد الله ثم على ظهير الدين الحسن بن المصطنع وجعله مشرفًا عليه، ورتّب معهما كاتبًا الأجل ابن عبدان النصراني ثم رتّب جمال الدين ابن عسكر الأنباري عارضًا للجيش هناك، وجعل عليه مشرفًا عزّ الدين محمد بن صدقة[4] وخلع عليهما، فلما قرّر القواعد وفرغ مما يريده رحل عائدًا إلى بغداد والأمراء والعساكر في خدمته، فوصل إلى الخالص[5] في عاشر ذي الحجّة فنزل

= الأشعري، الصحابي المشهور، ولد بالبصرة سنة ٢٦٠ هـ وقيل: ٢٧٠ هـ، وتوفي سنة ٣٢٠ هـ أو ٣٢٤ هـ، ومذهبه في القدر معروف. انظر: طبقات الشافعية للإسنوي (١/ ٧٣).

(١) عبد الحميد بن هبة الله، ولد بالمدائن سنة ٥٨٦ هـ ونشأ بها، وسكن بغداد ومدح خلفائها، وكان أديبًا شاعرًا، اصطنع مذهب الاعتزال، وألّف «شرح نهج البلاغة» للوزير ابن العلقمي وغيره، توفي سنة ٦٥٥ أو ٦٥٦ هـ. انظر: مقدمة شرح نهج البلاغة (١/ ١٣)، ففيه إشارة إلى أهم مصادر دراسته ومؤلفاته.

(٢) البيتان في البداية والنهاية (١٣/ ١٣٥) بدون نسبة.

(٣) انظر الخبر في: العسجد المسبوك (ص ٤٥٤).

(٤) عز الدين، أبو الفضل محمد بن صدقة بن يحيى البغدادي، ترجمه ابن الفوطي في «التلخيص» (ج ٤ ق ١ ص٣١٠) ترجمة مختصرة. قال: في سنة ٦٣٧ هـ حرف عن إشراف ديوان العرض.

(٥) الخالص: اسم كورة عظيمة من شرقي بغداد إلى سور بغداد. معجم الأدباء (٢/ ٣٣٩)، وهي اليوم من أقضية محافظة ديالى.

بقرية تُعرف «بقرية أبي النجم»، فخرج الخلق الكثير إلى تلقّيه، فصلّى هناك ونحر وضحّى ومدّ سماطًا عظيمًا، ثم رحل في حادي عشر ذي الحجّة متوجّهًا إلى بغداد، فلما وصل ظاهر سوق السلطان خلع على جميع أصحابه ومن كان في خدمته من النوّاب والأتباع والحاشية، وخرج إليه جميع الولاة وأرباب المناصب والأماثل والأعيان، فلقوه بظاهر السور ولم يتخلف أحد من الخروج سوى الوزير، ثم سار حتى وصل دجلة ونزل عند المسناة في شبارة[1] الخليفة وقبّلها وتضرّع بالدعاء وبكى، فخشع الحاضرون لبكائه، ثم نزل فيها وانحدر إلى دار الخلافة، فتُلقّي بالإكرام ثم خُلع عليه وقُلّد سيفين وقُدّم له فرس فركبه من باب البستان ورفع وراءه سنجقان. وأمّا الأمراء جميعهم، فإنّهم دخلوا البلد وقصدوا دار الخليفة، ودخلوا من باب الحرم بموجب ما رسم لهم وجلسوا في باب الأتراك إلى أن خرج راكبًا فقبّلوا يده ومشوا بين يديه إلى باب الباتني[2]، ثم ركبوا وساروا في خدمته إلى داره بالبدرية، فلما نزل عن مركوبه خدموا وعادوا قاصدين دار نصير الدين نائب الوزارة، فلقوه فخلع عليهم أجمعين، وأعطى كل واحد فرسًا بمركب وخمسة آلاف دينار، وأنعم على من دونهم على قدر مرتبته من الألفين إلى الخمسمائة، ثم خلع على جميع المماليك الناصرية والظاهرية والمستنصرية وأعطى كل واحد خمسين دينارًا، ثم أنعم على جميع الجند ومماليك الأمراء والعرب من ثلاثين إلى خمسة عشر، ثم أحضر علاء الدين أبو طالب هاشم[3] ابن الأمير السيّد العلوي وولي عارض الجيش، وخلع عليه بدار الوزارة عوضًا عن ظهير الدين بن عبد الله، وولي الأمير أرغش الرومي الناصري إمارة البصرة وخلع عليه وتوجّه إليها.

---

(١) الشبارة: نوع من المراكب النهرية.

(٢) باب الباتني: قال الدكتور جواد في حاشيته: «لعلّه القائمي»، ولكنه ذكره فيما بعد في دليل خارطة بغداد، قال: كان في دار الخلافة شارع رئيس هو أعظم الشوارع وهو شارع دار الخلافة، يمتدّ من باب العزبة إلى باب المراتب، موازيًا لنهر دجلة، وكانت تتفرّع من هذا الشارع طرق تؤدي ألى أبواب الدار الأخرى، كباب الأتراك وباب طراد وباب الرواق وباب الباتني.

(٣) علاء الدين هاشم بن علي بن المرتضى ابن الأمير السيد، وسيذكر المؤلف في حوادث سنة ٦٣٤ هـ تعيينه في صدرية المخزن وعزله سنة ٦٣٥ هـ. كان من رجال الدولة العباسية، رتب صدرًا في واسط، وبها صنف له أبو طالب الهاشمي كتاب «المنتخب من مناقب الدولة العباسية ومآثر أئمّتها المهدية»، وأرسل إلى الملك الصالح في مصر فتوفي هناك سنة ٦٤٠ هـ. انظر: تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٢ ص ١١٠٨).

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، دخل قوم على رجل يعرف بابن اللؤلؤي داره بالعنوتين وقتلوه، ظنًا أن معه ذهبًا، فلم يروا معه شيئًا ولم يُعرف لهم خبر.

وفيها، خَنَقَ إنسان يُعرف بمحمد الخياط نسيب لبني ياسين نفسه بحبلٍ في داره باللّوزية[١]، قيل: إنه كان شديد الضائقة وعنده تعفّف وعزوف نفس عن الطلب.

وفيها، توفي أبو محمد عبد الله ابن الشيخ أبي النجيب السهروردي، من بيت التصوّف وأولاد المشائخ، ذُكِر أنه خرج عن جميع ماله ووقفه، فلما قدم الشيخ شهاب الدين عمر[٢] السهروردي قدم على غاية الفقر مجرّدًا من الدنيا، فضاق صدر الشيخ أبي النجيب كيف لم يرضخ له في الوقف بنصيب، فسأل ولده أن يعطيه شيئًا من نصيبه فلم يوافق، فقال له الشيخ أبو النجيب وقد احتدّ: والله لتحتاجنّ إليه، ومضى على ذلك برهة فتقدم الشيخ شهاب الدين وأثرت حاله وفُتِحت عليه الدنيا فاحتاج عبد الله هذا إليه واسترفده فأرفده وما زال يواصله إلى أن مات.

وفيها، توفي أبو المحاسن محمد بن نصر الأنصاري المعروف بابن عنين[٣] الكوفي أصلًا، وُلِد بدمشق ونشأ بها، وهو شاعر مشهور سافر إلى الآفاق في

---

(١) اللوزية: إحدى محلات بغداد، ذكرها ياقوت في معجم البلدان (٤/ ٣١٤) (مادة قراح).

(٢) عمر بن محمد بن عبد الله بن عمويه، أبو حفص، شهاب الدين القرشي التيمي البكري، السهروردي، فقيه شافعي، واعظ، من كبار الصوفية، ولد في «سهرورد» سنة ٥٣٩ هـ وإليها نسب، وسكن ببغداد فكان شيخ الشيوخ بها، وأوفده الخليفة العباسي إلى عدّة جهات رسولًا، أُقْعِدَ في آخر عمره، فكان يُحمل إلى الجامع في محفة. له مؤلفات طبع منها «عوارف المعارف» و«جذب القلوب إلى مواصلة المحبوب». انظر: وفيات الأعيان (٢/ ٤٤٦) وفيه بعض شعره، والعبر (٥/ ١٢٩)، وشذرات الذهب (٥/ ١٥٣)، والبداية والنهاية (١٣/ ١٣٨)، وسيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٦٣٢ هـ وسيترجم له.

(٣) محمد بن نصر بن مكارم بن حسن بن عنين الأنصاري، الصدر شرف الدين أديب كثير الحفظ، وشاعر من أشهر شعراء عصره، كان مولعًا بالهجاء، نفاه صلاح الدين الأيوبي من دمشق بسبب وقوعه في الناس، فطاف البلاد من الشام والعراق والجزيرة واليمن وأذربيجان وخراسان والحجاز والبلاد المصرية وعاد إلى دمشق، وتولى فيها الوزارة. له ديوان مطبوع، وله أيضًا: «مقراض الأعراض» قصيدة في نحو (٥٠٠) بيت، و«التاريخ العزيزي» مخطوط. انظر: العسجد المسبوك (ص ٤٤٦)، والبداية والنهاية (١٣/ ١٣٧)، وشذرات الذهب (٥/ ١٤٠)، ووفيات الأعيان (٥/ ١٤)، وانظر: مقدمة ديوانه، ففيها إشارة إلى أهم مصادر دراسته.

التجارة ومدح الأكابر في كل البلاد، وكان ظريفًا حسن الأخلاق جميل المعاشرة ذا ثروة، وكانت وفاته بدمشق. وحجّ بالناس في هذه السنة الأمير شمس الدين أصلان تكين.

سنة إحدى وثلاثين وستمائة

في المحرم، أُعيدت الحلّة السيفية[١] إلى الأمير جمال الدين قشتمر الناصري وتوجّه إليها.

وفيها، نفّذ الأمير بدر الدين سنقرجاه الظاهري أمير آخور[٢] الخليفة المستنصر بالله إلى الموصل ومعه خلعة السلطنة وتقليد لبدر الدين لؤلؤ[٣] الرومي الأتابكي صاحب الموصل، فخلع عليه وأعطاه فرسًا بمركب ذهبًا، وكنبوش[٤] إبريسمًا، وسيف ركاب ومشدة في عنق الفرس، ولُقب الملك المسعود، وأُذن له أن يذكر اسمه على المنابر ببلده ونقشه على سكة العين والورق[٥].

وفيها، وَلِيَ تاج الدين أبو الفتوح علي[٦] بن هبة الله ابن الدوامي عارض الجيش عوضًا عن علاء الدين هاشم ابن الأمير السيد، وعزل الأمير شمس الدين أصلان تكين عن إمارة الحاج، وولي شمس الدين قيران الإمارة مرّة ثانية.

---

(١) نسبة إلى سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس، الذي نزلها سنة ٤٩٥ هـ، وبنى بها المساكن الجليلة، وكانت تسمى بالجامعين. انظر: معجم البلدان (٢/ ٢٩٤).

(٢) أمير آخور: يتولى إمرة إصطبلات الخليفة وخيوله. انظر: صبح الأعشى (٤/ ١٨).

(٣) أبو الفضائل بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله الأتابكي الرومي، الملك المسعود، كان مملوكًا أرمنيًا، بيع في الأسواق حتى حصل عليه الملك نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين صاحب الموصل، وبقي معه إلى حيث وفاته، فأصبح الوصي على ولده منذ سنة ٦٠٧ هـ، وأصبحت بيده السلطة الفعلية، ثم أزال حكم الأتابكية عن الموصل سنة ٦٣١ هـ، وبعد احتلال بغداد من قبل المغول سار إلى هولاكو متصرفه عن بغداد، وقدم له الهدايا والتحف وتوفي سنة ٦٥٦ هـ. انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٢١٤)، والعبر (٥/ ٢٤٠)، والشذرات (٥/ ٢٨٩)، وفيهما أنه توفي سنة ٦٥٧ هـ، وكذلك في عيون التواريخ (٢٠/ ٢١٦).

(٤) الكنبوش: برذعة توضع تحت السرج، وهي معربة، وعربيها الجِلْس (ح. الدكتور جواد).

(٥) انظر: العسجد المسبوك (ص ٤٥٧)، وشذرات الذهب (٥/ ١٤٣).

(٦) وسيذكر المؤلف في حوادث سنة (٦٣٢ هـ) نَقْلَه إلى صدرية ديوان إربل، ثم تعيينه في سنة (٦٣٣ هـ) صدرًا للمخزن، وعزله في سنة ٦٣٤ هـ، وتوليته منصب حجبة باب النوبي، كما سيذكر في حوادث سنة ٦٥٦ هـ تعيينه من قبل هولاكو بمنصب صدر الأعمال الفراتية ووفاته في نفس السنة.

وفيها، عُزِل يحيى[١] بن المرتضى النيلي عن النظر بواسط، وولي عوضه قوام الدين علي[٢] بن غزالة المدائني.

ذكر فتح المدرس المستنصرية[٣]

في جمادى الآخرة، تكامل بناء المدرسة المستنصرية التي أمر بإنشائها الخليفة المستنصر بالله، وكان الشروع فيها في سنة خمس وعشرين وستمائة، وأنفق عليها أموال كثيرة، فركب نصيرالدين ابن الناقد نائب الوزارة في يوم الاثنين خامس عشر جمادى الآخرة وقصد دار الخلافة واجتاز بها إلى دجلة، ونزل في شبارة من باب البشرى مصعدًا إلى الدار[٤] المستجدة المجاورة لهذه المدرسة، وصعد إليها وقبّل عتبتها ودخلها وطاف بها ودعا لمالكها، وكان معه أستاذ الدار مؤيّد الدين أبو طالب محمد ابن العلقمي، وهو الذي تولى عمارتها، ثم عاد متوجهًا إلى داره في الطريق التي جاء بها، وخلع على أستاذ الدار وعلى أخيه أبي جعفر[٥] وعلى حاجبه عبد الله بن جمهور، وعلى المعمار والفراشين المرتبين في الدار المذكورة المستجدة، وعلى مقدمي الصناع، ونُقل في هذا اليوم إلى المدرسة من الربعات الشريفة والكتب النفيسة المحتوية على العلوم الدينية والأدبية ما حمله مائة

---

(١) يحيى بن المرتضى، ذكر في العسجد المسبوك عَرَضًا في حوادث سنة ٦٤٧ هـ (ص ٥٤٧)، والنيلي نسبة إلى النيل، بليدة في سواد الكوفة قرب الحلة يخترقها خليج حفره الحجاج، والنيل أيضًا نهر من أنهار الرقة حفره الرشيد. انظر: معجم البلدان (٥/ ٣٣٤)، ويحيى النيلي ذكر في تلخيص مجمع الآداب (انظر الفهرس)، وسيرد ذكره في مواضع أخرى من هذا الكتاب.

(٢) قوام الدين، أبو الحسن علي بن محمد بن غزالة المدائني الكاتب، ولي النظر بديوان واسط سنة ٦٣١ هـ، ورتب صدرًا بديوان تستر وحكم في جميع بلاد خوزستان. انظر: تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٤ ص٨١٤).

(٣) انظر خبر فتحها: البداية والنهاية (١٣/ ١٣٩)، وشذرات الذهب (٥/ ١٤٣)، والعسجد المسبوك (ص ٤٥٨)، وقد انفرد بذكر تفاصيل التجهيزات التي جهزت بها المدرسة، ومختصر التواريخ (ص ٢٦٠). وانظر: المدرسة المستنصرية للدكتور حسين أمين، وتاريخ علماء المستنصرية للأستاذ ناجي معروف.

(٤) في العسجد المسبوك (ص ٤٦٢): «وأما الدار المجاورة لهذه المدرسة، فإنه لم ير مثلها أحد، وهي أحسن بناءً وأحكم قواعدًا من كل أثر آثره الخلفاء الماضون والأئمة المهديّون».

(٥) علم الدين أبو جعفر أحمد، ترجمه ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ١ ص ٥٦٠) قال: «كان صدرًا جليل القدر نبيه الذكر كثير الخيرات»، وسيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٦٥٦ هـ بعد الواقعة.

وستون جمالًا[(١)]، وجعلت في خزانة الكتب، وتقدم إلى الشيخ عبد العزيز شيخ رباط الحريم بالحضور بالمدرسة وإثبات الكتب واعتبارها، وإلى ولده العدل ضياء الدين أحمد الخازن بخزانة كتب الخليفة التي في داره أيضًا، فحضر ورتّبها أحسن ترتيب مفصلًا لفنونها ليسهل تناولها ولا يتعب مناولها.

وفي بعض هذه الأيام، حضر الخليفة هناك، وحضر الشيخ عبد العزيز بين يديه وسلّم عليه، وأعقب دعاءه بأن تلا قوله تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ۝١٠﴾ [الفرقان: الآية ١٠]، فبدا خشوع الخليفة وتقاطرت دموعه.

وفي يوم الخميس خامس شهر رجب حضر نصير الدين نائب الوزارة وسائر الولاة والحجّاب والقضاة والمدرسون والفقهاء ومشايخ الربط والصوفية والوعّاظ والقرّاء والشعراء وجماعة من أعيان التجّار الغرباء إلى المدرسة، وتُخُيِّر لكل مذهب من المدارس وغيرها اثنان وستون نفسًا، ورُتّب لها مدرسان ونائبا تدريس. أمّا المدرسان فمحيي الدين أبو عبد الله محمد بن يحيىٰ بن فضلان الشافعي ورشيد الدين أبو حفص عمر[(٢)] بن محمد الفرغاني الحنفي، وخلع على كل واحد منهما جبّة سوداء وطرحة كحلية وأعطي بغلة بمركب جميل وعدّة كاملة، وأمّا النائبان فجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمٰن[(٣)] بن يوسف ابن الجوزي الحنبلي، نيابةً عن والده، لأنه كان مسافرًا في بعض مهام الديوان[(٤)]، والآخر أبو الحسن علي المغربي المالكي، وخلع على كل واحدٍ منهما قميص مصمت وعمامة قصب، ثم خلع على جميع المعيدين ـ وهم لكل مذهب أربعة ـ خلعًا بالحكاية، ثم خلع على المتولين للعمارة والصنّاع والحاشية، وعلى المعينين للخدمة بخزانة الكتب، وهم: الشمس علي ابن الكتبي الخازن، والعماد علي ابن الدبّاس

(١) في العسجد المسبوك (ص ٤٥٨) على مائة وستين جملًا.

(٢) عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن أبي نصر الفرغاني، أبو حفص، سيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٦٣٢ هـ، وسيترجم له باختصار. انظر: العسجد المسبوك (ص ٤٦٦)، وبغية الوعاة للسيوطي (ص ٣٦٤).

(٣) ناب أبو الفرج عن أبيه في تدريس طائفة الحنابلة بالمدرسة المستنصرية، ورتب محتسبًا وواعظًا ببغداد، وكان عالمًا فاضلًا، أديبًا شاعرًا، له تصانيف وأخبار كثيرة في هذا الكتاب، قتله المغول سنة ٦٥٦ هـ. انظر: شذرات الذهب (٥/ ١٨٧).

(٤) في البداية والنهاية (١٣/ ١٤٠): لغيبته في بعض الرسالات إلى الملوك، وسيذكر المؤلف في حوادث شهر رمضان من هذه السنة، أنه عاد من مصر وخلع عليه بدار الوزارة.

المشرف والجمال إبراهيم بن حذيفة المناول، ثم مدّ سماط في صحن المدرسة أجمع فكان عليه من الأشربة والحلواء وأنواع الأطعمة ما يجاوز حدّ الكثرة، فتناوله الحاضرون تعبئة وتكويرًا، ثم أُفيضت الخلع على الحاضرين من المدرسين ومشايخ الربط والمعيدين بالمدارس والشعراء والتجار الغرباء، ثم أنشد الشعراء المدائح فيها وفي منشئها. فممن أورد: العدل أبو المعالي القاسم بن أبي الحديد المدائني الفقيه الشافعي:

ما مثل الفلك العظيم لمبصر ... في الأرض قبل أيالة المستنصر
هذا بناءٌ معربٌ عن قدره ... رُفِعت قواعده بفعل مطهر
حسدت به الأرض السماء ولم يزل ... حسد الفضائل في طباع العنصر
انظر تجد نظم الثريا في ذرى ... شرفاته وضياء نور المشتري
ضحك الزمان وذاك بعد عبوسه ... ورأى الصواب وذاك بعد تحيّر
فالأفق بين مفضض ومذهب ... والجوّ بين مكوفر ومعنبر
والأرض حاسرة القناع كأنها ... خود تبرج في رداء أخضر
تزهو بما عمّر الخليفة فوقها ... علمًا لأحكام البشير المنذر
بالجانب الشرقي بالشاطي الذي ... هو طور سينا كل صاحب منبر

ومنها:

ما حقّ دجلة أن تفوه بلفظة ... قهرت وأي مساجل لم يقهر
غلب العطاء الماء فيها وانثنى ... سدًا يفوق صناعة الاسكندر
إن أصبحت بحرًا فإن بناءه ... بإفاضة المعروف خمسة أبحر
وضع الإمام بها أساس بنائه ... والموج بين مجمجم ومزمجر
قصرًا ومدرسة لمن طلب الغنى ... أو رامَ شأو العالم المتبحّر
هي جنّة الفردوس يجري تحتها ... من ماء دجلةَ ماء نهر الكوثر
حصباؤها درّ النظام وتربها ... مسك الجنوب وطينها كالعنبر
أضحى سليمان الزمان وأهله ... مستخدمًا فيها بجنة عبقر
لبس الغبي بها شهامة ماهر ... وغدا المقل مزاحمًا للمكثر
لم تخلُ من حَبْرٍ وشيخ فاضلٍ ... يروي الحديث وساجد ومعفّر
قد كانت الفقهاء قبل بنائها ... في كل قطر واحد لم يذكر

فرقي يشق على المريد طلابها ... في الشرع والمطلوب كالمتعذر
فاليوم قد جمعت أمور الدين في ... أرجائها وأزيل عذر المقصر

وأورد بعده جماعة كثيرة، ثم ذكر المدرسان المقدم ذكرهما الدروس كل واحد منهما على سدته، والنائبان كل واحد منهما تحت السدّة[1]، ثم قسمت الأرباع فسلم ربع القبلة الأيمن إلى الشافعية، والربع الثاني يسرة القبلة للحنفية، والربع الثالث يمنة الداخل للحنابلة، والربع الرابع يسرة الداخل للمالكية، وأسكنت بيوتها وغرفها وأجري لهم الجراية الوافرة، عملًا بشرط الواقف، ثم نهض نصير الدين وأرباب الدولة والحاضرون، وكان الخليفة يومئذ جالسًا في الشباك الذي في صدر الإيوان، ينظر جميع ما جرت الحال عليه.

تلخيص شروط هذه المدرسة

شرط أن يكون عدة الفقهاء مائتين وثمانية وأربعين متفقهًا، من كل طائفة اثنان وستون بالمشاهرة الوافرة والجراية الدارة واللحم الراتب والمطبخ الدائر إلى غير ذلك من الحلواء، والفواكه، والصابون، والبزر، والفرش، والتعهّد، وشرط أن يكون في دار الحديث التي بها شيخ عالي الإسناد وقارئان وعشرة أنفس يشتغلون بعلم الحديث النبوي، وأن يُقرأ الحديث في كل يوم سبت واثنين وخميس من كل أسبوع، وشرط لهم الجراية والمشاهرة والتعهّد، أسوة بالفقهاء، وشرط أن يكون في الدار المتّصلة بالمدرسة ثلاثون صبيًا أيتامًا يتلقنون القرآن المجيد من مقرىء متقن صالح، ويحفظهم معيد معه، ولهم من الجراية والمشاهرة والتعهد ما للمشتغلين بعلم الحديث، وشرط أن يرتب بها طبيب حاذق مسلم، وعشرة أنفس من المسلمين يشتغلون بعلم الطب، ويوصل إليهم مثل ما للمقدم ذكرهم، وأن يكون الطبيب يطب من يعرض له مرض من أرباب هذا الوقف، ويعطي المريض ما يوصف له من أدوية وأشربة وغير ذلك، وشرط أن يكون بها من يشتغل بعلم الفرائض والحساب إلى غير ذلك، مما إذا استقصي ذكره طال تعداده.

(١) السدّة: الكرسي، أو العرش.

ذكر عدة حوادث

في تاسع رجب، رتّب القاضي أبو النجيب عبد الرحمٰن[١] ابن القاضي يحيٰى بن القاسم التكريتي ناظرًا في مصالح المدرسة المستنصرية، ورتّب العدل عبد الله بن ثامر مشرفًا عليه، ورتّب معهما العدل أبو منصور الفاضل بن محمد كاتبًا، ورتّب العدل بن أبي البدر خازنًا، وخلع على الجميع.

وفي شهر رمضان، وصل محيي الدين يوسف ابن الجوزي من مصر وخلع عليه بدار الوزارة خلعة التدريس على الحنابلة بالمدرسة المستنصرية، وحضر المدرسة بالخلعة ومعه جميع الولاة والحجّاب، فجلس على السدّة وخطب وذكر دروسًا.

وفي ذي القعدة، توفي محيي الدين أبو المظفر ابن البوقي[٢]، أصله من واسط، من أولاد الفقهاء، أحب التصرف ودخل فيه فخدم عدة خدمات، آخرها صدرية بلاد خوزستان، بقي على ذلك مدة ثم عزل.

وفيها، وصل الأمير مظفر الدين بهنام الرومي الناصري زعيم تستر[٣] معزولًا، وولي عوضه الأمير علاء الدين الطكز الناصري شحنة بغداد، وولي ظهير الدين الحسن بن عبد الله ناظرًا في أعمال خوزستان ومتوليًا لديوانها.

وفيها، خلع على أمير الحاج شمس الدين قركان[٤] وتوجّه بالحاج، فلما وصلوا بعض المنازل بلغهم أن العرب الأجاودة[٥] طمّوا الآبار في منزل سلمان[٦]، وعزموا على أخذهم، فأشاروا على أمير الحاج بالعودة إلى بغداد، فاستفتى من كان في الحاج من الفقهاء في ذلك، فأفتوا بجواز الرجوع، فرجع بالناس، فلما وصلوا ذكروا أنهم

---

(١) فخر الدين، أبو النجيب عبد الرحمٰن بن يحيٰى بن القاسم التكريتي، حفظ القرآن وتفقه على يد والده، وقرأ الأدب وسمع الحديث من شيوخه وأقام ببغداد وتولى عدة أعمال، منها النظر بمصالح المدرسة المستنصرية، توفي ببغداد سنة ٦٤١ هـ. انظر: تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٣ ص ٢٠٩).

(٢) نسبة إلى بوق، وهي قرية من أعمال أنطاكيا، ونهر بوق كورة بغداد نفسها في بعضها، ومشهد بوق قرب رحبة مالك بن طوق. معجم البلدان (١/ ٥١٠).

(٣) تستر: هي أعظم مدن خوزستان. معجم البلدان (٢/ ٢٩).

(٤) تقدم اسمه بصورة «قيران».

(٥) الأجاودة: هم آل أجود من بني فضل الربيعيين. انظر: صبح الأعشى (٤/ ٢٠٥).

(٦) سلمان: منزل بين عين صيد وواقصة والعقبة، بينه وبين العقبة ليلتان. انظر: معجم البلدان (٣/ ٢٣٩).

طلبوا منهم المصالحة على مال، وتجاوزوا حد الكثرة فيه، وطلبوا إطلاق محبوسين لهم ببغداد، وأخذ وجوه الحاج رهائن على إطلاقهم وتردّدت الرسل بينهم في ذلك. هذا كله والحاج نازلون على ماءٍ قليل يصل إلى بعضهم بالقوة والجاه، وتمادت الأيام وتحقّق فوات الحج، فعدلوا عن مصالحتهم، وتوجّهوا عائدين، فمات منهم خلق كثير ومعظم الجمال، وأحرقوا من أزوادهم وأمتعتهم قبل رحيلهم شيئًا كثيرًا لئلا تأخذه العرب، فقال الفقيه أبو الحسن علي[١] ابن البطريق قصيدة كتبها إلى الخليفة يحرّضه على قتال العرب، هذه الأبيات منها:

الكفر في الترك دون الكفر في العرب ... أليس منهم إذا عُدّوا أبو لهب

أليس منهم أبو جهل وبنتهم ... عدوّة المصطفى حمّالة الحطب

فيا إمام الهدى يا خير من نظمت ... له المدائح يا ابن السادة النُجُب

يا أيها القائم المنصور أنت إذا ... حضرت وجه رسول الله لم يغب

فأغْزُ الأعاريب بالأتراك منتقمًا ... منهم ولا تَرْعَ فيهم حُرْمَة النَّسَب

فقد غزاهم رسول الله في حرم ... الله المنيع بإذن الله وهو نبي

وما رعى فيهم إلاً ولا نسبًا ... ولم يقل إن أمي منهم وأبي

إن ادّعوا أنهم قد أسلموا فقد ار ... تدوا بمنعهم للحج عن كثب

وكان قد وصل[٢] تابوت مظفر الدين كوكبري صاحب أربل ونفّذ صحبة الحاج ليدفن في مكة، فلما رجع الحاج دُفِن في مشهد عليّ عليه السلام.

وفيها، نُقِل تاج الدين معلى من صدرية المخزن إلى صدرية ديوان الزمام، ونُقِل عميد الدين بن عباس[٣] من الإشراف عليه هناك وجعل مشرفًا[٤] عليه في الديوان.

---

(١) نجم الدين أبو الحسن علي بن يحيى بن بطريق الحلي الأسدي، كتب بالديار المصرية أيام الدولة الكاملية، ثم عاد إلى بغداد، توفي سنة ٦٤٢ هـ، وكان فقيهًا أديبًا شاعرًا. انظر: فوات الوفيات والبابليات لليعقوبي (١/ ٥٥)، وللدكتور أحمد علوش «ابن بطريق الحلي» بغداد ١٩٦٩.

(٢) انظر الخبر في: البداية والنهاية (١٣/ ١٣٧).

(٣) عميد الدين منصور بن أحمد بن عباس البتي الجعفري الدجيلي، ترجمه ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٢ ص ٩٥٩)، وسيذكر في مواضع أخرى من هذا الكتاب.

(٤) المشرف كالمفتش المالي أو المراقب، ويكون مع الصدور والنظار والخزان. انظر: تاريخ علماء المستنصرية (٢/ ٢٥١).

وولي جمال الدين عبد الله ابن الناقد صدرًا بالمخزن نقلًا من الحجبة به، وخُلِع عليه في دار أخيه نصير الدين، ورتِّب فخر الدين أحمد ابن الدامغاني مشرفًا عليه نقلًا من إشراف ديوان الزمام[١]، وخلع عليه.

وفيها، توفي أبو عبد الله العباس[٢] ابن الخليفة الظاهر، وتوفِّي أيضًا الشيخ أبو العباس أحمد[٣] بن ثبات الهمامي الواسطي، كان أحد عدول واسط، وتولّى قضاء الهمامية مدة ثم ترك ذلك، وقدم بغداد، وأقام بالمدرسة النظامية نحوًا من أربعين سنة، يقرىء الناس علم الحساب والفرائض، وصنّف في ذلك كتبًا، وكان لا يخرج من المدرسة إلّا لصلاة الجمعة، مضى على ذلك عمره إلى أن توفّي، وكان شيخًا بارد الكلام جدًّا، من يسمع كلامه يخاله أبله، فإذا أملى مسائل الحساب أتى بكل حسن.

وتوفّي مجد الدين محمد بن زعرور[٤]، وكان أولًا يتصرّف في أعمال السواد، ثم رتِّب نائبًا بالجانب الغربي مدة، ثم ولي نظارة واسط وأقام بها سنين، ثم فصل عنها فأقام ببغداد مدة، ثم عيّن عليه صدرًا بنهر عيسى[٥]، ونهر الملك[٦]، وهيت[٧] والأنبار[٨]، وجعل له ديوان مفرد، فكان على ذلك إلى أن توفّي.

---

(١) ديوان الزمام: ذو مهام مالية، يقوم إلى حدٍّ ما بما تقوم به اليوم بعض دوائر وزارة المالية، خاصة مديرية الأملاك والأراضي الأميرية، حيث أن المقطَعين أرضًا كانوا يعاهدون الدولة على أن يدفعوا مبلغًا من المال إلى ديوان الزمام. انظر: الوظائف الإدارية (المورد مجلد ٣ عدد ٤).

(٢) كانت وفاته في خامس عشر المحرم. انظر: العسجد المسبوك (ص ٤٦٢).

(٣) أبو العباس، أحمد بن ثبات الهرمي، نسبة إلى الهرمية من قرى واسط، ذكره ابن الفوطي في التلخيص عرضًا، كما جاء ذكره في كشف الظنون (ص ١١٦٧) باسم جمال الدين أبو العباس أحمد بن علي بن غات (كذا)، وصنف «عمدة الرائض وعدّة القارض».

(٤) مجد الدين، محمد بن زعرور البغدادي الكاتب، ترجمه المؤلف في الجزء الخامس من تلخيص مجمع الآداب (ص ٢٣٣) قال: ذكره شيخنا تاج الدين ابن الساعي في تاريخه، وذكر من سيرته وأحواله ما يفيد أنه تولّى ديوان المفرد سنة ٦٢٩ هـ.

(٥) نهر عيسى: ابن علي بن عبد الله بن عباس، وهي كورة وقرى كثيرة وعمل واسع في غربي بغداد، يعرف بهذا الاسم، ومأخذه من الفرات عند قنطرة دمما. انظر: معجم البلدان (٥/ ٣٢١)، وتاريخ بغداد (١/ ١١٢).

(٦) نهر الملك، كورة واسعة ببغداد بعد نهر عيسى. يقال إنه يشتمل على ثلاثمائة وستين قرية. معجم البلدان (٥/ ٣٢٤).

(٧) هيت: بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار، ذات نخل كثير وخيرات واسعة. انظر معجم البلدان (٥/ ٤٢١).

(٨) مدينة الأنبار: مدينة على الفرات في غربي بغداد، بينهما عشر فراسخ جددها أبو العباس السفاح=

وتوفي تاج الدين أبو الحسن علي ابن الأنباري الواسطي، وُلِد بواسط وخدم في أعمالها، ثم قدم بغداد وخدم ناظرًا في ديوان العقار، ثم رتّب ناظرًا بديوان واسط، ثم عزل ورتّب مشرفًا في البلاد الحلية مدة، ثم ناب في أعمال المخزن، ثم ولي إشراف الديوان ثم نقل إلى صدرية ديوان الزمام، فلم يزل على ذلك إلى أن مات، وكان ظالمًا متحيفًا.

وفيها، توفي أبو عبد الله محمد بن يحيى بن فضلان[1]، كان فقيهًا عالمًا، درس بعد أبيه بمدرسة فخر الدولة بن المطلب، ورتّب كاتبًا بدار التشريفات، ثم تولى تدريس المدرسة النظامية والنظر في أوقافها إضافة لدار التشريفات، ثم عزل عن النظامية خاصّة، وتوفر على خدمته بدار التشريفات وتدريس «دار الذهب»[2] ورفع الطرحة، ثم قلّد قضاء قاضي القضاة، وردّ إليه النظر في ديوان الحسبة[3] والنظر في أوقاف المدارس والأربطة، فلم يزل على ذلك إلى أن توفّي[4] الخليفة الناصر لدين الله، فلما بويع الظاهر بأمر الله[5] عزله، فلزم منزله لا يخرج منه إلا لصلاة الجمعة، ثم استدعي وولي نظارة المارستان العضدي، فكان على ذلك شهورًا، ثم عزل نفسه ولزم بيته إلى أن استدعي وولي النظر بديوان الجوا واستيفاء ثروات أهل الذمّة، ثم وُلي تدريس «مدرسة الأصحاب»[6]، فتردد إليها مدة ثم تركها، وتوفر على

= وأقام بها إلى أن مات. انظر معجم البلدان (١/ ٢٥٧).

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) دار الذهب: هي مدرسة فخر الدولة بن المطلب.

(٣) الحسبة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ على يد الخارج عن طريق الصلاح في معيشته وصناعته. انظر: صبح الأعشى (٤/ ٣٧)، وتاريخ علماء المستنصرية (٢/ ٢٦٢).

(٤) وذلك في سنة (٦٢٢ هـ).

(٥) أبو نصر محمد بن أحمد بن الحسن المستضيء العباسي، ولد سنة ٥٧١ هـ، أمر والده الناصر بأن يخطب له بولاية العهد سنة ٥٨٥ هـ، وقطع الخطبة سنة ٦٠١ هـ، وأعيدت له سنة ٦١٨ هـ، وولي الخلافة بعد أبيه سنة ٦٢٢ هـ وكان عدلًا أعاد الأموال المغصوبة، وأبطل المكوس، توفي سنة ٦٢٣ هـ. انظر: تاريخ مختصر الدول (ص ٢٤٢)، والفخري (ص ٢٦٦).

(٦) مدرسة الأصحاب: بناها لأصحاب الشافعي على شاطىء دجلة بباب الأزج علي بن محمد الدريني المعروف بثقة الدولة ابن الأنباري، ولد سنة ٤٧٥ هـ، وقربه الخليفة المقتفي، وتزوّج شهدة الكاتبة المعروفة بفخر النساء، ابنة أبي نصر أحمد بن الفرج الأبري، وتوفي سنة ٥٤٩ هـ. انظر: وفيات الأعيان (٢/ ٤٧٨)، وعيون التواريخ (١٢/ ٤٨٩).

ديوان الجوالي ثم نفذ في رسالة إلى ملك الروم، فلما عاد رتب مدرس الطائفة الشافعية بالمدرسة المستنصرية، فكان على ذلك إلى أن توفي.

حُكِيَ عنه أنه كتب للخليفة الناصر لدين الله لما كان يتولّى ديوان الجوالي رقعة طويلة يقول فيها: مذهب الشافعي رضي الله يقضي أنّ المأخوذ من أهل الذمة ـ أعني اليهود والنصارى ـ في كل سنة أجرة عن سكناهم في دار السلام والارتفاق بمرافقها لا يتقدّر في الشرع بمقدار معين في طرف الزيادة، ويتقدّر في طرف النقصان بدينار، فلا يؤخذ من أحد منهم على الإطلاق إقل من دينار، ويجوز أن يؤخذ ما يزيد على الدينار إلى المائة، حسب امتداد اليد عليهم مهما أمكن، فإن رأى أن يتضاعف على كل شخص منهم ما يُؤخذ منه فللآراء الشريفة علوّها في ذلك، وهذا لا يبين عليهم لا في أحوالهم ولا في ذات أيديهم؛ لأن الغالب على جميع التخفيف في القدر المأخوذ منهم، وهم ضروب وأقسام، منهم من هو في خدمات الديوان، وله المعيشة السنية غير بركة يده الممتدّة إلى أموال السلطان والرعيّة من الرشا[1] والبراطيل، ولعلّ الواحد منهم ينفق في يومه القدر المأخوذ منه في السنة، هذا مع ما لهم من الحرية الزائدة والجاه القاطع والترقّي على رقاب خواصّ المسلمين، وقد شاهد العبد وغيره من الفقهاء الحاضرين في المخزن لتناول البر المتقبّل: أن ابن الحاجب قيصر أقام ابن محرز الفقيه من طرف موضع كان به وأقعد مكانه ابن زطينا كاتب المخزن، لمكان خدمته، وقد روي عن عليّ عليه السلام أنه قال: أُمرنا أن لا نساويهم في المجلس، ولا نشيع جنائزهم، ولا نعود مرضاهم، ولا نبدأهم بسلام. وقد كان ابن مهدي استفتى العبد وغيره في تولية ابن ساوا النظر بواسط، فقال له العبد: لا يجوز ذلك، وذكر له قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أبي موسى الأشعري، وذلك أنه عرض عليه حسبة عمل من الأعمال فأعجبته، فقال: «من كاتب هذه؟» وكان عمر جالسًا في المسجد، فقال له أبو موسى: رجل بباب المسجد، فقال عمر: «ما باله لا يدخل المسجد أجُنُبٌ هو؟» قال: لا إنما هو نصرانيّ، فغضب عمر وقال: «أتقربونهم وقد أبعدهم الله؟ وتأتمنونهم وقد خوّنهم الله؟ وترفعونهم وقد وضعهم الله؟ لا يعمل لي هذا عملًا في بلد من بلاد الإسلام». ثم ليس لهم في بلد من الحرمة والجاه والمكانة ما لهم في مدينة السلام، فلو تضاعف المأخوذ منهم مهما تضاعف كان لهم الربح الكثير،

(١) الرشا: بضم الراء وكسرها، مفردها رشوة.

ومنهم الأطباء أصحاب المكاسب الجزيلة، بتردّدهم إلى منازل الأعيان وأرباب الأحوال، ودخولهم على المتوجّهين في الدولة، والناس يتحمّلون فيما يعطون الطبيب زائدًا على القدر المستحق، وهو أمر من قبل المروءات، فلا ينفكّون عن الخلع السنية والدنانير الكثيرة والطرف في المواسم والفصول مع ما يحطون في المعالجات ويفسدون الأمزجة والأبدان، ويخرج الصبي منهم ولم يقرأ غير عشر مسائل حنين[١] وخمس قوائم من تذكرة الكحالين[٢] وقد تقمّص ولبس العمامة الكبيرة وجلس في مقاعد الأسواق والشوارع على دكّة حتى يُعرف، وبين يديه المكحلة والملحدان[٣] يؤذي هذا في بدنه، ويجرب على ذا في عينه، فيفتك من أول النهار إلى آخره ويمضي آخر النهار إلى منزله ومكحلته مملوءة قراضة[٤]، فإذا عرف بقعوده على الدكّة وصار له الزبون قام يدور ويدخل الدور. ومنهم أرباب المعايش، من العطّارين والمخلطين والكسّارين، أصحاب المكاسب الظاهرة والارتفاقات الكثيرة بأموال التجّار المسلمين، وأخذهم من الحجر بالمدّة وما يعفون في ميزان الذهب وميزان الأرطال، وما يغشّون في الحوائج ويدغلون. ومنهم أصحاب الحِرَف والصناعات، من الصاغة وغيرهم، وما يتقلّبون فيه من الذهب والفضّة ويسرقون الذهب ويجعلون عوضه المس[٥] ويعدلونه، ويسرقون الفضة ويجعلون عوض ذلك في المواضع المستورة بحسب احتمالها، تارة قارًا وغير ذلك. ومنهم الجهابذة وما يسرقون في القبض والتقبيض. ومنهم الصيارف واحتجاجهم ببضاعة دار الضرب مع ما لهم من التبسّط في المسلمات والمسلمين وبذل جزيل المال في تحصيل أغراضهم في الفساد ورفاهية العيش والتلذّذ في المآكل والمشارب، ثم ما زالوا على اختلاف الزمان يؤخذون

(١) هو حنين بن إسحق العبادي، الطبيب والمؤرخ والمترجم، كان أبوه صيدلانيًا من أهل الحيرة ورحل هو إلى البصرة، فأخذ العربية عن الخليل بن أحمد، وانتقل إلى بغداد وأخذ الطب عن يوحنّا بن ماسويه وألّف كتبًا كثيرة في الطب والتاريخ، ونقل إلى العربية كتبًا كثيرة عن اليونانية. ومسائل حنين يريد به كتابه «المسائل في العين» وهو مطبوع، توفي سنة ٢٦٠ هـ، وكانت ولادته في سنة ١٩٤ هـ. انظر: وفيات الأعيان (٢/ ٢١٧)، والأعلام (٢/ ٣٢٥) وفيه إشارة إلى مصادر ترجمته.

(٢) تذكرة الكحالين: اسم كتاب لعلي بن عيسى (أحد أطباء القرن التاسع الهجري)، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة اللاتينية (المورد مجلد ١٤ عدد ٤ سنة ١٩٨٥)، الطب وتاريخه عند العرب، د. كمال السامرائي.

(٣) قال الدكتور جواد في حاشيته: «وهو مركب من «ملح» و«دان» كشمعدان».

(٤) القراضة: ما يقرض من الدينار، وكانوا يتعاملون بها (ح. د. جواد).

(٥) المسّ: النحاس.

بالصغار ولبس الغيار الذي أوجبه الشرع عليهم، وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أمراء الأنصار أن يحملوا أهل الذمة على جزّ نواصيهم وأن يختموا أعناقهم بخواتم من رصاص أو حديد، وأن يركبوا على الأكفّ عرضًا، وأن يشدّوا الزنانير على أوساطهم ليتميّزوا بذلك عن المسلمين، وعلى ذلك جرى الأمر في زمن الخلفاء الراشدين، وآخر من شدّد عليهم المقتدي بأمر الله[١] وأجراهم على العادة التي كانت في زمن المتوكّل[٢]، فعلّق في أعناقهم الجلاجل ونصب الصور[٣] والخشب على أبوابهم لتتميّز بيوتهم عن بيوت المسلمين، وأن لا يساوي بنيانهم بنيان المسلمين، وألزم اليهود لبس الغيار والعمائم الصفر، وأمّا النساء فالأزر العسلية، وأن تخالف المرأة منهم بين لوني خفّيها، واحد أسود والآخر أبيض، وأن يجعلوا في أعناقهن أطواقًا من حديد إذا دخلن الحمامات. وأمّا النصارى فلبس الثياب الدكن والفاختية وشدّ الزنانير على أوساطهم وتعليق الصلبان على صدورهم، وإذا أرادوا الركوب لا يمكنون من الخيل، بل البغال والحمير بالبراذع دون السروج عرضًا من جانبٍ واحد، فهٰؤلاء قد حطّ عنهم هذا كله فلا يقابل ذلك بتضعيف ما يُؤخذ منهم، وهؤلاء في أكثر البلاد يلزمون الغيار ولا يتمكّنون من الدخول إلّا في أرذل الصنائع وأرذل الحرف، أمّا في بخارى[٤] وسمرقند[٥] فمنقو الكنف والمجاري ورفع المزابل ومساقط الفضلات هم أهل الذمة، وأقرب البلاد إلينا حلب، وهم بها عليهم الغيار، ومن حكم الشرع أنه إذا أخذت الجزية منهم يدفعها المعطي منهم وهو قائم والآخذ قاعد يضعها في كفّه ليتناولها المسلم من وسط كفّه، تكون يد المسلم العليا ويد

---

(١) المقتدي بأمر الله، أبو القاسم عبد الله ابن الأمير أبي العباس محمد بن عبد الله القائم بأمر الله، ولي الخلافة سنة ٤٦٧ هـ، وتوفي سنة ٤٨٧ هـ، وكان مهابًا شجاعًا، بنى جامع المدينة وحفر كثيرًا من الأنهار والقناطر والمصانع. مختصر الدول (ص ٢١٢).

(٢) المتوكل على الله، جعفر بن هـٰرون بن محمد، الخليفة العباسي، بويع له سنة ٢٣٢ هـ، وفي سنة ٢٣٥ هـ أمر بأخذ النصارى وأهل الذمّة كلهم بلبس الطيالسة العسلية والزنانير وركوب السروج بركب الخشب وبتصيير كرتين على مؤخر السروج وبتصيير زرين على قلانس من لبس منهم قلنسوة مخالفة للون القلنسوة التي يلبسها المسلمون. انظر: تاريخ الطبري (٩/ ١٧١).

(٣) في الطبري (٩/ ١٧٢): وأمر المتوكل أن يجعل على أبواب دورهم صور شياطين من خشب مسمورة، تفريقًا بين منازلهم وبين منازل المسلمين.

(٤) بخارى، من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلّها، افتتحها عبيد الله بن زياد سنة ٥٣ هـ. معجم البلدان (١/ ٣٥٣).

(٥) سمرقند، بلد مشهور قريب من بخارى، فيما وراء النهر، حاصرها سعيد بن عثمان في سنة ٥٥ هـ، وغزاها قتيبة بن مسلم سنة ٨٧ هـ. انظر معجم البلدان (٣/ ٢٤٧).

الذمي هي السفلى، ثم يمد بلحيته ويضرب في لهازمه ويقول له: أدِّ حق الله يا عدوّ الله يا كافر. واليوم منهم من لا يحضر عند العامل بل ينفذها على يد صاحبه. الصابئة قوم من عَبَدة الكواكب يسكنون في البلاد الواسطية لا ذمّة لهم، وكان في قديم الزمان لهم ذمّة، فاستفتى القاهر بالله[1] أبا سعيد الإصطخري[2] من أصحاب الشافعي في حقّهم، فأفتاه بإراقة دمائهم وأن لا تقبل منهم الجزية، فلما سمعوا بذلوا له خمسين ألف دينار فأمسك عنهم، وهم اليوم لا جزية عليهم ولا يُؤخذ منهم شيء، وهم في حكم المسلمين والأمر أعلى.

فلما وقف الخليفة على رقعته لم يعد عنها جوابًا، ولما توفي ابن فضلان رتب عوضه في تدريس المدرسة المستنصرية قاضي القضاة أبو المعالي عبد الرحمٰن بن مقبل الواسطي مضافًا إلى القضاء.

وتوفي علي بن إبراهيم ابن الأنباري، الذي كان صاحب الديوان.

سنة اثنتين وثلاثين وستمائة

فيها، رتب فخر الدين أبو سعيد المبارك[3] ابن المخرمي وكيل باب طراد[4] والنظر بدار التشريفات عوض علي ابن العنبري[5] نقلًا من نيابة ديوان الزمام.

وفيها، عزل الأمير شمس الدين علي[6] بن سنقر الطويل عن الإمارة ولزم بيته وقصر نفسه فيه.

---

(١) القاهر بالله، أبو منصور محمد بن أحمد ابن المعتضد الخليفة العباسي، ولي الخلافة سنة ٣٢٠ هـ وخلع منها سنة ٣٢٢ هـ، وسملت عيناه، وتوفي سنة ٣٣٩ هـ. (مختصر التاريخ ص ١٧٦).

(٢) أبو سعيد الإصطخري: الحسين بن أحمد الشافعي، كان زاهدًا متقلّلًا فقيهًا، وُلد سنة ٢٤٤ هـ وولّاه المقتدر قضاء سجستان، تمّ حبسه ببغداد، وتوفي سنة ٣٢٨ هـ. انظر: طبقات الشافعية للإسنوي (٤٦/١).

(٣) المبارك بن يحيى بن المبارك ابن المخرمي، فخر الدين البغدادي، تولى النظر بدار التشريفات ووكالة باب طراد، ونقل إلى صدرية المخزن ثم إلى صدرية ديوان الزمام، ثم عزل ووكل به سنة ٦٤٣ هـ، وانتقل إلى رباط الحريم وأقام به، وبعد احتلال بغداد سنة ٦٥٦ هـ ولي صدرية نهر دجيل والمستنصري (وسيذكر المؤلف ذلك)، وتوفي سنة ٦٦٤ هـ. انظر: تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٣ ص٢٩٢).

(٤) باب طراد: أحد أبواب سور دار الخلافة. انظر: دليل خارطة بغداد (ص ١٦٠).

(٥) علي بن مقبل، المعروف بابن العنبيري، سيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٦٣٧ هـ.

(٦) شمس الدين علي بن الأمير فلك الدين سنقر المتوفى سنة ٥٩٦ هـ، وجعل علي أميرًا بعد وفاة أبيه وتزوج بابنة كبير الأمراء الناصرية عز الدين نجاح الشرابي. انظر أخباره في الجامع المختصر=

وفيها، تقدم بإحضار جماعة من الولاة وأرباب الدولة إلى دار الوزارة، ثم جماعة من التجار والصيارف وأحضرت دراهم فضّة وأُلقيت على نطع بين يدي نصير الدين، ثم نهض قائمًا والجماعة وعرفهم أن الخليفة أنعم في حقّ رعيّته، وأنقذهم من التعامل بالحرام وتجنّب الآثام، وأغناهم عن الصرف المشتمل على الرّبا بالمعاملة بهذه الدراهم عوضًا عن القراضة، وقرّر سعرها كل عشرة دراهم بدينار، وأعطى الصيارف منها ما يعاملون الناس به[١].

وفيها، ختم[٢] الأمير أبو أحمد عبد الله ولد الخليفة المستنصر بالله القرآن المجيد على مؤدبه العدل أبي المظفر علي بن النيار وأحضر له خلعة: قميص أطلس وبقيار قصب بمغربي، فامتنع من لبسه تورّعًا، لما ورد في ذلك من النصّ الدال على التحريم، وأحضر له قميص مصمت غزلي وبقيار قصب بحرير وأنعم عليه بألفَيْ دينار وفرس عربي، وخلع على ولدٍ له صغير وأُعطي مائتي دينار وأنفذ إلى داره ما حمله اثنان وأربعون حمّالًا، ثم عملت دعوة عظيمة بلغت الغرامة عليها عشرة آلاف دينار، ثم خلع على وكيله العدل عبد الوهاب بن المطهر وعلى ولده وعلى جميع الخدم والحاشية.

وفيها، نُقِل تاج الدين علي ابن الدوامي من ديوان عرض الجيش إلى صدرية ديوان أربل وخلع عليه وتوجّه إليها.

وفيها، وَلِيَ قطب الدين سنجر[٣] الناصري شحنكية بغداد.

ووصل رسول من بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، ومعه تحف وألطاف وكراع كثير، وسأل تزويج ابنته بمجاهد الدين أيبك[٤] الخاص المستنصري المعروف

= (ص ٢٨ و١١٠ و٢٤٨).

(١) انظر الخبر في: العسجد المسبوك (ص ٤٦٥)، وقد ورد فيه شعر للقاسم بن أبي الحديد والقاضي محمد بن أبي الفضل في مدح الخليفة بهذه المناسبة، وشذرات الذهب (٥/ ١٤٧)، وتاريخ الخلفاء (ص ٤٦٢)، والعبر (٥/ ١٢٧).

(٢) ويصطلحون عليها بالختمة، وهي لفظة مولدة، تستعمل عند القراء، واللفظ المعروف اليوم في العراق يطلق عندما ينتهي الصبية من حفظ القرآن الكريم.

(٣) قطب الدين، أبو الحارث سنجر بن عبد الله، يعرف بالخلاطي، الناصري، قال ابن الفوطي في التلخيص (ج ٤ ق ٣ ص ١٤٣): «كان أميرًا مقدامًا هيوبًا، وكانت بغداد قد كثر اللصوص بها وغرهم حلم المستنصر بالله، فوقع التعيين عليه فرتب شحنة بجانبي بغداد وأطلقت يده في المفسدين، فاستقام به البلد، وكانت وفاته سنة ٦٤٠ هـ».

(٤) سيرد ذكره كثيرًا في هذا الكتاب، وكان من كبار الأمراء، بنى المدرسة المجاهدية، (وسيذكر =

بالدويدار الصغير، فأحضر قاضي القضاة أبو المعالي عبد الرحمٰن بن مقبل ونائباه عبد الرحمٰن بن عبد السلام[١] ابن اللمغاني وعبد الرحمٰن بن يحيىٰ التكريتي[٢]، وحضر مجاهد الدين الدويدار ومعه جماعة كبيرة من خدم الخليفة وأصحاب الشرابي وحاشية البدرية وجلس عن يمين نصير الدين نائب الوزارة وخطب الخطيب أبو طالب الحسين[٣] ابن المهتدي بالله خطبة النكاح وتولّى العقد القاضي ابن اللمغاني، وكان وكيل بدر الدين لؤلؤ رسوله أمين الدين لؤلؤ، والصداق مبلغه عشرون ألف دينار، وكتب كتاب الصداق في ثوب أطلس أبيض، وعملت دعوة عظيمة، ثم نهض مجاهد الدين، وخلع نصير الدين على من باشر العقد من القضاة والشهود والخطيب والوكلاء[٤]، وفي هذا الأملاك أنشد جماعة من الشعراء، منهم: عبد الحميد بن أبي الحديد أنشد أبياتًا يقول فيها[٥]:

أهلًا بيوم حسن المنظر قد قرن الزهرة بالمشتري
لا سيّما ظلّ إمام الهدى شمس الوجود النيّر الأكبر

وفيها، عُزل فخر الدين أبو طالب أحمد ابن الدامغاني عن إشراف الديوان، فلزم منزله.

وفيها، قتل رجل نصراني كان يسكن في درب الشاكرية، قتله غلام له وأظهر أنه قد سافر، فطال العهد بذلك، والغلام في داره يتصرّف فيها على حسب إيثاره، فارتيب به فأخذ وقرّر بالضرب فاعترف بأنه قتله وألقاه في بئر داره، فوقع الاقتصار

= المؤلف ذلك)، قتل صبرًا سنة ٦٥٦ هـ بأمر هولاكو. انظر: العسجد المسبوك (ص ٦٣٣).

(١) أبو الفضل، عبد الرحمٰن بن عبد السلام اللمغاني، نسبة إلى لمغان، وهي كورة تشتمل على عدة قرى في جبال غزنة، كانت من بيت القضاء والفقه، استنابه أبو صالح نصر الحنبلي ثم ناب عن قاضي القضاة عبد الرحمٰن بن مقبل، ثم ولي قضاء القضاة، فلم يزل على ذلك إلى أن توفي سنة ٦٤٩ هـ، وعمره ست وثمانون سنة. انظر: العسجد المسبوك (ص ٥٨٤)، البداية والنهاية (١٨١/١٣)، تلخيص مجمع الآداب (ج ٥ ص ١٩٥).

(٢) تقدمت ترجمته في حوادث سنة ٦٣١ هـ.

(٣) الحسين بن أحمد بن علي بن المهتدي بالله العباس، ولي الخطابة بجامع القصر سنة ٦٠١ هـ، ونقابة العباسية سنة ٦٣٥ هـ، له ذكر في الجامع المختصر، والعسجد المسبوك (ص ٤٨٠)، والبداية والنهاية (٥/١٣)، وسيرد ذكره في مواضع أخرى من هذا الكتاب.

(٤) انظر خبر ذلك في: العسجد المسبوك (ص ٤٦٥).

(٥) البيتان في العسجد المسبوك (ص ٤٦٦).

على تخليده السجن؛ لأن الغلام كان مسلمًا، عملًا بمذهب «الشافعي وأحمد» في ذلك.

وفيها، رتب الأوحد الكرماني[١] الصوفي شيخًا للصوفية برباط المرزبانية[٢] وخلع عليه وأعطي بغلة ونفذ معه حاجب إلى هناك، وهو شيخ حسن السمت، متكلّم بلسان أهل الحقيقة وأرباب الطريقة، قدم بغداد ونزل بجامع ابن المطلب وكان الناس يقصدونه ويحضرون عنده من الفقراء والصوفية، فاشتهر ذكره.

وفيها، عزل أمير الحاج قيران الظاهري عن إمارة الحاج خاصة، وولي عوضه الأمير حسام الدين أبو فراس بن جعفر بن أبي فراس وحجّ بالناس في هذه السنة.

وفيها، توفي الشيخ شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي الصوفي الواعظ، ولد بسهرورد[٣] ونشأ بها، وقدم بغداد واستوطنها، وهو ابن أخي الشيخ أبي النجيب السهروردي، صحبه كثيرًا وعنه أخذ علم الصوفية والوعظ ومعرفة الحقيقة والطريقة، وصنّف في شرح أحوال الصوفية كتابًا حسنًا وتكلّم في الوعظ بباب بدر ومدرسة عمّه أبي النجيب وتولّى عدة ربط للصوفية، منها رباط الزوزني[٤] ورباط المأمونية[٥]، وبنى له الخليفة الناصر لدين الله رباطًا بالمرزبانية على نهر عيسى، وبنى إلى جنبه دارًا واسعة وحمامًا وبستانًا يسكنها بأهله ونفذه الخليفة رسولًا إلى عدّة جهات، وكان الملوك الذين يرد عليهم يبالغون في إكرامه وتعظيمه واحترامه اعتقادًا فيه وتبرّكًا، ودفن في الوردية[٦] في تربة عملت له هناك على جادة

(١) الأوحد الكرماني، هو أبو حامد محمد بن أبي الفخر بن أحمد الكرماني، ولد سنة ٥٦١ هـ، وورد إربل واجتمع بمظفر الدين كوكبري، وتوفي سنة ٦٣٥ هـ. انظر: تاريخ إربل (١/ ٣٠٤).

(٢) ويسمّى في بعض الأحيان برباط الشيخ شهاب الدين، بناه الناصر لدين الله بالجانب الغربي على نهر عيسى بالمرزبانية، وسمه إلى الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد الشهروردي، فسكنه مع جماعة من الصوفية. انظر: الجامع المختصر (ص ٩٩)، ودليل خارطة بغداد (ص ١٨٥).

(٣) سهرورد: بلدة قريبة من زنجان بالجبل، مراصد الاطّلاع (٢/ ٧٦).

(٤) رباط الزوزني، منسوب إلى أبي الحسن علي بن محمد الصوفي الزوزني المتوفّى سنة ٤٥١ هـ. (المنتظم ٨/ ١٢٤).

(٥) هو رباط زمرد خاتون بالجانب الشرقي.

(٦) الوردية: مقبرة ببغداد بعد باب أبرز من الجانب الشرقي قريبة من باب الظفرية. معجم البلدان (٥/ ٣٧١).

سور الظفرية[١]، ومات عن اثنتين وتسعين سنة ولم يخلف شيئًا من عروض الدنيا بعد أن حصل له منها الشيء الكثير، فأخرجه جميعه لأنه كان كريم النفس وكان مهيب الشكل طيّب الأخلاق كثير العبادة.

وتوفي عبد السلام[٢] بن أبي عصرون التميمي الحلبي الفقيه الشافعي المفتي المدرس، من بيت مشهور بالعلم والقضاء والرئاسة والتقدم عند الملوك بحلب، كان فاضلًا ذا أموال فائضة، وعنده سعة نفس، وكان يقول الشعر.

وتوفي أبو سليمان داود بن يوسف[٣] بن أيوب بن شادي المعروف بالملك الزاهر صاحب البيرة[٤].

وتوفي أبو حفص عمر[٥] بن محمد بن أبي نصر الفرغاني الفقيه الحنفي شيخ صالح قدم بغداد وأقام بها مدة برباط الزوزني المجاور لجامع المنصور، ثم انحدر إلى واسط وأقام عند بني الرفاعي سائحًا متعبّدًا، وانتفع به بنو الرفاعي واشتغلوا عليه، ثم عاد إلى بغداد بعد سنين وأصعد إلى سنجار[٦]، فأقام بها مدة يقرأ عليه في جامعها الفقه والأدب، ثم عاد إلى بغداد وأقام برباط العميد مدة ثم ندب إلى تدريس الطائفة الحنفية لما فتحت المدرسة المستنصرية، فلم يزل بها إلى أن مات. قيل دخل إليه

---

(١) الظفرية، بالتحريك، محلة بشرقي بغداد كبيرة، وفي جانبها محلة أخرى كبيرة، يقال لها قراح ظفر، وهي في قبلي باب أبرز، والظفرية في غربيه - قال ياقوت -: أظنهما منسوبتين إلى ظفر أحد خدم دار الخلافة. معجم البلدان (٤/ ٦١).

(٢) انظر: شذرات الذهب (٥/ ١٤٩) وفيه: عبد السلام بن المطهر بن أبي سعد بن عصرون، والبداية والنهاية (١٣/ ١٤٣) وفيه: ابن المطهر بن عبد الله بن محمد بن عصرون، مات بدمشق ودُفن بقاسيون. وانظر: العبر (٥/ ١٢٨).

(٣) الملك الزاهر داود مجير الدين بن يوسف صلاح الدين الأيوبي، ولد بالقاهرة سنة ٥٧٣ هـ، وهو الثاني عشر من أولاد صلاح الدين، تملك البيرة، وكان أديبًا شاعرًا فاضلًا يحب العلماء وأهل الأدب ويقرّبهم. انظر: وفيات الأعيان (٢/ ٢٥٧)، والعبر (٥/ ١٢٨)، وشذرات الذهب (٥/ ١٤٨).

(٤) البيرة: قلعة بالقرب من سمسياط من ثغور الروم على الفرات من جانب الجزيرة الفراتية، أقطعها للملك الزاهر أخوه الظاهر، فلما توفي توجّه إليها الملك العزيز بن الظاهر فملكها. انظر: وفيات الأعيان (٢/ ٢٥٨)، ومعجم البلدان (١/ ٥٢٦).

(٥) ذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٣١ هـ عند فتح المدرسة المستنصرية، انظر الحاشية.

(٦) سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام. انظر معجم البلدان (٣/ ٢٦٢).

الشيخ محمد ابن الرفاعي فصبحه غلطًا وكان مساء، فقال ارتجالًا[١]:

أتاني مساءً نورُ عيني ونزهتي فـفـرّج عـنـي كـربـتـي وأزاحـا
فـصبّحته عند المساء لأنه بطلعته ردّ المساء صباحا

ذكر فتح المدرسة الشرقية الشرابية بواسط

وفي هذه السنة في سابع عشر شعبان، فُتِحت المدرسة التي أمر بإنشائها شرف الدين أبو الفضائل إقبال الشرابي للشافعية بالجانب الشرقي من واسط على دجلة مجاورة لجامع كان دائرًا، فأمر بتجديد عمارته، ورتّب به مدرس العدل أحمد بن نجا الواسطي ورتّب بها معيدان واثنان وعشرون فقيهًا وخلع على الجميع وعلى من تولّى عمارتها من النوّاب والصنّاع والحاشية الذين رتّبوا لخدمتها وعمل فيها دعوة حسنة حضرها صاحب الديوان ابن الدباهي والناظر بواسط والقاضي والنقيبان والقرّاء والشعراء، وكان المتولّي لعمارتها والذي جعل النظر إليه وإلى عقبه في وقفها أبو حفص عمر[٢] بن أبي بكر بن إسحٰق الدورقي.

سنة ثلاث وثلاثين وستمائة

في المحرم، وصل الملك الناصر ناصر الدين داود[٣] ابن الملك المعظّم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب إلى بغداد واجتاز بالحلّة السيفية وبها الأمير شرف الدين علي بن جمال الدين قشتمر زعيم الحلّة، فتلقّاه بالإكرام والمدّ والإقامات وعمل له دعوة عظيمة بلغ الخرج عليها زيادة على اثني عشر ألف دينار،

---

(١) البيتان في العسجد المسبوك (ص ٤٦٧).

(٢) أبو حفص عمر بن أبي بكر إسحٰق الدورقي، فخر الدين، سيذكر المؤلف وفاته في سنة ٦٤٨ هـ، كان يتولى أشغال أمراء البيات وينوب عنهم، وعيّنه إقبال الشرابي في تدبير أموره وأمور جنده، وكان كثير المال، بنى جامعًا ومدرسة ورباطًا بواسط. انظر: تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٣ ص ٢٦٧).

(٣) ورد خبر وصوله في العسجد المسبوك (ص ٤٧٠)، والملك الناصر ولد سنة ٦٠٣ هـ، ملك دمشق بعد أبيه ثم أخذها منه عمه الأشرف فتحوّل إلى الكرك، فملكها إحدى عشرة سنة، ثم أخذها منه الملك الصالح صاحب مصر، وتوفي سنة ٦٥٦ هـ. انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٤٩٦)، والشذرات (٥/ ٢٧٥)، وفيه نماذج من شعره، والعبر (٥/ ٢٢٩) وفيه: أنه ملك الكرك إحدى وعشرين سنة، وعيون التواريخ (٢٠/ ١٦٨)، وذيل المرآة (١/ ١٢٦)، والبداية والنهاية (١٣/ ٢١٤)، وشفاء القلوب (٢٨٦).

ثم توجّه منها إلى بغداد فخرج إلى لقائه النقيب الطاهر قطب الدين أبو عبد الله الحسين ابن الأقساسي وخادمان من خدم الخليفة وجميع الحجّاب والدُّعاة، فدخل وقبّل عتبة باب النوبي ثم قصد دار الوزارة ولقي نصير الدين نائب الوزارة، فاحترمه وبجّله وخلع عليه خلعة أحضرت من المخزن، وهي قباء أطلس وسربوش[١] وقدم له فرس عربي بمركب ذهبًا وأسكن في دار بمحلة المقتدية[٢] تُعرف بمعد[٣] الموسوي.

وسبب قدومه إلى بغداد أنه كان قد ملك دمشق بعد وفاة أبيه الملك المعظّم بعهد منه له، فقصده عماه الكامل أبو المعالي محمد[٤] صاحب مصر يومئذ والأشرف أبو الفتح موسى ابنا العادل أبي بكر، والأشرف حينئذٍ صاحب حرّان والرّها وخلاط وغير ذلك، ونزلا بعساكرهما ظاهر دمشق محاصرين لها، وأقاما على ذلك شهورًا، وذلك في سنة ستّ وعشرين وستّمائة، فلما طال حصار البلد وضاق على أهله وكَثُر عبث العساكر وفسادهم وتخريبهم نزل ناصر الدين على حكمهما وفتح لهما البلد وخلّاه[٥]، فلما تمكّنا من البلد سيّراه إلى الكرك[٦] في جماعة من أصحابه، فحضر لينهي حاله إلى الخليفة، فوعده بإصلاح أمره، ثم أنفذ إليهما في المعنى فأجابا إلى ذلك وسأل ناصر الدين في مدّة إقامته ببغداد أن يحضر المدرسة المستنصرية، فأمر الخليفة بعمل دعوة وإحضار فقهاء المدارس، ثم حضر ناصر الدين فجلس على طرف إيوانها الشمالي ووقف مماليكه وأصحابه في ربعي المالكية والحنفية، ووقف عند كل طائفة

---

(١) في العسجد المسبوك (شربوس) وهو قلنسوة طويلة معربة عن «س» و«بوش» أي غطاء الرأس، وهو يشبه التاج على شكل مثلث يوضع على الرأس بغير عمامة، وهو خاص بالأمراء. انظر: دوزي المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب (ص ١٨٤).

(٢) المقتدية: وهي المحلة التي استحدثها المقتدي بالله العباسي، وهي اليوم على ما حقّقه مؤلفا «دليل خارطة بغداد ص ١٧٦»، محلة تحت التكية والقسم الغربي من محلة قنبر علي.

(٣) معد الموسوي، هو شرف الدين معد بن الحسين الموسوي العلوي المتوفّى سنة ٦١٧ هـ، من رجال الناصر لدين الله، بنى داره في الجانب الشرقي بالمحلة المقتدية. انظر: الجامع المختصر (ص ٢٦٥)، ودليل خارطة بغداد (ص ١٩٧).

(٤) ولد الكامل سنة ٥٧٦ هـ، وملك مصر ثلاثين سنة، وكان له الأثر المحمود في استعادة دمياط من الإفرنج، توفي في دمشق سنة ٦٣٥ هـ (وسيذكر المؤلف ذلك)، وكان أديبًا بليغًا مقرّبًا للعلماء ورواة الحديث، عادلًا شديدًا، شنق بعض الأجناد لأنهم أخذوا شعيرًا لبعض الفلاحين بآمد. انظر: البداية والنهاية (١٣/ ١٤٩)، والعسجد المسبوك (ص ٤٨٢)، والشذرات (٥/ ١٧٣)، والعبر (٥/ ١٤٤)، والوفيات (٥/ ٧٩)، وتتمة المختصر (٢/ ٢٤٣).

(٥) انظر تفاصيل الحصار والصلح في: الذيل على الروضتين (ص ١٥٤ ـ ١٥٦).

(٦) كرك: اسم لقلعة حصينة جدًا في طرف الشام من نواحي البلقاء، معجم البلدان (٤/ ٤٥٣).

حاجب وحضر قرّاء الديوان وقُرئت الختمات وأنشد جماعة من الفقهاء قصائد، ثم قدِّم المشروب وبعده أنواع الأطعمة فتناول ناصر الدين من ذلك بعد أن قبّل الأرض مرارًا، فلما فرغوا من ذلك انصرف إلى داره.

وفي ثامن عشر شعبان، تقدّم إلى أبي الفرج عبد الرحمٰن ابن الجوزي بالجلوس في الرباط المجاور لمعروف الكرخي[١] المقابل لتربة واقفته[٢] وحضر ناصر الدين، ولما انقضى المجلس مدّ سماط[٣] عظيم ثم خلع عليه في حادي عشرية في دار الوزارة وقدم له فرس عربي بمركب ذهبًا ومشدّة وأعطي علمًا بمشاد وجفتايين[٤]، وخلع على جميع أصحابه وأتباعه ومماليكه وأعطي عدّة أرؤس من الخيل وثيابًا كثيرة وخمسة وعشرين ألف دينار وخمسين جملًا وكراعًا كثيرًا وآلات ومفارش وغير ذلك، وتوجّه إلى مستقرّه وقد أُصلحت الحال بينه وبين عمّيه الكامل والأشرف.

وفي سلخ ربيع الأول، وصل[٥] الأمير ركن الدين إسمٰعيل بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل إلى بغداد، وخرج إلى لقائه النقيب الطاهر الحسين ابن الأقساسي وخادمان من خدم الخليفة وموكب الديوان، فلقيه بظاهر البلد ودخل معه إلى باب النوبي، فقبّل العتبة ودخل إلى نصير الدين نائب الوزارة، فأكرمه وخلع عليه قباء[٦] أطلس وسربوش شاهي وقدّم له فرسًا بعدة كاملة وأُسكن دار الأمير علي بن سنقر الطويل بدرب فراشا، وأسكن الأمراء الذين كانوا صحبته في دور، وبعد أيام قصد

---

(١) معروف بن فيروز الكرخي، أبو محفوظ، أحد الزهّاد المتصوّفين، كان مولى للإمام علي الرضا بن موسى الكاظم، ولد بالكرخ، ونشأ وتوفي ببغداد سنة ٢٠٠ هـ، واشتهر بالصلاح فقصده الناس، وعند تربة الشيخ معروف منارة المسجد، وهي من أجمل المنائر البغدادية اليوم. العبر (٥/ ٣٣٥)، والوفيات (٥/ ٢٣١)، وشذرات الذهب (١/ ٣٣٥)، والأعلام (٨/ ١٨٥)، وفيه إشارة إلى مصادر ترجمته الأخرى.

(٢) هي زمرد خاتون، أم الخليفة لناصر لدين الله، بنت في تربة الشيخ معروف مدرسة ورباطًا، توفيت سنة ٥٥٩. انظر: ابن الأثير، الكامل سنة ٥٥٩ هـ.

(٣) السماط: بكسر السين، ما يمد ليوضع عليه الطعام في المآدب، وفي اللهجة العراقية الدارجة اليوم: يعبر به عن الطعام، ويلفظ بالصاد (صماط) بتسكين الصاد.

(٤) كذا في الأصل.

(٥) ورد الخبر في العسجد المسبوك (ص ٤٧١).

(٦) القباء: لباس خارجي للرجال، وهو مفتوح من جهته الأمامية، وهو شبيه إلى حدّ كبير بالزيّ الوطني العراقي (الزبون) في أيامنا هذه، وانظر: المعجم المفصل بأسماء الملابس العربية (ص ٢٨٤).

زيارة أخته زوجة الأمير علاء الدين أبي شجاع الطبرسي الدويدار، فعمل له دعوة جميلة عمت جميع أصحابه وخلع عليه وأعطاه أحد عشر رأسًا من الخيل العربيات وعشر جون[١] فيها من أنواع الثياب وخمسة آلاف دينار، وخلع على جميع أصحابه وأتباعه ومماليكه.

وفي سابع عشر ربيع الآخر، حضر بالبدرية عند شرف الدين إقبال الشرابي فخلع عليه وعلى جميع أصحابه ووصله بذهب كثير وخيل وتُحف وهدايا.

وفي العشرين من الشهر، حضر في دار نصير الدين نائب الوزارة فخلع عليه وقلّد سيفًا وأعطي فرسًا بعدة كاملة، وخلع على جميع أصحابه وأنعم عليه بقدر صالح من العين برسم نفقة الطريق، ثم توجّه مصعدًا في ثامن عشر الشهر، وفي مدة مقامه ببغداد عملت له دعوة في رباط الخلاطية، فحضر هناك وتفرّج في الرباط، ثم عملت له دعوة أخرى في رباط والدة[٢] الخليفة الناصر لدين الله، ثم عملت له دعوة أخرى في المدرسة المستنصرية فحضر وجلس على إيوانها وقرأ القرّاء وذكر المدرّسون الدروس، ثم طيف به في رواقها[٣].

وفيها، عُزِل علي[٤] بن غزالة المدائني عن النظر بواسط، وولي عوضه علي[٥] بن الشاطر الأنباري وولي الأمير بكتين الناصري شحنكيتها.

---

(١) مفردها: الجونة، وهي سليلة مستديرة مغشاة أدمًا تكون مع العطّارين. مختار الصحاح (ص ٨٨).

(٢) ذكرنا أنها زمرد خاتون.

(٣) الرواق: الصحن تحيط به الأواوين المزخرفة، وجوهها وبطونها والحجرات والفرقان المزخرفة أعالي أبوابها.

(٤) قوام الدين، أبو الحسن علي بن محمد بن غزالة المدائني الكاتب، ذكره ابن الفوطي في التلخيص (ج ٤ ق ٤ ص ٨١٣) قال: ذكره شيخنا تاج الدين في تاريخه، وقال: في شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وستمائة صرف يحيى بن المرتضى النيلي عن النظر بديوان واسط وولي عوضه قوام الدين علي بن محمد بن غزالة، وخلع عليه، ثم عزله الصاحب تاج الدين معلى ابن الدباهي. وفي رجب سنة (٤١) رتب قوام الدين صدرًا بديوان تستر وحكم في جميع بلاد خوزستان.

(٥) علي بن الشاطر الأنباري الكاتب، تاج الدين، وسيذكر المؤلف ألقابًا أخرى له فيما سيأتي، وقد ورد ذكره في التلخيص في الجزء الخامس، باسم شمس الدين كما ورد ذكره استطرادًا في (ج ٤ ق ٤ ص ٨١٤) منه.

وفيها، وصل الفقيه عبد الله[١] بن عبد الرحمـٰن بن عمر المغربي الأصل الشرمساحي المولد الإسكندراني المنشأ والدار، إلى بغداد ومعه أهله وولده وجماعة من الفقهاء المالكية، فلقي القبول من الديوان، ثم أحضر دار الوزارة وأحضر جميع المدرّسين فذكر مسألة تفرع منها عدّة مسائل على مذهب الإمام مالك بن أنس، وبحثت الجماعة معه واستجادوا كلامه فخلع عليه وأعطي بغلة بعدّة كاملة أسوةً بالمدرسين بالمدرسة المستنصرية، وتقدم بحضور أرباب الدولة والمدرسين بسائر المدارس والفقهاء فحضروا، فخطب خطبة بليغة وذكر اثني عشر درسًا وختمها بدرس من الوعظ وأعربت دروسه عن فضل ظاهر، وجعل له في كل رجب مائة دينار، وخلع على أخيه[٢] وجعل معيدًا لدرسه، ثم خلع على الفقهاء الذين وصلوا صحبته وأثبتوا.

وفي ربيع الآخر، نقل القاضي فخر الدين أبو سعيد المبارك ابن المخرمي من وكالة باب طراد، ونظره بدار التشريفات إلى صدرية المخزن، وخلع عليه وأعطي مركوبًا بعدّة كاملة، وأنعم عليه بألف دينار وأسكن في الدار المنسوبة إلى الوزير عبيد الله[٣] بن يونس المجاورة للديوان، ورتب علي بن غزالة المدائني مشرفًا عليه ورتّب هبة الله بن خليد كاتبًا معه، وخلع عليهما، ثم نقل فخر الدين ابن المخرمي إلى صدرية ديوان الزمام، ونقل ابن غزالة إلى الإشراف عليه، وخلع عليهما وانحدرا إلى واسط.

واستناب نصير الدين ابن الناقد نائب الوزارة أخاه أبا الفضل في الوكالة[٤].

---

(١) عبد الله بن عبد الرحمـٰن بن عمر، سراج الدين الشرمساحي، نسبة إلى شارمساح. قال ياقوت: قرية كبيرة كالمدينة بمصر، بينها وبين بورة أربعة فراسخ وبينها وبين دمياط خمسة فراسخ، من كورة الدقهلية، المعجم (٣٠٨/٣)، وذكرها ناقبه في «شرمساح»، وسيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٦٦٩ هـ، وفي حسن المحاضرة للسيوطي (٢١٦/١) أنه توفي سنة (٦٦٦ هـ)، وفي التلخيص (ج ٤ ق ١ ص ٥٦٢) أنه توفي سنة ٦٦٨ هـ.

(٢) هو علم الدين أبو العباس أحمد بن عبد الرحمـٰن، رتب مدرسًا للمالكية في المدرسة البشيرية ثم نقل بعد وفاة أخيه (سراج الدين عبد الله) إلى تدريس المستنصرية، وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٧٣ هـ. انظر: تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ١ ص٥٦٢).

(٣) أبو المظفر: جلال الدين عبيد الله بن يونس، استوزره الناصر لدين الله وأرسله صحبة جيش كثيف لمحاربة السلطان طغرل بن أرسلان السلجوقي، فهزم الجيش وثبت هو فأسر، ومكث في الأسر مدة، ثم أطلق فعاد إلى بغداد متخفيًا، ولم تطل مدته بعد ذلك. انظر: الفخري (ص ٢٣٧).

(٤) أي: وكالة الخليفة، وسيذكر المؤلف وفاة أبي الفضل في حوادث هذه السنة.

وفيها، وَلِيَ الأمير سراج الدين سرابة[١] الناصري شحنكية البصرة.

وفيها، تكامل[٢] بناء الإيوان الذي أنشىء مقابل المدرسة المستنصرية وعمل تحته صفة يجلس فيها الطبيب وعنده جماعته الذين يشتغلون عليه بعلم الطب ويقصده المرضى فيداويهم، وبُني في حائط هذه الصفة دائرة وصُوّر فيها صورة الفلك وجعل فيها طاقات لطاف بها أبواب لطيفة، وفي الدائرة بازان من ذهب في طاستين من ذهب ووراءهما بندقتان من شبة[٣] لا يدركهما الناظر، فعند مضيّ كل ساعة ينفتح فما البازين ويقع منهما البندقتان، وكلما سقطت بندقة انفتح باب من أبواب تلك الطاقات، والباب من ذهب فيصير حينئذ مفضضًا، وإذا وقعت البندقتان في الطاستين تذهبان إلى مواضعهما، ثم تطلع أقمار من ذهب في سماء لازوردية في ذلك الفلك مع طلوع الشمس الحقيقية وتدور مع دورانها وتغيب مع غيبوبتها، فإذا جاء الليل، فهناك أقمار طالعة من ضوء خلفها كلما تكاملت ساعة تكامل ذلك الضوء في دائرة القمر، ثم يبتدىء في الدائرة الأخرى إلى انقضاء الليل وطلوع الشمس فيُعلم بذلك أوقات الصلاة، ونظم الشعراء في ذلك أشعارًا، منها قول أبي الفرج عبد الرحمٰن ابن الجوزي، من أبيات مدح بها الخليفة:

يا أيها المنصور يا مالكًا	برأيه صعب الليالي يهون
شيّدتَ لله ورضوانه	أشرف بنيان يروق العيون
إيوان حسن وضعه مدهش	يحار في منظره الحائرون
صُوّر فيه فلك دائرٌ والشـ	ـمس تجري ما لها من سكون
دائرة من لازورد حكت	نقطة تبرٍ فيه سر مصون
فتلك في الشكل وهذي معًا	كمال هاءٍ ركبت وسط نون

وفيها، حضر عند قاضي القضاة أبي المعالي عبد الرحمٰن بن مقبل الواسطي حاجب الديوان وشافهه بالعزل عن القضاء وتدريس المدرسة المستنصرية، وأمره

---

(١) سراج الدين سرابة الناصري، ذكره في التلخيص (ج ٤ ق ٣ ص ٥١٧) قال: «لما توفي سراج الدين سرابة بالبصرة، أمر الأمير فلك الدين بالتوجه إليها...».

(٢) ورد ذلك في العسجد المسبوك (ص ٤٧١)، وخلاصة الذهب المسبوك (ص ٢١٢).

(٣) من المعادن ما يشبه الذهب في لونه.

بالانتقال من الدار التي سكنها القضاة، ووَلِيَ[1] عوضه أبو الفضل عبد الرحمٰن بن عبد السلام ابن اللمغاني أقضى القضاة.

وفيها، عاد تاج الدين أبو الفتوح علي بن الدوامي من إربل مفارقًا للخدمة بها، وقد تقدم ذكر إصعاده إليها متولّيًا لأعمالها وصدرًا لديوانها، فلما نقل فخر الدين أبو سعيد المبارك ابن المخرمي من صدرية المخزن إلى صدرية ديوان الزمام رتب تاج الدين في صدرية المخزن وخلع عليه وقلّده سيفًا وأمطي فرسًا.

وفيها، وصلت[2] الأخبار من إربل أن عساكر المغول اجتازوا بها قاصدين الموصل فحاربهم عسكر إربل وقتل من الفريقين وجرح جماعة، ثم انفصلوا قاصدين أعمال الموصل، فعاثوا بها أشدّ العيث وقتلوا ونهبوا وأسروا، فأمر الخليفة بتجهيز العساكر والتوجّه إلى تلك الجهة واستنفار الأعراب من البوادي والرجالة من جميع الأعمال، فلما حضروا فرقت عليهم الأموال والسلاح وجعل مقدم العساكر الأمير جمال الدين قشتمر وتوجّهوا، فلما وصلوا دربند بلغهم أن المغول قد عادوا راجعين إلى بلادهم، فرجع حينئذ قشتمر والعسكر إلى بغداد.

وفيها، صُرِف محمد بن الغنم من الوكالة ورتّب عوضه ابن الطبال[3] الدلال، وظهرت منه نجابة ومعرفة وجلادة تامة.

وفيها، توفي أبو عبد الله محمد بن المرشد[4]، شيخ من أهل «المرية»[5] قرية من أعمال البصرة، يعرف الفقه على مذهب الشافعي، تولّى قضاء واسط سنين عديدة في الأيام الناصرية، وولي الإشراف بديوان واسط، وعزل في الأيام المستنصرية، وكان عنده دعابة ومرح وكَيْس وتواضع، قدم بغداد بعد عزله، وهو شيخ طوال قليل البصر، وقصد يومًا كمال الدين عبد الرحيم بن ياسين فطرق الباب، فقال: مَنْ بالباب؟ فقال: ثلاثة عميان، فأذن له، فلما دخل رآه وحده فاستفسره عما قال، فقال: أنا الثلاثة العميان، لأني غريب والغريب كما يقال أعمى، وطالب حاجة، وطالب الحاجة أعمى لا يرى إلّا قضاءها، والعمى الحقيقي

---

(١) ورد الخبر في العسجد المسبوك (ص ٤٧٣). (٢) انظر: العسجد المسبوك (ص ٤٧٠).

(٣) تقي الدين عبد الرحمٰن بن الطبال، سيذكر المؤلف أن المغول قتلوه صبرًا سنة ٦٥٦ هـ. وانظر: العسجد المسبوك (ص ٦٤٠).

(٤) محمد بن المرشد البصري، ورد ذكره في الجامع المختصر (ص ٢٠٣)، حوادث سنة ٦٠٣ هـ.

(٥) المرية: قرية قرب نهر دقلة، من ناحية البصرة. مراصد الاطلاع (٣/ ١٢٦٤).

فمشاهد، وكان ابن ياسين ضعيف النظر جدًا، فقال له: يا سيدي صرنا أربعة، كانت وفاته في المرية، وقد أضرّ وعمره ثمانون سنة.

وتوفي جمال الدين أبو الحسن عبد الله ابن الناقد أخو نصير الدين نائب الوزارة، رتب أولًا حاجبًا بالديوان، ثم نقل إلى حجبة المخزن ثم ولي صدرية المخزن، وكان على ذلك إلى أن توفّي، صعد ليلة إلى غرفة داره فعرض له فالج فلم يتمكّن من النزول فبقي على تلك أيامًا ومات في صفر.

وتوفي بعده أخوه نور الدين أبو الفضل يحيى، كان أحد الحجّاب بالديوان وناب عن أخيه نصير الدين نائب الوزارة في الوكالة في هذه السنة، وتوفي في ذي الحجّة.

وفيها، توفي[١] أبو صالح نصر بن أبي بكر بن عبد الرزاق بن أبي محمد عبد القادر الجيلي الفقيه الحنبلي الواعظ، شيخ وقته ومقدم مذهبه من بيت العلم والصلاح، سمع الحديث ورواه وتفقه على أبيه وعلى الشيخ النوقاني الشافعي، وتكلّم في مسائل الخلاف، ودرس في مدرسة جدّه بباب الأزج والمدرسة الشاطئية بباب الشعير[٢]، وتكلّم في الوعظ وشهد عند قاضي القضاة ابن الدامغاني وقلّد قضاء القضاة في خلافة الظاهر بأمر الله، ولم يقلّد قضاء القضاة حنبلي سواه، فسار سيرة حسنة، من فتح بابه ورفع حجابه والجلوس للناس عمومًا والأذان على بابه والصلاة بالجماعة والخروج إلى صلاة الجمعة راجلًا ولبس القطن وتجنّب لبس الإبريسم، ثم عزل في سنة ثلاث وعشرين، فانتقل إلى مدرسته وجلس على عادته يذكر الدروس ويفتي الناس، ولما تكامل بناء الرباط المستجد بدير الروم جُعِل شيخًا على مَنْ به من الصوفية، فلم يزل على ذلك إلى أن توفّي، ودُفِن في دكّة الإمام أحمد رضي الله عنه فأنكر الخليفة ذكر وأمر بتحويله، فحُوّل ليلًا ودُفِن قريبًا منه، خارجًا عن تربته ولما عزل عن القضاء قال أبياتًا أولها:

حمدت الله عزّ وجلّ لمّا ... قضا لي بالخلاص من القضاء[٣]

---

(١) ورد الخبر في العسجد المسبوك (ص ٤٧٣)، وقد تقدمت ترجمته.

(٢) باب الشعير: محلة كانت ببغداد بين دار القز والحريم، مراصد الاطّلاع (١/ ١٤٤).

(٣) وجده في الشذرات (٥/ ١٦٢)، والعسجد المسبوك (ص ٤٧٣):

وللمستنصر المنصور أشكر ... وأدعو فوق معتاد الدعاء

وفيها، توفي[١] أبو منصور معلى ابن الدباهي الفخري من قرية تُعرف «بالفخرية» من أعمال نهر عيسى من أهل بيت ذوي رئاسة وتناية، ومعلى هذا رتّب ناظرًا بدجيل، ثم بنهر عيسى، ثم نقل إلى صدرية المخزن، ثم نقل إلى صدرية ديوان الزمام، فكان على ذلك إلى أن أُمر بملاحظة إربل وأعمالها، فتوجّه إليها في هذه السنة فتوفّي بإربل ودُفِن بها.

وحجّ بالناس في هذه السنة الأمير أبو فراس بن جعفر بن أبي فراس.

وفيها، توفي عز الدين[٢] ابن الأثير الجزري صاحب الكامل في التاريخ بالموصل.

سنة أربع وثلاثين وستمائة

في خامس صفر[٣]، وصل إلى بغداد نور الدين أرسلان شاه بن عماد الدين[٤] زنكي صاحب شهرزور، فخرج موكب الديوان إلى لقائه وفي صدره عارض الجيوش أبو الحسن علي ابن المختار وخادمان من خدم الخليفة، فلقيه بظاهر السور ودخل معه وقصد باب النوبي وقبّل العتبة، ثم دخل إلى نصير الدين ابن الناقد نائب الوزارة فرفع قدره وخلع عليه ثم خرج ومضى إلى دار عيّنت له بمحلة المقتدية منسوبة إلى

---

(١) تقدّمت ترجمة معلى بن الدباهي، وانظر خبر وفاته في: العسجد المسبوك (ص ٤٧٤).

(٢) عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري الموصلي، المعروف بابن الأثير، المؤرخ النسابة الأديب، ولد سنة ٥٥٥ هـ، في جزيرة ابن عمر وسكن الموصل، وتردّد إلى بغداد وغيرها، ومن أشهر مؤلفاته: الكامل في التاريخ، وأسد الغابة في أسماء الصحابة، توفي سنة ٦٣٠ هـ، كما نصّ أكثر مؤرخيه، وقد انفرد ابن الفوطي في هذا الكتاب بذكر وفاته في هذه السنة (٦٣٣) إلا أنه ذكر في التلخيص (ج ٤ ق ١ ص ٢٦٠) أن وفاته كانت في سنة ٦٣٠ هـ. وانظر: وفيات الأعيان (٣/٣٤٨)، والشذرات (٥/١٣٧)، والعبر (٥/١٢١)، والعسجد المسبوك (ص ٤٥٥)، والبداية والنهاية (١٣/١٣٩)، وطبقات الشافعية للإسنوي (١/١٣٢)، والأعلام (٥/١٥٣) وفيه إشارة إلى مصادر أخرى لترجمته.

(٣) الخبر في العسجد المسبوك (ص ٤٨١)، وفيه أنه «وصل في السادس عشر من شهر ذي القعدة سنة ٦٣٥ هـ».

(٤) عماد الدين بن عز الدين مسعود، أخذ بعد موت أخيه القاهر بن مسعود قلعة العمادية ثم أخذت منه، فانتقل إلى إربل، وكان زوج ابنة صاحبها مظفر الدين، فأقام بها زمانًا، ثم قبض عليه مظفر الدين وأرسله إلى الملك الأشرف بن العادل بسنجار، فأطلقه، وعاد إلى إربل، فقايضه مظفر الدين عن العقر بشهرزور فانتقل إليها، وتوفي في حدود سنة ٦٣٠ هـ، ثم خلف ولدًا أقام بعده قليلًا ثم مات. وفيات الأعيان (٥/٣٠٨).

النقيب الطاهر محمد الموسوي وأسكن أصحابه في دور مجاور لها، وكان جميل الصورة طريف الشكل لطيف القدّ، واستُدعي في حادي عشر الشهر إلى البدرية فحضر عند شرف الدين إقبال الشرابي فشرّفه بلباس الفتوّة نيابةً ووكالة عن الخليفة وخلع عليه، وفي رابع عشريه عمل له دعوة بالمدرسة المستنصرية وحضر إليها وجلس على طرف إيوانها الصغير وفرّقت الربعات[1] وقُرِئت الختمات وذكر المدرّسون بها الدروس، ثم نهض فدخل دار كتبها فجلس بها ساعة، ثم خرج متوجّهًا إلى داره، واستدعي في خامس عشري الشهر إلى دار الوزارة وخلع عليه وقلد سيفًا وحمل على فرس بمركب ذهبًا وعدة كاملة وأعطي خمسة أحمال كوسات ونقارات وما يناسب ذلك من الأعلام وغيرها، وأنعم عليه بخمسة آلاف دينار، وأذن له في العودة إلى بلده فتوجّه في ذلك اليوم.

في ربيع الأول، ختم الأمير أبو القاسم عبد العزيز[2] ولد الخليفة المستنصر بالله القرآن المجيد على مؤدبه العدل أبي المظفر علي ابن النيار، وجرت الحال في الدعوة وخلع على ما تقدم[3] شرحه في ختمة أخيه.

وفيه، عزل[4] تاج الدين علي ابن الدوامي عن صدرية المخزن مراسلة بحاجب وكان في عقابيل مرض، ورتب عوضه أبو نضلة هاشم بن علي ابن الأمير السيد العلوك ثم ولي تاج الدين في شهر رجب حجبة باب النوبي وأمر الشرطة.

وفيها، قصد[5] جماعة عيادة مريض وهو على سطح داره فقعدوا عنده ساعة فوقع السقف ووقعوا كلهم، فماتوا جميعهم إلا المريض:

كم من مريض قد تحاماه الردى فنجا ومات طبيبُه والعُوَّدُ

وفيها، وصل أمير الحاج أبو فراس بن أبي فراس ومعه العرب الأجاودة الذين تعرضوا لأذية الحاج ومنعوهم الحج في سنة اثنتين وثلاثين وستمائة، وكل منهم قد

---

(١) الربعات، ومفردها الربعة، وأصلها جونة العطار، ويراد بها هنا صناديق أجزاء المصحف الشريف.

(٢) توفي في خلافة أخيه المستعصم سنة ٦٥٢ هـ، ودفن بالرصافة. انظر: مختصر التاريخ (ص ٢٦٤)، والخبر في العسجد المسبوك (ص ٤٧٤).

(٣) في حوادث سنة ٦٣٢ هـ.

(٤) ذكر المؤلف في حوادث سنة ٦٣٢ هـ توليته صدرية المخزن بإربل نقلًا من ديوان عرض الجيش.

(٥) ورد الخبر في العسجد المسبوك (ص ٤٧٤).

كشف رأسه وجعل على عنقه كفنه وبيده سيفه ومعهم نساؤهم وأولادهم، فقصدوا باب النوبي وقبّلوا الأرض ورمى النساء براقعهن وضججن بالبكاء والتضرّع فعرفوا قبول توبتهم والعفو عنهم، وأنعم عليهم بالكسوات وغيرها وعادوا إلى أماكنهم.

وفيها، حضر عبد الله الشرمساحي مدرّس المالكية بالمدرسة المستنصرية بالبدرية عند شرف الدين إقبال الشرابي، وأنعم عليه بلباس الفتوة نيابة ووكالة عن الخليفة.

وفي هذه السنة، قصد ملك[1] الروم مدينة آمد وحصرها وضيّق على أهلها، وجرى بين العسكرين قتال، وقتل من الفريقين خلق كثير، وقلّت الأقوات وتعذّرت على أهل البلد، فأرسل صاحبها إلى الخليفة يعرفه ذلك ويسأله مراسلة ملك الروم في الكفّ عنه، فأمر الخليفة بإنفاذ أبي محمد يوسف ابن الجوزي فتوجّه نحوه، قال: لما وصلت إليه وجدت عساكره قد أحاطت بمدينة آمد وأهل البلد في ضرٍّ عظيم فعرضت عليه مكتوب الديوان، فذكر أن أولئك هم الذين ابتدؤوا وقتلوا أصحابه، قال: فأخرجت خط الخليفة بقلمه وتلوت قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص: الآية ٢٩]، وقبّلته وسلّمته إليه، فقام ووضعه على عينه ورأسه وقرأه وأمر في الحال بالكفّ عن القتال والرحيل عن البلد.

وفيها، أمر الخليفة بعمل مزملة[2] بالقرب من قبر أحمد بن حنبل رضي الله عنه لأجل الزوار الواردين، فلما تكامل بناؤها فتحت وجعل فيها الحباب[3] ومُلِئت من الجلاب[4]، ورتب فيها قيّم يقوم بمصالحها، ونظم الشعراء في ذلك قصائد، منها

---

(١) هو كيقباذ بن كيخسرو بن تلج أرسلان السلجوقي، علاء الدين، ملك قونية وسيواس وملطية وأنطاكية وما ينضاف إليها من الأعمال، استولى على الجزيرة من يد الكامل محمد وكسر الخوارزمية مع الملك الأشرف موسى، وتزوج بابنة العادل، وكان شجاعًا مهيبًا، ووصف أيضًا بالظلم والقسوة، وسيذكر المؤلف وفاته في هذه السنة. انظر: الشذرات (٥/ ١٦٨)، والبداية والنهاية (١٣/ ١٤٦)، وتلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٢ ص ١٠٧٣)، والعسجد المسبوك (ص ٤٧٨)، وتتمة المختصر (٢/ ٣٤١)، والعبر (٥/ ١٣٩) وفيه: «وكان فيه عدل وغير في الجملة».

(٢) المزملة: وعاء يملأ ماءً ويغطى ليبرد ماؤه.

(٣) الحباب، ومفردها الحُب: الخابية، فارسي معرب، والحباب مشهورة الاستعمال عند أهل بغداد والعراق إلى عهدٍ قريب

(٤) الجلّاب: ماء الزبيب المنقوع، انظر تكملة المعاجم العربية (٢/ ٢٤٢) وهو من اصطلاحات المولدين. وفي محيط المحيط: العسل أو السكر عقد بوزنه أو أكثر من ماء الورد، فارسي=

ما قاله جعفر بن مهدويه الكاتب من قصيدة يمدح بها الخليفة:

وقبر أحمد قد طُرّزت حليته بحلية زيّنت منه مبانيه
ثم اتّخذت لنا فيه مزملة تدلّ أنك يوم الحوض ساقيه
فاسلم فدتك الرعايا يا إمام هدى تهدي إلى الحق من قد ضلّ في التيه

وفيها، قلّد أقضى القضاة عبد الرحمٰن ابن اللمغاني علي ابن البصري قاضي دجيل قضاء واسط وأعمالها.

وفيها، وصل الأمير عز الدين قيصر الظاهري[1] مخبرًا بوصول ابنة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، وكان قد نفذ لإحضارها لتزفّ على زوجها مجاهد الدين بن أيبك المستنصري المعروف بالدويدار الصغير، فخرج إلى تلقّيها بدر الظاهري المعروف بالشحنة أحد خدم الخليفة، وفي صحبته ثلاثون خادمًا والأمير بدر الدين سنقر جاه أمير آخور الخليفة وجماعة من المماليك والحاجب أبو جعفر أخو أستاذ الدار ومؤيّد الدين محمد ابن العلقمي، فتلقاهما بدر الشحنة في المزرفة وعادوا الجماعة معه وانحدرت هي في شبارة حملت لها إلى هناك في جماعة من خدمها وجواريها وصعدت في باب البشرى ليلًا، وقد أعدّ لها بغلة فركبت واجتازت بدار الخلافة، وخرجت من باب النوبي إلى دار زوجها مجاهد الدين «بدرب الدواب»، وهي الدار المنسوبة إلى أحمد ابن القمي فنثر عليها خادم لزوجها ألف دينار عند دخولها الدار.

وفي رابع جمادى الآخرة، خلع الخليفة على مجاهد الدين بين يديه وقدم له مركوب بعدّة كاملة، فخرج وقبّل حافره وركب من باب الأتراك ورفع وراءه أربعة عشر سيفًا إلى غير ذلك من الحراب والنشاب، وأشهرت السيوف من باب دار الضرب وخرج معه جماعة من خدم الخليفة والحاجب أبو جعفر ابن العلقمي أخو أستاذ الدار ومهتر الفراشين وحاجب ديوان الأبنية وغيرهم، وتوجّه إلى داره، فلمّا اجتاز بباب البدرية نثر عليه خادم من خدم الشرابي أربعة آلاف دينار، ولما اجتاز بدرب الدواب

= مركبة من (كل) أي ورد و(آب) أي ماء، ويطلق البغاددة اليوم لفظة «الجلاب» على الماء البارد.

(١) عز الدين أبو اليمن قيصر بن عبد الله الظاهري الأمير، ذكره في تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ١ ص ٢٨٢)، وسيذكر المؤلف مقتله على يد المغول عندما أغاروا على بغداد سنة ٦٣٥ هـ.

نثر عليه في عدّة مواضع من دار الأمير جمال الدين قشتمر ودار ابنته زوجة الأمير نصرة الدين كنج أرسلان، وكان وراءه الأعلام والطبول والكوسات.

وفي عشية هذا اليوم، نفذ له أحد عشر طبلًا للخلق وأحد عشر قصعة وزوج صنج برسم طبل النوبة في الصلوات الثلاث، وزفّت عليه زوجته، فاجتمع له فرحتان: فرحة الإمارة وفرحة العرس، ولم يبلغ أحد من أبناء جنسه مع حداثة سنّه ما بلغ، ومن الغد عرضت عليه الهدايا من رقيق الترك والخدم والحبوش وأنواع الثياب والطّيب والخيل وآلة الحرب وغير ذلك من جميع الزعماء وأرباب الدولة وخدم الخليفة وسائر المماليك ثم الوزير والشرابي وأستاذ الدار والدويدار الكبير، ولم ينفذ له أحد شيئًا إلّا وخلع على المنفذ على يده، ثم ركب وبين يديه الأمراء والمماليك ورفع وراءه السلاح وقيّدت بين يديه الخيل المجنوبة وشهرت حوله السيوف، وسعى الكيانية وبأيديهم الحراب والأطبار، والجاووشية بأيديهم الجوالكين الذهب والفضة وقصد دار الخليفة فخدم وعاد، ثم ركب عشية هذا اليوم وقصد دار الخليفة فخدم وخرج وقت عشاء الآخرة في الأضواء والشموع واستمر دخوله إلى دار الخليفة في كل يوم بكرةً وعشية على هذا الوضع.

وفي عاشر الشهر، خلع على أخواجته أبي الحسن علي ابن المختار العلوي وعلى وكيله ماري بن صاعد بن توما النصراني، وعلى نوّاب ديوانه وجميع الأمراء الذين أضيفوا إليه أيضًا، ثم على أتباعه وحواشيه وغلمان البلدرية ومقدمها، وبوابي دار الخلافة الذين حوازه عليهم، ولم يزل مقيمًا في هذه الدار إلى أن تكاملت عمارة الدار المنسوبة إلى علاء الدين تامش على دجلة وما أُضيف إليها مما جاورها، فانتقل إليها في ذي القعدة من السنة، وأنعم الخليفة عليه بإصطبله المقابل لها على دجلة.

وفيها، استحجب عبد الرحمٰن بن يحيىٰ ابن المخرمي أخو صاحب الديوان وجعل أسوة بحجاب المناطق.

وفيها، قصد الخليفة مشهد موسى بن جعفر عليه السلام في ثالث رجب، فلما عاد أبرز ثلاثة آلاف دينار إلى أبي عبد الله الحسين ابن الأقساسي نقيب الطالبيين[١]

---

(١) منصب استحدثه العباسيون، يكون صاحبه مسؤولًا عن العلويين أمام الخلفاء والملوك ويقوم بتدبير أمورهم وإقامة العدل بينهم والأخذ على يد المسيء منهم ومعاقبة مدعي النسب. وقد استمرت هذه المؤسسة إلى عصور متأخرة، فكان للنقيب واجبات اجتماعية أخرى تعدّت النظر في أمور الطالبيين إلى مجالات شتّى. انظر: صبح الأعشى (٤/ ٣٧).

وأمره أن يفرقها على العلويين المقيمين في مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والحسين وموسى بن جعفر عليهم السلام.

وفي رجب، أُعيد فخر الدين أبو طالب أحمد ابن الدامغاني إلى إشراف المخزن وخلع عليه.

وفيها، وصل بشر خادم الأمير ركن الدين إسمٰعيل بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ونفران من رماة البندق ومعهم طائر قد صرعه ركن الدين وانتسب ذلك إلى شرف الدين إقبال الشرابي، فقبله وأمر بتعليقه فعلّق تجاه باب البدرية وأن ينثر عليه ألفا دينار، ثم خلع على الخادم والواصلين صحبته وأعطاهم ثلاثة آلاف دينار.

وفيها، توفّي محمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحـ... المعروف بابن العجمي وهو من بيت رئاسة... قديمة... وله شعر حسن فمنه:

سـقـى الله............ إذا العيش غضّ والحبيب قريب
لـحـ.............. في رياضه ويدعوننا داعي...

وفيها، توفّي الملك العزيز محمد[١] بن غازي بن يوسف بن أيوب بن شادي صاحب حلب، كان قد توفي أبوه الملك الظاهر غازي[٢] وهو طفل فعهد إليه وجعل أتابكه[٣] ومربّيه والقائم بأمره وتدبير دولته خادمًا اسمه طغرل ولقبه شهاب الدين، فقام بتربيته وبالغ في حراسة دولته وأحسن السيرة في الرعيّة إلى أن كبر وصار من أحسن الشباب صورة، فاخترمته المنية في عنفوان شبابه وقد جاوز عشرين سنة من عمره،

---

(١) الملك العزيز غياث الدين محمد ابن الظاهر غازي، تولى سلطنة حلب بعد أبيه وله من العمر أربع سنين، فكان الأتابك طغرل يسوس الأمور، وتوفي شابًا في هذه السنة، وأقيم بعده ابنه الناصر يوسف وهو طفل، ودبر أمره شمس الدين لؤلؤ وعز الدين عمر بن جملي وجمال الدولة إقبال الخاتوني والمرجع إلى أم العزيز ضيفة خاتون بنت العادل. انظر: تتمة المختصر (٢/ ٢٤١)، والذيل على الروضتين (ص ١٦٥)، والعبر (٥/ ١٤٠)، والشذرات (٥/ ١٦٨)، والعسجد المسبوك (٤٧٨)، والبداية والنهاية (١٣/ ١٤٥)، والوفيات (٤/ ٩).

(٢) أبو فتح وأبو منصور غازي ابن السلطان صلاح الدين الأيوبي، ولد سنة ٥٦٨ هـ وولّاه أبوه حلب سنة ٥٨٢ هـ بعد أن كانت لعمّه الملك العادل، وتوفّي سنة ٦١٣ هـ، وكان ملكًا مهيبًا حازمًا عادلًا مُحبًا للعلماء. انظر: وفيات الأعيان (٤/ ١٠٠٦)، والعبر (٥/ ٤٦)، والشذرات (٥/ ٥٥)، وذيل الروضتين (ص ٩٤).

(٣) أتابك: الأتا بالتركية هو الأب، وبك هو الأمير، فأتابك مركب من هذين المعنيين. (وفيات الأعيان ١/ ٣٦٥).

وخلف ولدًا صغيرًا فعهد إليه، ومن العجب أن الملك الظاهر غازي لما مرض أرسل إلى عمّه العادل أبي بكر محمد[١] صاحب مصر والشام رسولًا يطلب منه أن يحلف لولده محمد هذا، فقال العادل: سبحان الله أي حاجة إلى هذه اليمين؟ الملك الظاهر مثل بعض أولادي، فقال الرسول: قد طلب هذا، ولا بأس بإجابته، فقال العادل: كم من كبش في المرعى وخروف عند القصاب، وحلف له، فتوفّي الظاهر والرسول عند العادل ولم تطل أيام الملك عبد العزيز محمد.

وفيها، توفيت ستّ شمائل[٢]، واسمها شجرة الدر التركية، كانت حظية الخليفة الناصر لدين الله مقرّبة إليه، وكانت تكتب خطًا جيدًا، وكانت تقرأ له المطالعات الواردة عليه لما تغيّر نظره ويملي عليها الأجوبة، ودُفنت في تربة الخلاطية.

وفيها، توفّي[٣] الملك كيقباذ بن كيخسرو بن قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان السلجوقي صاحب قونية وآقصراي وسيواس وغير ذلك من بلاد الروم، وملك بعده[٤] أخوه كيكاوس وكان كيقباذ أول مالك. . .[٥] كيكاوس فلما مرض أحضره وا. . .[٥] بأولاده.

---

(١) الملك العادل، أبو بكر محمد بن أيوب بن شادي، أخو صلاح الدين، ولد بدمشق سنة ٥٤٠ أو ٥٣٨ هـ، وخلف أخاه في السلطنة، فملك مصر والشام وحلب ثم اليمن، ولما تمهدت له قسمها بين أولاده، فكان يتردّد بينهم وينتقل إليهم من مملكة إلى أخرى، توفي سنة ٦١٥ هـ، وكان ملكًا عظيمًا ذا رأي، حسن السيرة حازمًا. انظر: وفيات الأعيان (٥/ ٧٤)، وذيل الروضتين (ص ١١١)، والشذرات (٥/ ٦٥)، والوافي (٢/ ٢٣٥)، والعبر (٥/ ٥٨).

(٢) في تاريخ مختصر الدول (ص ٢٤١): (ست نسيم) قال لما عجز (الناصر) عن النظر في القصص، استحضر امرأة من النساء البغداديات تعرف بست نسيم وقرّبها، وكانت تكتب خطًا قريبًا من خطّه.

(٣) تقدمت ترجمته، وانظر خبر وفاته في: ذيل الروضتين (١٦٥)، والشذرات (٥/ ١٦٨)، وتتمة المختصر (٢/ ٢٤١).

(٤) كذا في الأصل، وينبغي أن يقول: تملك بعد أخيه كيكاوس، إذ إن المعروف أن كيكاوس ملك بلاد الروم، وتوفي سنة ٦١٦ هـ أو ٦١٥ هـ، وكان قد حبس أخاه كيقباذ، فأخرجه الجند وملكوه. انظر: وفيات الأعيان (٥/ ٣٣١)، والشذرات (٥/ ٦٤)، والعبر (٥/ ٥٧)، وتتمة المختصر (٢/ ٢٠٦). وملّكَ بعد كيقباذ ابنه غياث الدين كيخسرو، انظر: تتمة المختصر (٢/ ٢٤١).

(٥) مطموس في الأصل.

ذكر حصر[1] إربل

في سابع عشر شوّال، وصل الخبر من إربل على جناح طائر بنزول عساكر المغول على إربل والإحاطة[2] بها، وتحصّن أهل البلد بغلق الأبواب وصعود القلعة، وأمر الأمير شمس الدين أصلان تكين الناصري بالتوجّه إلى هناك جريدة ونفّذ معه ثلاثة آلاف فارس بغير ثقل، فتوجّهوا في العشرين من الشهر وتوجّه بعدهم الأمير مجاهد الدين أيبك الدويدار في جماعة من مماليكه جريدة ونفذ صحبته ابن كرّ الأربلي، ثم خرج شرف الدين الشرابي ومعه جماعة من الأمراء والمماليك وتوجّه أيضًا نحوهم. وأحضر نصير الدين نائب الوزارة المدرّسين والفقهاء واستفتاهم: إذا اتّفق الجهاد والحجّ أيّهما أولى؟ وأفتوا بأن الجهاد أولى، فأبطل الحج في هذه السنة، وأمر المدرّسين والفقهاء ومشايخ الربط والصوفية برمي النشاب والاستعداد للجهاد، وولي الأمير أيدمر الأشقر الناصري شحنة بغداد ووقع الاستظهار بنصب المناجيق على سور بغداد وأصلح الخندق، وأمّا المغول فإنهم نزلوا على إربل وحصروها ونصبوا المناجيق عليها، وقصدوا جهة من السور فهدموا منه قطعةً كبيرة ودخلوا البلد عنوةً وقهرًا، فتحصّن أهله ومعظم العسكر بالقلعة وقاتلوهم أشدّ قتال[3]، وأمدّ المغول بدر الدين صاحب الموصل بما يحتاجون إليه من ميرة وآلة وغيرها[4]، وأعوز أهل قلعة إربل الماء، فتلف منه

---

(١) انظر الخبر في شرح نهج البلاغة (٨/ ٢٣٩)، والبداية والنهاية (١٣/ ١٤٥)، والعبر (٥/ ١٣٦)، والعسجد المسبوك (ص ٤٧٨)، وشذرات الذهب (٥/ ١٦٢).

(٢) وكان أمير إربل يومئذ باتكين الرومي (وقد مضى خبر تعيينه)، وعلى المغول مقدم كبير من رؤسائهم يعرف بجكتاي، انظر شرح النهج (٨/ ٢٣٨)، وفيه أن عسكر المغول كان في نحو ثلاثين ألف فارس.

(٣) في شرح نهج البلاغة (٨/ ٢٣٨): «وطلب باتكين منهم أن يصالحوه عن المسلمين بمال يؤدّيه إليهم، فأظهروا الإجابة، فلما أرسل إليهم ما تقرّر بينهم وبينه أخذوا المال وغدروا به، وحملوا على القلعة بعد ذلك حملات عظيمة»، وفي تاريخ مختصر الدول (ص ٢٥٠): «فحاصروها أربعين يومًا ثم أعطوا مالًا فرحلوا عنها».

(٤) في العسجد المسبوك (ص ٤٧٨): «وأمر التتر زعيم الموصل بما يحتاجون إليه من ميرة وغيرها». وهناك إشارات إلى أن بدر الدين لؤلؤ تعاون مع المغول منها ما ذكره ابن الطقطقي قال: «إنه ـ أي: المستعصم ـ كتب إلى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل يطلب منه جماعة من ذوي الطرب، وفي تلك الحال وصل رسول السلطان هولاكو إليه يطلب منه منجنيقات وآلات الحصار»، الفخري (ص ٣٣)، وسنذكر أنه أغرى هولاكو بقتل ابن الصلايا زعيم إربل.

ألوف كثيرة بالعطش ولم يمكن دفنهم لضيقة الموضع ولا إلقاؤهم لئلا يسدّوا الخندق فأحرقوا بالنار، ثم عاثوا في البلد أشدّ العيث نهبًا وأسرًا وإحراقًا وتخريبًا، ثم اهتمّوا بالقلعة وجدوا في نصب المناجيق عليها، فبلغهم وصول عساكر الخليفة فرحلوا راجعين إلى بلادهم[1] في سادس ذي الحجة[2]، فورد الخبر بذلك إلى الشرابي فرجع والعساكر والأمراء في خدمته إلى بغداد، فدخلها في ثالث عشر المحرم سنة خمس وثلاثين.

سنة خمس وثلاثين وستمائة

وفي المحرم، عزل علاء الدين هاشم ابن الأمير السيد من صدرية المخزن ورتّب عوضه فخر الدين محمد بن أبي عيسى[3] نقلًا من صدرية دجيل.

وفيها، حضر أسد الدين شيركوه[4] صاحب حمص عانة[5]، وأخذها صلحًا ورتّب بها نائبًا.

وفيها، وَلِيَ أقضى القضاة عبد الرحمٰن ابن اللمغاني تدريس الطائفة الحنفية بالمدرسة المستنصرية عوضًا عن ابن الأنصاري[6] الحلبي، فإنه سأل الإذن له في

---

(١) في شرح النهج (٨/٢٣٨): «وعادوا إلى تبريز، وبها مقام جرماغون، وقد جعلها دار ملكه».

(٢) كذلك ورد في شرح النهج (٨/٢٣٨)، والعسجد المسبوك (ص ٤٧٨)، وفي البداية والنهاية (١٣/١٤٥): «فدخل فصل الشتاء فأقلعوا عنها وانشمروا إلى بلادهم، وقيل: إن الخليفة جهّز لهم جيشًا فانهزم التتار».

(٣) عز الدين أبو عبد الله محمد بن أبي البقاء سعد «وقيل أحمد» بن أبي عيسى الشهراباني، من بيت رئاسة وفضل وكتابة وتصرّف في الأعمال، ولي ناظرًا بطريق خراسان، ثم نقل إلى صدرية المخزن، وسيذكر المؤلف أنه عزل عنها سنة ٦٤٢ هـ وأعيد إليها سنة ٦٤٦ هـ، وتوفي سنة ٦٤٧ هـ. وصف بأنه كان وقورًا قليل الهزل ذكيًا كثير الحفظ من أشعار العرب خشن العيش، وأنه لم يجتمع بامرأة منذ فقد أمّه وهو طفل، فلم يتسرّ أو يتزوّج، إنما كان تخدمه الرجال. انظر: تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٣ ص ٤٢٦).

(٤) أسد الدين شيركوه، ولد سنة ٥٦٩ هـ، وملك حمص بعد وفاة أبيه ناصر الدين سنة ٥٨٢ هـ، فمكث بها سبعًا وخمسين سنة، وصف بأنه من أحسن الملوك سيرةً، طهّر بلاده من الخمور والمكوس والمنكرات، وهي في غاية الأمن والعدل، وتوفي سنة ٦٣٧ هـ. انظر: وفيات الأعيان (٢/٤٨٠)، والبداية والنهاية (١٣/١٥٤)، والعبر (٥/١٥٣)، والعسجد المسبوك (ص ٤٩٦)، والشذرات (٥/١٨٤).

(٥) عانة: بلد مشهور بين الرقة وهيت يُعدّ من أعمال الجزيرة، وهي مشرفة على الفرات قرب حديثة. معجم البلدان (٤/٧٢).

(٦) أبو الحسن الأنصاري، المتوفى سنة ٦٥٠ هـ، ذكره السلامي في المنتخب (ص ١٦٤).

العود إلى بلده بأهله وأولاده فأذن له، وكانت مدة تدريسه بالمدرسة المذكورة أحدًا وعشرون شهرًا.

وفيه، في تشرين الأول جاء رعد هائل وبرق عظيم ووقعت صواعق كثيرة، منها صاعقة أصابت إنسانًا بظاهر سور سوق السلطان قريبًا من سوق الخيل كان على بغل، فأُحرقت بعض صدره ونصف البغل فوقعا ميّتين ووقعت صاعقة أخرى في دار يهودي بخربة ابن جردة، وأخرى على نخلات بباب محول فأحرقتها، كل ذلك في ساعة واحدة، ووقعت صاعقة أخرى في شباط على الرواق بالمدرسة المستنصرية، فشعثت منه موضعًا[1].

وفيها، ردّ أمر حجر البيع إلى تاج الدين علي ابن الدوامي حاجب باب النوبي يومئذ، وعيّن الأمير شمس الدين أصلان تكين زعيمًا ببلاد خوزستان، عوضًا عن الأمير علاء الدين أيلدكز المعروف بطاز، وكانت مدّة ولايته ثلاث سنين وخمسة أشهر.

وعزل منصور بن عباس عن صدرية الديوان المفرد بنهر الملك ونهر عيسى وهيت، ورد أمرها إلى صاحب الديوان فخر الدين أبي سعيد المبارك بن المخرمي.

وفي ربيع الآخر، تقدّم إلى المدرّسين والفقهاء ومشايخ الربط والصوفية وأرباب الدولة من الصدور والأمراء بحضور جامع القصر لأجل الصلاة على ابنة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل زوجة الأمير علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير وصلّي عليها في القبلة وشيّع الكل جنازتها إلى المشهد الكاظمي، ودفنت إلى جانب ولدها في الإيوان المقابل للداخل إلى مصف الحضرة المقدسة في ضريح مفرد. قيل: إنها كانت نفساء، عن نيّف وعشرين سنة، ومدة مقامها في بغداد عشر سنين، وعمل العزاء في دار الأمير علاء الدين وحضر النقيب الطاهر الحسين ابن الأقساسي وموكب الديوان وأقامه من العزاء، ونفذ المحتسب أبو الفرج عبد الرحمٰن ابن الجوزي إلى بدر الدين لؤلؤ ليقيمه من العزاء.

وفي جمادى الأولى، عقد العقد في دار الوزارة على ابنة سليمان[2] شاه بن

---

(١) ورد ذلك في العسجد المسبوك (ص ٤٨٠).

(٢) سليمان شاه بن برجم الأبواقي، زعيم التركمان الأبواقية منجانقين وما حولها، قتله هولاكو صبرًا سنة ٦٥٦ هـ، وحمل رأسه إلى الموصل فعلق ظاهر سورها، ذكره ابن الفوطي في=

برجم بمظفر الدين محمد بن الأمير جمال الدين قشتمر، وأحضر أقضى القضاة عبد الرحمٰن ابن اللمغاني ونوّابه، وكان مبلغ الصداق ألف دينار.

وفيها، كثر شغب العوام ببغداد وقتل جماعة من الناس في عدّة أماكن، فولي عماد الدين طغرل[1] الناصري شحنكية بغداد فسكن الناس.

وفيها، دخل دار الوزارة مملوك من مماليك الخليفة وهي مغتصّة بالزحام لأجل السلام، فقصد صفة المسند وأطبق دواة الوزير، فانزعج الحاضرون ولم يشكوا أنه مأمور، وذلك عنوان العزل وتطاولت الأعناق إلى ما وراء ما فعل، فبدا منه ما يدلّ على تغيّر عقله، فقام إليه أحد الحجّاب وجذبه بيده وأنزله من الصفة، وعرف الوزير هذه الصورة، فأنهى ذلك إلى الخليفة، فتقدم بهلاك المملوك، فشفع الوزير فيه، ووقع الاقتصار على حبسه بالمارستان أسوةً بالمجانين.

وفيها، اتّصل مؤيّد الدين أبو طالب محمد ابن العلقمي وولده عزّ الدين أبو الفضل أحمد بانبتي الوزير مؤيّد الدين محمد بن محمد القمي، وكان الاجتماع بهما في شعبان، وكان قد أفرج عنهما وردت عليهما أملاكهما وما اجتمع من أجرتها وهو سبعة آلاف دينار في صفر من السنة.

وفي شعبان، رتب شمس الدين عبد العزيز بن محمد بن خليد مشرفًا بدار التشريفات نقلًا من الكتابة بها. ورتب مجد الدين[2] علي بن أبي الميامن بن أمسينا الواسطي كاتبًا بها، وقلّد العدل الخطيب أبو طالب الحسين بن أحمد بن المهتدي بالله نقابة العباسيّين.

= التلخيص (ج ٤ ق ٢ ص ٥١٦)، وانظر هامش المحقق، وعيون التواريخ (٢٠/ ١٣٤)، وذكره ابن أبي الحديد في شرح النهج (٨/ ٢٣٩).

(١) عماد الدين، أبو نصر طغرل بن عبد الله الناصري الأمير، يُعرف بصهر الأرنباي، وبالكراز دار، والكراز على وزن الغراب: كوز ضيق الرأس، يوضع فيه الماء للشراب، ترجمه ابن الفوطي في التلخيص (ج ٤ ق ٢ ص ٧٤٣). قال: «كان يركب في خدمة الإمام الناصر لدين الله ويحمل الكراز، وفي سنة ٦٣٥ هـ ولاه المستنصر بالله شحنة بغداد، وعزل عنها سنة ٦٤٢ هـ، ونفذ إلى البصرة فأقام بها مديدة، ثم مرض ومات قبل دخوله بغداد سنة ٦٤٦ هـ».

(٢) مجد الدين، أبو الحسن، علي بن أمسينا، ترجمه المؤلف في التلخيص (ج ٥ ص ١٩٧)، وذكره في عدة مواضع من الجزء الرابع، وفيه أنه توفي سنة ٦٨١ هـ، وهو من بني أمسينا البطائحيين المشهورين.

وفي آخر شعبان، انتهى من عمارة باب جامع القصر مما يلي الرحبة، وفتح وفتحت المزملة التي عملت بالجامع المذكور أيضًا.

وفيه، نهض على بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل نفران من الباطنية ليقتلاه فجرحه أحدهما في يده، فقبضا وقتلا وأخذ في التحرّز بعد ذلك والاستتار.

وفيها، نُقِل العدل أبو طالب أحمد ابن الدامغاني من أشراف المخزن إلى ديوان عرض الجيش المختصّ بالغرباء، وتفرّد أبو علي الحسن بن المختار العلوي بديوان عرض العساكر البغدادية، فصار حينئذ للجيش عارضان، وكان قد جعل لديوان المجلس حاجبان، فقيل في ذلك:

هذه دولة حَوَت كل حسن وجهها مشرقٌ بديع المعاني

فلها حاجبان زِيدا جمالاً ولها من جمالها عارضان

وفيها، علق طائر بباب بدر، قيل: إنه رماه كيخسرو بن كيقباذ ملك الروم ونثر عليه ألف دينار، تولّى ذلك عبد الله بن المختار.

وفيها، توفّي شمس الدين التمش بن قطب الدين أيبك مملوك شهاب الدين محمد بن بسام الغوري ملك الهند، وملك بعده ولده ركن الدين فيروز شاه، فلم يستقم له الأمر، وتفرّق عنه العسكر فقبضت عليه أخته وملكت بعده وأطاعها الجند والرعية، وتلقبت «رضية الدنيا والدين» واستقام لها الأمر.

وفيها، توفّي الأمير شرف الدين علي بن الأمير جمال الدين قشتمر، أمّه إيران خاتون ابنة أبي طاهر ملك اللد، كان قد مرض وشفي وركب وخلع على الطبيب، فلما نزل عرض له ألم في فؤاده واعتقال طبع فمات، وكان شابًا جميلًا كريمًا شجاعًا، قد أمر وأضيف إليه عدّة من المماليك ورفع وراءه سيفان وتوفّر أقطاعه، فاخترمته المنية في عنفوان شبابه، ودفن عند والدته بمشهد الحسين عليه السلام، واستدعي جمال الدين قشتمر إلى دار الوزارة، ومعه ولده مظفر الدين محمد وولده شرف الدين علي المتوفّى، وهو فخر الدين مغدي[1] وجعل أميرًا على عدة خمسين

(١) فخر الدين أبو سعيد بغدي بن شرف الدين بن علي بن قشتمر، ولد سنة ٦٣١ هـ، وبقي بعد احتلال بغداد، والتقى بهولاكو وعرض عليه كتبه في الصيد والبيطرة والقنص، وتوفي ببغداد سنة ٦٨٥ هـ. انظر: التلخيص (ج ٤ ق ٣ ص ١٣٢)، وذكره ابن الطقطقي، قال: حدّثني الأمير=

فارسًا، وعمره يومئذ خمس سنين، ثم خلع على الأمير جمال الدين قشتمر، كل ذلك جبرًا لقلبه من فجيعته بولده.

وفيها، توفّي[١] الملك الأشرف أبو الفتح موسى ابن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب بن شادي صاحب دمشق، ملك بعد وفاة أبيه ديار الجزيرة[٢] وميافارقين[٣] وخلاط، واستقرّ ملكه بها، ثم ملك سنجار صلحًا[٤]، وقصد بلاد الموصل وسار يريد إربل، فراسله الخليفة الناصر لدين الله بالرجوع عنها والصلح، فأجاب إلى ذلك على أن يخطب له ويضرب الدينار باسمه، فأجاب مظفر الدين كوكبري إلى ذلك[٥]، فلما عاد إلى حرّان[٦]، راسل الخليفة يسأل تشريفه بالفتوّة فنفذ إليه من فتاه بطريق الوكالة، وكان عنده أدب وفضل مع ظرافة ولطافة وكرم فائض، وكان متعففًا عن أموال الرعيّة منعكفًا على ملاذه، مشتهرًا بحب الغلمان الأتراك والميل إليهم، مستهترًا بهم وله فيهم أشعار كثيرة، ليست بالجيدة، فما قاله في غلام تركي كان على خزانته:

أفدي قمرًا تحار فيه الصفة ... يسخو بدمي وهو أمين ثقة

ماذا عجب يحفظ مالي ويرى ... روحي تلفت به ولا يلتفت

وكانت وفاته بدمشق في المحرم، وقد جاوز الستين سنة من عمره، واستولى أخوه الملك الصالح[٧] إسمٰعيل على دمشق بعده.

= فخر الدين بغدي بن قشتمر. انظر: الفخري (ص ٤٠).

(١) تقدمت ترجمته، وانظر خبر وفاته في: الذيل على الروضتين (ص ١٦٥)، والعسجد المسبوك (ص ٤٨٢)، والشذرات (٥/ ١٧٥).

(٢) هي جزيرة ابن عمر، بلد فوق الموصل، بينهما ثلاثة أيام، معجم البلدان (٢/ ١٣٨).

(٣) ميافارقين: مدينة مشهورة من مدن ديار بكر، قريبة من آمد، معجم البلدان (٥/ ٢٣٥).

(٤) وذلك في سنة ٦١٧ هـ كما في الوفيات والعسجد المسبوك، وسنجار: مدينة مشهورة في نواحي الجزيرة، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام، معجم البلدان (٣/ ٢٦٢).

(٥) انظر ذلك في: العسجد المسبوك (ص ٤٨٢).

(٦) حران: مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهي قصبة ديار مضر، بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان، معجم البلدان (٢/ ٢٣٥).

(٧) الملك الصالح أيوب بن الملك الكامل محمد، المولود سنة ٦٠٣ أو ٦٠٤ هـ، ترجمناه في حوادث سنة ٦٣٠ هـ (الحاشية)، وسيذكر المؤلف في حوادث سنة ٦٣٦ هـ استيلاءه على دمشق من الملك الجواد الذي خلف أباه في حكم الشام.

وفيها، توفي ظهير الدين الحسن بن علي بن عبد الله من أعيان المتصرّفين خدم أولًا خواجة الأمير علاء الدين تنامش[١]، ثم تولى عرض ديوان الجيش ثم عيّن عليه في وزارة بلاد خوزستان، ثم عزل واعتقل هناك في سنة ست وعشرين، فكان على ذلك إلى أن توفي الخليفة الناصر لدين الله[٢] فأفرج عنه، ووصل إلى بغداد فولي صدرية ديوان عرض الجيش ثم نقل إلى صدرية ديوان إربل فكان بها، ثم سأل أن يعفى من الخدمة بها فأعفي، ثم أعيد إلى بلاد خوزستان، فكان بها إلى أن مات.

وفيها، توفي[٣] الملك الكامل أبو المعالي محمد ابن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب بن شادي صاحب مصر والشام، كان فاضلًا أديبًا متفقهًا، وسمع الحديث ورواه وكان معظّمًا لأهل العلم محبًا لهم يحضرهم مجلسه في كل أسبوع يبحثون عنده ويتناظرون ويتكلّم معهم، ويشركهم في بحثهم ويلزم معهم أدب المناظرة ويخاطبهم أحسن خطاب، وله شعر جيد، منه ما كتبه إلى أخيه الأشرف حيث كان على دمياط[٤]:

يا مسعفي إن كنت حقًّا مسعفي ... فارحل بغير تفنّد وتوقّف
واطوِ المنازل والديار ولا تُنِخْ ... إلّا على باب المليك الأشرف
قبّل يديه لا عدمت وقل له ... عنّي بحسن تعطّف وتلطّف:
إن تأتِ صنوك عن قريب تلقه ... ما بين حدّ مهنّد ومثقّف
أو تبطِ عن إنجاده فلقاؤه ... يوم القيامة في عراص الموقف[٥]

ولما توفي أبوه، حذا حذوه في التيقّظ والحراسة وحسن التدبير وسياسة الملك، فأخذ اليمن ومكة تغلبًا[٦]، ونفذ إليها ولده الملك المسعود بالمظفر يوسف، ولما

---

(١) علاء الدين تنامش (بالنون بعد التاء المضمومة)، بن عبد الله الناصري، كان من أمراء الأمن ببغداد في سنة ٦٠١ هـ، توفي سنة ٦٠٤ هـ. انظر: تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٢ ص ١٠٠٨)، وقد ورد ذكره في الجامع المختصر (ص ٣٨ و١٤٧ و٢١٩).

(٢) توفي الناصر لدين الله سنة ٦٢٢ هـ، وبذلك لا يستقيم الخبر.

(٣) تقدمت ترجمته، وانظر خبر وفاته في: البداية والنهاية (١٣/١٤٩)، والعسجد المسبوك (ص ٤٨٢)، والشذرات (٥/١٧٣)، والعبر (٥/١٤٤).

(٤) دمياط: مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم والنيل، معجم البلدان (٢/ ٥٣).

(٥) الأبيات في البداية والنهاية (١٣/١٤٩)، وشفاء القلوب (ص ٣٠٣).

(٦) كان رحيل الملك المسعود عن الديار المصرية متوجهًا إلى اليمن سنة ٦١١ هـ، ودخل اليمن في=

أخذ الفرنج دمياط وتملّكوها جرد عزمًا ماضيًا، وخرج بنفسه وجمع العساكر، وانتقل بهم وبجميع أهل البلد وبنى مدينة مستأنفة وبنى بها جامعًا ومدارس وأربطة وحمامات وخانات، ونقل إليها الناس على اختلافهم، ولم يزل محاصرًا لها مضيّقًا على من بها حتى أخذها، وقبض على الفرنج وأخذهم أسرى ودخل القاهرة وهم بين يديه، ثم منّ على مَن أسرهم من ملوكهم وأحسن إليهم، وأطلقهم على أشياء قرّرها، ولو لم يكن له إلّا هذا لكفى، فإنهم لما ملكوا دمياط أشرف باقي البلاد على الأخذ، ولو أُخذت مصر لما بقي بالشام معهم ملك لأحد، وكانت وفاته في شعبان بدمشق، وقد جاوز الستين من عمره، وكانت مدّة ملكه منذ ملك مصر أربعين سنة، وعهد إلى ولده العادل محمد[1].

ذكر وصول عساكر المغول نواحي العراق

في صفر، وصلت الأخبار[2] إلى أهل إربل أن عساكر المغول عادوا إلى قصدهم في جمع كثير، فانتزح من كان بها وبالقلعة أيضًا، فلما رأى زعيمها الأمير شمس الدين باتكين خلو البلد أمر بخروج العسكر المقيم هناك إلى ظاهر البلد ثم الاستعداد للحراسة، فعدلوا حينئذٍ عن إربل وقصدوا دقوق، وانبثوا في أعمال بغداد وعاثوا بها أشدّ العيث، فوصل الخبر إلى بغداد، فخرج شرف الدين إقبال الشرابي مبرزًا إلى ظاهر البلد، وأمر خطيب جامع القصر أبا طالب بن المهتدي بأن يحرص في خطبته على الجهاد ففعل ذلك، فبكى الناس لما سمعوا كلامه، وأجابوا بالسمع والطاعة، وقدم أهل السواد من دقوق وغيرها إلى بغداد، معتصمين بها وتضاعفت أجرة المساكن، وانزعج الناس لذلك، وتتابع خروج الأمراء والعساكر إلى ظاهر البلد، وركب الخليفة المستنصر بالله إلى الكشك[3] فنزل به، وظهر للأمراء، وأمرهم بالمشورة، فقال كل واحد ما عنده، وسهل الأمير جمال الدين قشتمر الأمر في

= نفس السنة ودخل زبيد سنة ٦١٢ هـ في شهر محرم، ثم ملك مكة سنة ٦٢٦، أخذها من الشريف حسن بن قتادة الحسني، وتوفي المسعود بمكة سنة ٦٢٦ هـ. انظر: الوفيات (٥/ ٨٢ و٨٣)، وبهجة الزمن في تاريخ اليمن (ص ٨٢).

(١) ولد الملك العادل محمد سنة ٦١٧ هـ، وتولى أمر مصر بعد أبيه، ثم اعتقله بعض أمرائه، وسلموا البلد لأخيه الصالح سنة ٦٣٨ هـ، فاعتقله بقلعة القاهرة وتوفي بها سنة ٦٤٥ هـ. انظر: الوفيات (٥/ ٨٦)، وشفاء القلوب (ص ٣٦٥).

(٢) انظر الخبر في: الشذرات (٥/ ١٧٠)، وعبر الذهبي (٥/ ١٤٢)، والعسجد المسبوك (ص ٤٨٠).

(٣) الكشك: لفظ فارسي معرب أصله (كوشك، وهو كالمنظرة)، في التراث العربي (١/ ١١٣).

لقائهم، وعيّن الشرابي على جماعة من الأمراء لقصدهم، فتوجهوا إلى القليعة ونزلوا بها، فبلغهم أن المغول في جمع كثير وهم بالقرب من الجبل، فساروا نحوهم، فلما قاربوهم تعبّوا ميمنة وميسرة وقلبًا، فلما شاهدت عساكر المغول ذلك ولّوا راجعين، فتبعهم جماعة من العسكر فقتلوا منهم جمعًا كثيرًا وأسروا منهم جماعة، وغنموا من دوابّهم وأثقالهم، وأرسلوا إلى الشرابي برؤوس كثيرة، فضربت البشارة عند مخيمه وخلع على الواصلين بالخبر[١]، واستأذن الشرابي في دخول البلد فأذن له، فدخل في مستهل ربيع الأول هو والأمير جمال الدين قشتمر والعسكر، وأذن لنور الدين أرسلان شاه بن عماد الدين زنكي صاحب شهرزور في العود إلى بلده[٢]، وخلع عليه وعلى أصحابه. وتقدم إلى تاج الدين محمد[٣] ابن الصلايا العلوي بالتوجّه إلى إربل وتجديد سورها وعمارة ما خرب من دورها ونفذ معه كركر الناصري ليكون مستحفظًا بقلعتها، وعيّن على الأمير أيدمر الأشقر الناصري زعيمًا بها، وكان زعيمها الأمير شمس الدين باتكين قد فارقها.

ثم تقدّم بعمارة[٤] سور بغداد وقسم بين أرباب الدولة، فسلّم إلى نواب ديوان الأبنية منه قطعة مما يلي دار المسناة وقسم العمل بين ثلاثة، وهم فخر الدين المبارك ابن المخرمي صاحب الديوان، وابن أبي عيسى صدر المخزن، وتاج الدين علي ابن الدوامي حاجب الباب ووقع الحثّ على ذلك.

ثم وصل الخبر في شهر رجب المبارك أن عساكر المغول قد سارت نحو بغداد، فتقدّم إلى الأمراء بالخروج إلى ظاهر البلد، فخرج الأمير جمال الدين بكلك الناصري، والأمير جمال الدين قشتمر وغيرهما من الأمراء وخيّموا ظاهر البلد، وكاتب الخليفة ملوك الأطراف يستنجدهم ويعرّفهم الحال، فوصل في شهر رمضان

---

(١) انظر: العسجد المسبوك (ص ٤٨٠)، وفيه: «وكانت الوقعة يوم الثلاثاء سابع عشر صفر».

(٢) ذكر المؤلف أنه وصل في خامس صفر سنة (٦٣٤ هـ)، وفي العسجد المسبوك (ص ٤٨١) أنه وصل بغداد في اليوم السادس عشر من ذي القعدة سنة ٦٣٥ هـ.

(٣) تاج الدين محمد بن نصر بن يحيىٰ بن علي من بني الصلايا العلويين، ذكرهم ابن عنبة في عمدة الطالب، من رجال الدولة العباسية عقلًا ورأيًا وتدبيرًا، أديب، شاعر، ولي أعمال إربل سنة ٦٣٥ هـ، فلما ملك المغول بغداد نزل إليهم، وكان بينه وبين بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ما يكون بين الملوك المتجاورين من منافسة، فأغراهم به فقتلوه صبرًا سنة ٦٥٦ هـ. انظر: عيون التواريخ (٢٠/ ٢٠٤)، وشذرات الذهب (٥/ ٢٨٤).

(٤) انظر: العسجد المسبوك (ص ٤٨٠) وفيه: وفي جمادي الآخرة أمر الخليفة بإصلاح السور ظاهرًا وباطنًا وتعجيل عمل الخندق احتياطيًا وخوفًا من هجوم التتر.

ولدا الملك الأمجد فرخشاه صاحب بعلبك، وهما الملك السعيد شاهنشاه والمظفر عمر ومعهما ألف فارس[١]، فخرج الموكب إلى لقائهما فدخلا وقبّلا العتبة فخلع عليهما وعلى الأمراء الواصلين صحبتهما، ثم خرجا وأنزلا في المخيم بظاهر السور.

ثم وصل بعده الملك المشمر[٢] خضر بن صلاح الدين صاحب دمشق ومعه ستمائة فارس، وتلقي ودخل البلد وخلع عليه وعلى أصحابه وخرج إلى ظاهر السور، وخرج شرف الدين إقبال الشرابي أيضًا إلى مخيّمه وتكملت العساكر عنده، فأمرهم بالمسير إلى لقاء المغول فساروا في شوّال[٣]، وكانت عدّتهم سبعة آلاف فارس، فوصلوا قريبًا من جبل خانقين، فبلغ جمال الدين بكلك أن عدّة عساكر المغول خمسة آلاف فارس[٤]، فسار ليله أجمع ليدركهم نازلين فكبسهم، فلما أسفر الصبح عبر هو والأمراء الذين معه والعسكر قنطرة هناك، فلما تكاملوا عبور القنطرة بانَ لهم غبار عساكر المغول وهم سائرون نحوهم، فواقعوهم على تعبٍ وسهر، واقتتلوا قتالًا شديدًا وانكسرت ميمنة المغول وميسرتهم ولم يبقَ إلا القلب، فحينئذ ظهرت كوامن كانت لهم، وأحاطوا بعسكر بغداد وكانوا قد لججوا وراء المنهزمين، فانهزمت حينئذ عساكر بغداد وقُتل منهم خلق كثير، فالتجؤوا إلى دجلة، قريبة من موضع الوقعة فهلك معظمهم جوعًا وعطشًا، وعاد من سَلِم منهم إلى بغداد، وقُتل جمال الدين بكلك وطبرس وطغرل الحلبي وقيصر الظاهري وبهاء الدين علي الإربلي وكيكلدي بن قرغوي وجماعة من كبار الزعماء يطول ذكرهم، وكانت هذه الوقعة يوم الخميس ثالث ذي القعدة[٥]، ووصل الخبر على جناح طائر يوم الجمعة

---

(١) في العسجد المسبوك (ص ٤٤٠): «وفي اليوم الخامس من رمضان وصل من الديار المصرية ألف فارس من الملك الكامل أبي المعالي محمد ابن العادل أبي بكر بن أيوب صاحب مصر صحبة ولدي الملك الأمجد، وهما الملك المسعود فروخشاه والملك المظفر عمر...».

(٢) في العسجد المسبوك (ص ٤٨١): «وفي يوم التاسع والعشرين منه وصل من دمشق ستمائة فارس صحبة الأمير إبراهيم ابن الملك المشمر خضر بن صلاح الدين يوسف بن أيوب»، وهو الصواب لأن المشمر توفي سنة سبع وعشرين وستمائة بحران. انظر: الوفيات (٧/ ٢٠٥).

(٣) في العسجد المسبوك (ص ٤٨١): «وفي شهر ذي القعدة توجه الأمير جمال الدين بكلك الناصري قاصدًا التتر في سبعة آلاف فارس».

(٤) في العسجد المسبوك (ص ٤٨١): «كان التتر في خمسة عشر ألفًا».

(٥) في العسجد المسبوك: «كان ذلك يوم الخميس الثالث عشر من ذي القعدة».

رابعة، فانقلب البلد وماجَ بأهله ووصل إثر الطائر أهل طريق خراسان، والبندنيجين[١] وغيرهم منتزحين عن أوطانهم، وقدم ابن أبي عيسى صدر المخزن ومشرفه والعمّال والنوّاب، وكثر الرهج وضجّ الناس، فتقدم الخليفة إلى كافّة الأمراء بالتبريز وفُتِحت أبواب السور، فخرجوا في تلك الليلة وخرج الشرابي، وخيّموا جميعهم بالقرب من الملكية، وخرج الخليفة لينظر المخيم والعسكر، فبلغ الشرابي ذلك فركب عَجِلًا للقائه، فظنّ الناس أن ركب الشرابي لأمرٍ حدث، فركب العسكر منزعجين ووصل الخبر إلى عوام البلد وخواصّه، فخرج أكثرهم متسلّحين، فلما عرفوا حقيقة الحال سكنوا واطمأنّوا. أمّا المغول فإنهم حازوا الغنائم وعادوا راجعين من خانقين، وراسلوا الخليفة، فوصل رسولهم في ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وستمائة، فأنفذ العدل جعفر بن محمد بن عباس البطائحي ناظر التّرِكات صحبةَ الرسول الوارد من جرماغون مقدمهم، وكان عوده في سنة سبع وثلاثين. واجتمع به بالقرب من قزوين[٢]. وأذن للشرابي والأمراء والعساكر بالدخول إلى البلد، فدخلوا في آخر ربيع الآخر، ولم يحج أحد في هذه السنة أيضًا.

سنة ست وثلاثين وستمائة

في هذه السنة، ملك الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل أبي المعالي محمد ابن العادل مدينة دمشق، ودخلها واستولى عليها. وسبب ذلك أنه لما توفي الكامل أبو المعالي محمد ابن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب صاحب مصر والشام في السنة الماضية، وانتقل ملكه إلى ولده وولي عهده العادل محمد، استناب في دمشق الملك الجواد يونس[٣] بن ممدود ابن العادل أبي بكر بن أيوب، على أن يحفظها عليه ويخطب له فيها، فلما استولى عليها خوف الملك العادل محمد منه، وقيل له: لم يبق لك في دمشق شيء، فراسله ليسبر الحال فوجدها كما قيل له، ثم إن الملك الصالح أيوب صاحب سنجار راسل الملك الجواد، وطلب منه دمشق على

---

(١) البندنيجين: بلدة مشهورة في طرف النهروان من ناحية الجبل من أعمال بغداد، معجم البلدان (١/ ٤٩٩)، وقد تطوّر اسمها إلى مندلي، وهي إحدى نواحي قضاء خانقين حاليًا.

(٢) قزوين: مدينة مشهورة بينها وبين الري سبعة وعشرون فرسخًا، وإلى أبهر اثنا عشر فرسخًا.

(٣) الملك الجواد، يونس، ملك دمشق بعد وفاة عمه الكامل، فأساء السيرة، واضطر إلى مقايضة دمشق بسنجار وحصن كيفا، ثم خرجتا من يده، ثم سجنه عمه الصالح إسمٰعيل بحصن عزتا حتى توفي سنة ٦٤١ هـ، وسيذكر المؤلف ذلك. قال صاحب الشذرات (٥/ ٢١٢): «كان جوادًا ولكنه لا يصلح للملك»، وانظر: البداية والنهاية (١٣/ ١٦٣)، وشفاء القلوب (ص ٣٦٨).

أن يعوّضه[١] عنها سنجار، فأجابه إلى ذلك وسلّمها إليه وانتقل منها إلى سنجار، فلما استقرّ الملك الصالح في دمشق وملكها حدّث نفسه بأخذ مصر من أخيه العادل محمد، وكان هو الأكبر والأنجب، واستفسد جماعة من الأمراء المصريّين ووعدهم بالإحسان، فأجابوه إلى ما أراد، فبلغ ذلك أخاه العادل فأرسل إلى الخليفة يعرّفه ذلك ويسأله التقدّم إلى أخيه بالكفّ عما عزم عليه من قصده، فأمر الخليفة بإنفاذ أبي محمد يوسف ابن الجوزي في المعنى[٢]، فتوجّه إليه وقرّر معه القناعة بدمشق وتوفير مصر على أخيه، فاشترط أشياء من جملتها حصّته من تركة أبيه، فأجابه أخوه إلى ذلك واصطلحا، وعاد الملك الصالح إلى دمشق[٣].

وفيها، قتل السلطان ناصر الدين يولق[٤] أرسلان بن ألبي بن تمرتاش بن أيلغازي بن تمرتاش بن ألبي بن أرتق صاحب ماردين[٥]، كان قد ملكها بعد وفاة أخيه حسام الدين[٦] أيلغازي، وكان حينئذ دون البلوغ، واستولى عليه بدر الدين لؤلؤ الرومي[٧] مملوك أخيه حسام الدين المذكور، ثم زوّج والدته بنظام الدين[٨]

---

(١) في العبر (١٤٧/٥): «مهنت نفس الجواد عن سلطنة دمشق بعد أن محق الخزائن، وكاتب الملك الصالح أيوب وقايضه، فأعطاه دمشق بسنجار وعنه»، وانظر: البداية والنهاية (١٣/ ١٥٢ و١٦٣).

(٢) ورد ذلك في تتمة المختصر (٢/ ٢٤٥).

(٣) لم يرد ذلك في المصادر الأخرى أن الملك الصالح عاد إلى دمشق، إذ استولى عمه الصالح إسمٰعيل وأسد الدين شيركوه عليها وهو في نابلس متوجّهًا إلى مصر، فاعتقله صاحب الكرك لمدة سبعة أشهر بعدما تفرّق عسكره، ثم دخل مصر بعد عزل أمرائها أخاه العادل، واستعاد دمشق سنة ٦٤٣ هـ. انظر: تتمة المختصر (٢/٢٤٦)، والبداية والنهاية (١٣/ ١٥٣)، والعبر (٥/ ١٥٢)، والشذرات (٥/ ١٨٣)، والعسجد المسبوك (ص ٤٩٢).

(٤) كذا ورد، وهو اسم حسام الدين أخيه الآتي ذكره، كما في الكامل، أمّا ناصر الدين المذكور فاسمه «أرتق» كما في العبر (٥/ ١٤٨)، والعسجد المسبوك (ص ٤٨٥)، والشذرات (٥/ ١٨٠) قالوا: تملك ماردين بضعًا وثلاثين سنة، وكان فيه عدل وخير في الجملة.

(٥) ماردين، قال ياقوت: «قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة، مشرفة على دنير ودارا ونصيبين، وذلك الفضاء الواسع، وقدامها ربض عظيم فيه أسواق كثيرة، وخانات ومدارس وربط وخانقاهات». معجم البلدان (٥/ ٣٩).

(٦) حسام الدين «يولق» ملك ماردين بعد وفاة أبيه قطب الدين سنة ٥٨٠ هـ، وهو طفل، وكان فيه تخبيط وهوج، ولم يكن له من الملك إلا الاسم. انظر: العسجد المسبوك (ص ١٩١).

(٧) في العسجد المسبوك (ص ١٩١): «وكان لنظام الدين مملوك اسمه لؤلؤ قد تحكم في دولته».

(٨) في العسجد المسبوك (ص ١٩١): «نظام الدين البقش، مملوك أبيه. وكان البقش خيّرًا عادلًا حسن السيرة حليمًا فأحسن تربية الولد حسام الدين، وتزوّج أمه».

أحد الأمراء، وكان الاسم في الملك لناصر الدين والحكم لبدر الدين وحسام الدين[١] المذكورين، فلما اشتدّ وكبر أعمل الحيلة في قتلهما وواطأ على ذلك جماعة من المماليك ففعلوا ذلك[٢]، وكان قتلهما في سنة ستمائة، وانفرد بالحكم واستقام له الأمر بعدهما وانتظمت أحواله وصفا له الملك، وصار له من الولد أربعة: نجم الدين غازي، وحسام الدين، وقطب الدين يحيى، والمعظم عيسى، فوقع من نجم الدين غازي أمر أنكره والده ناصر الدين عليه، وأبعده عنه فمضى[٣] إلى حلب، وصحب الفقراء ودروز[٤] معهم في الأسواق وحلق شعره، فبلغ ذلك والده، فأرسل إليه من قبض عليه وحبسه في برج بقلعة تعرف «بالبارعية»[٥] بينها وبين ماردين مسيرة يومين، وكان لنجم الدين غازي هذا ولد[٦]، وهو عند جدّه ناصر الدين، وكان شديد المحبّة له والشفقة عليه، فواطأ هذا الولد ستة نفر من المماليك الترك على قتل جدّه ناصر الدين، فوافقوه على ذلك، وانتهزوا الفرصة في قتله وهو سكران فخنقوه فنفذ في الحال من أفرج عن أبيه نجم الدين غازي وأحضره إلى ماردين وحلف له الأمراء والجند، فاستولى على ماردين وحبس الأكبر من إخوته[٧]، واستقام له الأمر[٨].

(١) لا يستقيم الخبر هكذا، ولعله أراد نظام الدين.

(٢) في العسجد المسبوك (ص ١٩١)، سنة ٦٠١ هـ. وفيه: «مرض نظام الدين البقش فأتاه ناصر الدين يعوده، فلما خرج من عنده وخرج معه لؤلؤ ضربه ناصر الدين بسكين معه فقتله، ثم دخل إلى البقش وبيده السكين فقتله أيضًا، وأخذ رأسيهما وخرج ومعه غلام له فألقى الرأسين إلى الأجناد فأذعنوا له بالطاعة، فلما تمكن أخرج من أراد وترك من أراد واستولى على قلعة ماردين وأعمالها»، وانظر: تتمة المختصر (٢/ ١٤٣).

(٣) في العسجد المسبوك (ص ٤٨٦): «لما طرده أبوه قصد بغداد وسأل الخدمة بها فلم يجب إلى ذلك ولا مكّن من المقام فيها حفظًا لقلب والده، فلما اشتدّ عليه الأمر وتغيّرت حاله حلق رأسه وصحب الفقراء وامتحنوه بأن كلّفوه أن يدور لهم في الأسواق بحلب».

(٤) دروزة: «بالفارسية دروازه» التسوّل والكربة، تكملة المعاجم العربية (٤/ ٣٤٣). وفي الحاشية: الدروزه: الجلوس على الدروازه وهي مقدم الدرب بالفارسية للتكدية، يقال: دروز الرجل إذا فعل ذلك، وقيل: هي من دريوزة، وهي كلمة فارسية معناها طلب الصدقة، والمدروز أيضًا هو الذي يتعرّض للصنائع الخسيسة مثل عمل المراوح والمكانس.

(٥) البارعية: لم يذكرها ياقوت في معجمه، وهي في تاريخ مختصر الدول من أعمال الجزيرة.

(٦) اسمه ألبي بن غازي، العسجد المسبوك (ص ٤٨٦).

(٧) هو: حسام الدين، العسجد المسبوك (ص ٤٨٦).

(٨) انظر الخبر مفصّلًا في: العسجد المسبوك (ص ٤٨٥)، ومختصرًا في العبر (٥/ ١٤٨)، والشذرات (٥/ ١٨٠).

وفيها، رتب محمد بن علي بن سلمان القوساني[1] ناظر ديوان واسط نقلًا من إشراف دجيل، ورتب محمد بن خليد مشرفًا عليه.

وفيها، توفي أحمد ابن الهروي النحوي المعروف باليحمور، كان قد سافر إلى البلاد وحجّ وجاور وقدم بغداد وأظهر الجنون وتعاطى البله وعانى سؤال الوعّاظ بالعبارات المنمّقة، وصار له بذلك سوق عند العوام، ونقل عنه أنه يثقل أحوال البلد، فأخذ وحبس في المارستان ثم ظهرت براءته فخلّي سبيله، وجُعِل له رسم في كل سنة مبلغه ثلاثون دينارًا، فلما مات وجدت القراطيس بحالها ما شذّ منها إلّا ما ابتاع به كتبًا، وكان يستعطي من الناس ويدروز ما يقتات به.

وفيها، شرع في عمل تربة ورباط على شاطئ نهر عيسى بباب قطفتا[2] «وبشارع رزق الله» في البستان المعروف قديمًا ببستان سنقر المعنوي[3] الركبدار، وتولى عمارته تاج الدين علي ابن الدوامي حاجب باب النوبي.

وفيها، دخلت امرأة طرارة[4] دارًا في المأمونية[5] وأخذت صندوقًا مملوءًا ثيابًا ومصاغًا، وجعلته على باب الدار فاجتاز عليها حمال، فأشارت إليه بحمله معها إلى بيتها، فحمله وعاد مجتازًا على تلك الدار، فرأى الناس مجتمعين، فلما عرف حالهم قال: أنا حملت الصندوق مع جارية خرجت من هذه الدار، فمضوا معه، فأراهم الدار التي حمل الصندوق إليها، فدخلوها فوجدوا الصندوق لم يُفتح، فأخذوه وقبضوا على المرأة. وقيل: إنه في زمن الوالي أبي الكرم زوّجت امرأة ابنتها، وكان لها عند الصائغ فردة سوار، وكان بيتها في الكرخ، فعبرت إلى بيتها، فرأت الجسر قد قطع فحارت في أمرها، فرأتها امرأة متحيّرة، فعرضت عليها المبيت عندها، فأجابت ودخلت إليها،

---

(١) القوساني: نسبة إلى قوسان وهي كورة كبيرة ونهر عليه مدن وقرى بين النعمانية وواسط، ونهره الذي يسقي زروعه يقال له الزاب الأعلى. انظر: معجم البلدان (٤/ ٤١٣)، وسيذكر المؤلف خبر وفاة القوساني في حوادث السنة ٦٣٧ هـ.

(٢) قطفتا: «محلة كبيرة، ذات أسواق بالجانب الغربي من بغداد مجاورة لمقبرة الدير التي فيها قبر الشيخ معروف الكرخي، وبينها وبين دجلة أقل من ميل، وهي مشرفة على نهر عيسى». معجم البلدان (٤/ ٣٧٤).

(٣) كذا ورد، ولعله المقتفوي، نسبة إلى المقتفي لأمر الله.

(٤) الطرارة: هي التي تطر الدروب وتحتال فيها على الناس، وكان عندهم سجن الطرارات (حاشية الدكتور جواد).

(٥) المأمونية: منسوبة إلى المأمون بن هارون الرشيد، وهي محلة كبيرة ببغداد بين نهر المعلى وباب الأزج (معجم البلدان ٥/ ٤٤).

فجعلتها في غرفة الدار، فلما مضى معظم الليل طُرِق الباب، فنزلت المرأة صاحبة الدار وفتحت، فدخل جماعة معهم ثياب وخشل، فنظرت المرأة إلى ما معهم فعرفته جميعه وهو بعينه رحل ابنتها، قالت المرأة: فحصل عندي من الخوف ما لا أُحسن شرحه، وكلما صعدت صاحبة الدار وهمتها أني نائمة، فلما طلع الصبح خرجت ومضيت إلى أبي الكرم الوالي وعرّفته ذلك، وأريته فردة السوار وقلت: إن الفردة الأخرى عندهم، فركب ومضيت معه فكبس الدار وأخذ الرحل فسلّمه إليّ فأخذته ومضيت.

وفيها، توفّي النقيب الطاهر أبو علي الحسن ابن النقيب الطاهر أبي تميم معد، ناب عن أبيه في إشراف المخزن في الأيام الناصرية، فلما توفّي والده في سنة سبع عشرة، مضى الموكب إليه في جمعٍ من الحجّاب والدُّعاة، وفي صدرهم عارض الجيش سعيد بن عسكر الأنباري إلى داره بالمقتدية في اليوم الثالث من وفاة والده، وأقامه من العزاء، وعرفه أن الخليفة قد قلّده ما قلّد أباه، فركب إلى دار الوزارة، فخلع عليه خلعة النقابة، وكان عمره يومئذ خمسًا وعشرين سنة حين بقل عذاره، وكان له رواء ومنظر حسن وصورة جميلة، ولم يزل على نقابته وإشراف المخزن إلى سنة ثلاث وعشرين، فعزل عن إشراف المخزن، ثم عُزل في سنة أربع وعشرين عن النقابة، ثم أُعيد إلى إشراف المخزن في سنة ست وعشرين، وعُزل عنه في سنة تسع وعشرين، ولم يُستخدم بعدها، وانتقل من المقتدية وأقام بالكرخ عند أنسابه إلى أن توفّي في عنفوان شبابه.

وفيها، توفي أبو منصور عبد الواحد[1] بن الحصين المعروف بابن الفقيه الدسكري الأصل، الموصلي المولد، البغدادي المنشأ، المحولي الدار والوفاة، والدسكرة المنسوب إليها: قرية من أعمال طريق خراسان، وكان أديبًا فاضلًا شاعرًا فصيحًا، يكتب خطًّا حسنًا على طريقة ابن البواب، طلب من بعض الخطباء قصبًا من

---

(١) عبد الواحد بن إبراهيم بن الحسين بن نصر الله بن عبد الواحد، المعروف بابن الفقيه، ولد بالموصل سنة ٥٦١ هـ، وسمع من أحمد ابن الخطيب وحدّث ببغداد، وكان أديبًا شاعرًا يكتب خطًّا حسنًا. انظر: العسجد المسبوك (ص ٤٨٦)، ويكاد ما ورد فيه يتطابق تطابقًا كاملًا مع ما ورد هنا إلّا أنه زاد عليه: «وله أشعار كثيرة جيّدة في سائر الفنون، وكان مشتغلًا بمصالح دنياه حريصًا على الاستكثار منها...» الخ، وروى له أبيات أخرى. وانظر كذلك تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٣ ص ٢٢٣)، وفيه «ابن إبراهيم بن الحسن» وما أورده منقول من التكملة للمنذري.

بستان له، فدافعه ولم يعطه، فكتب إليه:

إن الخطيب أدام الله رفعته ... وزاده بسطة في العلم والأدب
طلبت من شرب بستان له قصبًا ... فظنني طالبًا شربًا من القصب
فظلت أوسعه مدحًا ويوسعني مطـ ... ـلًا كلانا طويل الباع في الكَذِب
ثم افترقنا ولم أحصل بفائدةٍ ... مما طلبت سوى التسويف والتعب
فلست أدري وخير القول أصدقه ... هل قد سخرت به أم كان يسخر بي[١]

ومن شعره:

مُذْ عقربت صدغاه واستجمع الـ ... ـنمل إلى درّ اللَّمى الأشنب
تقدّم الحاجب أن يكتب الـ ... ـعارض الأوهم[٢] في الأشهب
يا أمراء الحسن لا ترحلوا ... فالقمر الأرضي في العقرب

ولم يخرج الحجاج من بغداد في هذه السنة أيضًا، بمجرد الاهتمام في أمر المغول ومراسلاتهم والاستعداد لذلك.

سنة سبع وثلاثين وستمائة

فيها، وصل الملك الجواد سليمان[٣] بن مودود[٤] ابن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب صاحب سنجار إلى بغداد، وخرج إلى لقائه موكب الديوان ودخل معهم وقبّل العتبة بباب النوبي، ودخل إلى الوزير ابن الناقد، فخلع عليه وأمطي فرسًا وخلع على جماعة من خواصّه وأصحابه وأسكن دار بهنام بقراح[٥] بن رزين، فوصل الخبر إليه أن بدر الدين لؤلؤًا صاحب الموصل استولى على سنجار وملكها، وقد كان راسله قبل ذلك والتمس منه أن يسلم إليه سنجار صلحًا على مال يؤدّيه إليه، فأجابه إلى ذلك، فنفذ بدر الدين إليه ولده ركن الدين إسمٰعيل والمال معه فسلّمه إلى الجواد

(١) الأبيات في العسجد المسبوك (ص ٤٨٧). (٢) كذا في الأصل، ولعله «الأدهم».
(٣) سبق ذكره باسم «يونس».
(٤) في بقية المصادر «ممدود»، وسيذكره المؤلف مرسومًا هكذا «ممدود».
(٥) قال ياقوت: والمراد به ههنا اصطلاح بغدادي، فإنهم يسمونه البستان قراحًا، وفي بغداد عدة محالّ عامرة الآن آهلة يقال لكل واحد منها قراح، إلا أنها تضاف إلى رجل تعرف باسمه (المعجم ٤/ ٣١٥).

فأخذه ودافعه عن تسليم البلد[١]، واستناب فيه أحد أمرائه وتوجّه إلى بغداد، وترك إسمٰعيل في البلد فتحدّث على جماعة من الأمراء فأجابوه إلى ما طلب وأظهروا عصيان الجواد، فنازعهم آخرون وجرت بين الفريقين حرب أسفرت عن تسليم البلد إلى ركن الدين إسمٰعيل، وصعد القلعة واستقرّ ملكه بها[٢]، فلما عرف الملك الجواد بذلك استأذن الديوان في التوجّه، فأذن له وخلع عليه وعلى أتباعه ومماليكه وخرج متوجّهًا إلى «عانة»، وليس له يومئذٍ سواها.

وفيها، وصل[٣] رسول من نور الدين عمر بن علي بن رسول[٤] صاحب بلاد اليمن ومعه تحف وهدايا فأدّى رسالته، وذكر أنه وصل إليه رجل هاشمي على زعمه أظهر أنه رسول من الديوان ومعه خلعة، فقال له السلطان: عادة الديوان إذا شرف سلطانًا بخلعة ينفذ له تقليدًا بالبلاد لتكون ولايته شرعية، فقال: هذا يحتاج إلى سؤال، فاكتب والتمس ذلك حتى أنفذه مع مملوكي، فكتب وسلّم المكتوب إلى الرسول فأوهم أنه ينفذه ثم اختفى فلم يُعلم له خبر، فوقع التعجّب من ذلك وخلع على الرسول وأذن له في العود.

وفيها، صُلِب إنسان أعجمي خياط كان في خدمة الأمير جمال الدين قشتمر كان قد جرح جارًا له فمات، وكان هذا الخياط قد برع في الصناعة وعمل أشياء عجيبة، منها: أنه حبس نفسه في صندوق ومعه ثوب غير مفصل وعلق الصندوق مقابل باب جمال الدين قشتمر من أوّل الليل، ثم حط وقت الصبح وقد فصل

---

(١) في العسجد المسبوك (ص ٤٩١): «واعتذر بأنه يحتاج إذن الديوان بذلك، ثم استناب أحمد أمراءه وتوجه إلى بغداد».

(٢) انظر الخبر في: العسجد المسبوك (ص ٤٩٠)، وتتمة المختصر (٢/٢٤٧).

(٣) في العسجد المسبوك (ص ٤٨٩): «وصل رسول نور الدين عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن بجواب رسالة نفذت إليه على لسان مهنّا العلوي، فقبل رسوله العتبة بباب النوبي وحضر دار الوزارة وأدّى رسالة صاحبه وأنهى طاعته». وفي تاريخ الخلفاء (ص ٤٦٣): «وفيها قدم رسول الأمين الذي تملك اليمن نور الدين عمر بن علي من رسول التركماني إلى الخليفة يطلب تقليد السلطنة باليمن بعد موت الملك المسعود ابن الكامل، وبقي الملك في بيته إلى سنة خمس وستين وثمانمائة».

(٤) الملك المظفر، عمر بن علي بن رسول التركماني، وزعم أنه من ولد جبلة بن الأيهم، سيذكر المؤلف بعد قليل خبر استيلائه على مكة، وهو مؤسس الدولة الرسولية باليمن، كان ينوب عن الملك المسعود، فلما توفي بمكة سنة ٦٢٦ هـ استولى على زبيد، وتلقب بالملك المنصور وتزوّج زوجة الملك المسعود وأخذ يستولي على قلاع اليمن شيئًا فشيئًا، قتله جماعة من مماليكه سنة ٦٣٧ هـ. انظر: بهجة الواصل (ص ٨٦).

الثوب وخيّط قباءً وطوي، وكان الخياط شيخًا قصيرًا جدًا أعرج أحدب غير محمود الطريقة[١].

وفيها، قُتل بباب النوبي ثلاثة أنفس ضرب أحدهم عدة ضربات، فلم يؤثر فيه السيف وكان في وسطه خيط فقطع الخيط فوجد فيه خرزة، ثم ضرب ضربة واحدة فانفصل، وبعد انفصال النصفين سُمِع وهو يتشاهد.

وفيها، رتب العدل يحيىٰ بن سعد النردي[٢] شيخًا للصوفية برباط الخلاطية وخلع عليه.

وفيها، توفي ابن سلمان القوساني[٣] ناظر واسط، وأفرج عن الصفي أحمد بن الطباخ وخلع عليه ورتب عوضه.

وفيها، استولى نور الدين عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن على مكة شرفها الله تعالى[٤]، نور الدين هذا أصله تركماني، وُلِد باليمن ونشأ بها وخدم مع صاحبها الملك المسعود يوسف[٥] ابن الملك الكامل محمد ابن العادل أبي بكر محمد بن أيوب، فلما مات الملك المسعود علت همّته وقويت شوكته واستولى على البلاد وملكها تغلبًا، وقطع خطبة الكامل، فلما مات الكامل في السنة الخالية استولى في هذه السنة على مكّة وطرد نواب الكامل عنها.

وفيها، حضر الأمير سليمان بن نظام الملك متولّي المدرسة النظامية مجلس أبي الفرج عبد الرحمٰن ابن الجوزي بباب بدر، فطاب وتواجد وخرق ثيابه وكشف رأسه،

---

(١) انظر الخبر في: العسجد المسبوك (ص ٤٩٠).

(٢) سيذكر المؤلف وفاته في هذه السنة، وسيذكر اسمه على صورة بهاء الدين أبو طالب سعد بن اليزدي.

(٣) هو محمد بن علي بن سلمان القوساني، ذكر المؤلف ترتيبه ناظرًا لديوان واسط في حوادث سنة ٦٣٦ هـ.

(٤) انظر: صبح الأعشى (٤/ ٢٧٣)، وفيه: «ثم جاءت عساكر مصر سنة ثنتين وثلاثين مع الأمير جبريل فملكوا مكّة وهرب راجح إلى اليمن، ثم عاد ومعه عمر بن رسول صاحب اليمن بنفسه فهربت عساكر مصر، وملك راجح مكة وخطب لعمر بن رسول بعد الخليفة المستنصر»، ذكر صاحب العسجد المسبوك (ص ٥٧٨) أنه قتل في سنة ٦٤٨، وفي مرآة الزمان (ج ٨ ق ٢ ص ٧٧١) أنه قتل سنة ٦٤٦ هـ.

(٥) الملك المسعود يوسف ابن الملك الكامل محمد ابن العادل أبي بكر محمد بن أيوب. ولد سنة ٥٩٧ هـ، وتوفي سنة ٦٢٦ هـ، ودُفِن بجانب المعلى بمكة، تقدمت ترجمته في حوادث سنة ٦٢٦ هـ.

وقام وأشهد الواعظ والجماعة أنه قد أعتق جميع ما يملكه من رقيق، ووقف أملاكه، وخرج عن جميع ما يملكه، فكتب إليه النقيب الطاهر أبو عبد الله الحسين ابن الأقساسي أبياتًا طويلة، يقول فيها:

يا ابن نظام الملك[١] يا خير من ... تاب ومن لاق به الزهد
يا ابن وزير الدولتين[٢] الذي ... يروح للمجد كما يغدو
يا ابن الذي أنشأ من ماله ... مدرسة طالعها سعد[٣]
قد سرّني زهدك عن كلّ ما ... يرغب فيه الحرّ والعبد
بانَ لك الحق وأبصرت ما ... أعيننا عن مثله رُمْدُ
وقلت للدّنيا: إليك ارجعي ... ما عن نزوعي عنكِ لي بدُّ
ما الذي بعدك حتى استوى ... في فِيَّ منك الصاب والشهد
شيمتك الغدر كما شيمتي ... حسن الوفاء المحض والودُّ
لا الخَشِنُ العَيْشِ له متعةٌ ... فيكِ ولا مَنْ عَيْشُه رغد
عزمك في الزهد يثير القوى ... يعضده التوفيق والرشد
وأنت في البيت كما يشتهي ... كالخيس فيه الأسد الورد
لا يقصد الناس إلى دورهم ... لكن إلى منزلك القصد
وخدمة الناس لها حرمةٌ ... وكلُّ ما تفعله يبدو
والناس قد كانوا رقودًا وقد ... أيقظتهم فانتبه الضدُّ
وقسمت فيك ظنون الوَرَى ... وكلّهم للقول يعتدُّ
فبعضهم قال: يدوم الفتى ... وبعضهم قد قال: يرتدُّ

ويقول فيها:

وقد أتى تشرين وهو الذي ... إليه عين العيش تمتدُّ
ما يسكن البيت وقد جاءه ... إلا مريضٌ مسّه الجهد
وكل ما يفعله حيلةٌ ... منه ونصبٌ ما له حدُّ

(١) يريد به نظام الملك أبو علي الحسن بن إسحق، المولود في سنة ٤٠٨ هـ، والمتوفى سنة ٤٨٥ هـ. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (١٢٨/٢)، وفي كتب التاريخ العامة.
(٢) وزر للسلطان ألب أرسلان ولولده ملك شاه كما وزر للخليفة المقتدي بالله.
(٣) يشير إلى المدرسة النظامية التي بناها نظام الملك، التي شُرع في بنائها سنة ٤٥٧ هـ.

فقلت لا والله ما رأيه هذا ولا فيكم له نِدُّ
وإنما هذا سليمان قد صفا له في زهده الورد
مثل سليمان الذي أعرضت يومًا عليه الضمر الجرد
فعاف أن يدخلها قلبه والهزل لا يشبهه الجدُّ

ويقول فيها:

ليهنك الرشد إلى كلّ ما يضلُّ عنه الجاهل الوغد
أسقطت من جيش أبي مرّة وأكثر الناس له جند
وقمت لله بما يرتجي بمثله الجنّة والخلد
فاصبر فما يدرك غايات ما يطلب إلّا الحازم الجلد

وفيها، وصل منيف[١] ابن الأمير شيحة أمير المدينة صلوات الله على ساكنها في جماعة من العرب صحبة الحاج الذين كانوا هناك، وخرج إلى لقائه موكب الديوان وأسكن في الجانب الغربي، ثم استُدعي وتشرّف بلباس الفتوة عن الخليفة وخلع عليه وعاد.

وفيها، تحيّل قوم غرباء كانوا في حبس الوزير وهو دار «بدرب البطيخ»[٢] ونقبوه وخرجوا ومضوا ليلًا لا يعلمون أين يقصدون فساقهم القضاء إلى دار حاجب باب النوب تاج الدين ابن الدوامي فأنكرهم الغلمان وسألوهم عن حالهم فاستجاروا بهم، وقالوا: قد هربنا من حبس الوزير، فقبضوا عليهم وعرفوا حاجب البابين فحبسهم وأنهى حالهم، فتقدم بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف.

وفيها، ظهر في بخارى[٣] إنسان أعجمي متصوّف يُعرف بأبي الكرم الداراني كان يري الناس الأعاجيب من أنواع الشعبذة، ويأمر إنسانًا أن يرميه بسهم فتثقل يده ولا يستطيع ذلك، فكبر جمعه وتلقّب بالمهدي، وأمر بقتل النصارى واليهود ببخارى

(١) منيف بن شيحة العلوي، وشيحة ولي إمارة مدينة المنورة بعد أبيه سالم بن قاسم بن مهنّا العلوي الحسيني، وسيذكر المؤلف أنه قتل سنة ٤٤٦ هـ، وفي صبح الأعشى (٤/ ٣٠٠) أنه قتل سنة ٤٤٧ هـ.

(٢) درب البطيخ، وفي معجم البلدان (٢/ ٤١٩): «دار البطيخ، محلّة كانت ببغداد كان يباع فيها الفواكه».

(٣) بخارى: من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلّها، يُعبر إليها من آمل الشط، وبينها وبين جيحون يومان من هذا الوجه. انظر: معجم البلدان (١/ ٣٥٣).

ونهب أموالهم، فقُتلوا ونُهبوا، وقال لأصحابه: إني قادر على قتل المغول وكسرهم بنفسي ومن يتبعني بقدرة الله تعالىٰ من غير احتياج إلى سلاح، فتبعه خلق كثير فنهض على شحنة بخارى ومن معه من العسكر فقتلهم، وانضمّ إليه بعد ذلك جمع عظيم فبلغ جرماغون خبره فعظم عليه ونفذ عسكرًا وشحنة إلى بخارى، فخرج إليهم أبو الكرم في ألوف كثيرة، وأمرهم أن لا يصحب أحد منهم سلاحًا، فلما التقوا أحجم عنه المغول، فأقدم واحد من أمرائهم وقال: أريد أن أجرب، فإما أن أقتله فيقدم العسكر عليهم ويقتلوهم عن آخرهم، وإمّا أن أهلك كما يزعمون، ثم عمل على أبي الكرم فقتله، فأكبّت العساكر عليهم فقتلوهم فلم يفلت منهم إلا اليسير، ويقال: إن عدّتهم كانت نحوًا من ستين ألفًا.

وفيها، عيّن الأمير بدر الدين سنقرجاه الظاهري[١] زعيمًا في خوزستان وخلع عليه، وكان قد وصل الخبر على جناح طائر بوفاة زعيمها شمس الدين أصلان تكين الظاهري.

وفيها، تكامل بناء المدرسة المجاهدية[٢]، تجاه دار الدويدار الكبير وهي منسوبة إلى الدويدار الصغير، جعلها برسم الحنابلة، ولم يوقف عليها شيئًا.

وفيها، هرب قطب الدين سنجر المستنصري المعروف بالياغر[٣]، وصحبته جماعة من المماليك، فلقيه أبو علي بن غنام أمير عرب الشام، فقبض عليه وأتى به إلى بغداد تحت الاستظهار راكبًا على حمار في رجله سلسلة، وكذلك أصحابه، فأوقفوا في باب البدرية إلى الليل وباتوا هناك، وجلس الشرابي من الغد وأمر بإحضارهم، فلما حضروا قال: يا سنجر أي شيء سوّلت لك نفسك الخسيسة؟ ولمن

---

(١) ورد ذكره استطرادًا في التلخيص (ج ٤ ق ١ ص ٢٨١) بصورة «سنقرجة».

(٢) منسوبة إلى مجاهد الدين، الدويدار الصغير، بناها في دار الخلافة وجعلها برسم الحنابلة ولم يوقف عليها شيئًا من الأوقاف، ومن العجيب أنها بقيت معمورة يختلف إليها الفقهاء عصورًا أطول من عصور المدارس التي أوقفت عليها أوقاف كثيرة. انظر: التلخيص (ج ٤ ص ١٦٧ ـ الحاشية).

(٣) قطب الدين أبو المظفر سنجر بن عبد الله. وفي تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٤ ص ٦٤٥): «المستقصي يعرف بالياغز»، وكذلك في عيون التواريخ (٤٠٦/٢٠) وفي ذيل مرآة الزمان: «الياغز»، قيل: كان ذا معرفة ونباهة، يحاضر بالأشعار والحكايات، ولما استولى التتار على بغداد سنة ٦٥٦ هـ هرب إلى الشام فأنعم عليه الظاهر بيبرس البندقداري بإقطاع جيد في دمشق.

خطر لك أن تخدم بعد الخليفة؟ وقد رباك وأحسن إليك وأدناك من سدّته فقابلت ذلك بما أنت أهله؟ فبكى واعتذر وقال: الخطأ منّا والعفو منكم، فقال له: قد عفي عنك وعن الجماعة وتصدق عليكم بأرواحكم، وأمر برفع السلاسل من أرجلهم، ثم قال: ليس الحلم والعفو ببعيد من أمير المؤمنين، وليس الغدر والخيانة ببعيدة من هذا القبيل، ثم أذن لهم في التوجّه إلى بيوتهم، وأُعيدت عليهم معايشهم، وكان سنجر هذا أولًا مملوكًا لامرأة تُعرف بعائشة اليتيمة[١] ربيبة الخليفة الناصر لدين الله، ربّته صغيرًا وعلّمته الخط وأدّبته، فلما بويع المستنصر بالله، تقرّبت به وسألت قبوله، فقبله وحظي عنده وصار من جملة الخواص، وزُوّج بجارية وأعطي أموالًا كثيرة، فسوّل له الشيطان الإباق[٢]، فاستفسد جماعة من المماليك، وخرج موهمًا أنه يتوجّه إلى بعض مزروعاته، وكان قد أحبّ الزراعة وضمن قرايا[٣] في الحلة وزرعها، فودّع زوجته وولدًا له صغيرًا، وتوجّه قاصدًا بلاد الشام، فنفذ الديوان إلى الجهات، وأخذ عليه مفارق الطرق، فاتّفق أن أبا علي بن غنام المذكور قد وصل إلى الحديثة لمهم له، فعرّفه مستحفظها الأمير يوسف بن باتكين صورة الحال، فمضى في طلبه، فوجده قد رفع وراءه سنجقًا، وهو في صورة رسول، فدعاه إلى النزول وكان بالقرب من بيوته، فلم يُجب، وطال الكلام بينهما وأفضى إلى المحاربة، فقتل منهم مملوك وجرح جماعة، وقبضوهم وغنموا ما معهم، فاستجار سنجر بزوجة ابن غنام فأجارته وقالت لزوجها: إما أن تطلقه أو تمضي معه إلى الخليفة وتستوهب خيانته، فأخذه ووصل به إلى بغداد، فلما أراد الوزير أن يخلع عليه قال: لا ألبسها حتى يعفى عن سنجر، فإن للذمّة العربية حرمة لا تخفر[٤]، فأُجيب سؤاله، وعفي عن سنجر كما ذكرناه، وأحضر ابن غنام إلى البدرية وخلع عليه وشرف بلباس الفتوّة من الخليفة ورجع إلى مستقرّه.

وفيها، تقدم ببعض أماكن كان قد عمرها التركمان بظاهر بغداد مما يلي سوق السلطان مساكن ودكاكين واصطبلات وحمامات وغير ذلك، وكانت تزيد على ألف موضع.

---

(١) انظر: تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٤ ص ٦٤٥).

(٢) الإباق: هرب العبد (هامش الدكتور جواد).

(٣) القرايا: جمع قرية، وهو مولد من باب حمل المجرد على المزيد (هامش الدكتور جواد).

(٤) مِنْ خَفَرَ الذمة، أي: نقضها وغدر بها «د. جواد».

وفيها، قطعت يد شيخ جميل الهيئة في زي التجار، كان يسكن الخانات على أنه تاجر ومعه فشاشات يفتح بها الأقفال ويسرق أموال التجار، فظهر عليه شيء فأُخذ وقطع.

وفي شهر رمضان، استُدعي الأمير بهاء الدين أيدمر الأشقر زعيم إربل إلى دار الوزارة لأجل الفطور على الطبق[1]، فحضر، فلما أفطر قبض عليه وعلى جميع أصحابه، واحتيط على داره، وحمل إلى الديوان راجلًا فحُبِس به، ثم قبض على ابن غزالة مشرف إربل وفراس الواسطي كاتبها، وأُحضر الأمير الحلي مكلّبًا ورتب زعيمًا في إربل وخلع عليه.

وفيه، تقرّر مع الملك الجواد سليمان بن ممدود العادل صاحب عانة تسليم «عانة» إلى نواب الديوان على مال عيّنه، فنفذ له ذلك ونفذ إليها العدل حسين بن المثنى الهيتي قاضيها، وكان يومئذ ناظر الزناب[2] وصحبته أمير يُعرف بالطغرائي، فتسلماها منه.

وفيها، توفّي[3] الأمير جمال الدين قشتمر الناصري ببغداد، وحمل إلى مشهد الحسين عليه السلام فدُفن هناك، وفي تربة له فيها زوجته وولده، وكان حسن السيرة شجاعًا كريمًا جوادًا متعففًا، ذا همّة عالية، كثير المعروف والبر، وكان عمره نحوًا من سبعين سنة، كان أولًا لقطب الدين سنجر الناصري[4]، وانتقل منه إلى الخليفة الناصر لدين الله، فأسكنه في البدرية، ثم جعله سرخيل جماعة من المماليك، وسلم إليه اصطبله الخاص، ونقله إلى الدار المنسوبة إلى بنفشا[5] مجاورة باب الغربة، ثم خوطب بالإمارة، وزوّج بابنة الأمير بهاء الدين أرغش المستنجدي، وجرى بينه وبين الوزير نصير الدين ناصر بن مهدي منافرة أوجبت

---

(١) الطبق، وله ديوان يليه ناظر، ويراد به الضياع الموقوفة عن ضيافة الدولة للفقراء والحجاج، ولا سيّما في شهر رمضان.

(٢) كذا ورد ولعله «الزبازب»، جمع زبزب لنوع من السفن.

(٣) ذكره المؤلف في مواضع عديدة من هذا الكتاب. وانظر الخبر في: العسجد المسبوك (ص ٤٩٧)، والعبر (٥/١٥٧)، وشذرات الذهب (٥/١٨٩).

(٤) قطب الدين أبو الحارث سنجر بن عبد الله الناصري، كان من المقرّبين للناصر، ولّاه إمارة الحاج سنة ٥٨٩ هـ، وأقطع الحويزة، ثم أعلن العصيان وقُبض عليه فعفى عنه الخليفة، توفي سنة ٦١٠ هـ. انظر: تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٤ ص ٦٤٢).

(٥) هي مقلة المستضيء بأمر الله، توفيت سنة ٥٩٨ هـ.

إبعاده عنه، فعيّن عليه في زعامة رامهرمز فتوجه إليها في سنة تسع وتسعين وخمسمائة، ثم انضمّ إلى بيت أبي طاهر صاحب اللد، وتزوج بابنته وأقام عندهم مدة، فكوتب في العود إلى بغداد، فعاد من غير أن يشعرهم، وترك زوجته وولده منها شرف الدين علي، وكان وصوله في سنة أربع وستمائة بعد عزل الوزير ابن مهدي[1] بشهر، فأنعم عليه بالدار المجاورة لدار الوزارة، وتقدم إليه أن يشهر حوله سيوفًا إذا ركب، وسلمت «الحلة» إليه، وخلع عليه ثم ولي شحنكية واسط مضافًا إلى الحلة، ولم يزل مقدمًا على العساكر إلى أن مات، فجلس ولده الأمير مظفر الدين محمد في داره للعزاء، وحضر عنده الأمراء وأرباب الدولة وقرّاء الديوان، ووعظ الشيخ أبو الفضل أحمد بن إسفنديار، فحضر في اليوم الرابع موكب الديوان وجميع الحجّاب وعارض الجيش الحسن ابن المختار العلوي[2]، فأقامه من العزاء وضفر شعره وغطّى رأسه ومضى به إلى الديوان، فخلع عليه وعلى أخيه فخر الدين المغدي[3] وزيد في مشاهرة مظفر الدين، وجعل أسوة بأخيه شرف الدين علي الدارج وعلى قاعدته.

وفيها، تقدم بقطع الوعظ من باب بدر، وكان الواعظ به المحتسب عبد الرحمٰن ابن الجوزي.

وفيها، توفّي الشيخ علي بن خازم[4] المقرئ المعروف بالأبله، كان آية في حفظ القرآن المجيد وتجويد قراءته، يقرأ أي سورة شاء معكوسًا، واختير له مرة على سبيل الامتحان سورة الرحمٰن والقمر والجن، فقرأ الثلاث السور معكوسًا دفعة واحدة، من كل سورية آية، وكان يقرأ من أي سورة شاء آية من أولها وآية من آخرها ويختمها في وسطها، ومع هذا كله كان عنده بله وميل إلى اللعب مع الصغار والتشبّه في أفعالهم مع علوّ سنه، وكان جالسًا ذات مرة وإنسان يقرأ عليه فوقعت عليه آية فلم يردّ عليه، فحركه فإذا هو ميت.

---

(١) هو الوزير ناصر بن مهدي العلوي، تقدمت ترجمته.

(٢) تاج الدين الحسن ابن المختار العلوي، سيذكر المؤلف تعيينه نقيبًا للطالبيين في حوادث سنة ٦٤٥ هـ، وسيذكر وفاته في حوادث سنة ٦٥٣ هـ.

(٣) تقدمت ترجمته، وذكرنا أن اسمه في التلخيص والفخري بصورة (بغدي) بالباء.

(٤) أبو الحسن علي، وردت ترجمته في العسجد المسبوك (ص ٤٩٢)، وفيه أن اسم أبيه (حازم)، ويكاد ما ورد هنا يتطابق مع ما أورده صاحب العسجد المسبوك، إلا أن في الأخير بعض الزيادات.

وتوفي الشيخ بهاء الدين أبو طالب سعد ابن اليرذي[1]، شيخ رباط الخلاطية، كان حافظًا للقرآن المجيد، خيِّرًا، قدم بغداد شابًا وسكن المدرسة النظامية، وحصل طرفًا من العلم والفقه، ثم سافر إلى الشام وزار البيت المقدّس، وصحب الفقراء وحجّ مرارًا راجلًا وعاد إلى بغداد، وسكن رباط الزوزني أسوة بالمتصوّفة، ووعظ في مدرسة أبي النجيب، وقرّبه الوزير ابن مهدي، فروسل به من الديوان إلى عدّة جهات، وسلّم إليه رباط أرجوان حظية[2] الخليفة المقتدي ووالدة الخليفة المستظهر بالله، نقل إلى رباط الخلاطية، فكان به إلى أن توفّي.

وفيها، توفي عبد العزيز بن دلف[3] الخازن المعروف بالناسخ شيخ رباط الحريم الطاهري، كان شيخ وقته ومقدم أهل زمانه بفضائل اجتمعت فيه، وكان يقضي حوائج الناس عند الخليفة وغيره، وكان كثير الصلاة والصيام، يتلو القرآن دائمًا، وروى الحديث عن جماعة، ودُفِن إلى جانب معروف الكرخي.

وتوفي المبارك بن أحمد بن المستوفي الأربلي[4]، شيخ أديب فاضل، جمع تاريخًا لإربل، ذكر فيه من دخلها من الشعراء والأعيان، وتولّى ديوان إربل لزعيمها

---

(١) تقدم ذكر اسمه بصورة «يحيى بن سعد البردي».

(٢) في مختصر التاريخ (ص ٢١٠): «أن أمّ الخليفة المقتدي أمّ ولد أرمنية اسمها أرجوان، وتدعى قرّة العين أدركت خلافته وخلافة ولده المستظهر وخلافة ولده المسترشد وتوفيت في أيامه سنة اثنتي عشرة وخمسمائة وكانت صالحة»، ويسمّى هذا الرباط أيضًا رباط درب زاخي، وكان بالجانب الشرقي من بغداد.

(٣) أبو محمد عبد العزيز بن دلف بن أبي طالب، يعرف بالناسخ، ولد سنة ٥٥٠ هـ، وكان شيخ القرّاء في عصره، ووصف بالفضل والعبادة، ولد سنة إحدى أو اثنتين وخمسين وخمسمائة. انظر: العسجد المسبوك (ص ٤٩٣)، والعبر (٥/ ١٥٧)، والشذرات (٥/ ١٨٤)، والنجوم الزاهرة (٢/ ٣١٧)، وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢١٧).

(٤) شرف الدين، أبو البركات، المبارك بن أبي الفتح أحمد بن المبارك بن موهوب بن غنيمة بن غالب اللخمي، ولد سنة ٥٦٤ هـ، وكان أديبًا شاعرًا، حافظًا للحديث ورواته، عارفًا بأيام العرب وأشعارها، ماهرًا في فنون الأدب من لغة ونحوٍ وعروض، تولّى ديوان إربل لمظفر الدين كوكبري، ثم سكن الموصل بعد غارة التتار على إربل وحصار قلعتها، له كتاب «النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام» في عشر مجلّدات، وكتاب «إثبات المحصل في نسبة أبيات المفصل»، و«سر الصنعة» و«أبا قماش» جمع فيه أدبًا ونوادرَ، إضافة لـ «تاريخ إربل» الذي حقّقه سامي ابن السيد خماس الصقار ونشره ببغداد سنة ١٩٨٠. انظر: وفيات الأعيان (٤/ ١٤٧) وفيه أنه توفي سنة ٦٣٨ هـ، والعبر (٥/ ١٥٦)، والعسجد المسبوك (ص ٤٩٥)، وشذرات الذهب (٥/ ٨٧)، والتكملة (مجلد ٨ الترجمة ٢٩٠٨)، وإنسان العيون (خ ٢ الورقة ٣٠٩)، والنجوم الزاهرة (٦/ ٣١٨)، وبغية الوعاة (ص ٣٨٤)، وذيل الروضتين (ص ١٦٨)، والأعلام (٦/ ١٤٩).

مظفر الدين كوكبري إلى أن مات، ثم عطل ولزم داره، ثم انتقل إلى الموصل لما وردت المغول إلى إربل، فلم يزل بها إلى أن مات، وله شعر حسن، منه قوله في جواب كتاب:

وافى كتابك يا مولاي مشتملًا ... على رياضِ معانٍ نشرها أرج
فكان أحسن من سحر تقلبه ... أجفان ظبي مراض حشوها غنج
إذا بدا قيد الأبصار منظره ... فما لإنسانِ عينٌ عنه منعرج
فبثُّ أشفي به داء تضمنه ... جوانح بات فيها الهمّ يعتلج
يا من تغيّرت الدنيا لبعدهم ... فكلّ رحب فسيح ضيّق حرج
استودع الله عيشًا مرّ لي بكم ... يرتاح قلبي لذكراه ويبتهج
ما راقني بعدكم شيء سُررت به ... فكل مستحسن في ناظري سمج

وتوفي محمد بن سعيد بن الحجاج الدبيثي[1] المحدث الحافظ، كان حافظًا للقرآن المجيد مجوّدًا فيه، عارفًا بالحديث حافظًا للتواريخ يقول الشعر، فمن شعره:

عليك بحسن الصبر في كلّ حالةٍ ... وإن كان طعم الصبر في حمله صبرا[2]
فلن يُعدم الإنسان نَيْل مرامه ... إذا قطع الأيام مستعملًا صبرا
وعدّ عن الأطماع واقنع بدونها ... فكم أهلكت حرصًا وكم قتلت صبرا

ومنه:

أخوك الذي يرعى المودّة جهده ... ويثني ثناء الخير إن ملّ أوصافي[2]
وليس أخوك القابل الهجر إن نأى ... ولا جاعل المكروه للخل أوصافا

---

(١) أبو عبد الله، محمد بن سعيد بن يحيى بن علي بن الحجاج بن محمد بن الحجاج الواسطي، المعروف بابن الدبيثي، نسبة إلى دبيثى (قرية بواسط)، ولد سنة ٥٥٨ هـ، وسمع الحديث فكان من أشهر حفّاظه، وقرء القراءات وتفقه وأتقن العربية، وكان أديبًا شاعرًا مؤرّخًا، صنف كتابًا في تاريخ واسط، وذيلًا على مذيل ابن السمعاني، اختصره محمد بن أحمد الذهبي وحقّقه ونشره الدكتور مصطفى جواد ببغداد سنة ١٩٥١. انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٣٩٤)، وشذرات الذهب (٥/ ١٨٥)، والعبر (٥/ ١٥٤)، وتاريخ إربل (١/ ١٩٤).

(٢) لم ترد هذه الأبيات في المصادر المذكورة، ورويت له غيرها.

وفيها، توفي أبو الفتح نصر الله بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الجزري الأصل الموصلي الدار[١]، كان كاتبًا عالمًا فاضلًا متفننًا في الكتابة مقتدرًا على الإنشاء، ورد إلى بغداد مرارًا في رسائل من بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، منها في هذه السنة، فمرض ببغداد ومات ودُفِن في صحن مشهد موسى بن جعفر عليه السلام، كان مولده سنة ثمان وخمسين وخمسمائة.

وتوفي علي بن مقبل[٢] المعروف بابن العنيبري البصري، كان تاجرًا، ثم ترك ذلك وخدم وكيلًا لبعض أولاد الخليفة الظاهر، ثم نُقِل إلى وكالة باب طراد، ثم عزل ورتّب عوضه فخر الدين أبو سعد المبارك ابن المخرمي، فلما نُقِل إلى صدرية المخزن أُعيد ابن العنيبري إلى وكالة باب طراد، فلم يزل على ذلك إلى أن مات. وله شعر، منه:

زمانك أيها المغرور ماضي ... وربّك بالبطالة غير راضي
فكن للخير مدّخرًا فعمّا ... قليل سوف تلحق بالمواضي
أليس الأوّلون وكل خلق ... من الأمم الأولى تحت الأراضي؟

وفيها، توفي أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه[٣]، صاحب حمص، كان متحيّفًا لرعيّته عادلًا في التجار والغرباء، ذا دهاء ومكر وحيلة، قرأ شيئًا من

---

(١) نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، كنيته أبو الفتح ولقبه ضياء الدين، والجزري نسبة إلى جزيرة ابن عمر، ولد سنة ٥٥٨ هـ بالجزيرة، وانتقل إلى الموصل سنة ٥٧٩ هـ، ودرس اللغة وعلومها والأدب العربي وحفظ القرآن الكريم وكثيرًا من الشعر العربي، خدم في ديوان مجاهد الدين قليماز صاحب الموصل ثم انتقل إلى الشام واتصل بالملك الأفضل فوزر له، ثم عاد إلى الموصل بعد ما أخذت دمشق من الأفضل، ومؤلفاته كثيرة أشهرها «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر». انظر: وفيات الأعيان (٥/ ٣٨٩)، العبر (٥/ ١٥٦)، مرآة الجنان (٤/ ٩٧)، ذيل الروضتين (١٦٩)، والعسجد المسبوك (ص ٤٩٦)، ونشر له الدكتور نوري القيسي وهلال ناجي مجموعة رسائله وصدرها بمقدمة وافية عن حياته ومؤلفاته المطبوع منها والمخطوط والضائع. انظر: رسائل ابن الأثير، منشورات جامعة الموصل (٩٨٢).

(٢) ذكر المؤلف عزله عن وكالة باب طراد في حوادث سنة ٦٣٢ هـ.

(٣) أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادي، الملقب بالملك المجاهد، ولد بمصر سنة ٥٦٧ هـ، وملك حمص بعد أبيه، وكان ملكًا شجاعًا مهيبًا كثير الدهاء، واشتغل بالفقه على مذهب الإمام الشافعي. انظر: العسجد المسبوك (ص ٤٩٦)، التكملة (مجلد ٨ الترجمة ٢٩٣٨)، ذيل الروضتين (ص ١٦٩)، الشذرات (٥/ ١٨٤)، وشفاء القلوب (ص ٢٣١)، النجوم الزاهرة (٦/ ٢).

العلم واشتغل بالفقه على مذهب الشافعي رحمه الله، ولما مات تولّى ابنه إبراهيم[١] مكانه.

وتوفي علي بن معالي الحلي النحوي المعروف بابن الباقلاني[٢]، كان شيخ وقته في علم الأدب والنحو، قدم بغداد واستوطنها، وقرأ علم الكلام وسمع الحديث وكتب بخطّه كثيرًا، وكان شديد الحرص على المطالعة مع علوّ سنه وضعف بصره، وكان حنفيًا فترك مذهبه وانتقل إلى مذهب الشافعي رحمه الله، كان له زوجة قد كبرت فأشار عليه بعض أصدقائه بطلاقها، فقال:

وقائلٌ لي قد شابت ذوائبها	وأصبحت وهي مثل العود في النحف
لم لا تجذّ حبال الوصل من نصف	شمطاء من غير ما حسنٍ ولا ترف
فقلت هيهات أن أسلو مودّتها	يومًا ولو أشرفت نفسي على التلفِ
وأن أخون عجوزًا غيرَ خائنةٍ	مقيمة لي على الإقلال والسرف
يكون مني قبيحًا أن أواصلها	جنى وأهجرها في حالة الحشف

وفيها، توفي عزّ الدين أبو زكريا يحيى[٣] بن المبارك بن علي المبارك بن علي بن الحسين بن بندار المخرمي، شيخ خير دين، من بيت معروف بالرواية والدراية والقضاء والعدالة والتناية[٤] والتصرّف والولاية، وجدّه بندار المخرمي، كان

(١) الملك المنصور إبراهيم، ولي حمص بعد وفاة أبيه، وكان ملكًا شجاعًا حازمًا، هزم جلال الدين خوارزم شاه، وتوفي سنة ٦٤٤ هـ. انظر: شفاء القلوب (ص ٣٣١)، والنجوم الزاهرة (٣٥٦/٦).

(٢) كذلك ورد اسمه في معجم الأدباء (١٩٨/٩) الحسن بن أبي المعالي بن الحسين، أبو علي المعروف بابن الباقلاني النحوي، وذكره ابن أبي الحديد في شرح النهج، قال: حضرت عند محمد بن معد العلوي في داره ببغداد وعنده حسن بن معالي الحلي المعروف بابن الباقلاوي (كذا)، وفي الوافي بالوفيات بلفظ: حسن بن الباقلاني.

قال ياقوت: «ولد سنة ثمان وستين وخمسمائة، وهو أحد أئمة العربية في العصر. لقيته ببغداد سنة سبع وثلاثين وستمائة، وكان آخر العهد به»، وهذا القول غير صحيح، فالمعروف أن ياقوت توفي سنة ٦٢٦ هـ، والأصح ما ورد في الطبعة الأولى من معجم الأدباء، وفيه: «لقيته ببغداد سنة ٦٠٣ هـ»، وهو الصحيح. وانظر: بغية الوعاة (٣٥٥)، والبابليات للشيخ اليعقوبي (١/ ٥٣)، وقد حقّقه في اسمه.

(٣) ترجمه ابن الفوطي في التلخيص (ج ٤ ق ١ ص ٣٨٣).

(٤) التناية، من التناء، جمع تانيء، أي: الدهقان ورئيس الإقليم.

أعجميًا، قدم بغداد واستوطنها وسكن «المخرم»[١]، وكانت محلة أعلى البلد فنُسِب إليها. وأمّا جده المبارك بن علي فكان فقيهًا فاضلًا عالمًا عدلًا ثقة، اشتغل بالفقه حتى برع، ودرّس وأفتى، وبنى المدرسة المنسوبة إلى تلميذه الشيخ عبد القادر الجيلي رحمه الله، وشهد عند قاضي القضاة أبي الحسن ابن الدامغاني في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، ثم ولي قضاء باب الأزج، وكان نزيهًا في ولايته، وعزّ الدين يحيى هذا تصرّف في أعمال السواد نظرًا وإشرافًا، وكان مشكور السيرة كيّسًا متواضعًا، وركب في ثاني عشر شهر رمضان إلى الجامع، فصلّى الجمعة وخرج ليركب، فلما قارب الباب وقع إلى الأرض ومات، فحمل إلى دار ولده فخر الدين أبي سعيد المبارك[٢] صاحب ديوان الزمام. ولم يكن حاضرًا ببغداد فغسل وصُلّي عليه في جامع القصر، وحضر جنازته الولاة وأرباب الدولة والأمراء والأعيان، وشيّعوه إلى دجلة، وحمل إلى مقبرة باب حرب، فدُفِن بالقرب من قبر أحمد رضي الله عنه وقد جاوز الثمانين، وقدم ولده فخر الدين صاحب الديوان بعد وفاته بثلاثة أيام وبطل الحجّ من العراق في هذه السنة أيضًا بمجرّد الاهتمام بأمر المغول والاستعداد خوفًا من مفاجأتهم.

سنة ثمان وثلاثين وستمائة

في هذه السنة، ملك الملك الصالح أيوب ابن الكامل محمد ابن العادل مصر[٣]، وأخذها من أخيه العادل أبي بكر محمد، وسبب ذلك أن أميرًا من أمراء مصر يُعرف بنور الدين عثمان[٤]، كان أستاذ دار الملك الكامل وأخصّ الناس عنده، فلما توفّي الكامل حفظ دمشق على ولده العادل أبي بكر محمد رجاء أن يستنيبه بها، فلما استولى عليها الملك الجواد كما سبق ذكره، فارقها نور الدين وقصد مصر، فلم يلتفت إليه العادل محمد وحطّ من منزلته، فاستفسد جماعة من الأمراء وخرج بهم وقصد الملك الصالح أيوب ابن الكامل بدمشق، وكان قد أخذها من الجواد على ما ذكرناه، فحسن له أخذ مصر من أخيه العادل، ففرح بذلك وخرج من دمشق، وتجهّز

---

(١) المخرم: هو المخرم بن بريد، وباسمه سمّيت المحلة والأرض التي حولها، وهي (على ما حققه الدكتور جواد) أرض العبواضيّة وما حادها جنوبًا وشمالًا. انظر: المصدر السابق (ص ٣٨٣) «الحاشية».

(٢) تقدمت ترجمته في حوادث سنة ٦٣٢ هـ.

(٣) ورد هذا الخبر في حوادث سنة ٦٣٧ هـ من شذرات الذهب (١٨٣/٥)، والعبر (١٥٢/٥)، والعسجد المسبوك (ص ٤٩٢)، وروايته قريبة جدًّا مما ورد في هذا الكتاب.

(٤) لم يرد ذكره في العسجد المسبوك.

للمسير إلى مصر، فوجد الملك الصالح إسمٰعيل ابن العادل محمد بن أيوب فرصة، ونهض واستولى على دمشق، وجمع العساكر وقصد الملك الصالح أيوب، فهرب منه[١] فوقع في أسر الملك الناصر فحبسه في الكرك، فندم حينئذ نور الدين على ما فرط منه، وبلغه أن العادل أخذ أمواله وقبض أملاكه، فقصد الخليفة وأنهى حاله إليه فوعده بمكاتبة العادل في ردّ ماله والرّضى عنه. ثم إن الملك الناصر داود ابن المعظم عيسى ابن العادل أفرج عن ابن عمّه الملك الصالح أيوب ابن الكامل واتّفق معه على أنه إذا حصلت له مصر اجتهد في أخذ دمشق أيضًا وإعادته إليها، على أن يعجل له من مصر ثلاثين ألف دينار[٢]، فكاتبا جماعة من الأتراك الخصيصين بالعادل محمد في المعنى، فاتّفقوا مع جماعة من الخدم على القبض عليه، وتحالفوا على ذلك، ثم قالوا للعادل: إن الملك الصالح أيوب قد خلص من أسر الملك واتّفق معه على قصد مصر، وأشاروا عليه بالتبريز والخروج إلى ظاهر مصر والاستعداد لمنعهما إن قصداه، فخرج وخرج جميع العساكر، فلما نزل المخيم اجتمع الأتراك المخالفون والخدم وهجموا عليه في سرادقه وقبضوا عليه وقيّدوه، وأرسلوا إلى الملك الصالح أيوب يعرّفونه ذلك، فسار حتى وصل مصر، فسلّموا إليه أخاه الملك العادل محمّدًا، فدخل مصر واستقرّ ملكه بها[٣].

وفيها، عُزل الأمير مكلبة[٤] من إربل عن إمارتها لضعف رأيه وسوء تصرّفاته، ورتب عوضه آقسنقر الناصري، وكان الصدر بها تاج الدين محمد بن نصر ابن الصلايا العلوي المدائني.

وفيها، عُزِل عبد الجبار ابن العارض عن كتابة العرض، وسلم هو وأولاده ونساؤه إلى حاجب الباب، ورتب عوضه كمال الدين أحمد بن أمسينا.

وفيها، كان زفاف بدر الدين أيدغمش على ابنة الأمير المرحوم شمس الدين أصلان تكين، وهذا أيدغمش كان قد أخذه الخليفة صغيرًا لما فُتِحت إربل، واعتنى بتربيته شرف الدين إقبال الشرابي وأدّبه وجوّد خطه وحفظ القرآن والمقامات الحريرية

---

(١) ذكرنا في ترجمة الصالح أيوب، أن عساكره تفرّقت عنه وهو بنابلس قاصدًا مصر، وبقي في نفرٍ قليل من مماليكه فأسره الناصر.

(٢) انظر: العسجد المسبوك (ص ٤٩٢).

(٣) انظر الخبر في: العسجد المسبوك (ص ٤٩٢)، وفي العبر (٥/ ١٥٢): «فتملك الصالح أيوب مصر، ورجع الناصر بخفّي حنين».

(٤) تقدم وروده بصورة «مكلبًا».

وغير ذلك، واشترى له الأملاك السنية، وزوّجه وبنى له دارًا «بدرب حبيب»[١] فيها عدّة حجر وبستان وحمام، وأعطاه في هذه الليلة ثلاثة آلاف دينار، وفي صبيحتها لم يبق أحد من خواص الخليفة والشرابي إلّا ومَدّ له شيئًا وأهدى له هدية.

وفيها، قُتِل إنسان ببغداد، واتّهم بقتله جماعة فأُخذوا، فحضر القاتل في جملة المتفرّجين، فارتاب به بعض الغلمان فأخبر نائب الشرطة بحاله، فتقدم بأخذه، فاعترف أنه القاتل فحُبِس في الحجرة، واتّفق في تلك الأيام أنه احتيج إلى تطيين سطح الحجرة فأحضروا روزكارية لبل الطين، فشرعوا في نقل الماء من الحجرة، فجاء الرجل ووقف عند البئر وأخذ صفرية ماء وخرج بها، فتوهم البوّاب أنه من الروزكارية، فطرحها على الطين وفرّ في غمار الناس، فلم يُعْلم له بخبر.

وفيها، وصل رسول من بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ومعه طائر وجماعة من رماة البندق، شهدوا أن الأمير إبراهيم ولد الأمير بدر الدين لؤلؤ رماه بالبندق، وانتسب في ذلك إلى الخليفة، فقبل وعُلّق بباب البدرية، ونثر عليه ألف دينار وخلع على الواصلين معه.

وفيها، قصد مدينة حلب جماعة من الخوارزميين[٢] ومعهم الملك الجوّاد سليمان بن ممدود ابن العادل، فخرج إليهم عسكر حلب والتقوا واقتتلوا فاستظهر الخوارزمية عليهم، وقتلوا منهم جماعة وانهزم الباقون، ونُهِبت أموالهم[٣]، وكان سبب ذلك أن محمد تركان خان بن دولة شاه الخوارزمي ملك الخوارزمية خطب ابنة الملك العادل صاحب حلب، فلم يجب إلى ذلك وأمرت بإهانة رسوله، فجمع من ملّته من العساكر وقصد بلادهم، ثم إن العساكر الحلبية اتّفقوا مع صاحب[٤] حمص، وواقعوا الخوارزمية فهزموهم وتبعوهم، فقصدوا «عانة» فأحجموا حينئذ عنهم وعادوا،

---

(١) في مراصد الاطلاع: «درب حبيب ببغداد من نهر المعلى» (١/ ٣٧٨).

(٢) الخوارزمية: إحدى الطوائف الإسلامية الساكنة في إقليم خوارزم شاه، ومن أشهر أسرها أسرة أنوشتكين الذي عيّنه ملكشاه السلجوقي واليًا على إقليم خوارزم شاه سنة ٤٧٠ هـ، واستطاع حفيده أتسز الاستقلال من سلطة السلاجقة سنة ٥٢٣ هـ، وعندما اجتاح جنكيزخان بلادهم خرجوا هاربين نحو فارس والعراق والجزيرة. انظر: الغزي، نهر الذهب (٢/ ١٥٢)، وبارتولد تاريخ الترك (ص ١٤٠).

(٣) انظر الخبر مفصّلًا في: تتمة المختصر (٢/ ٢٤٨)، وفيه: وقتل خلق، منهم «عسكر حلب»، منهم الصالح ابن الأفضل بن صلاح الدين، وأسر الملك المعظم مقدم الجيوش وغيره.

(٤) هو إبراهيم بن شيركوه الملك المنصور، كما في تتمة المختصر (٢/ ٤٩) وغيره.

فلما خلت بلاد الخوارزمية منهم نهض بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل على مدينة نصيبين[١] فأخذها، ورتب بها أميرًا يقوم بحراستها[٢]، وأمّا محمد تركان خان أمير الخوارزمية، فسار من عانة إلى بغداد فخرج إليه موكب الديوان، وتلقّاه شمس الدين محمد بن عبد الله حاجب باب المراتب ظاهر السور، ودخل معه فقبّل العتبة، ودخل دار الوزارة فخلع عليه نصير الدين ابن الناقد نائب الوزارة، وقلّد سيفًا وأسكن دارًا بدرب دينار الصغير[٣]، وكان عمره نحوًا من عشر سنين، ووصل بعده ابن كشل خان أحد أمراء الخوارزمية واعتمد معه مثلما اعتمد مع المذكور.

وفيها، عُزل عبد الكريم بن الحسين بن أبي زنبقة قاضي واسط وقلّد القضاء بها الفقيه محمد ابن الحموي الحنفي.

وفيها، قدم جمال الدين عبد الرحمٰن ابن الجوزي من شيراز[٤]، وحكى أنه شاهد في قرية من قرى فارس تدعى شاوور صبيًا عمره اثنتا عشرة سنة طوله خمسة أذرع وأعضاؤه تناسب خلقه، قال: وحضر أبواه عندي وهما كالرجال في العادة[٥].

وفيها، توفّي جمال الدين علي ابن البوري، كان شيخًا من أعيان المتصرّفين، رتّب أولًا نائب الشرطة بباب النوبي في سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وصرف في سنة ستمائة[٦] وحبس وطولب بمال، ثم أُفرج عنه، فخدم في الأعمال الحلية، ثم صرف وقبض عليه الأمير جمال الدين قشتمر مقطعها وحبسه ولقي منه شدّة، ثم أفرج عنه، ورتب مشرفًا بعنابر[٧] التمور، ثم نقل إلى النظر بها وأضيف إليه النظر بديوان

---

(١) نصيبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام، بينها وبين سنجار تسعة فراسخ، وبينها وبين الموصل ستة أيام. معجم البلدان (٥/ ٢٨٨).

(٢) انظر الخبر مفصّلًا في تتمة المختصر (٢/ ٢٤٩) وفيه: «وبادر لؤلؤ صاحب الموصل إلى نصيبين ودارا، وهما للخوارزمية، فاستولى عليهما وخلص من بهما من الأسرى ومنهم الملك المعظم توران شاه ابن الناصر صلاح الدين، واستولى عسكر حلب على الرقّة وسروج والرها ورأس العين وما معها، واستولى صاحب حمص المنصور على بلد الخابور».

(٣) وفي معجم البلدان: «دار دينار محلتان ببغداد، يقال لإحداهما الكبرى وللأخرى دار دينار الصغرى، وهي في الجانب الشرقي قرب سوق الثلاثاء، بينه وبين دجلة، منسوبة إلى دينار بن عبد الله من موالي الرشيد، وأحد كبار القوّاد زمن المأمون»، انظر (٢/ ٤١٩) منه.

(٤) بلد عظيم مشهور، وهو قصبة بلاد فارس، معجم البلدان (٣/ ٣٨٠).

(٥) انظر الخبر في: العسجد المسبوك (ص ٤٩٨) وفيه: «وكان قد نفذ إليه رسولًا».

(٦) أورد ذلك ابن الساعي في حوادث سنة ٦٠٠، انظر الجامع المختصر (ص ١١٦).

(٧) كذا في الأصل، ولعلّها منائر التمور، كما سيرد.

الجوالي في سنة ثماني عشر وستمائة، ثم نقل إلى صدرية دجيل ونهر عيسى ونهر الملك والأنبار وهيت، وخلع عليه وأسكن في الدار المنسوبة إلى الوكيل أبي السعادات ابن الناقد بالرحبة، ثم أُعفي من الترداد إلى دار الوزارة والمراجعة للديوان، وقسمت الأعمال بينه وبين ابن الأنباري صاحب الديوان، وكان يركب في جمع عظيم وبين يديه السيوف المشهورة على قاعدة لم تكن لأحد من أرباب الدولة من التحكّم والاستقلال وترك المراجعة لما عدا الخليفة الناصر، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي الخليفة الناصر لدين الله، فلما بويع الظاهر بأمر الله هجم العوام على داره فنهبوها، ولم يزل قاصرًا نفسه في منزله إلى أن قبض على نائب الوزارة محمد القمي في سنة تسع وعشرين وستمائة، فلما ولي نيابة الوزارة نصير الدين ابن الناقد ولّاه حجبة باب النوبي، فلم يزل على ذلك إلى سنة ثلاث وثلاثين، وعزل ولم يُستخدم بعد ذلك، وكان له اهتمام بالكتب واطّلاعها، وحفظ ما يستحسنه منها، وكان له شعر؛ فممّا قاله عقيب نهب داره وأخذ ماله:

قال المنجم هذا العام فيه لنا ... زعازع بقران النجم مع زُحَلِ
فقلت أخطأت كل الناس في دَعَةٍ ... وغبطةٍ لم تكن في الأعصر الأُوَلِ
ما كان جرم قران الكوكبين سوى ... ما حلّ بي لا حساب الزيج والجمل

وبطل الحجّ في هذه السنة، فلم يحجّ أحد من أهل العراق.

وفيها، استولى الهرم على الوزير نصير الدين ابن الناقد، بحيث أنه كان في مسنده يبخ.

سنة تسع وثلاثين وستمائة

وفي هذه السنة، استولى عمير بن القاسم العلوي على مدينة رسول الله ﷺ وأبعد عمّه شيحة عنها.

وفيها، سقط محمد بن إدريس ناظر طريق خراسان[1] من بغلة كان راكبها فمات من ساعته، وكان قد ورد عليه تقدم فقرأه فلوح الهواء به فنفرت البغلة فرمته[2].

---

(١) طريق خراسان، هو المعروف اليوم بمحافظة ديالى العراقية.

(٢) انظر الخبر في العسجد المسبوك (ص ٥٠٠) وفيه: «في شهر المحرم سقط محمد بن إدريس ناظر طريق خراسان من بغلةٍ كان على ظهرها، فلما وقع على الأرض رفسته برجلها فمات في ساعته».

وفيها، ردّ النظر في نهري الملك وعيسى، إلى حاجب باب النوبي تاج الدين علي ابن الدوامي إضافةً إلى ما يتولّاه من أمر الشرطة والعمارة المستجدّة المجاورة لقبر معروف الكرخي وأمر الباعة، وعمارة البلد، وكان أمر نهر عيسى والملك مضافًا إلى حاجب الديوان فخر الدين المبارك ابن المخرمي.

وفيها، رتب هبة الله ابن زطينا[١] كاتب السلة عوضًا عن أبيه الدارج.

وفيها، رتب القاضي أبو محمد عبد الله البادرائي[٢] مدرّسًا بالمدرسة النظامية وخلع عليه، وأقرّ على خزن الكتب بخزانة الخليفة وأذن له أن يدخل المدرسة بطرحة أسوةً بالمدرسين.

وفيها، توفّي جعفر بن مكي بن سعيد[٣] مقدم شعراء الديوان، وكان ذا كَيْسٍ وتواضع، طيّب الكلام عذب الإيراد، يورد التهنئات في المواسم والأعياد، وكان يورد في كل ليلة من ليالي شهر رمضان قصيدة من نظمه على الطبق بدار الوزارة؛ فمن شعره ابتداء قصيدة:

دنياك فرحة حالم بمنام ... والمرء نصب حوادث الأيام

لم يدرِ أنّ الدهر مسرورٌ به ... يرميه عن قوس الرّدى بسهام

هوّن عليك فما الزمان بصاحبٍ ... كلّا ولا الدنيا بدارِ مقام

ما أحسن الأيام لولا غدرها ... لن تعدم الحسناء وصمة ذام

---

(١) بنو زطينا المناذرة، وقد تقدم ذكر جبريل بن زطينا، وأصلهم من النصارى، ولما أمر الناصر لدين الله سنة ٥٧٩ هـ أن لا يستخدم في الديوان نصراني أسلموا، وقد ورد ذكر «هبة الله» في تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ١ ص ٣٩٤) قال: «لما مات كاتب السلة عز الدولة هبة الدين زطينا قام عز الدين ابن الحداد مقامه... الخ».

(٢) هو نجم الدين أبو محمد عبد الله بن محمد البادرائي ولد سنة ٥٩٤ هـ ببادرايا «بدرة الحالية»، تفقّه على مذهب الشافعي، جعله المستنصر خازنًا في خزانة كتبه الخاصة ثم مدرّسًا بالمدرسة النظامية، وانتدبه المستعصم للقضاء (سنة ٦٥٥ هـ)، ورُوسل به ملوك الشام غير مرة، وأسس بدمشق مدرسة للشافعية، توفي سنة ٦٥٥ هـ، وسيذكر المؤلف ذلك، وقد ورد ذكره في تلخيص مجمع الآداب في مواضع عديدة، كما ترجم السبكي في طبقاته (٤/ ٣٠٢).

(٣) أبو محمد، جعفر بن مكي بن سعيد البغدادي: «كان فقيهًا بالمدرسة النظامية عارفًا بالمذهب والخلاف والأصول، وعلّم الأدب حافظًا للقرآن المجيد، حسن الشعر». العسجد المسبوك (ص ٥٠٣)، وأورد له أبياتًا غير التي وردت هنا في الحوادث.

وفيها، توفّي ولد لعزّ الدين أبي الفضل محمد بن مؤيّد الدين محمد ابن العلقمي، فرثاه جدّه مؤيّد الدين أستاذ الدار بهذين البيتين:

بُنَيّ الذي أهدت يداي إلى الثّرى ... فيا خيبة المهدى ويا حسرة المهدي
لقد قلّ بين اللّحد والمهد عهده ... فلم ينسَ عهد المَهْد إذ ضُمّ في اللّحد

وفيها، دخل العدل عبد الله بن عبد الرحمٰن البرجوني[1] خازن المخزن إلى حجرةٍ له بالمخزن ليصلّي العصر، فطلب لحاجة عرضت، فدخل الفرّاش إليه، فوجده مصلوبًا فأُخبر النوّاب بذلك، فوقع التعجّب من هذه الحادثة ونُسِب ذلك إلى نوّاب المخزن، لأمرٍ كان قد اطّلع عليه منهم، فأُنهي ذلك إلى الخليفة، فأمر باعتبار المخزن فأُحضر عدلان واعتبر باتفاقهما، فلم ينشد[2] مما تضمنه الحساب شيء، فعند ذلك اتّضح الأمر وزال اللّبس وظهرت براءة ساحة النواب، وكَثُر القول فيه، فقيل: إنه كان له جارية أمّ ولد، وأنها كانت سيّئة العشرة غير مرضية الحركات، وكان يحبّها ولا يمكنه فراقها، فاختار الموت ليتخلّص ممّا كان يلاقي منها، وكان خيّرًا ظاهر السكون كثير الوقار قليل الكلام.

وفيها، توفّي الكمال موسى[3] بن يونس بن منعة بن مالك العقيلي الموصلي الفقيه الشافعي، كان عالمًا بالأصول والحكمة والمنطق، وكان يدرس الفقه في عدّة مدارس، ويقرأ عليه الناس ويقصد من البلاد، تجاوز الثمانين، وكان يقول الشعر، فمما مَدَحَ به بدر الدين لؤلؤًا صاحب الموصل من أبيات كثيرة[4]:

لَئِن زيّنت لك رقمها[5] ... فمملكة الدنيا بكم تتشرّف
بقيت بقاءَ الدهر أمرك نافذٌ ... وسعيك مشكورٌ وحلمك ينصف[6]

---

(١) البرجوني، نسبةً إلى برجونية، وهي قرية من شرقي واسط. انظر: معجم البلدان (١/ ٣٧٤).
(٢) كذا في الأصل، ولعله «يشذّ».
(٣) أبو الفتح موسى بن أبي الفضل يونس، كمال الدين، ولد بالموصل سنة ٥٥١ هـ، وتوجه إلى بغداد سنة ٥٧١ هـ، وتفقه على والده وأقام بالمدرسة النظامية، وبرع في فنون عديدة حتى انثال عليه الناس والفقهاء. قيل: إنه كان يُقرىء أهل الذمة التوراة والإنجيل، وكان شاعرًا حافظًا للتاريخ. انظر: وفيات الأعيان (٥/ ٣١١)، وطبقات الشافعية للإسنوي (٢/ ٥٧٠)، وتتمة المختصر (٢/ ٢٥٠)، والبداية والنهاية (١٣/ ١٥٨)، والعبر (٥/ ١٦٢)، والشذرات (٥/ ٢٠٦)، والعسجد المسبوك (ص ٥٠٣).
(٤) البيتان من ثلاثة أبيات في وفيات الأعيان (٥/ ٣١٥).
(٥) كذا في الأصل وهو غير مستقيم، وفي الوفيات: لئن شرفت أرض بمالك رقتها. .
(٦) في الوفيات: وحكمك منصف.

وانقطع الحج في هذه السنة أيضًا.

وفيها، توفي أبو الطليق معتوق المعروف بابن شقير المنكر، شيخ من أهل قراح ظفر[١]، كان بقّالًا هناك يظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإذا بلغه أن موضعًا فيه جماعة مجتمعين على مسكر مضى وأنكر عليهم وأراقه، ولا يبالي بضربه وإهانته، وإذا رأى أحدًا من رؤساء النصارى واليهود راكبًا أنزله وأهانه، فعل ذلك بالحكيم ابن توما[٢] وبولده من بعده وبابن كرم اليهودي، ومضى مرّةً إلى دار أيدغمش زعيم بلاد العراق حيث ورد بغداد، وهجم عليه وعنده مسكر فأراقه وكسر ما حوله، فبهت له ولم يمكن أصحابه من أذاه، فأُخذ إلى دار الوزارة وأنكرت الحال عليه، وقيل له: هذا جهل بالشرع، كيف تقدم على ما ليس لك فعله؟ إذا علمت بأمر فارفعه إلينا، ثم وُكِل به إمامًا في الحجرة بباب النوبي، فلم يرجع عن ذلك، وأُوذي مرارًا وأحدر إلى واسط وحُبِس بها مدّة، ثم أُعيد وأُلزم المقام بالرباط المجاور مشهد عبيد الله[٣] ظاهر بغداد، وكان يتشيّع فلم يزل هناك إلى أن توفّي.

سنة أربعين وستمائة

في هذه السنة، قصد الخوارزمية مدينة حلب[٤]، واجتمع معهم خلق كثير من التركمان وغيرهم، فخرج إليهم الأمير لؤلؤ الحلبي ومعه عسكر حلب بمساعدة محمد بن أسد الدين شيركوه[٥] صاحب حمص والملك الصالح إسمٰعيل صاحب سنجار، ولد بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، والتقوا بأرض تُعرف بالمجلد[٦]،

(١) انظر: معجم البلدان (٤/ ٣١٥) «مادة قراح».

(٢) أبو الكرم صاعد بن توما النصراني الطبيب البغدادي، كان مقرّبًا للخليفة الناصر، اغتيل سنة ٦٢٠ هـ. انظر: تاريخ مختصر الدول (ص ٢٤١)

(٣) ويسمى قبر النذور، قال ياقوت (المعجم ٤/ ٣٠٥): مشهد بظاهر بغداد على نصف ميل من السور يزار وينذر له، وهو قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكان قد دُفن حيًا. وانظر: عمدة الطالب (ص ٢٩٢)، وتاريخ بغداد (١/ ١٢٣)، ويعرف اليوم بقبر أبي رابعة بالأعظمية.

(٤) ورد هذا الخبر مختصرًا في العسجد المسبوك (ص ٥٠٦)، وتتمة المختصر (٢/ ٢٥١) وفيه كان مع الخوارزمية المظفر غازي صاحب ميافارقين.

(٥) في تتمة المختصر (٢/ ٢٥١) المنصور إبراهيم، وهو الملك المنصور ناصر الدين إبراهيم بن شيركوه قام مقام أبيه في حكم حمص، ولم يزل حتى توفي سنة أربع وأربعين وستمائة بالنيرب من غوطة دمشق، ونقل إلى حمص. انظر: وفيات الأعيان (٢/ ٤٨١).

(٦) كذا ورد في الأصل، وفي تتمة المختصر (المجدل)، وهو اسم بلد طيب بالخابور. انظر: =

واقتتلوا قتالًا شديدًا، من قبيل الظهر إلى العصر، فانهزم الخوارزميون وتركوا نساءهم وأولادهم وأثقالهم، فغنمها العسكر وتركوا خيامهم واقتسموا أموالهم وأولادهم.

وفيها، وصل صاحب الديوان فخر الدين أبو سعد المبارك ابن المخرمي من واسط والبصرة، ومعه من العين نحو مائتي ألف دينار وخمسين ألف دينار.

وفيها، وقع حريق في مشهد سرّ من رأى، فأتى على ضريحَيْ علي الهادي والحسن العسكري عليهما السلام، فتقدم الخليفة المستنصر بالله بعمارة المشهد المقدّس والضريحين الشريفين وإعادتهما إلى أجمل حالاتهما[1]، وكان الضريحان مما أمر بعملهما أرسلان البساسيري[2] الذي خرج على الخليفة القائم بأمر الله، فأراد الله تعالىٰ أن ينزّههما من مِنّة البساسيري، فجعل النار سببًا لإزالة اسمه، وقد قال في ذلك السيد الفقيه جمال الدين أحمد بن موسى بن طاوس الحسني[3] كلامًا بديعًا وجمع فيه جزءًا نظمًا ونثرًا، منه: لا يلزم من الحادث المتجدّد قدح في شرف من انضمّت هاتيك الأعواد على مقدس جدثيهما، بل قد يكون في ذلك برهان واضح شاهد بجلالتيهما؛ لأن روحي من وقعت الإشارة إليهما خالية من عرصات اللحود، ساكنة في حضرة الملك المعبود، والشرف التامّ لجواهر النفوس دون من عداها عند من يذهب إلى وجود معناها، وقد ذكر في التواريخ أن صاعقة سماوية نزلت في المسجد الحرام، ولم يقدح ذلك في شرفه، وللسيّدين الطاهرين صلوات الله عليهما مناقب مذكورة ومفاخر مشهورة تحتوي عليها الكتب، تشهد بحراستهما من الوهن ونزاهتهما من الطعن، فمن ذلك ما رواه أبو عمرة الزاهد في أخباره عن عليّ بن

= معجم البلدان (٥/ ٥٦).

(١) ورد هذا الخبر في العسجد المسبوك (ص ٥٠٦).

(٢) أرسلان بن عبد الله، البساسيري، أبو الحارث التركي، كان مملوكًا لبهاء الدولة البويهي، وقرّبه القائم بأمر الله وجعله المقدم على جميع الأتراك، وخُطب له على المنابر في العراق وخوزستان، ثم خرج على القائم وأخرجه من بغداد، وخطب للمستنصر العبيدي صاحب مصر، ورحل القائم إلى أمير العرب محي الدين مهارش العقيلي وأقام عنده سنة حتى جاء طغرل بك السلجوقي فقتل البساسيري سنة ٤٥١، وأعاد القائم إلى بغداد. انظر: وفيات الأعيان (١/ ٩٢)، والعبر (٣/ ٢٢٥)، والشذرات (٣/ ٢٧٨).

(٣) أحمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاوس العلوي الحسني الحلي، جمال الدين، من فقهاء أهل الحلة، كان أديبًا شاعرًا مصنّفًا مجتهدًا، مؤلفاته كثيرة بلغت اثنين وثمانين مجلدًا. توفي سنة ٦٧٣ هـ، وسيذكر المؤلف ذلك. انظر: الأعلام (١/ ٢٤٧)، وفيه إشارة إلى مصادر ترجمته.

الحسين[١] أنه قال: محمد رسول الله ﷺ الشجرة العالية الكريمة الجليلة المباركة الطيّبة وبنو هاشم أغصانها والحسن والحسين عليهما السلام ثمرتها، ومحبّو بني هاشم ورقها، فمن تعلّق بغصن من أغصانها أو شجنة[٢] من شجنها أو بورقة من ورقها أو استظلّ بظلّها فاز ونجا، ومن تخلّف عنها هلك وضلّ. وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل[٣] بإسنادٍ يرفعه: أن النبيّ ﷺ أخذ بيد الحسن والحسين فقال: «من أحبّني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة»، ومن ذلك ما رواه أبو إسحٰق الثعلبي[٤] في كتاب كشف البيان يرفع الحديث إلى جرير بن عبد الله البجلي[٥]. قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات على حبّ آل محمد مات شهيدًا، ومن مات على حبّ آل محمد مات مؤمنًا مستكمل الإيمان، ألّا ومن مات على حبّ آل محمد بشّره ملك الموت بالجنّة، ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حبّ آل محمد يزفّ إلى الجنّة كما تُزَفّ العروس إلى بيت زوجها، ألّا ومن مات على حبّ آل محمد جعل الله زوّار قبره الملائكة بالرحمة، ألّا ومن مات على حبّ آل محمد مات على السُنّة والجماعة، ألّا ومن مات على بُغْض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبًا بين عينيه: آيِس من رحمة الله، ألّا ومن مات على بغض آل محمد لم يشمّ رائحة الجنّة».

هم معشرٌ حبُهم دينٌ وبغضهم ... كُفْر وقربهم منجى ومعتصم
يستدفع السوء والبلوى بحبّهم ... ويسترِبّ[٦] به الإحسان والنِّعم

(١) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، زين العابدين، أحد أئمّة أهل البيت وأخباره كثيرة في كتب التاريخ. انظر: طبقات ابن سعد (٥/ ١٥٦).

(٢) الشّجنة: بكسر الشين وضمّها، عروق الشجر المشتبكة، يقال: بيني وبينه شِجنةُ رحم، أي: قرابةٌ مشتبكة.

(٣) أبو عبد الرحمٰن، عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل، الفقيه المشهور، وكان عبد الله عالمًا، توفي سنة ٢٩٠ هـ، وله ٧٧ سنة. انظر: وفيات الأعيان (١/ ٥٦).

(٤) أبو إسحٰق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، المفسّر المشهور، صنف «التفسير الكبير» و«العرائس» في قصص الأنبياء، توفي سنة ٤٢٧ أو ٤٣٧ هـ. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (١/ ٧٩)، ومعجم الأدباء (٥/ ٣٦)، والعبر (٣/ ١٦١)، والشذرات (٣/ ٢٣٠).

(٥) جرير بن عبد الله البجلي، صحابي، شارك في معارك الفتوح، وكان رأس بجيلة فيها، أرسله الإمام علي إلى معاوية لأخذ البيعة منه، واتّهم بممالأته، فاعتزل عليًا ومعاوية، وتوفي بالشراة في ولاية الضحاك بن قيس على الكوفة. انظر: طبقات ابن سعد (٦/ ١٣)، والمعارف (ص ٢٩٢).

(٦) يسترب: يستكثر ويستزاد.

مـقـدم بـعـد ذكـر الله ذكـرهـم   في كلّ برٍّ ومختوم به الكَلِمُ
يأبى لهم أن يحلّ الذمّ ساحتهم   خيم كريم وأيدٍ بالنّدى هضم(١)

وفيها، كَثُر الموت والمرض في بغداد وسوادها، وغلا السكر وكل ما يحتاج المرضى إليه(٢)، وحُكِي أن تركيًا عاد خستا شاله(٣) وبات عنده، فمات العائد وفرسه.

وفيها، أتى سيل عظيم من غيث وقع فوق تكريت في موضع يُعرف «بدرب سنجار»، فدخل تكريت وهدم بها دورًا كثيرة، وسقط حمّام على جماعة كانوا به فهلكوا جميعًا(٤).

ذكر وفاة الخليفة المستنصر بالله

ابتدأ المرض بالخليفة المستنصر بالله أبي جعفر المنصور ابن الخليفة الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد ابن الخليفة الناصر لدين الله في حادي عشر جمادى الأول، وكان أصله هواء وتعقبه حمّى، ثم فارقت واعتدل، فعاودت وانتكس، فتوفّي بكرة الجمعة عاشر جمادى الآخرة، عن إحدى وخمسين سنة وأربعة شهور وسبعة أيام(٥)، وكتم موته، وغسله نقيب النقباء أبو طالب الحسين ابن المهتدي بالله، ودُفِن في الدار المثمنة(٦) بدار الخلافة على شاطئ دجلة، وكانت مدة ولايته ستّ عشرة سنة وعشرة

---

(١) الهضم: جميع الهضوم بفتح الهاء، أي: جائدة بما لديها، والأبيات من القصيدة المشهورة المنسوبة للفرزدق في مدح الإمام علي بن الحسين، زين العابدين.

(٢) ورد هذا الخبر في البداية والنهاية (١٣/ ١٩١) وفيه: «أنه كان بالعراق وباء شديد في آخر أيام المستنصر وغلا السكّر والأدوية، فتصدّق الخليفة المستنصر بالله رحمه الله بسكّر كثير على المرضى».

(٣) كذا ورد في الأصل.

(٤) ورد هذا الخبر في العسجد المسبوك (ص ٥٠٦).

(٥) وكانت ولادته سنة ٥٨٨ هـ، وأمّه جارية تركية، وبويع بعد موت أبيه سنة ٦٢٣ هـ. انظر وفاته وبعض أخباره وسيرته في: تاريخ الخلفاء (ص ٤٦٠)، وتتمة المختصر (٢/ ٢٥٢)، والعبر (٥/ ١٦٦)، والعسجد المسبوك (ص ٥٠٦)، وتاريخ مختصر الدول (ص ٢٥٣)، وشذرات الذهب (٥/ ٢٠٩)، والفخري (ص ٢٤٢)، والبداية والنهاية (٣/ ١٥٩)، وكتب التاريخ الأخرى، ومختصر التاريخ لابن الكازورني (ص ٢٦٣) وفيه: «ومبلغ عمره اثنتان وخمسون سنة وستّة أشهر وسبعة عشر يومًا».

(٦) الدار المثمنة: من دور الخلفاء المشهورة داخل دار الخلافة العباسية الأخيرة التي كانت (على ما حقّقه الدكتور مصطفى جواد) في أرض شارع المستنصر الحالي وما حوله. انظر: مختصر التاريخ حاشية الصفحة (٢٦٣)، ومعجم البلدان (٢/ ٤٢٣) وفيه: أنها من عمارة.

أشهر وسبعة وعشرين يومًا، وكان جميل السيرة حسن السريرة، عادلًا في الرعيّة، مكرمًا للعلماء، أنشأ المدارس والربط والمساجد والجوامع والخانات للسابلة[١]، وخلف من الأولاد ثلاثة[٢]، وهم: أبو أحمد عبد الله المستعصم الذي أفضت الخلافة إليه، وأبو القاسم عبد العزيز[٣] لأم واحدة، وكريمة من أُم أخرى[٤]، ولم يستوزر في مدّة خلافته وزيرًا، بل أقرّ محمد بن محمد القمي على نيابة الوزارة إلى أن عزله[٥]، واستناب نصير الدين أبا الأزهر أحمد ابن الناقد نقلًا من أستاذية الدار إلى آخر أيامه، وقلّد[٦] نقابة العباسيين مجد الدين أبا القاسم هبة الله ابن المنصوري، فلما توفي قلّد بعده بهاء الدين أبا طالب الحسين بن المهتدي بالله إلى آخر أيامه، وقلّد[٦] نقابة العلويين قوام الدين أبا علي الحسن بن معد الموسوي، ثم عزله، وقلّد[٦] بعده قطب الدين أبا عبد الله الحسين ابن الأقساسي إلى آخر أيامه[٧]، واستقضى عماد الدين أبا صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر، ثم عزله واستناب في القضاء شهاب الدين أبا المناقب محمود بن أحمد الزنجاني، ثم عزله، وقلّد القضاء عماد الدين أبا المعالي عبد الرحمٰن بن مقبل الواسطي، ثم عزله، واستقضى كمال الدين أبا الفضل عبد الرحمٰن بن إسمٰعيل اللمغاني إلى آخر أيامه، وأقرّ في إستاذية الدار عضد الدين أبا نصر المبارك بن الضحاك إلى أن توفي، وولّى بعده[٨] وكيله شمس الدين أبا الأزهر أحمد ابن الناقد، إلى أن نقله إلى نيابة الوزارة، ثم ولي بعده[٩] مؤيّد الدين أبا طالب محمد ابن العلقمي إلى آخر أيامه، وأقرّ على صدرية ديوان الزمام تاج الدين أبا الحسن علي ابن الأنباري، إلى

(١) منها المدرسة المستنصرية ومسجد قمرية ورباط دار الروم ومارستان بالبصرة وآدر المضيف بجميع محال بغداد وخان حربي وقنطرتها وخان نهر سابس بأعمال واسط، وخان الخرنيني، ومسجد عشائر بالجانب الغربي من بغداد ومزملة قبر الإمام أحمد بن حنبل. انظر: مختصر التاريخ (ص ٢٦١)، والفخري (٢٤٢)، وتاريخ مختصر الدول (ص ٢٥٣)، وتاريخ الخلفاء (٤٦٠).

(٢) في مختصر التاريخ (ص ٢٦٤): أربعة.

(٣) في مختصر التاريخ (ص ٢٦٤): توفي في خلافة أخيه سنة اثنتين وخمسين وستمائة.

(٤) في مختصر التاريخ (ص ٢٦٤): «وكريمتان، توفيت الواحدة في أيام أبيها ليلة الاثنين حادي عشر شوال سنة ثلاث وعشرين وستمائة، والأخرى تدعى «ست الشرف» توفيت في رجب سنة خمس وخمسين وستمائة».

(٥) ذكر المؤلف خبر عزله مفصلًا في حوادث سنة ٦٢٦ هـ.

(٦) تقلدها سنة ٦٣٠ هـ.

(٧) سيذكر المؤلف أنه توفي سنة ٦٤٥ هـ.

(٨) ذكر ذلك في حوادث سنة ٦٢٧ هـ.

(٩) انظر حوادث سنة ٦٢٩ هـ من هذا الكتاب.

أن توفي، فولّي[١] عوضه تاج الدين أبا منصور معلى ابن الدباهي نقلًا من صدرية المخزن، إلى أن توفّي[٢] في إربل وولي عوضه فخر الدين أبا سعد المبارك بن يحيى ابن المخرمي، نقلًا من صدرية المخزن، وكان الأمر في عساكره وأجناده وقوّاده إلى شرف الدين إقبال الشرابي إلى آخر أيّامه، ولم يُوَلِّ كاتبًا للإنشاء في الديوان؛ لأن مؤيّد الدين أبا الحسن محمد بن محمد القمي، كان مخاطبًا بولاية ديوان الإنشاء، ثم صار ينوب في الوزارة فجعل بين يديه الحبيب ابن الأستاذ يستعين به إلى أن عُزِلَا معًا، فلما استوزر نصير الدين ابن الناقد، تولّى الأمور بنفسه ورتب بين يديه كاتبا العدل ناصر بن رشيد المخرمي، ثم بعده الجمال عبد الله بن جعفر، ثم العدل أبا المعالي القاسم بن أبي الحديد المدائني آخر أيامه.

خلافة المستعصم بالله[٣]

هو أبو أحمد عبد الله ابن الخليفة المستنصر بالله، لما توفي والده المستنصر بالله يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة، استدعاه شرف الدين إقبال الشرابي من مسكنه بالتاج[٤] سرًا من باب يفضي إلى غرفة في ظهر داره، فحضر ومعه خادمه مرشد الهندي[٥]، فسلّم عليه الشرابي بالخلافة، وأجلسه على سدّة الخلافة، بعد أن شاهد والده مسجى، وكتم موته[٦]، فلم يعلم به إلّا بعض الخدم، فلما حضر أستاذ الدار

(١) في سنة ٦٣٢ هـ.
(٢) مرّ خبر وفاته في سنة ٦٣٣ هـ.
(٣) ولد المستعصم سنة ٦٠٩ هـ، وأمّه أم ولد اسمها هاجر، ومثلما أجمعت المصادر على وصف المستنصر بالله بالحزم وسداد الرأي فقد أجمعت على نعت المستعصم باللّين والضعف والعكوف على اللهو وعدم الاهتمام بكبائر الأمور، على أنه كان متديّنًا، متمسّكًا بتعاليم الدين. انظر: الفخري (ص ٢٤٤)، وتاريخ الخلفاء (ص ٤٦٤)، وتاريخ مختصر الدول (ص ٢٥٤).
(٤) التاج: دار جليلة من دور الخلافة، بناه المعتضد وأتمّه ابنه المكتفي. انظر: معجم البلدان (٢/ ٣).
(٥) عزّ الدين مرشد بن عبد الله الهندي، أبو سعد الشرابي، كان شرابي الخليفة المستعصم، توفي سنة ٦٥٢ هـ. انظر: تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ١ ص ٣٥٧).
(٦) يبدو واضحًا أن الشرابي أخفى موت المستنصر بالله لكي يستطيع أن يبرم أمر الخلافة للمستعصم لضعفه وإمكانية السيطرة عليه. يقول اليونيني: وكان للمستنصر أخ يعرف بالخفاجي يزيد عليه في الشجاعة والشهامة، وكان يقول: «إن مَلّكني الله تعالى أمر الأمة لأعبرن بالعساكر نهر (جيحون)، وأنتزع البلاد من يد التتار. فلما توفي المستنصر بالله ـ لم ير الدويدار والشرابي، وكانا غالبين على الأمر ـ وبقية أرباب الدولة تقليده الخلافة خوفًا منه لما يعلمون منه من استقلاله بالأمر واستبداده بالتدبير دونهم، وآثروا أن يليها المستعصم بالله لما يعلمون من لينه وانقياده ليكون الأمر إليهم». انظر: مرآة الزمان (ج ١ ص ٢٥٤)، وتاريخ الخلفاء (ص ٤٦٤).

مؤيّد الدين أبو طالب محمد ابن العلقمي مؤذنًا بالأذان قبل صلاة الجمعة جريًا على العادة، أسرّ إليه ذلك واستكتم، ثم عرف الوزير نصير الدين ابن الناقد أيضًا، وكتم الأمر إلى ليلة السبت حادي عشر الشهر، ثم استدعي الوزير فدخل من باب لدار الأمير علاء الدين الطبرسي الظاهري الدويدار، مقابل دار الوزارة فحضر في محفة لعجزه عن المشي، وأحضر أستاذ الدار أيضًا، فمثلا بين يديه، وكتب عدّة ألقاب فوقع تعيين الوزير بإذن الخليفة على المستعصم بالله، ثم أحضر عمّه أبو الفتوح حبيب[1] فبايعه، وأحضر بعده عشرة من أولاد الخلفاء فبايعوه، ثم بايعه الوزير وأستاذ الدار، ثم بايعه أعمامه وهم أبو المظفر الحسن ويُعرف بالتركي، وأبو القاسم علي ويُعرف بالسبتي، وأبو الفضل[2] سليمان ويُعرف بالحاج، وأبو هاشم يوسف، وولدا عمّ أبيه، وهما المؤيّد أبو عبد الله الحسين والموفق أبو علي يحيىٰ ولدا أبي الحسن علي ابن الخليفة الناصر لدين الله[3]، ثم تقدم بتعيين الأمراء لحراسة البلد، وتقدم إلى جميع الأمراء من الشاميين والغرباء أن لا يركب أحد منهم ولا يخرج من داره، فأصبح الناس يوم السبت فشاهدوا أبواب دار الخلافة مغلقة، وهي: باب النوبي والعامّة والمراتب، وقد أمر عبد اللطيف بن عبد الوهاب الواعظ، أن يُشعر الناس بوفاة الخليفة المستنصر بالله وجلوس ولده المستعصم بالله بما صورته: «أيها الناس، إن إمامكم المستنصر بالله أمير المؤمنين قد درج إلى رحمة الله تعالىٰ، وقد بُويع لولده سيّدنا ومولانا الإمام المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله أمير المؤمنين أيّد الله تعالىٰ به الدين وجعل إيالته مباركة على كافة المسلمين»، ثم استدعي إلى دار الوزارة المدرّسون ومشايخ الربط وأعيان الناس، وفُتِح باب العامة، فدخل منه من استدعي

---

(١) أبو الفتوح حبيب ابن الخليفة الظاهر بأمر الله، قتل في واقعة بغداد سنة ٦٥٦ هـ. انظر: مختصر التاريخ (ص ٢٥٧)، وفي خلاصة الذهب المسبوك، واستدعي أحد أعمامه وهو أبو الفتوح حبيب، وأوهم أن جماعة من إخوته حضروا وبايعوه، فلما حضر لم يرهم فبايع وعاد إلى داره.

(٢) في مختصر التاريخ (ص ٢٥٧): أبو الفتح سليمان.

(٣) في خلاصة الذهب المسبوك: «وأمّا أعمامه وكذا عم أبيه الممتنعون عن الحضور والمبايعة، فأشير باستدامة على باب الفردوس الذي يحتوي على دورهم، بحيث لا يدخل عليهم طعام ولا غيره، فبقوا على ذلك ثلاثة أيام، فسألوا المبايعة وأحضروا فبايعوا».

وفي العسجد المسبوك (ص ٥١٠): «واستُدعي أعمامه للمبايعة، فامتنعوا إلاّ الأمير حبيب، فإنه حضر وبايع»، وفي (ص ٥١١): «وفي يوم الأربعاء الخامس عشر من الشهر المذكور حضر السادة الأمراء أعمام الخليفة للمبايعة فجلس لهم في القبّة، ووقفوا بين يديه بعد أن قبّلوا الأرض خجلاً من امتناعهم، فقال: «لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم»، فبايعوه وانصرفوا».

للدخول، ومضوا إلى بستان التاج وعليهم ثياب العزاء، فبايعوا على اختلاف طبقاتهم وتفاوت درجاتهم، وكان جلوسه في شبّاك القبّة، وعليه البردة[١] والطرحة والقضيب[٢] بيده، وقد نصب تحت الشباك كرسي ذو درج يرقى الناس عليه للمبايعة، وكان الوزير جالسًا على أرفع درجة لعجزه عن القيام، وأستاذ الدار قائمٌ دونه بمرقاة يأخذ البيعة على الناس ويلقنهم لفظ المبايعة، ثم أسبلت الستارة وانفضّ الناس، وكانت الحال ساكنة والناس على أشغالهم، ثم جلس في اليوم الثاني، فدخل كافة الأمراء والمماليك وبايعوه، وفي اليوم الثالث كانت البيعة العامة، حضرها من تخلّف من الأمراء والغرباء وضروب الناس كالتجار الغرباء وغيرهم. ثم إنهم وقفوا صفوفًا بين يدي الشباك وبين أيديهم العارضان تاج الدين الحسن ابن المختار العلوي، وفخر الدين أحمد ابن الدامغاني ومقدما البدرية داود وحسين، ووقف أرباب الدولة عن يمين المنبر ويساره، فلما رُفِعت الستارة قبّل الجميع الأرض، وفي هذا المجلس[٣] أحضر قاضي القضاة كمال الدين أبو الفضل عبد الرحمٰن ابن اللمغاني، ونقيب العباسيّين العدل بهاء الدين أبو طالب الحسين ابن المهتدي بالله ومدرّس النظامية العدل نجم الدين أبو محمد عبد الله البادرائي[٤]، وأقرّ الجميع على أشغالهم شافههم بذلك، ثم أشهدهم على نفسه، أنه قد وكل وزيره نصير الدين أبا الأزهر أحمد ابن الناقد، ثم أحضر المحتسب جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمٰن ابن الجوزي، وأمر أن يقرأ بأرفع صورته قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الفتح: الآية ١٠]، ثم أمر الناس بالخروج ومضى الوزير وأستاذ الدار وأرباب الدولة ونفر يسير من الأعيان إلى بيت النوبة، وجُعلت محفّة الوزير باب الرواق وهو جالسٌ فيها، وجلس أرباب الدولة حوله، وقُرئت الختمة وقرأ القرّاء، وأورد جمال الدين ابن الجوزي فصلًا يشتمل على عزاء وهناء، أوّله: «ما لليل والنهار لا يعتذران وقد عظم حادثهما، وما

---

(١) وهي بردة النبيّ ﷺ التي كان الخليفة يلبسها في المواكب (صبح الأعشى ٣/٢٦٩).

(٢) القضيب: عود كان النبيّ ﷺ يأخذه بيده، وكان القضيب والبردة عند خلفاء بني العباس ببغداد إلى أن انتزعهما السلطان سنجر السلجوقي من المسترشد بالله، ثم أعادهما إلى المقتفي عند ولايته سنة ٥٣٥ هـ، والذي يظهر أنها بقيت عندهم إلى انقضاء الخلافة من بغداد. (صبح الأعشى ٣/ ٢٧٠).

(٣) انظر: العسجد المسبوك (ص ٥١٠).

(٤) أبو محمد عبد الله البادرائي، نسبة إلى بادرايا (بدرة الحالية)، سيذكر المؤلف تعيينه بمنصب قاضي القضاة في حوادث سنة ٦٥٥ هـ، ووفاته بعد تسعة عشر يومًا.

للشمس والقمر لا يخسفان وقد فقد ثالثهما»[١]:

أيا قمرًا قد غاب عنّا مُحيّاه ... فلسنا بهذي الدار نأمل رؤياه
أمَا البدر يخفى ليلتين فما لنا ... تمرّ ليالينا ولا نستراه

ثم وعظ وأنشد قصيدة، وأنشد الشعراء بعده، فلما فرغوا خرج الشرابي وبين يديه جمع من الخدم وبيده مطالعة في كيس حرير أسود[٢]، فناوله للوزير وجلس إلى جانبه، فقرأها فلم يرتفع صوته فناولها أستاذ الدار فقام وقرأها، ومضمونها التأسّي والتسلي[٣]، وأمر الوزير بأن ينهض إلى الديوان، ويأمر نوّاب الأعمال بالعدل والإنصاف، ثم إزالة ما أحدثه عمّال السُّوء من المكوس والتقسيطات والمؤن والباولات[٤]، فنهض الوزير وخرج والجماعة في خدمته، واستصحب حاجب باب النوبي تاج الدين ابن الداومي إلى داره خوفًا عليه من العوام، لكونه يتولّى أخذ المؤن والنواب فيها من قبله، وفي أيامه حدثت، وتقدم بإنفاذ الأمير فلك الدين محمد سنقر الطويل لحراسة داره «بدرب الدواب»، فمضى إليها واحتاط عليها من جميع جهاتها، ظنًّا منه أنه قد قُبِضَ عليه، وبالغ في إزعاج أهله وأصحابه وخاطب ولده مخاطبة من قد قُبِض عليه، فما أحسّ إلّا وقد خرج حاجب الباب من دار الوزير راكبًا وحوله غلمانه وأتباعه، فلما رآه بهت خجلًا ممّا صدر منه، فنفذ حاجب الباب ولده إلى الوزير ينهي ذلك، فنفذ في الحال إليه حاجب المجلس تاج الدولة يحيى بن أبي الرشيد ينكر على الأمير فلك الدين ما فعله، وقال له: إنك إنما أنفذت إنعامًا في حقّه وحراسة لداره من العوام، وأمره بالانفصال فركب ومضى.

وفي هذا اليوم، تقدم الخليفة بإحضار شيخه العدل شمس الدين علي ابن النيار فحضر عنده فأكرمه وسلّم إليه خزانة الكتب التي لخاصّته وأمره بالترداد والملازمة، ثم

(١) في تاريخ الخلفاء (ص ٤٦٠): «فجاء ابن الأثير نصر الله رسولًا من صاحب الموصل برسالة في التعزية، أولها: ما لليل والنهار لا يعتذران... الخ».

(٢) في العسجد المسبوك (ص ٥١١): «وفي يده مطالعة مستعصمية في كيس أسود».

(٣) بعدها في العسجد المسبوك (ص ٥١١): «واستشعار الصبر الجميل، رجاء الثواب الجزيل لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ۝ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنبياء: الآيتان ٣٤، ٣٥]».

(٤) كذا في الأصل، وفي العسجد المسبوك (ص ٥١١): «وإزالة ما أحدثه عمّال السوء من المكوس والتقسيطات والمؤن والتأويلات».

أمر بالاهتمام في أمور الحجّ، وكان منقطعًا منذ سنة أربع وثلاثين، وتقدم بالإفراج عمّن كان محبوسًا بحبس الجرائم، وليس قبله حدٌّ شرعي.

وفي يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة، تقدم إلى كافة أرباب المناصب والولايات والأمراء الكبار بالركوب إلى جامع القصر، فحضروا دار الوزير أولًا، ثم توجّهوا إلى الجامع وصلوا داخل الحطيم، وأعفي الوزير من الحضور لعجزه، وخطب نقيب النقباء بهاء الدين الحسين بن المهتدي، ونثر عند ذكر اسم الخليفة ألف دينار وألف درهم عليها اسمه، تولى نثار ذلك بشير الستري، وصعد معه علم الدين أبو جعفر ابن العلقمي أخو أستاذ الدار، ونفذ إلى جامع المنصور، وجامع المهدي[1] بالرصافة، وجامع السلطان[2]، وجامع فخر الدولة بن المطلب، وجامع بهليقا[3] ذهبًا ودراهم، نثر ذلك عند ذكر اسم الخليفة، وكان مبلغ ما نفذ إلى كل موضع خمسمائة دينار وخمسمائة درهم، وذكر الخطباء الأمر بالحجّ ورغبوا فيه، وعرفوا الناس أنه قد وقع الشروع في أسبابه.

ذكر مَن حضر للعزاء والهناء

في ثامن جمادى الآخرة، وصل ركن الدين إسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، وركن الدين يومئذ صاحب سنجار، فخرج إلى لقائه الأمراء وعارض الجيش، فسلّموا عليه بظاهر البلد، فدخل وعليه ثياب العزاء وقبّل العتبة بباب النوبي، ودخل دار الوزارة فخدم وعزّى وهنأ، ثم خرج ومضى إلى دار سكن بها «بدرب صالح».

ووصل في رابع عشر الشهر رسول من بدر الدين لؤلؤ، ومعه تعزية وتهنئة وثوبان أطلس وألف دينار برسم الغاسل[4].

---

(١) جامع المهدي، بناه المهدي العباسي بالرصافة سنة ١٥٩ هـ (بغداد مدينة السلام ص ٣٩).

(٢) بناه السلطان ملكشاه بن محمد ألب أرسلان بالمخرم قرب دار السلطنة السلجوقية، وموضعها اليوم محلة تسمى العلوازية وتسمّى أيضًا «العيواضية» وأصلها «الإيوازية». انظر: دليل خارطة بغداد (ص ١٠١).

(٣) بناه عمرو بن بهليقا بالجانب الغربي من بغداد، وورد ذكره في القاموس وتاج العروس في مادة بهلق. انظر: الجامع المختصر (٩/ ٨٠) «الحاشية».

(٤) في العسجد المسبوك (ص ٥١٢): «وأرسل بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل بثوبين أطلس وألفي دينار برسم الغاسل، فقبلت منه ونفذت إلى النقيب الحسين بن المهتدي»، وفي ص ٥٢٣ منه: «وفي رابع ذي الحجة وصل عبد الله بن عصرون رسولًا من الملك الصالح أيوب=

وفي رجب، وصل نور الدين أرسلان شاه بن زنكي صاحب شهرزور، وعليه ثياب العزاء ودخل دار الوزارة، وفعل كما فعل من تقدم وأسكن دار معد الموسوي بالمقتدية، ولما غيّرت ثياب العزاء على ما نذكره، خلع على الجماعة وتوجّهوا إلى بلادهم.

ذكر تغيير ثياب العزاء

في ثاني شهر رجب، نفذ مشرف الوزير نصير الدين أبي الأزهر أحمد ابن الناقد في ثلاث جون صحبة عمر بن جلدك[1]، وحضر معه بشير الستري الظاهري أحد الخدم فلبسه الخلعة، ثم استدعي الأمير مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير المستنصري، فحضر ودخل راكبًا على جاري عادته إلى باب الأتراك، ومضى إلى باب الحجرة، وشرف في الموضع الذي جرت عادة أمير الحج أن يُشرف فيه، فلما خرج متوجّهًا داره استدعي الأمير علاء الدين الطبرسي الظاهري وهو الدويدار الكبير إلى البدرية، وجلس في الشريجة ساعة، ثم استدعي إلى موضع خلع عليه، وخرج متوجّهًا إلى دار الخلافة من باب الحرم ونزل عن مركوبه في باب الباتني، وهو أول من اجتاز في البلد بخلعة في هذا اليوم. ثم استدعي مؤيّد الدين محمد ابن العلقمي أستاذ الدار إلى دار الوزارة، وكذلك فخر الدين أبو سعد المبارك ابن المخرمي صاحب الديوان، وفخر الدين محمد بن أبي عيسى، ونقيب الطالبين قطب الدين الحسين ابن الأقساسي، ثم أقضى القضاة كمال الدين عبد الرحمٰن ابن اللمفاني، ونقيب العباسيين بهاء الدين ابن المهتدي، وحاجب باب النوبي تاج الدين علي ابن الدوامي، ومشرف الديوان قوام الدين عليّ ابن الشاطر، والعارضان تاج الدين الحسن بن المختار، وفخر الدين أحمد ابن الدامغاني وخلع على الجميع، ثم استدعي الأمراء، كشمس الدين قيران الظاهري وحسام الدين أبي فراس بن جعفر بن أبي فراس، وعلاء الدين الدكز الناصري، وشهاب الدين سلمان شاه بن برجم وغيرهم، فخلع عليهم، وتقدم إليهم بأن يقصدوا باب الحرم ويدخلوا إلى باب البستان يترقبون

= صاحب مصر، وفي السابع من ذي الحجة وصل رسولان أحدهما من صاحب الروم والآخر من صاحب حلب».

(١) عمر بن جلدك المطالعاتي، مقدم الفراشين بدار الخلافة، سيذكره المؤلف في مواضع أخرى، كما سيذكر وفاته سنة ٦٥٣، وفي العسجد المسبوك (ص ٦٢١) أنه توفي سنة ٦٥٤ هـ، وفيه: «أنه كان أخصّ من خدم بدار الخلافة، خدم الظاهر والمستنصر والمستعصم، وكانت المطالعات تبرز على يده إلى الوزير».

خروج شرف الدين إقبال الشرابي، ثم خلع على الشرابي في حضرة الخليفة، وقلّده سيفين بيده، وقدم له مركوب من خيل الخليفة في البستان، فخرج راكبًا وبين يديه الخدم بالسيوف مشهورة، فخدمه الأمراء ومشوا بين يدي مركوبه، فخرج من باب النوبي، فلما انتهى إلى باب البدرية استأذنه علاء الدين الطبرسي الدويدار ـ وكان راكبًا في آخر الأمراء ـ في العود إلى داره فأذن له وللأمراء، فنزل علاء الدين وعضده وقبّل يده وعاد، ثم استمرّت الخلع في دار الوزير إلى آخر النهار على النوّاب والكتّاب والحجّاب والحواشي، ثم نفذت الخلع إلى ولاة الأطراف إلى بدر الدين سنقرجا زعيم خوزستان وصدر ديوانها قوام الدين علي بن غزالة، وإلى صدر إربل تاج الدين محمد ابن الصلايا العلوي، ودزدار[1] قلعتها، وإلى زعيم تكريت نور الدين الدكز، وزعيم دقوقا قطب الدين سنجر السنقري، وإلى ابن المرتضى ناظر الحلّة، وابن حسين ناظر الكوفة.

ذكر واقعة الأتراك

وفي شعبان، حضر جماعة من المماليك الظاهرية والمستنصرية عند شرف الدين إقبال الشرابي للسلام على عادتهم، وطلبوا الزيادة في معايشهم وبالغوا في القول وألحوا في الطلب، فجرّد عليهم وقال: «ما نزيدكم بمجرد قولكم، بل نزيد منكم من نزيد إذا أظهر خدمة يستحق بها»، فنفروا وخرجوا على فورهم إلى ظاهر السور، وتحالفوا على الاتّفاق والتعاضد، فوقع التعيين على قبض جماعة من أشرارهم، فقبض منهم اثنان وامتنع الباقون، وركبوا جميعًا وقصدوا باب البدرية ومنعوا الناس من العبور، فخرج إليهم مقدم البدرية، وفتح[2] لهم هذا الفعل، فلم يلتفتوا إليه، فنفذ إليهم سنجر الياغر[3]، فسألهم عن سبب ذلك فقالوا: «نريد أن يخرج أصحابنا وتزاد معايشنا»، فأنهى سنجر ذلك إلى الشرابي فأعاد عليهم الجواب: إن المحبوسين ما نخرجهم وهم مماليكنا، نعمل بهم ما نريد، ومعايشكم ما نزيدها، فمن رضي بذلك يقعد ومن لم يرض وأراد الخروج من البلد فنحن لا نمنعه، وطال الخطاب في ذلك إلى آخر النهار، ثم مضوا وخرجوا إلى ظاهر البلد فأقاموا هناك مظهرين للرحيل، فبقوا على ذلك أيامًا، فاجتمع بهم الشيخ السبتي الزاهد، وعرفهم ما في

---

(١) دزدار: كلمة فارسية تعني: حاكم الإقليم. انظر: تكملة المعاجم العربية (٤/ ٣٤٧).
(٢) لعله أراد: «قبح لهم».
(٣) قطب الدين سنجر المستنصري الياغر، ذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٣ هـ، وقصة هروبه والقبض عليه.

ذلك من الإثم ومخالفة الشرع، فاعتذروا وسألوه الشفاعة لهم وأن يحضر لهم خاتم الأمان ليدخلوا البلد، فحضر عند الشرابي وعرفه ذلك، وسأله إجابة سؤالهم، فأخرج لهم خاتم الأمان مع الأمير شمس الدين قيران الظاهري والشيخ السبتي، فدخلوا والشيخ راكب حماره بين أيديهم، وحضروا عند الشرابي معتذرين، فقبل عذرهم، وكان مدّة مقامهم بظهر السور سبعة أيام.

ذكر ركوب الخليفة

في يوم الخميس، خامس عشر شهر رجب، ركب المستعصم بالله في شبارة ومعه شرف الدين إقبال الشرابي وعز الدين مرشد[1] الهندي المستعصمي وأصعد في دجلة إلى مشرعة الكرخ، وعاد منحدرًا إلى باب الأزج، ثم عاد إلى داره ثم ركب يوم السبت سابع عشر الشهر على الخيل، وتقدم إلى جميع من كان يركب مع والده بالركوب معه، وقصد دار الحريم ودخل الرباط، ثم تكرّر ركوبه فلم يدع صالحًا ولا وليًا إلا زاره وقصد مشهده، ولا رباطًا منسوبًا إليهم ولا مدرسة إلا تردّد إليه وشاهده، وقصد المدرسة المستنصرية يوم الجمعة سابع شعبان ومعه الشيخ شمس الدين علي ابن النيار، واعتبر خزانة الكتب التي بها، وأنكر عدم ترتيبها، ووكل بالنواب يومين، ثم أفرج عنهم. وفي ذي القعدة ركب إلى المحول[2] ودخل السمكة، وهو بستان للشرابي.

ذكر نقل المستنصر بالله من مدفنه بدار الخلافة إلى التربة بالرصافة

في ليلة الجمعة حادي عشر شعبان، أرادوا نقله، فهبّت ريح عاصفة منعت من ذلك، فقال جمال الدين أبو الحسن علي المخرمي ارتجالًا:

تحركت الرياح الهوج لما ... أرادت كعبة الجود ارتحالا
وقالت: من يعلمني سخاءً ... أهب به ويغمركم نوالًا؟
فقلت لها: خليفته المرجىٰ ... إمام العصر فانقلبت شمالا

---

(١) تقدمت ترجمته في حوادث هذه السنة.

(٢) المحول: قال ياقوت: «بليدة حسنة طيبة نزهة كثيرة البساتين والفواكه والأسواق والمياه، بينها وبين بغداد فرسخ». معجم البلدان (٥/٦٦).

فنقل في ليلة السبت ثاني عشريه إلى موضع كان قد أعدّه لنفسه مدفنًا، وبنى عليه قبّة، وكان صورة نقله: أن تقدم إلى كافة الزعماء ما عدا أصحاب المشاد والمماليك، وكافة مشايخ الربط والصوفية والفقهاء والمدرّسين، ما عدا مدرّسي المستنصرية والنظامية، بالتوجّه على طريق إلى مشرعة الرصافة، وتقدم إلى من عداهم أن يقصدوا دار الخلافة بغير الطريق، وأن يرفع القضاة والمدرّسون الطرحات والعدول الطيالسة، وأرباب العذر عذرهم، وأصحاب المشاد مشادهم، ويركب الزعماء بالأقبية البيض والسرابيش، وأرباب الدولة كل واحد منهم بقميص أبيض وبقيار أبيض مسكن وغاشية[1]. . . فركبوا وقصدوا دار الوزارة، ما عدا مجاهد الدين الدويدار الصغير وعلاء الدين الدويدار الكبير، وأستاذ الدار مؤيّد الدين محمد ابن العلقمي، فلما تكمل من عدا هؤلاء في دار الوزارة، تقدم إليهم بقصد دار الخلافة والدخول بباب عليان إلى صحن السلام، فمضوا هناك قبل غروب الشمس، وأمّا الوزير ابن الناقد فإنه خرج في محفة ودخل من باب الباتني ثم قصد هؤلاء كلهم دجلة، فخرج الصندوق الذي فيه الخليفة، فلما عاينوه قبّلوا الأرض، وأعلنوا بالبكاء ثم حطّ في شبارة طويلة، يجذف فيها خمسة عشر ملاحًا، في صدرها قبّة مجللة بسجاف أطلس أسود، ونزل فيها الشرابي وأستاذ الدار وابن درة المعمار، فوقفوا بين يدي الصندوق، ولم ينزل الوزير لعجزه عن القيام، ونزل جميع أرباب الدولة والأمراء في سفن قيامًا، بين أيديهم شموع كبيرة، فلما وصلوا إلى مشرعة الرصافة رفع الصندوق على الرؤوس وامتدّ الناس كلهم بين يديه إلى التربة، فدُفِن رحمه الله في الموضع الذي أعدّه، ثم فرقت الربعة الشريفة وقُرِئت، وأهديت له، وانصرف الناس قبيل نصف الليل، ثم تردّدوا إلى التربة يوم الأحد ويوم الاثنين، في كل يوم تقرأ الختمة، ويتكلّم جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزيّ، ويدعو العدل شمس الدين علي ابن النسابة[2] ونقيب النقباء ونائبه.

---

(١) الغاشية: قطعة من قماش مزركش ترفع منشورة بين يدي الفارس إذا سار، وربما وضعت على صدر الفارس. تاريخ علماء المستنصرية (٢/ ٢٥٥).

(٢) شمس الدين أبو الحسن علي ابن النسابة، رتب خطيبًا لجامع القصر وناظرًا في وقوف الترب بالرصافة، ثم قلد نقابة العباسيين، قتله التتار سنة ٦٥٦ هـ وعمره نحو من ثلاثين سنة. انظر: العسجد المسبوك (ص ٦٣٧).

ذكر الاهتمام بأمور الحج

في شهر رمضان، تقدم إلى صاحب الديوان فخر الدين أبي سعد المبارك ابن المخرمي: أن يهتمّ بأمور الحجّ وإعادته على أجمل قواعده، وكان قد انقطع منذ سنة أربع وثلاثين وستمائة، فعيّن على شخص يُعرف بابن المحسن، وتقدم إليه أن يمضي إلى الآبار التي في طريق مكّة وينقيها ويصلحها، ورتب عليه مشرف يعرف بابن ورخز، ونفذ معهما جماعة من الرجال والأجناد، وعزل الأمير حسام الدين أبو فراس بن جعفر بن أبي فراس عن إمارة الحج، ورتب عوضه الأمير سيف الدين كيكلدي الناصري، ووقع التعيين على السبلدارية، فرتب أبو القاسم بن كلالة التاجر[1] في سبيل الخليفة المستعصم بالله ويعرف «بسبيل الفقير»، وجعل السراج عمر بن بركة الهزقلي[2] مشرفًا عليه، ورتب في سبيل المستنصر بالله، الشيخ عماد الدين محمد[3] ابن الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي، وجعل عليه مشرفًا أحمد الحربوي، وعيّن سبيل للخليفة الظاهر بأمر الله، وسبيل لابنه الخليفة المستنصر بالله، وسبيل لوالده الخليفة الناصر لدين الله وعيّن لكل سبيل من يتولّاه ورتب مشرفه، فلما وصلوا قريبًا من وادي محرم خرج عليهم عمير بن قاسم العلوي أمير المدينة في خلقٍ كبير من العرب، وحالَ بينهم وبين الماء، وطلب منهم مالًا واشتطّ في الطلب، وتهددهم في المحاربة، وطال الحديث بينهم وبينه واقتتل أطرافهم مع أطراف الحاج، وقتل من الفريقين قوم وجرح آخرون، فاستظهر الحاج عليهم، ولما رأى عمير القهر والغلبة راسل أمير الحاج وطلب منه الأمان، واعتذر واعترف بالخطأ، ونفذ أخاه بالسيف والكفن نيابةً عنه، فقبل أمير الحاج عذره، فرحل حينئذ قاصدًا المدينة وسار الحاج بعده.

ذكر الفتنة ببغداد

سأل جماعة من شبان المحال أن يؤذن لهم في الخروج إلى قتل السباع، فأذن لهم جريًا على العادة القديمة في أيام الخليفة الناصر لدين الله، وأنعم عليهم بشيء من البر، فاجتمع من كل محلة جوق، وخرجوا مجتازين في عمود البلد، وبين يدي كل جوقة اللعابة بالدفوف والزمور والمغاني وسائر الملاهي، فجاء قوم من رجال المأمونية

---

(١) سيرد ذكره في حوادث سنة ٦٤٦ هـ باسم التقي بن كلالة التاجر.

(٢) كذا ورد، ولعلّه سراج الدين عمر بن بركة النهرقلي الآتي ذكره في حوادث سنة ٦٥٢ هـ.

(٣) ترجمه ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٢ ص ٨٤١).

ليجتازوا في باب الأزج، فمنعهم أهل باب الأزج أن يعبروا عليهم وسيوفهم مشهورة، فساعدهم نائب باب النوبي محمد بن عبد الجبار، فضربوه بالآجر وأخذوا عمامته، واقتتل الفريقان حتى قُتِل منهم جماعة من النظارة والمقاتلة، ونهبت دكاكين ودور كثيرة، وجاء عماد الدين طغرل شحنة بغداد ومعه عدّة من الأجناد ليكفهم ويمنعهم، فما رجعوا ولا امتنعوا، وكان ابتداء المصاف من عقد المصطنع إلى رأس درب النفاطين، ودام القتال واشتدّ، فنفذ من الديوان عسكر ملبسين بالعدد فقاتلوهم ومنعوهم بعد أن قتل من الفريقين جماعة، وتفاقم النهب، وخربت عدة دور من المأمونية ونهب ما فيها، وسبي نساء، وفي ليلة الخميس من شوال، بات جماعة العسكر ممتدّين من باب النصر إلى تحت منظرة باب أم ع[1] خوفًا من وقوع فتنة في الليل، واستمر مبيتهم هناك عدّة ليالٍ وملازمتهم تهدّدًا، ومع ذلك لم يمنعوا ولا نهوا عن الخروج، فخرج جوق سوق المدرسة وبين أيديهم المحاكون والمغاني وغير ذلك، وكذلك أهل «قراح ظفر» وأركبوا بين أيديهم شخصًا على ثور جعلوه أميرًا، وشهروا بين يديه السيوف الكبيرة، وجعلوا خلفه الأسله، وصاروا يناولونه القصص فيتأملها ويجيب عليها بألفاظ مضحكة، وكذلك جوق سوق السلطان، وزاد الأمر ذلك وعظم حتى صار تخرج النساء حواسر إلى غير ذلك مما لا يجوز. ويعقب ذلك وقوع فتنة أخرى بين أهل «المختارة» و«سوق السلطان» وقتل بينهما جماعة، ثم خرج جوق محلة القريّة[2] بالجانب الغربي، وأرادوا الاجتياز بمحلة «قطفتا»، فمنعوهم وجرت بينهم فتنة عظيمة وقتل فيها جماعة، ونهب «سوق القنطرة»[3]، وعبر الشحنة وحاجب باب النوبي وجماعة من العسكر، فكفوهم ومنعوهم من الخروج ومنعوا أهل سائر المحال أيضًا.

عدة حوادث

في شعبان، تقدم إلى جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمـٰن ابن الجوزي أن يجلس للوعظ بباب بدر[4]، ورتب العدل شمس الدين علي ابن النيار شيخًا لرباط

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) القريّة: محلة كبيرة جدًا كالمدينة من الجانب الغربي من بغداد مقابل شرعة سوق المدرسة النظامية. معجم البلدان (٤/ ٣٤٠).

(٣) وهي في غربي بغداد قرب قنطرة الشوك، قال ياقوت: قنطرة مشهورة معروفة على نهر عيسى. وهناك محلة كبيرة وسوق واسع فيه بزازون وغيرهم من جميع ما يباع. معجم البلدان (٤/ ٤٠٧).

(٤) ورد الخبر في البداية والنهاية (١٣/ ١٦١) وفيه: «أذن الخليفة المستعصم بالله لأبي الفرج=

الحريم وخلع عليه، وتقدم بالإفراج عن جميع المسجونين في حبس الشرع، بعد أن يرضى غرماؤهم بالمصالحة على ديونهم.

وفيها، توفي محمد بن عبد اللطيف ابن التعاويذي، كاتب الحلة يومئذ بها، وكان كاتبًا جيدًا، حسن الكتابة، كيّسًا متواضعًا، خدم في عدّة خدمات، وكان كثير النكبات، وكان ذا فضل، يقول شعرًا جيّدًا، سأله بعض أصحابه أن يقول عن لسانه أبياتًا يسأل فيها التخفيف عن أجرة دكانه وكان بزازًا، فقال:

يا شرف الدولة أحسن كما ... قد خصّك الله بإحسانه[1]

فالعبد ما مرّت به شدّة ... أصعب من أجرة دكّانه

فاشفع له عند إمام الهدى ... متّعه الله بسلطانه

لتؤخذ الأجرة منه كما ... تؤخذ من سائر جيرانه

أو لا فحوله وقل حانقًا[2] ... قد مات منه بعض سكّانه

وفيها، رتب شرف الدين عبد الله ابن النيار ناظر ديوان المقاطعات ورتّب عمه شمس الدين الحسين وكيلًا لوالدة الخليفة المستعصم بالله، وخلع عليه. وفي ذي القعدة، رتب فخر الدين أبو طالب أحمد ابن الدامغاني مشرفًا على صاحب الديوان فخر الدين أبي سعد المبارك ابن المخرمي عوضًا عن نجم الدين علي ابن الشاطر الأنباري، وانحدر إلى واسط وأخذا معهما الأمير نصرة الدين لح[3] أرسلان الناصري، لأجل تحصيل البقايا والحث على الحمول، ورتب الأمير حسام الدين أيبك العراقي شحنة واسط، عوضًا عن نائب حسام الدين أبي فراس جعفر بن أبي فراس، ورتب الأمير فلك الدين محمد بن سنقر الآس[4] المعروف بوجه السبع شحنة البلاد الحلية، عوضًا عن الأمير جمال الدين آي به المارديني.

= عبد الرحمٰن بن محيي الدين يوسف ابن الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي ـ وكان شابًا ظريفًا فاضلاً ـ في الوعظ بباب البدرية، فتكلم وأجاد وأفاد وامتدح الخليفة المستعصم بقصيدة طويلة فصيحة . . .».

(١) الأبيات في العسجد المسبوك (ص ٥٢١)، منسوبة لصدقة البزاز المعروف بالنقاش.

(٢) في العسجد المسبوك: (خانتا).

(٣) كذا في الأصل.

(٤) فلك الدين أبو المظفر محمد بن مظفر الدين سنقر بن عبد الله المعروف بوجه السبع الناصري التركي، تولى شحنكية البصرة، ثم رتب بعد ذلك شحنة ببغداد وروسل به إلى مصر مع عبد الرحمٰن ابن الجوزي، وتوفي سنة ٦٥٦ هـ. انظر: تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٣ ص ٥١٧).

وفيها، توفي محمد الزاهد المعروف بالعليماتي، كان زاهدًا عابدًا يلتقط القراطيس المنبوذة مما عليه اسم الله تعالىٰ، ويتكلّم على الناس بكلام شديد فصيح، وله قبول تام وعنده معرفة بالحقيقة وكلام أهل الطريقة، وله شعر جيّد، منه:

سلم الله على هذا المُحَيّى ... إنه عندي مُفَدًّى ومُحيّى
يا حبيبي أنت لي كل المنى ... لست أبغي غير قربي لك شيًا
وإذا ما صح لي منك الهوى ... لم أرد أهلًا ولا ربعًا وحيًا
طيب أنفاسك قد يسكرني ... فاعزل الريحان عنّا والحميّا
رُمْت أن تقتلني إذ نظرت ... لي عيناك لقد أصبحت حيًا

ومنه:

ولقد شربت الراح من راووقها ... لا من زجاجتها ولا إبريقها
وطفقت في الحانات أسعى لا أرى ... أحدًا له علم بطرق طريقها
وصحوت حين شربتها من سكرتي ... وعلمت أن الصحو شرب رحيقها
والسكر قد أخذ الرجال وطوّحت ... بهم المدام تروم أخذ حقوقها

ومنه:

إذا عقدت يد الأغيار عقدًا ... فلي في حلّ ذاك العقد عقد
وقالوا: قد وجدنا منك هذا ... فإن وجود ما وجدوه فَقْدُ
وإني والذي أبديه قولًا ... وراء الموت سرّ ليس يبدو
وتطربني المثالث والمثاني ... ولي في زهدكم والله زهد

وكان ظاهر الفقر خشن العيش لا يقبل من أحد شيئًا، وابتلي بمرض مؤلم فصبر عليه حتى توفي وقد جاوز الستين، ودُفِن في مقبرة معروف رحمه الله تعالىٰ.

وفيها، اتّصل خروج الموكب في عيد الفطر إلى الليل وصلّى الناس صلاة العيد قبل نصف الليل قضاء، ولم يذكر سبب ذلك.

وفيها، توفي الأمير أبو الظفر باتكين[١] بن عبد الله الرومي الناصري، كان مملوكًا لعائشة ابنة الخليفة المستنجد بالله المعروفة بالفيروزجية[٢]، واشتغل بالعلم وحفظ القرآن المجيد، وخدم جنديًا وأقام بتكريت مدة، ثم سلمت إليه البصرة بحربها وخراجها، فأقام بها ثلاثًا وعشرين سنة، فعمرها وجدد مدارس كانت بها قد دثرت وأنشأ مدرسة للحنابلة، ولم يكن يعرف بالبصرة لهم مدرسة، وعمل مدرسة يقرأ فيها علم الطب، وعمّر مارستانًا كان قد خرب وتعطّل، ولما احترق جامع البصرة في سنة أربع وعشرين وستمائة واستهدم معظمه، أعاد عمارته وأحضر حجارة أساطينه من جبل الأهواز، وجلب له الخشب الصنوبر والساج من البحر وشيراز ورحبة الشام وأنشأ رباطًا متصلًا بالجامع ورباطًا آخر قريبًا منه، وأسكن فيهما جماعة من الصوفية، وبنى في دهليز الجامع حجرتين، جعل في إحداهما كتبًا ووقف في جميع المدارس كتبًا، وانتشر العلم في زمانه، وكان العلماء وغيرهم يقصدونه من جميع الآفاق فرفدهم، وبنى على قبر طلحة بن عبيد الله بنيانًا حسنًا، وجعل فيه الفرش والقناديل، وكذلك على قبر الزبير بن العوام، وبنى سورًا على بني مازن وسورًا على المدينة محكمًا بالأبواب الحديدية، وجدد في البصرة الخانات للبز وغير ذلك، وأحسن السيرة في أهلها وبالغ في السياسة. ولما ملك الخليفة إربل استدعي من البصرة ونفذ إليها واليًا عليها حربًا وخراجًا، فأطلق معظم الضمانات وأزال المكوس والضرائب وأسرع في إصلاح السور، وحفر الخندق، وكان مع هذا متعبدًا كثير التلاوة للقرآن والمذاكرة في العلوم والسِّيَر والتاريخ والأخبار والأشعار، وله نظم حسن، منه ما قاله حين قتل[٣]

---

(١) تقدم ذكره في مواضع عديدة من هذا الكتاب، وقد ورد خبر وفاته وترجمته في العسجد المسبوك (ص ٥١٣)، ويكاد التشابه في الترجمة يكون تامًا بين ما ورد في العسجد المسبوك وهذا الكتاب.

(٢) سيذكر المؤلف خبر وفاتها بعد قليل.

(٣) وكان ذلك سنة ٦١٦ هـ. انظر: الكامل (٩/)، والعسجد المسبوك (ص ٣٦٧) وفيه: «أمر الخليفة الناصر لدين الله علي معد متولي بلاد واسط أن يسير إلى قتال بني معروف فجمع جمعًا كثيرًا من هيت وتكريت والحديثة والأنبار والحلّة والكوفة وواسط وغيرها وسار إليهم، وهُمْ قوم من ربيعة كثر فسادهم، فقطعوا الطريق وأفسدوا في تلك النواحي...»، وذكر في حوادث سنة ٦١٧ هـ: «وفيها عاد جمع من بني معروف إلى مواطنهم بالبطيحة فقصدوا شحنة البصرة، وطلبوا منه أن يكاتب لهم الديوان ببغداد بالرضى عنهم، فكتب معهم بذلك وسيّرهم مع أصحابه إلى بغداد، فلما قاربوا واسط لقيهم قاصد من الديوان بقتلهم فقتلوا».

بنو معروف بتل المقير في بطائح[١] واسط، وكان حاضرًا للواقعة وقد تقدم ذكرها[٢]:

يا وقعة شفت النفوس وغادرت ... تل المقير ما به من غابر
وسقت «بني المجهول» كأسًا مرة ... تركت مواردهم بغير مصادر
جحدوا أيادي للخليفة جمة ... فأراهم عقبى الجحود الكافر
وتوهموا أن المقير معقل ... متمنع من كل ليث خادر
فرماهم القدر المتاح بأسهم ... تركت ربوعهم كرسم داثر

ولم يزل مقيمًا بإربل إلى أن هجم عليها عسكر المغول وحصروها ودخلوها عنوةً وأخربوها وأحرقوها، ثم بلغهم توجه عساكر الخليفة ففارقوها، ثم عادوا في العام المقبل ففارقها حينئذ باتكين وقصد بغداد ولزم داره معزولًا، إلى أن توفي ودفن في الشونيزي[٣] وقد بلغ الثمانين.

وفيها، توفيت عائشة[٤] ابنة الخليفة المستنجد بالله المعروفة بالفيروزجية وكانت صالحة مسنّة بكرًا، رأت عدّة من الخلفاء: أباها المستنجد بالله وأخاها المستضيء وابن أخيها الناصر وابنه الظاهر وابنه المستنصر ثم ابنه المستعصم، وقيل: إنها قربت الثمانين، وبنت ببغداد رباطًا يُعرف بها.

سنة إحدى وأربعين وستمائة

وفيها، تقدم الخليفة إلى جمال الدين عبد الرحمٰن ابن الجوزي المحتسب، بمنع الناس من قراءة المقتل في يوم عاشوراء، والإنشاد في سائر المحال بجانبي بغداد سوى مشهد موسى بن جعفر عليهما السلام.

---

(١) يريد بها «البطيحة»، وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة. انظر: معجم البلدان (١/ ٤٥٠).
(٢) يشير إلى ما ضاع من الكتاب، فزاد له.
(٣) أو الشونيزية: مقبرة ببغداد بالجانب الغربي منها، دفن فيها جماعة كثيرة من الصالحين، منهم الجنيد. وهناك خانقاه للصوفية. معجم البلدان (٣/ ٣٧٤).
(٤) ورد خبر وفاتها في الشذرات (٥/ ٢٠٨)، والعسجد المسبوك (ص ٥١٤)، والعبر (٥/ ١٦٥).

وفيها، صرف رضي الدين علي بن المخرمي من نيابة ابن عمّه فخر الدين أبي سعد المبارك ابن المخرمي صاحب الديوان، ورتب مشرفًا بديوان إربل ورتب عوضه العميد علي بن عبد الرزاق(١).

وفيها، حفر لميت في الشهداء بمقبرة «باب حرب» فوجد الحفار جرة مملوءة دراهم يونانية، ومما ضرب في الإسلام بالمدينة صلوات الله على ساكنها، فأحضرها الحفّارون إلى المحتسب ابن الجوزي، فمضى بها إلى دار الوزير، فتقدم إليه بالمضي إلى هناك واعتبار الحفر فمضى، وحفروا حوله فوجدوا جرّةً أخرى، كان بها نحو عشرة آلاف درهم(٢).

وفيها، أمر الخليفة بعمل خزانة للكتب في داره(٣)، وكتب على جهاتها أشعار، منها ما نظمه صفي الدين عبد الله بن جميل متقدم شعراء الديوان:

أنشأ الخليفة للعلوم خزانة ... سارت بسيرة فضله أخبارها
تجلو عروسًا من غرائب حسنها ... درّ الفضائل والعلوم نثارها
أهدى مناقبه لها مستعصم ... بالله من لألائه أنوارها

وفيها، أنهي أن أحد زعماء إربل كوى امرأة في فرجها، فتقدم باعتماد الشرع في ذلك، فسطرت فتيا، فأفتى الفقهاء بأن تقدر أنها أمة وتُقَوّم في حالة الصحة وبعد حدوث هذا العيب، فقُوّمت صحيحة خمسة وعشرين دينارًا ونقص بسبب الكي من قيمتها الثلث، فنسب ذلك إلى ديّتها وهي خمسمائة دينار، فأخذ من الزعيم هذا المبلغ وسلّم إلى المرأة، وتقدم بحبس الزعيم.

وفي سابع عشري رجب المبارك، قصد الخليفة زيارة مشهد موسى بن جعفر عليه السلام، وكان يومًا مطيرًا ونزل عن مركوبه من باب سور المشهد، وانحدر في رابع عشر شعبان إلى زيارة سلمان الفارسي رحمه الله.

---

(١) العميد علي بن عبد الرزاق الخراساني، ترجمه ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٢ ص ٩٣١).

(٢) ورد الخبر في العسجد المسبوك (ص ٥١٥).

(٣) ورد الخبر في العسجد المسبوك (ص ٥١٦) وفيه: «أمر الخليفة بإنشاء خزانتين للكتب متقابلتين فجاءت كل واحدة منهما في نهاية الحُسْن. . . الخ»، وأورد مقطعتين شعريتين غير التي وردت هنا في الحوادث.

وفيها، نفذ محيي الدين يوسف ابن الجوزي رسولًا إلى ملك الروم[١] كيخسرو بن كيقباذ، فاجتمع به في أنطاكية[٢]، فلما عاد حكى أشياء غريبة، منها: أن النساء يتعممن كالرجال، والرجال يلبسون السراقوجات[٣]، وعمائم النساء تختلف في الكبر والصغر؛ لأن المرأة إذا جاءت بولد واحد تعمّمت بعمامة طولها ستة أذرع، وكلما جاءها ولد زادتها ستة أذرع، وذراعهم ذراع ونصف بذراع بغداد. ومنها: أن مدينة أنطالية ليس بها دار بسطح مسطح بل مسنم كالجمل جميعه ميازيب لكثرة تواتر الغيوث، وحكى: أن هناك ماء ينبع من عين وعليه شرر النار لا يزال كذلك، وحكي أن إنسانًا خرج من الحمام في مدينة قونية في زمن الشتاء فجمدت لحيته، ثم زلق فانكسرت فذهبت قطعة منها[٤].

وفيها، زادت دجلة زيادة مفرطة[٥]، غرقت مواضع كثيرة ونبع الماء في المدرسة النظامية[٦] ودخل بيوتها، وكذلك ما جاورها، وخرب محلة[٧] كان استجدّها الغرباء من الجند بظاهر سوق السلطان وراء جامع المدينة، وانتقل أهلها إلى وراء السكر[٨]، وصليت الجمعة على طرف الخندق مما يلي دار المسناة، وانزعج الناس فخرج تاج



(١) ورد هذا الخبر في العسجد المسبوك (ص ٥١٥).

(٢) قال الدكتور مصطفى جواد: لعلّها أنطالية، فهي من بلاد الروم إذ ذاك، أي آسيا الصغرى، وأنطاكية من معاملة حلب. انظر: زبدة كشف الممالك (ص ٥٠)، ومعجم البلدان (١/ ٢٦٦). أمّا أنطالية: فهي بلد كبير من مشاهر بلاد الروم، كما قال ياقوت. انظر: معجم البلدان (١/ ٢٧٠). وحدّد بروكلمان موقعها على البحر الأبيض المتوسط، واعتبرها من الثغور الهامّة، (تاريخ الشعوب الإسلامية ٣/ ٩)، ووردت مرسومة هكذا: طناليا أو أنطالية أو انطاليا في القاموس الإسلامي (١/ ٢٠٢)، وقال عنها: مدينة قديمة بإقليم قونية في آسيا الصغرى مطلّة على البحر المتوسط.

(٣) في العسجد المسبوك (ص ٥١٧): الزراقوشات: قال محقق العسجد: لعلّها الزراقوشات مشتقّة من الزركش: وهو الحرير المنسوج بالفضّة، والأصح الذهب، لأنه من مركب من «زر» أي: ذهب، ومن «كش» أي: ذو. انظر: أدي شر: الألفاظ الفارسية (ص ٧٨).

(٤) ذكر ذلك في العسجد (ص ٥١٧)، فيما أخبر عنه ابن الجوزي.

(٥) ورد ذلك في العسجد المسبوك (ص ٥١٨).

(٦) في العسجد المسبوك (ص ٥١٨): وغشي الماء المدرسة النظامية وما جاورها من الدور والمساكن، وانخسف في المدرسة المستنصرية عدّة مواضع.

(٧) تقدم في حوادث سنة ٦٣٧ هـ أنها تزيد على ألف موضع.

(٨) سكر النهر أي: سدّه، وبابه نَصَر، والسكر ـ بالكسر ـ العَرِم، وهو المسناة.

الدين ابن الدوامي حاجب باب النوبي إلى باب كلواذي[١]، وأحكم السكر وبات عليه، فمن الله تعالىٰ بنقيصة الماء تلك الليلة.

وفيها، زلزلت الأرض بجانبي بغداد ثلاث مرات، ولم تهدم موضعًا ولا آذت مخلوقًا، وكان ذلك في ثاني شوال[٢]، فعمل جماعة في ذلك أشعارًا يعرضون بالعيد وكثرة العالم، ويجعلون ذلك هو السبب. فممن أنشد في ذلك لنفسه مجد الدين حسين ابن الدوامي:

أقول وجيش إمام الهدى ... تبدّت سراياه والزحف بادي
إذا كانت الأرض قد زلزلت ... فكيف تكون قلوب الأعادي

وأنشد أيضًا:

هــذا الإمــام أدام الله دولتــه ... له من الجود ما يغني بأيسره
عمّ الأنام ندى في العيد نائله ... وارتجّت الأرض خوفًا من عساكره

وفيها، خلع على أمير الحاج مجاهد الدين أبي الميامن أيبك المستنصري المعروف بالدويدار الصغير في دار الخلافة، وخرج فنزل في تربة والدة الخليفة الناصر لدين الله[٣]، وخرجت والدة الخليفة المستعصم بالله منحدرة في شبارة الخليفة إلى درزيجان[٤] متوجّهة إلى الحجّ وخرج الخليفة لأجل وداعها، فلما نزل السرادق نثر عليه الشرابي ذهبًا كثيرًا، ولم يكن قبل ذلك سافر سفرًا نزل فيه مخيّمًا، ولما وصل الحلة ودخل الدار التي على شاطئ الفرات نثر عليه الشرابي ذهبًا كثيرًا، ثم توجه إلى الكوفة ودخل جامعها وقصد مشهد أمير المؤمنين عليه السلام[٥]، وزوّره محمد بن كتيلة العلوي، فلما توجه الحاج، ودّع الخليفة والدته وعاد إلى بغداد.

وفيها، توفي الناصح إسمٰعيل بن عبد الرحمٰن ابن الزبيدي، كان رجلًا صالحًا، كثير التلاوة للقرآن المجيد، يدعو في البسطة عقب الختمة بالمدرسة

---

(١) كلواذي: وهو طسوج قرب بغداد وناحية الباب الشرقي من بغداد من جانبها، وناحية الجانب الغربي من نهر بوق. انظر: معجم البلدان (٤/ ٤٧٧).

(٢) ورد هذا الخبر في العسجد المسبوك (ص ٥١٨).

(٣) انظر: العسجد المسبوك (ص ٥٢١)، وأورد صاحب العسجد تفاصيل نفقات موسم الحج. انظر: (ص ٥١٩ منه).

(٤) دَرْزِيجانُ: قرية كبيرة تحت بغداد على دجلة بالجانب الغربي، انظر: معجم البلدان (٢/ ٤٥٠).

(٥) انظر هذا الخبر مفصّلًا في: العسجد المسبوك (ص ٥٢١).

النظامية، وكان يغلب عليه سلامة الصدر، وربما وعظ في الأسواق وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، قيل له: قد فرش في مسجد قمرية زلية[١] في وسطها جامات[٢] مكتوب فيها «الملك لله»، فمضى إلى قاضي القضاة ابن مقبل وطلب منه إزالة ذلك، فقال له: هذا المسجد أمره مردود إلى شمس الدين أحمد ابن الناقد وكيل الخليفة، فمضى إليه وقال له في ذلك، فلم يلتفت إليه، فخرج على فوره ومضى إلى الخليفة، وكان في ناحية الصالحية[٣] بنهر عيسى لأجل الصيد، وكان الزمان شاتيًا، فوصل إليه ليلًا فقرأ شيئًا من القرآن المجيد، فلما سمع صوته أنفذ إليه من سأله عن حاله، فذكر ما عنده، فتقدم إلى الوكيل بإزالة ذلك وأنكر الحال عليه، ثم سئل هل حاجة غير هذا؟ فقال: لا، وعاد على فوره والبرد شديد، وله حكايات كثيرة تدل على الساذجية.

وفيها، توفي الأمير حسام الدين أبو فراس محمد بن أبي فراس، كان موصوفًا بالشجاعة، لم يزل منذ كان شابًا أميرًا مقدمًا وزعيمًا محترمًا، ولي شحنكية البلاد الواسطية والبصرية مرتين في الأيام الناصرية والمستنصرية، وحجّ بالناس ثلاث عشرة حجة، وفارق الحاج سنة إحدى وعشرين، وقصد الملك الكامل صاحب مصر فتلقاه بالقبول وجعله مقدمًا على أمرائه، فلما بلغه القبض على الوزير القمي وعزله في سنة تسع وعشرين عاد إلى بغداد، فخلع عليه وأعيد إلى زعامته وولي إمارة الحاج، فلما توفي جمال الدين قشتمر سأل أن يكون عوضه في التقدم على العساكر لعلوّ سنّه، فلم يجب إلى ذلك، فامتنع من الركوب في الأعياد، وكان يخرج موكبه وفيه ولده نيابة عنه، ولم يضجر في حقّه بسبب ذلك، حفظًا لقلبه، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي.

وفيها، توفي الملك الجوّاد سلمان[٤] ابن مودود ابن الملك العادل أبي بكر

---

(١) الزلية: جمعها ابن الساعي على زلالي، وذكر ياقوت في مادة القطيفة: قال: كساء له خمل يفترشه الناس، وهو الذي يسمّى اليوم زولية. انظر: معجم البلدان (٤/٤٧٨)، والجامع المختصر (ص ١٩)، ويسميها العراقيون اليوم: زولية وجمعها زوالي.

(٢) الجامات، ومفردها: جام، إناء من فضّة أو قطع من زجاج. انظر: تكملة المعاجم العربية (٢/ ١٢٧)، والعامّة في العراق تسمّي زجاج النوافذ وغيرها جامًا ومفردها جامة.

(٣) الصالحية: محلة ببغداد تُنسب إلى صالح بن المنصور المعروف بالمسكين. انظر: معجم البلدان (٣/ ٣٩٠)، وتاريخ بغداد (٣/ ٣٦٣)، وبغداد مدينة السلام للهمداني (ص ٥٨).

(٤) تقدّمت ترجمته، وورد خبر وفاته في: العسجد المسبوك (ص ٥٢٢) وفيه: «أنه مات مخنوقًا في شهر شوّال من السنة المذكورة ودُفِن بالمعظمية»، والبداية والنهاية (١٣/ ١٦٣) وفيه: «ثم آل به=

محمد بن أيوب، كان لما توفي عمه الملك الكامل أبو المعالي محمد ابن العادل بدمشق، ملك الجواد دمشق، ثم سلمها إلى ابن عمه الملك الصالح أيوب ابن الكامل مقايضة بسنجار[١]، فأقام بسنجار مدة، ثم استفسد بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل جماعة من سنجار[٢]، فتواطؤوا على المخامرة عليه وتسليم البلد إلى ولد بدر الدين لؤلؤ، فلما تحقق ذلك خرج من سنجار قاصدًا بغداد، فأكرمه الخليفة وأقام ببغداد مدة، ثم سأل أن يؤخذ منه «عانة»[٣] ويعوض عنها شيئًا من المال فأجيب سؤاله، ثم فارق بغداد وتقلبت به الأحوال، فاتفق تارة مع الخوارزمية وحارب أهل حلب، ثم قصد أولاد عمه بالشام فنزل عندهم ثم فارقهم، وكان غير محمود الطريقة، فتوفي وقد تجاوز الستين.

سنة اثنتين وأربعين وستمائة

فيها، تقدم شرف الدين إقبال الشرابي إلى وكيله عز الدين حسين[٤] بن عبدوس بالمسير إلى واقصة[٥]، ليلقى والدة الخليفة المستعصم عند عودها من مكة، وأنفذ معه تسعين[٦] جملًا عليها تشريفات وحلواء وحوائج وغير ذلك، ثم تقدم إلى صدرية المخزن فخر الدين محمد بن أبي عيسى الشهراباني ومشرفه عميد الدين منصور بن عباس الدجيلي بالتوجه أيضًا، وأن يستصحبا ما أعداه من الإقامات، فتوجها فلقيا الحاج في منزل القادسية[٧]، وعزم الخليفة على التوجه إلى الكوفة للقاء والدته،

= الحال إلى أن سجنه الصالح إسمعيل بحصن عزتا حتى كانت وفاته في هذه السنة»، العبر (٥/ ١٧١)، والشذرات (٥/ ٢١٢).

(١) ذكر المؤلف ذلك في حوادث سنة ٦٣٦ هـ.

(٢) ذكر المؤلف في حوادث سنة ٦٣٧ هـ أنه باع سنجار ولم يسمّها، ووليها ابن بدر الدين لؤلؤ.

(٣) انظر ذلك في حوادث سنة ٦٣٧ هـ من هذا الكتاب.

(٤) عزّ الدين أبو عبد الله الحسين بن عبدوس بن محمد البغدادي، ترجمه ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ١ ص ١٢٣) قال: «كان من أعيان المتصرفين. . . خدم في صباه في مساحة الغلات وقسمتها، وتصرف في أعمال السواد، ثم رتب مخرج الأحوال بالديوان، ثم رتب في أعمال الحلّة فلم يزل بها، وعيّن عليه في أعمال شرف الدين إقبال الشرابي، ثم جعله وكيلًا في ديوانه. وتوفي بالحلة سنة ٦٥٣ هـ».

(٥) واقصة: منزل بطريق مكّة بعد القرعاء نحو مكة وقبل العقبة، معجم البلدان (٥/ ٣٥٤).

(٦) في العسجد المسبوك (ص ٥٢٤): «مائة جمل، وذكر أنواعًا من التجهيزات لم تذكر هنا».

(٧) القادسية: موضع بينه وبين الكوفة خمسة عشر فرسخًا، وبينه وبين العذيب أربعة أميال. معجم البلدان (٤/ ٢٩١).

فعرض له مرض منعه عن ذلك، فتقدم إلى كافة أرباب المناصب بالخروج إلى «فراشا»، فخرجوا ما عدا الوزير نصير الدين أحمد بن الناقد لعجزه بسبب مرضه، فساروا إلى زريران[١] فوجدوا السرادقات بها، فكان كل من الجماعة ينزل على بعد ويستأذن في الحضور فيُؤذن له، فإذا حضر قبّل الأرض بباب السرادق، فيخرج أمين الدين كافور[٢] الظاهري ويقول له: قد عرفت خدمتك، أو ما هذا معناه، ويأذن له في العود[٣] ونزلت والدة الخليفة في الليل إلى الشبارة وأصعدت إلى بغداد بعد أن خلعت على الأمير مجاهد الدين أيبك الدويدار أمير الحاج، وأمرت له بخمسة عشر ألف دينار[٤]، وعلى حسن الدين قيران[٥] وأمرت له بألف دينار، فلما ترك الحاج بظاهر التربة بالجانب الغربي نفذ شرف الدين عبد الله ولد تاج الدين عبد الله ابن النيار وكيل والدة الخليفة، والعدل ضياء الدين عبد الوهاب ابن سكينة الخازن وابن بكران نائب الوكيل، وضربت لهم خيمة خلف التربة، وخلعوا على كل من كان في خدمتها من النواب والأتباع والفرّاشين والمحفدارية والجمّالين والسائقين والحداة والساقة والنفاطين والحراس، وحكي أن فخر الدين ابن المخرمي صاحب الديوان حمل إليها من البصرة ستة عشر جملًا عليها حلواء وأقراص ماء الليمون ومخلط[٦] وبسر مطبوخ وماء الورد والخلاف[٧] وقشر[٨] الطلع وشربات ومراكن وليمون أخضر وأترج وتفاح وكمثري وخوخ ونارنج ورمان وعنب وباذنجان وماء الليمون والحصرم[٩] وخلّ العنب مصعدًا

(١) زريران: قرية بينها وبين بغداد سبعة فراسخ على جادة الحاج إذا أرادوا الكوفة من بغداد. معجم البلدان (٣/ ١٤٠).

(٢) كافور الظاهري، تقدم ذكره في حوادث سنة ٦٢٩ هـ، انظر ترجمته في الحاشية.

(٣) ورد ذلك في العسجد المسبوك (ص ٥٢٧).

(٤) في العسجد المسبوك (ص ٥٢٧): أنه استدعي إلى دار الخلافة وخُلع عليه وأُعطي عشرة آلاف دينار.

(٥) في العسجد المسبوك (ص ٥٢٧): قيران الظاهري، وفيه أنه خلع عليه بدار الوزارة.

(٦) قال الأستاذ معروف: الخلط: أنواع من الفواكه المجفّفة، أو خليط من الحلويات اليابسة. المدارس الشرابية (ص ٥٩).

(٧) في العسجد المسبوك (ص ٥٢٦): ماء الخليف، وفسّر الأستاذ معروف «ماء الخلاف» بقوله: لعله ثمر يستخرج من شجر الخلاف لطيب رائحته، إمّا للشرب أو للتطبيب. (المدارس الشرابية ص ٥٩).

(٨) في العسجد المسبوك (ص ٥٢٧): «كشر الطبع».

(٩) الحصرم: هو غض العنب ما دام أخضر، وحصرم الشمر: الذي تعاصى عن النضج. انظر: الجامع لمفردات الأدوية (٢/ ٢٢)، وتكملة المعاجم العربية (٣/ ٢١٨).

وغير مصعد[١] وحصر بصرية وسجادة رفيعة، وصل ذلك إلى منزل الثعلبية، وحيث تأخر المستعصم بسبب مرضه عن الركوب للقاء والدته، اتفق أنه تقدم إلى مقطع اللحف[٢] بالخروج إلى نواحي الجبل لمهم تجدد، فانزعج الناس لذلك، وكثرت الأراجيف وتواقعوا على شراء الخبز والكعك والدقيق، بحيث غلا السعر، فانتهى ذلك إلى الديوان فتقدم بأخذ جماعة من الخبازين وضربهم، فسكن الناس حينئذ، ثم ركب الخليفة في دجلة، وأصعد إلى أعلى البلد، وعاد، وزين البلد بالتعليق والمغاني فرحًا بعافيته، ونظم الشعراء في ذلك أشعارًا كثيرة، منها ما أنشده مجد الدين محمد[٣] ابن شرف الدولة بن مسافر لنفسه:

لقد عمّ آفاق البلاد سرور ... وصحّت أمانٍ للورى ونذور
وكادت قلوب المسلمين مسرة ... ببرء أمير المؤمنين تطير
وكلًا تراه مسفرَ الوجه ضاحكًا ... تلوح عليه غبطةٌ وحبور
فلا ثغر إلّا قد تبسم ثغره ... وسار إليه بالهناء بشير
على كل وجهٍ بهجة وطلاقة ... وفي كل قلب فرحةٌ وسرور
أنارت نجوم المكرمات وأشرقت ... وحُلّيَ جِيدٌ للعلى ونحور
وقد سرّ لما أن تجلّيت للورى ... كثيرو[٤] تمام منبر وسرير
فبشرى أمير المؤمنين بصحة ... تصح بها للعالمين أمور

وهي طويلة. وقد تقدم الخليفة بمصانعة غرماء المحبوسين في حبس الشرع وأداء ما عليهم والإفراج عنهم، وأبرز برسم الصدقات شيئًا كثيرًا[٥]، وفي هذه الأيام أغري الناس بعدو السعاة في سائر محال بغداد.

وفي هذه السنة، سارت[٦] طائفة من عساكر المغول إلى ميافارقين، فلما بلغ

---

(١) شراب مصعد: عولج بالنار.

(٢) لحف: صقع معروف من نواحي بغداد، سُمّي بذلك لأنه في لحف جبال همدان ونهاوند وتلك النواحي، وهو دونها مما يلي العراق، ومنه البندنجين وغيرها. معجم البلدان (٥/ ١٤).

(٣) لعلّه محمد بن يوسف بن سعيد بن مسافر البغدادي الأزجي الحنبلي الأديب، ولد سنة ٥٧٣ هـ، وتوفي سنة ٦٤٢ هـ. الشذرات (٥/ ٢٢٦)، وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٣٠).

(٤) كذا في الأصل، ولعلّه كبدر تمام، فهو مناسب للفعل تجلّى.

(٥) ورد هذا الخبر في العسجد المسبوك (ص ٥٣٦)، ضمن حوادث سنة ٦٤٣ هـ.

(٦) انظر الخبر في: العسجد المسبوك (ص ٥٢٧)، وفيه: أن شهاب الدين غازي هرب من ميافارقين قاصدًا مصر.

صاحبها شهاب الدين غازي قربهم منه فارقها، فعاثوا في ديار بكر[١] أشد العيث، وأخذوا حران والرها[٢]، وملكوا ماردين[٣] صلحًا.

وفيها، فقد بعض التجار ببغداد ابنتيه وجاريتين له وخمسة آلاف دينار وجملة من زركش ومصاغ، فأنهى ذلك إلى حاجب الباب، ففحص عنه، فأسفرت الحال على أنه كان يجاوره شابان من أولاد الترك وقد اتّفقا مع النساء على فتح باب من دارهما في خزانة بدار التاجر، وكانوا يجتمعون مدة، فوجد أحد التركيين، وقُرِّر فأقرّ بذلك وذكر أن رفيقه والنساء في دار بعض ركابية الخليفة، فكبست الدار فلم يوجد فيها غير نساء صاحبها، فوكل بهنّ فلما صار المغرب جاء تركي، فدخل الدار فقبض عليه الموكلون وظنّوا أنه أحد التركيين المطلوبين، فإذا هو إحدى البنات، فحملت إلى دار الوزارة فأقرّت أن أختها والجاريتين في دار قوم من العجم، فكبس عليهم فوجدوا الابنة الأخرى والجاريتين، ولم يجدوا المال ولا التركي الآخر، فسلمت الابنتان والجاريتان إلى التاجر، وأمر بحبس التركي وصاحب الدار التي كانوا فيها، ومؤاخذة ركابي الخليفة وإبعاده.

ذكر[٤] ترتيب الوزير مؤيد الدين محمد ابن العلقمي

في يوم الأحد ثامن ربيع الأول، استُدعي مؤيّد الدين أبو طالب محمد ابن العلقمي أستاذ الدار إلى دار الوزارة فركب من داره المقابلة لباب الفردوس في جمعٍ عظيم من حاشية دار الخليفة، فلما خرج إلى ظاهر باب النوبي خرج جميع الحجّاب من دار الوزارة وتاج الدين علي ابن الدوامي حاجب باب النوبي، فتلقّوه وقبّلوا يده ومشوا بين يديه إلى منتهى الدهليز الأول، وعضده في نزوله حاجب

---

(١) ديار بكر: بلاد واسعة، حدّها ما غرب من دجلة إلى بلاد الجبل المطلّ على نصيبين إلى دجلة ومنه حصن كيفا وميافارقين. معجم البلدان (٢/ ٤٩٤).

(٢) الرها أو الرهاء: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ. معجم البلدان (٣/ ١٠٦).

(٣) ماردين: قلعة مشهورة على قنة جبل الجزيرة مشرفة على دنير ودارا ونصيبين وقدامها ربض عظيم فيه أسواق كثيرة وخانات ومدارس وربط وخانقاهات، معجم البلدان (٥/ ٣٩). وسيذكر المؤلف في حوادث سنة ٦٤٦ هـ أن صاحب الموصل ملكها عنوة.

(٤) ورد هذا العنوان في الأصل بدون خبر في حوادث سنة ٦٤٣ هـ، ثم أدغم خبره ضمن حوادث سنة ٦٥٣ هـ: «نتيجة خلط النساخ وتخليط المجلّدين»، وقد رددنا العنوان والخبر إلى موضعهما في حوادث سنة ٦٤٢ هـ اعتمادًا على العسجد المسبوك (ص ٥٢٨)، ومرآة الزمان (ج ٨ ق ٢ ص ٧٤٧).

الباب ابن الدوامي، ونثر عليه سراج الدين علي ابن النحلي[1] ناظر دار الضرب ذهبًا وفضّة عند دخوله، ولم يخلع عليه، وكان كنبوش فرسه لما كان أستاذ الدار أبريسمًا، فرفع وجعل عوضه صوف مسنح، جريًا على قاعدة القمي، ثم دخل وجلس في صدر الإيوان في المسند، واستدعي كافة أرباب الدولة والزعماء، ما عدا الدويدار الكبير والصغير فإنهما لم يحضرا عنده، جريًا على عادتهما مع من كان قبله، وكتب إنهاء صورته: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ [يوسف: الآية ١٠١]. مثل المملوك بخدمة الديوان العزيز ظاهر الله تعالىٰ جلاله وأسدل على الإسلام وأهله أورقة[2] ظلاله، متشرّفًا بلثم صعيده والانتظام في سلك أوليائه المخلصين وعبيده، رافعًا من أدعيته الصالحة متمسّكًا من الإمحاض في العبودية بكل ما يطيل أمد المواظبة عليه ويديمه، راجيًا أن يوفقه الله تعالىٰ من الخدمة لما يقربه زلفى، آخذًا من المبالغة في الطاعة الواجبة بالنصيب الأوفر والقسم الأوفى وسيستفرغ في الخدمة جهده ويتجاوز في المناصحة دأبه الثاني، غاية من لم يقم بما يجب عليه وحده بتوفيق الله تعالىٰ وإعانته، وإرشاده إلى سُبُل الواجبات وهدايته، وبمن الهمّة العلية المقدّسة النبوية، وتثقيف الآراء الشريفة المستعصمية، زادها الله تعالىٰ شرفًا وجلالًا، وللآراء المقدّسة المعظّمة النبوية أجلّها الله تعالىٰ في تأمّل خدمته المشتملة على صالح أدعيته من يد الجلال والقدرة إن شاء الله تعالىٰ»، فبرز الجواب على رأسه بيد صلاح الدين عمر بن جلدك، فقرأه وسلّمه إلى صاحب الديوان فخر الدين أبي سعيد المبارك ابن المخرمي وأمره أن يقرأه على الجماعة فقرأه، وصورته: «وقف على خدمتك المشتملة على دعاء تواليه، وإنهاء تعيد الإخلاص فيه وتبديه، وعلم ما ذكرته وعرف ما أردته، رزقك الله تعالىٰ توفيقًا بالتمسّك بحبله وهداية إلى طريق الإرشاد وسبله بكرمه وفضله»، وكان علي السحاه[3] النائب بالديوان، ثم أنشده الشعراء المدائح والتهاني، ولم تزل المقدمات ترد عليه مسجاة كما ذكرناه إلى خامس عشر ربيع الأول، ثم تقدم إليه أن يعرض

(١) كذا في الأصل، وهو سراج الدين ابن البجلي الذي سيذكر المؤلف في حوادث سنة ٦٥٦ هـ أن التتار ولّوه الأعمال الواسطية والبصرية. وذكر في العسجد المسبوك (ص ٦٣٩) وفيه: «وكان كاتبًا حاسبًا شاعرًا فاضلًا ذكيًا، تقلّبت له الأحوال في الخدم، فلما انقضت الدولة العباسية وسلّمت إليه البلاد الواسطية، فلما توجه إليها قتل هناك صبرًا».

(٢) كذا في الأصل، ولعله «أروقة».

(٣) كذا ورد في الأصل.

مطالعاته في كيس أبريسم أسود مختوم، ويبرز الجواب إليه كذلك، وأذن لمملوكه المنفذ بالمطالعات أن يدخل باب الحرم راكبًا.

ذكر[1] ولاية ابن الجوزي أستاذ الدار

في تاسع ربيع الأول، مضى صلاح الدين عمر بن جلدك إلى محيي الدين يوسف ابن الجوزي وهو في منزله بباب الأزج فاستدعاه، فركب وقد رفع الطرحة إلى الدار المقابلة لباب الفردوس، المرسومة بسكنى الأستاذ دارية، وأجلسه في المنصب من غير أن يخلع عليه، وشافهه بالولاية. ودخل الناس إليه مهنّئين له، وركب من الغد في جمع عظيم إلى دار الوزير فجلس عنده مؤيّد الدين نائب الوزارة ساعة ثم عاد إلى داره. وفي هذا اليوم كان أقضى القضاة عبد الرحمٰن ابن اللمفاني جالسًا عند الوزير هو وجماعة من المدرّسين في البستان، فنزلت حمامة ووقعت على رأس أقضى القضاة وبقيت زمانًا طويلًا، فأنشد العدل موفق الدين بن أبي الحديد الكاتب، ارتجالًا:

قد قيل في وصف النبي وصحبه ... في ما سمعناه من الأخبار
كانوا كأن الطير فوق رؤوسهم ... فالآن شوهد ذاك بالأبصار
في مجلس المولى الوزير مؤيّد الد ... ين الحنيف وناصر الأنصار

ذكر ولاية ابن المطهر وكيل الخليفة

في ثاني عشر ربيع الأول، رتب الخليفة المستعصم بهاء الدين عبد الوهاب ابن المطهر وكيلًا عنه، وأشهد عليه بذلك الشيخ العدل شمس الدين علي ابن النيار، وجعله في هذه القضية قاضيًا وشافهه بذلك، فكتب: «شرفني سيّدنا ومولانا الإمام الأعظم المفرض الطاعة إلى كافة الأمم، عبد الله ووليّه وخليفته وارث نبيّه ومحيي دينه ومؤيّد شريعته أبو أحمد عبد الله المستعصم بالله أمير المؤمنين أعزّ الله به الدين ونصر بدوام أيامه الإسلام والمسلمين، وأحيى بسيرته الشرع المطهّر وأعلن

(١) ورد هذا الخبر في الأصل ضمن حوادث سنة ٦٥٣ هـ، وقد أبقاه الدكتور جواد على موضعه، إلّا أنه أشار أنه من حوادث سنة ٦٤٣ هـ. وقد رددناه إلى موضعه في حوادث هذه السنة (٦٤٢ هـ) اعتمادًا على: العسجد المسبوك (ص ٥٢٨)، والبداية والنهاية (١٣/ ١٦٤).

بدولته معالمه وأظهر بالحضور بين يدي شريف سدّته، والمثول بعالي حضرته، وبالإشهاد على نفسه الشريفة المقدّسة بجميع ما تضمّنه هذا الكتاب في تاريخ كذا، وكتب العبد علي بن محمد النيار حامدًا الله تعالىٰ ومصلّيًا على رسوله محمد النبيّ وعلى آله أجمعين، داعيًا لسيّدنا ومولانا الإمام الأعظم والسلطان الأقوم بتشييد قواعد جدّه ومجاورته في التأييد سنن الأئمة آبائه والقائم جدّه بمحمد النبيّ وآله»، وأحضر الشيخ عنده عدلين، وأشهدهما عليه أنه ثبت عنده وكالة المذكور، فمضيا إلى أقضى القضاة كمال الدين ابن اللمفاني وشهدا عنده بذلك، ثم خلع على ابن المطهر في دار الوزير وشرّفه بالوكالة، مضافًا ذلك إلى وكالة باب طراد ودار التشريفات.

ولاية شيخ الشيوخ

كان الشيخ شمس الدين أبو المظفر علي ابن النيار مختصًا بخدمة الخليفة مُذْ كان صغيرًا وحذقه الخطّ وحفّظه القرآن المجيد، فلما أفضت الخلافة إليه رعى له حقّ الخدمة وقرّبه وعوّل عليه في كليات الأمور، فلمّا توفي الوزير ابن الناقد خاطبه في تقليد الوزارة، فأبى هذا فيها وقال: إني عاهدت الله أن لا أغيّر لبس المتصوّفين ولا أنزع عني ما تعوّدته، فقيل له: نحن نوافقك على ذلك، بحيث تؤرّخ الناس أن شخصًا يختصّ بنا ندبناه إلى الوزارة فأبى أن يغير زيّه فأجبناه إلى ذلك، فقال: لأن تؤرّخ الناس أن شخصًا متصوّفًا حسن فيه الظن وندب إلى الوزارة فامتنع أحسن من ذلك، فحينئذ فوّضت إليه مشيخة الشيوخ ببغداد وسلّم إليه رباط والدة الخليفة الناصر لدين الله، وخلع عليه في ديوان الوزارة قميص مضمت أبيض وبقيار قصب أبيض مسكن، وخوطب بشيخ الشيوخ، فمضى إلى الروضة وصلّى ركعتين، وحضر بالرباط المذكور وقُرِئت الختمة ودعي للخليفة، ثم عاد إلى داره، فكتب إليه موفق الدين ابن أبي الحديد تهنئة، وقال في آخرها:

هنا آن في يومين فالبرّ واحد ... وبالمنصب الموفي على الوصف واحد
دُعِيت به شيخ الشيوخ وأنها ... خصيصة نفس زينتها المحامد
أتاك شفاء ثم أصبحت مثله ... شفاء لأرواح لها منك وارد
تعلّمها طريق النجاة وتنتهي ... بها حيث لا تنحلّ منها العقائد
فلو أن صنف العابدين تجمّعوا ... لديك لقالوا ما يضاهيك عابد
أقمت لنوع الفضل سوقًا فكلّنا ... عليها على قدر البضاعة وافد

فما الزهد متروكٌ ولا العلم مهملٌ ولا الخير مهجورٌ ولا الفضل كاسد
إذا لم يكن بالمسند المرء عالمًا فلا خير فيمن صدّرته المسانِد

ثم أُضيف إليه مشيخة رباط المرزبانية.

ذكر قتل خليل بن بدر الكردي[١]

كان أحد زعماء أرسنان، فخرج عن طاعة الخليفة والتجأ إلى المغول وكان يلبس زيّ القلندرية[٢]، ويزعم أنه من أصحاب الشيخ أحمد ابن الرفاعي، وأظهر الإباحة، فاجتمع عليه خلق كثير، وكان يشرب الخمر ويأكل الحشيش المسكر، فخرج معه جمعٌ كثير من المغول وغيرهم وقصد نواحي اللحف ونهب جماعة من رعيّة سليمان شاه وقتلهم، ثم حضر قلعة وهار وهي لسليمان شاه، فخرج إليه في خلق كثير، فالتقوا واقتتلوا من ضحى النهار إلى العصر، فقتل من أصحاب خليل ومن المغول ألف وستمائة فارس وراجل، وانهزم خليل، فظفر به بعض أصحاب سليمان شاه وأراد قتله فوعده بمال كثير فلم يقتله، فأخذه أسيرًا، فمرّ به قوم من التركمان من أصحاب سليمان شاه كان قد قتل منهم جماعة، فقتلوه وحملوا رأسه إلى سليمان شاه، فأمر بتعليقه على باب خانقين[٣]، فعلّق.

وفيها، عزل[٤] الشيخ رضي الدين الحسن[٥] بن محمد الصغاني عن مشيخة رباط المرزبانية لكونه حنفيًا، وشرط الواقف أن يكون شافعيًا، وأضيف الرباط إلى

---

(١) أشار ابن أبي الحديد إلى مقتله. قال: اتفق أن بعض أمراء بغداد وهو سليمان بن برجم... قتل شحنة من شحنهم في بعض قلاع الجبل يعرف بخليل بن بدر. انظر: شرح النهج (٨/ ٢٣٩)، وأضاف: أن ذلك تسبّب في غارة المغول على أطراف العراق سنة ٦٤٣ هـ، وقد ورد خبر مقتله في الأصل ضمن حوادث سنة ٦٥٣ هـ.

(٢) القلندرية: طائفة تنتمي إلى الصوفية، إلا أنهم طرحوا آداب المجالس والمخاطبة ولم يؤدّوا من العبادات غير الفرائض، وزعموا أنهم قد قنعوا بطيب قلوبهم مع الله. وأمّا عن زيّهم فقد ذكر المقريزي أنهم ألزموا في بلاد الشام سنة بضع عشرة وستمائة بترك زيّ الأعاجم المجوس، ولا يمكنهم الدخول إلى بلاد الشام حتى يترك هذا الزي المستبشع. خطط المقريزي (٣/ ٢٣١).

(٣) خانقين: بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد، بينها وبين قصر شيرين ستة فراسخ لمن يريد الجبال، معجم البلدان (٢/ ٣٤٠)، وهي اليوم إحدى أقضية محافظة ديالى شرقي بغداد.

(٤) أدغم هذا الخبر في الأصل ضمن حوادث سنة ٦٥٣ هـ، وقد رددناه إلى حوادث هذه السنة اعتمادًا على ما ورد في العسجد المسبوك (ص ٥٣٠).

(٥) سيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٦٥٠ هـ، انظر ترجمته هناك.

الشيخ ابن النيار، ورتّب الصغاني مدرّسًا بمدرسة[١] خمارتكين[٢] التتشي، وخلع عليه وحضر المدرسة وخطب خطبة فصيحة، وذكر عشرة دروس وأنشد عند فراغها:

فهاكم يا سادتي — مني دروسًا عشرة
فأنتم معادن الفـ — ـضل الكرام البرره
ولست حبرًا عالمًا — لكنها محبّره
فلتعذروا أخاكم — فمثلكم من عذره[٣]

وفيها، قُبض على صدر المخزن فخر الدين محمد بن أبي عيسى ووكل به واحتيط على داره، وقبض على أنسابه وأصحابه، وسلّم ما كان يتولّاه من الأعمال، وهي طريق خراسان والخالص والراذان[٤] إلى عميد الدين منصور بن عباس مشرف المخزن، وجعل حديث المخزن ورواضعه إلى فخر الدين محمد بن ورد[٥] النائب به.

وفي حادي عشر تشرين الأول، كان حرّ شديد بحيث كان الإنسان ينطف عرقًا ووقع غيث وبرد.

وفيها، رتّب[٦] جمال الدين عبد الرحمٰن ابن الجوزي مدرّسًا لطائفة الحنابلة

(١) هي المدرسة التتشية، نسبة إلى مؤسّسها خمارتكين التتشي.
(٢) خمارتكين التُتُشي، كان مملوكًا اشتراه تاج الدولة تتش بن أرسلان السلجوقي فنُسِب إليه، وعظم قدره عند السلطان محمد ابن ملك شاه ونفذ أمره، وبنى أربطة ومدارس كثيرة في بغداد وغيرها، وببغداد مواضع كثيرة تُنسب إليه، وهي سوق قرب المدرسة النظامية يقال لها العقار التتشي، ومدرسة بالقرب منه لأصحاب أبي حنيفة يقال لها التتشية، وتوفي خمارتكين سنة ٥٠٨. انظر: معجم البلدان (٢/ ١٥).
(٣) أورد صاحب العسجد المسبوك (ص ٥٣٠) ثلاثة أبيات منها.
(٤) الراذان في معجم البلدان (٣/ ١٢): «راذان الأسفل وراذان الأعلى، كورتان بسواد بغداد تشتمل على قرى كثيرة».
(٥) فخر الدين أبو المظفر محمد بن ورد بن محمد الشهراباني البغدادي، سيذكر المؤلف في حوادث سنة ٦٤٥ هـ القبض عليه، وفيها أن لقبه بدر الدين، وانظر: تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٤ ص ٣٨٥).
(٦) وهذا الخبر مما ورد في الأصل مدغمًا في حوادث سنة ٦٥٣ هـ، وأشار الدكتور مصطفى جواد إلى أنه من حوادث سنة ٦٤٣ هـ، إلا أنه ذكر في حاشيته على ترجمته علي بن أسامة العلوي (ج ٤ ق ١ ص ٢٤٩ من تلخيص مجمع الآداب) أن «له في الحوادث سنة ٦٤٢ هـ عشرة أبيات يهنئ بها أستاذ دار الخليفة المستعصم بالله ومحيي الدين يوسف بن عبد الرحمٰن ابن الجوزي في ترتيب ابنه عبد الرحمٰن مدرّسًا للحنابلة... الخ». وانظر: العسجد المسبوك=

بالمدرسة المستنصرية، وخلع عليه وأُعطي بغلة، وتقدم إلى صاحب الديوان فخر الدين ابن المخرمي وجميع أرباب المناصب بالحضور إلى المدرسة فحضروا، ورتب أخوه شرف الدين عبد الله محتسبًا، وخلع عليه من غير أن يشهد عند القاضي، ولم يعلم أن محتسبًا تولّى غير شاهد سواه. وقد نظم عز الدين أبو الحسن علي بن أسامة العلوي[1] قصيدة يهنئ بها أستاذ الدار بما تجدّد لولديه، يقول فيها:

مولاي محيي الدين يا مولى به ... كل البرية في الحقيقة يقتدي
أنت المهنأ بالذي قد خوّلا ... ولداك أم نفس العلي والسُّؤدد؟
وهل البشارة للمراتب والذي ... وليّاه أم لك يا كريم المحتد؟
قد قلت حين رأيت كلّا منهما ... كالبدر في جنح الظلام الأسود
هذان ما خطبا المراتب إنما ... خطبتهما لمناقب لم تجحد
وهما من القوم الألى خدماتهم ... شرفًا تصير لسيد عن سيِّد
ولأنت مولانا المليك من الورى ... وهما أحقّ بمسند وبمسند
أنتم لدين محمدٍ شيّدتم ... علمًا به وكذاك مذهب أحمد
فالله يجزي الخير كلّا منكم ... عن أحمدٍ وعن النبيّ محمد
وكذاك يرعاكم بعين عناية ... ويمدّكم منه بعمرٍ سرمد

وفيها أضيف النظر بالأعمال الواسطية إلى محمد بن يحيى ناظر البصرة ونفذت إليه خلعة.

وفيها، أُهدي إلى الخليفة غراب أبيض كله، ونظم الشعراء في ذلك أشعارًا كثيرة، منها: قول جمال الدين أبي الحسن علي ابن المخرمي من أبيات مدح بها الخليفة:

وما لون الغراب بياض شيب ... ولكن نور عدلك يا إمام
فعِشْ للمُلك ما وخدت قلوص ... وراكبها وما ناح الحمام
يزيل البؤس والغماء عنّا ... ويكلؤك المهيمن والسلام

= (ص ٥٤٩) (حوادث سنة ٦٤٢ هـ).

(١) عزّ الدين أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي القاسم هبة الله، يُعرف بابن أبي أسامة، ويرجع نسبه إلى الحسين ذي العبرة ابن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ترجمه ابن الفوطي في التلخيص (ج ٤ ق ١ ص ٢٤٩) قال: كان أحد المتصرّفين في الأعمال حضرة وسوادًا، وكان يقول الأشعار في الفنون. توفي سنة ٦٥٤ هـ.

وفيها، قبض جماعة من أتباع باب النوبي رفيقًا للرندي، فبلغه الخبر وهو في حمام بسوق السلطان، فخرج مسرعًا حتى وافاهم بعقد الأكافين، وشهر سيفه وجرح منهم جماعة واستخلصه وعاد، فأباح الخليفة دمه، وهذا الرندي من أولاد المماليك الأتراك تعرض به وهو صبيٌ شاب تام الخلقة، فضربه بسكين فقتله نهارًا في سوق العميد وهرب فاختفى أيامًا، ثم توجّه إلى عمّه وكان في «زردة» فاحتمى به، فبلغ الخليفة ذلك فأمر بإحضاره مقيّدًا، فلما أُحضر قُرِّر فلم يعترف بشيء، فأمر بحبسه، فبقي إلى خلافة المستعصم بالله فصُونع ورثة المقتول بشيء، فحضروا وسألوا الإفراج عنه، فأُجيبوا إلى ذلك.

وفيها، انقطع الحج من العراق بسبب اختلاف العرب واشتطاطهم في الطلب وقلّة المياه في الطريق، ولاشتغال الديوان بحركة عساكر المغول.

وفيها، ولي فخر الدين أبو منصور نصر الله بن عبد الرشيد[1] قضاء الجانب الغربي ونهر عيسى وخلع عليه، ونفذ إلى قاضي القضاة ومعه حاجب يعرفه أنه قد أُجري على قاعدة من تقدمه من غير أن يتقدم إليه باستنابته، فمضى وأسحل[2] عن الخليفة.

وفيها[3]، وصل إلى بغداد رسول من المغول، وأُعيد ونفذ معه القاضي ابن عبد الرشيد المذكور وفلك الدين بكتمر أمير آخور الخليفة حاجب علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير.

وفيها، جرى معتوق[4] الموصلي المعروف بكوثر الكلام من دقوق، ساعيًا على قدميه، فوصل كشك الملكية ودخله، وكان الخليفة هناك ومعه الشرابي وهو أستاذه، ثم خرج من الكشك وعاد إلى الوقف، ثم رجع إلى الكشك، وقد تخلّف من النهار

---

(١) فخر الدين أبو منصور نصر الله بن علي بن عبد الرشيد بن بنيمان الهمذاني، قدم إلى بغداد مع أبيه الذي تولى قضاء الجانب الغربي من بغداد، وانصرف هو إلى التحصيل والمطالعة، وتولّى بعض الأعمال، حتى تولّى قضاء الجانب الغربي، ونفذ في رسالة إلى ملك المغول وتوفي سنة ٤٥٢ هـ. انظر: تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٢ ص ٤٢٦)

(٢) كذا في الأصل.

(٣) في تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٣ ص ٤٢٦) أن الرسالة أنفذت سنة ٦٣٨ هـ.

(٤) ذكر في العسجد المسبوك في حوادث سنة ٦٢٥ هـ و٦٤٦ هـ. انظر (ص ٤٣٥ و٥٦٦)، وسيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٤٦ هـ.

ساعة ونصف، فقبّل الأرض بين يدي الخليفة، فتقدم له بخمسمائة دينار وأعطاه الشرابي ثلاثمائة دينار، وحصل له من أرباب الدولة شيء كثير.

ذكر[1] وفاة الوزير نصير الدين أبي الأزهر أحمد ابن الناقد

كان من أولاد التجار المعروفين، حفظ القرآن المجيد وأدأب نفسه في تحصيل الأدب وتجويد الخط، فلما توفي والده ردّ إليهما ما كان يتولّاه وهو وكالة أم الخليفة الناصر في وقوفها، ثم عُزِل ورتب خواجه نور الدين ككسنقر الحلقي[2]، ثم عزل، فانقطع في بيته، فلما ولي الظاهر الخلافة أحضره ووكله لأولاده العشرة، وكان بينهما رضاع وصحبة من الصغر، فلما توفي الظاهر وبُويع ولده المستنصر بالله أحضره يوم مبايعته، وأشهد له بوكالته، فبقي على ذلك إلى أن توفي أستاذ الدار ابن الضحاك في سنة سبع وعشرين وستمائة، فأضاف إليه أستاذية الدار، فلم يزل على ذلك إلى أن قبض على الوزير مؤيّد الدين القمي في سنة تسع وعشرين وستمائة، فنقل إلى الوزارة، والوكالة باقيةٌ عليه[3]، وكان يركب في أيام الجمع ويحضر عند الخليفة ويفاوضه في الأمور، فعرض له ألم المفاصل فعجز عن الركوب والحركة والكتابة والجري في الكلام، ولم تتغيّر منزلته ولا وهت حُرْمته، ثم عرض له إسهال فتوفي ليلة الجمعة سادس ربيع الأول من السنة، فدُفِن في مشهد موسى بن جعفر عليه السلام في تربة اتّخذها لنفسه، ووجدوا في خزانته صندوقًا مملوءًا ذهبًا ورقعه فيها مكتوب بخطه: «هذا من فواضل أنْعُم مولانا وصدقاته، وهو من استحقاق بيت المال، فأمر بحمله إلى دار التشريفات، فذُكِر أنه كان به مائة ألف دينار، وكان حسن الطريق متدينًا أديبًا، يقول الشعر، وينشئ الرسائل، وكان مولده في شوال سنة إحدى وسبعين وخمسمائة.

وفي هذه السنة، توفي جلال الدين عمر ابن السلطان الملك الصالح أيوب[4]

---

(١) وهذا الخبر مما أدغم (في الأصل) في حوادث سنة ٦٥٣، واعتبره الدكتور مصطفى جواد من حوادث سنة ٦٤٣ هـ، وقد رأينا أن نضمّه إلى حوادث سنة ٦٤٢ هـ اعتمادًا على ما ورد في الفخري (ص ٢٤٤)، والعسجد المسبوك (ص ٥٢٧)، والبداية والنهاية (١٣/ ١٦٥)، ومرآة الزمان (ج ٨ ق ٢ ص ٧٤٧)، والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٥٠)، ومختصر التاريخ (ص ٢٧٧).

(٢) في الأصل «الخلفي»، وقد تقدم خبر وفاته وترجمته في حوادث سنة ٦٢٧ هـ.

(٣) ذكر المؤلف أنه استناب أخاه جمال الدين عبد الله في الوكالة ليتوفر على أمر الوزارة.

(٤) هو الملك المغيث عمر ابن الصالح أيوب، ذكر في الشذرات (٥/ ٢١٥) (وفيات سنة ٦٤٢ هـ)، قال: «لم تعرف عنه كلمة فحش، حبسه الملك إسمعيل وضيّق عليه السامري فمات غمًا وغبنًا، ودفن بتربة جدّه الملك الكامل». وانظر: تتمة المختصر (٢/ ٢٥٥)، وقد أدغم خبر وفاته في=

صاحب مصر ابن الملك الكامل أبي المعالي محمد ابن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب بن شادي، كان شابًا حسنًا، حبسه عمّ أبيه الملك الصالح صاحب دمشق، وأشاع أنه مات حتف أنفه.

وفيها، توفي خواجه حسين بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن برز القمي، أخو الوزير، قدم مع أخيه وانقطع في دار مجاور داره، وانقضى عمره على ذلك، ودُفِن في مشهد موسى بن جعفر عليه السلام.

وفيها، توفي نقيب النقباء بهاء الدين أبو طالب الحسين بن أحمد بن المهتدي بالله، كان خطيبًا بجامع الخليفة ناظرًا في وقوف ترب الرصافة، ثم ولي نقابة العباسيين، وأقرّ على الخطابة، فمرض يومًا واحدًا ومات، ولم يعرض له في مدة خطابته ما يقطعه عنها، وكان مولده سنة سبع وسبعين وخمسمائة.

سنة ثلاث وأربعين وستمائة

ذكر ترتيب الوزير مؤيد الدين محمد ابن العلقمي

في آخر نهار الاثنين ثالث عشر صفر، استدعى جمال الدين علي[١] المخرمي أخو فخر الدين أبي سعد المبارك ابن المخرمي صاحب الديوان، وكان يأتيه إلى دار الوزير، فقبض عليه ونفذ إلى أخيه من شافهه بالعزل، واستظهر على داره ووكل بدار أخيه المذكور وقُبِض على أخيه شمس الدين عبد الرحمٰن، وكان مريضًا، ثم قُبِض على حاجبيه الفخر ابن الدلال والشمس ابن الصياد، وعلى الأسباسلار بن الشمحل، ومن الغد سلم جمال الدين علي إلى عميد الدين بن عباس مشرف المخزن، وفي ليلة الأربعاء خامس عشر الشهر، أخرج فخر الدين صاحب الديوان من داره بالمطبق ومعه ولده كمال الدين محمد وحُمِلا إلى دار ابن عباس أيضًا، فوكل بهما عنده في حجرة قريبة من داره بدرب المطبخ[٢]، ثم طلب من فخر الدين أن يكتب خطّه بمبلغ من العين ذكر له مراسلة، فامتنع وأبى أن يكتب خطّه إلّا بأن يذكر جميع ما يملكه وأخواه وأهله ولا يخفي من ذلك شيئًا، وأقسم على ذلك

= الأصل ضمن حوادث سنة ٦٥٣ هـ.

(١) جمال الدين علي ابن المخرمي، كان أديبًا فاضلًا شاعرًا حافظًا للقرآن المجيد، سيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٤٦ هـ. انظر: البداية والنهاية (١٣/ ١٧٥)، والأعلام (٥/ ١٨٥).

(٢) قال الدكتور جواد في حاشيته على تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ١ ص ٤٦٤): من محلات بغداد الشرقية في أواخر أيام العباسيين، لم أستطع تحديد هذه المحلّة بالنسبة إلى بغداد الحالية.

بالأيمان المعتبرة شرعًا وعُرْفًا، فامتنع منه بذلك، ثم نفذ إلى داره من اعتبرها فلم يجد بها طائلًا، ووجد من الذهب مقدار مائة دينار، وذكر أن بعضها وديعة ليتيم عنده، ثم وقع الشروع في بيع ما كان في دورهم ووقع الاقتناع منهم بذلك، ونقل فخر الدين وولده كمال الدين إلى داره بالقصر من دار الخلافة، وجعل معه من يحفظه من جانب عميد الدين بن عباس، ولم يلقَ أحد منهم بكلمة سيّئة ولا نيل بمكروه كما جرت العادة في من يقبض عليه ويُراد استئصاله، وهذا أنزل على كمال الدين المعدلة وخفّة الوطأة:

ومن يَكُ في سخطه راضيًا فكيف يكون إذا ما رضي

وأفرج عن فخر الدين وإخوته وأصحابه في ثامن جمادى الآخرة من السنة بشفاعة الشرابي.

وفيها، توفي الحكيم شمس الدولة أبو الخير سهل[1] بن توما النصراني اليعقوبي، نشأ في الجاه والحرمة والقرب من الخلفاء وبسط اليد في الأموال والتصرّف في الأعمال، ولم يزل على ذلك منذ الأيام الناصرية إلى الآن، وكان الخليفة المستنصر بالله يراسل به الوزير القمي ثم ابن الناقد في تقرير القواعد والولايات وغيرها، فلما توفي قبض[2] على أمواله وأملاكه وذخائره ونقل كل ما كان في داره من الأشياء النفيسة إلى دار الخلافة، وحرزت تركته فكانت ستمائة ألف دينار[3]، ثم وُكِل بأخويه وأصحابه أيامًا وأُفرج عنهم، وخلع على أخويه فخر الدولة ماري[4] وتاج الدولة أبي طاهر، ورتب فخر الدولة ماري في جميع الأشغال التي كانت منوطة بأخيه من الوكالات للأبواب والنظر في الأقرحة[5] وغير ذلك[6]، ورتب تاج الدولة وكيل باب عنبر المختصّ بابنة الخليفة المستنصر بالله، ثم أُعيد إليهما بعد ذلك ما كان أُخذ من تركة أخيهما من مالٍ ومُلْك.

---

(١) أبو الخير سهل بن أبي الكرم صاعد بن أبي الفضل بن توما النصراني اليعقوبي كان ذا حرمة وجاه وكَيْس ومروءة، توفي وله من العمر ثمان وخمسون سنة. انظر: العسجد المسبوك (ص ٥٣٨).

(٢) ورد ذلك في العسجد المسبوك (ص ٥٣٩).

(٣) في العسجد المسبوك (ص ٥٣٩): «ثلاثمائة ألف دينار».

(٤) ترجمه ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٣ ص ٣٨٨)، ولم يزد عمّا ورد هنا.

(٥) الأقرحة: البساتين، كان البغاددة يسمّون البستان قراحًا. انظر: معجم البلدان (مادة قراح).

(٦) انظر: تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ١ ص ٢٨٩).

وفيها، أمر الخليفة ببناء سكر على فم نهر عيسى مما يلي دجلة ليزداد ماء النهر بحيث تعبر شبارته إلى القصر المستجدّ بجوار قنطرة الشوك، فلما انتهى نظم الشعراء في ذلك أشعارًا كثيرة، وكان في غاية الإحكام، فلم يلبث إلا قليلًا وانقلب، فلم يُرَ له أثر.

وفيها، عزل العدل ابن القشاري الهمامي عن إشراف الخزانة والعدالة، وسبب ذلك أنه كتب خطّه على هامش رفيع لم يُكتب فيه بعد سكونًا إلى رفيقه، فأنهي ذلك عنه، فتقدم بعزله.

ذكر وصول المغول إلى بغداد وعودهم[١]

في المحرم، وصل الخبر إلى بغداد من إربل أن المغول خرجوا من همذان في ستة عشر ألفًا[٢] وقصدوا الجبل[٣]، فأمر الخليفة بالاستعداد للقائهم وتبريز العسكر إلى ظاهر السور، فخرجوا على التؤدة والهوينى، فوصل الخبر أن طائفةً منهم قصدوا خانقين ووقعوا على جماعة من أصحاب الأمير شهاب الدين سليمان شاه بن برجم[٤] زعيم الإيوائية، وقربوا من يعقوبا، ونهبوا وقتلوا، ووصل أهل طريق خراسان والخالص إلى بغداد، فأمر حينئذ باستنفار الأعراب من البوادي والرجالة من الأعمال، وتفريق السلاح ورفع المناجيق على السور، وخرج الشرابي إلى مخيّمه بظاهر السور فوصل إليه رسول من الأمير فلك الدين محمد بن سنقر الأسن[٥]، المعروف بوجه السبع، وكان بالقليعة يزك يخبره بوصول المغول ومحاذاتهم له، فركب في الحال وعيّن على من يتوجّه لمساعدة فلك الدين المذكور، ثم أخذ في تعبئة العساكر وترتيبها ميمنة ومَيْسرة، فوصلت عساكر المغول ونزلوا بإزائهم وجرت بين الفريقين حرب ساعةً من نهار، ثم باتوا على تعبئتهم، فلمّا أصبحوا لم يجدوا من عساكر المغول أحدًا، وكفى الله المؤمنين القتال.

---

(١) ذكر تفاصيل ذلك وأسبابه ابنُ أبي الحديد في شرح النهج (٨/٢٣٩). وانظر: العسجد المسبوك (ص ٥٣٥)، وتاريخ مختصر الدول (ص ٢٥٥)، إلا أن هذه الغارة وقعت سنة ٦٤٢ هـ.

(٢) في العسجد المسبوك (ص ٥٣٥)، وفي شرح النهج (٧/٢٣٩)، أنهم ساروا من تبريز في عشرة آلاف غلام منهم.

(٣) هو جبل حمرين ـ على ما حقّقه الدكتور مصطفى جواد ـ.

(٤) تقدم ذكره، وفي شرح النهج أنه قتل شحنة من شحنتهم في بعض قلاع الجبل يعرف بخليل بن بدر، فأثار قتله أن ساروا من تبريز في عشرة آلاف غلام منهم.

(٥) تقدم ذكره في حوادث سنة ٦٤٠ هـ بصورة (الاس).

ثم ورد الخبر، أن طائفةً منهم عبرت إلى دُجَيْل، فقتلوا ونهبوا فنفذ إليهم جماعة من العسكر والعرب نحو ثلاثة آلاف فارس، وقدم عليهم الأمير قزقر الناصري، فلما عرفوا بعبور العسكر إليهم رجعوا.

ذكر حصر دمشق(١)

في هذه السنة، سيّر(٢) الملك الصالح أيوب ابن الكامل محمد ابن العادل صاحب مصر عسكرًا إلى مدينة دمشق، فنزلوا عليها وحصروها وضيّقوا على أهلها ومنعوا عنهم الميرة، ودام ذلك شهورًا حتى تعذّرت الأقوات عندهم وغلت الأسعار، وبلغت الغرارة الحنطة مائة درهم، وكان الملك الصالح إسمٰعيل(٣) ابن العادل صاحب دمشق فيها، فضجّ الناس إليه وشكوا ما هم فيه من تعذّر الأقوات، فراسل ابن عمّه الملك الصالح أيوب في ذلك، وتردّدت الرسل بينهما، فأسفرت القاعدة على أن ينفرد الملك الصالح إسمٰعيل بملك بعلبك، ويمضي بأهله إليها، فأجاب إلى ذلك وخرج ليلًا، وأرسل الملك الصالح أيوب إلى الخليفة عبد الرحمٰن بن أبي عصرون(٤) يخبره بذلك، فأرسل الخليفة إليه التقليد والخلع مع جمال الدين عبد الرحمٰن ابن الجوزي الواعظ مدرّس طائفة الحنابلة بالمدرسة المستنصرية، فتوجّه وابن عصرون صحبته.

ذكر ترتيب صاحب الديوان

في عشية يوم الجمعة ثاني شهر رجب، ولي فخر الدين أبو طالب أحمد بن الدامغاني صدرًا بديوان الزمام نقلًا من إشرافه عوضًا عن فخر الدين أبي سعد

---

(١) انظر الخبر في ذيل الروضتين (ص ١٧٥)، وتتمة المختصر (٢/ ٢٥٥) وفيه: أن الخوارزمية شاركوا في حصر دمشق، والعبر (٥/ ١٧٣) وفيه؛ أن الخوارزمية هم الذين حصروا دمشق.

(٢) وكان الملك أيوب قد صالح الملك الجواد على أن أعطاه دمشق وعوّضه عنها بسنجار وعانة سنة ٦٣٦ هـ، فاتفق الصالح إسمٰعيل مع شيركوه صاحب حمص على أخذها منه اغتيالًا، فلما فارقها قاصدًا مصر لأخذها من أخيه العادل سنة ٦٣٧ هـ دخلاها، وتفرّق عسكر الصالح أيوب عنه وهو بنابلس فأسره الناصر صاحب الكرك ثم أطلقه بعد أن استدعاه أمراء مصر الذين اعتقلوا العادل، وعاد الآن ليستعيد دمشق. انظر: وفيات الأعيان (٥/ ٨٤).

(٣) الصالح إسمٰعيل، هو عم الصالح أيوب، ملك دمشق مدّة، ثم انضم سنة ٦٤٤ هـ إلى ابن أخيه الناصر صاحب حلب وقدم معه دمشق، فأسر واغتيل سنة ٦٤٨ هـ. انظر: الشذرات (٥/ ٢٤١)، والعبر (٥/ ١٩٨)، وعيون التواريخ (٢٠/ ٤٦).

(٤) عزّ الدين أبو الفرج عبد الرحمٰن بن عبد العزيز بن أبي عصرون الحلبي، ذكره المؤلف في تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ١ ص ١٩٧) قال: «كان من بيت العلم والفضل والتدريس والتفسير، له في المذهب تصانيف مفيدة».

المبارك ابن المخرمي، وخلع عليه في دار الوزير ومضى إلى الديوان فجلس به، وكتب إنهاء على جاري العادة ابتداءً فيه بقوله تعالى: ﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: الآية ٨٠]، ثم عاد بعد عود الجواب إلى دار الوزير ومنها إلى داره.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، غَلَتِ[1] الأسعار ببغداد، حتى بلغ الكرّ من الحنطة تسعين دينارًا، ومن الشعير أربعين دينارًا، والتبن كل ألف رطل بخمسة دنانير، وكان مع هذا لا يكاد يوجد في الأسواق إلّا الخبز الفائق السمين.

وفيها، رتب الكمال محمد بن حسين مشرف واسط، ورتب عماد الدين يحيى بن المرتضى صدر المخزن، وخلع عليه في دار الوزير وركب إلى المخزن ونزل على باب الحرم، وقبّل الأرض ودخل راجلًا وكتب إنهاءً، وصدّره بقوله تعالى: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [النمل: الآية ٤٠].

وفيها، قُلّد عبد المؤمن الكرّاز البصري المالكي قضاء واسط وشرط عليه أن لا يحكم إلّا بمذهب الشافعي رضي الله عنه.

وفيها، تقدم الخليفة بإرسال طيور من الحمام إلى أربع جهات لتصنف أربعة أصناف، منها: مشهد حذيفة بن اليمان[2] بالمدائن، ومشهد العسكري بسرّ من رأى، ومشهد غني بالكوفة، والقادسية، ونفذ مع كل عدّة من الطيور عدلان ووكيل، وكتب بذلك سجل شهد فيه العدول على القاضي بثبوته عنده، وسُمّيت هذه الأصناف باليمانيات والعسكريات والغنويات والقادسيات، ونظم النقيب الطاهر قطب الدين الحسين ابن الأقساسي في ذلك أبياتًا وعرضها على الخليفة، أوّلها:

خليفة الله يا من سيف عزمته ... موكل بصروف الدهر يصرفها

---

(١) انظر: العسجد المسبوك (ص ٥٣٥) وفيه تفاصيل أخرى عن أسعار الغلال.

(٢) حذيفة بن اليمان (واسمه الحسل) العبسي، صحابي جليل استشهد أبوه (حسل) يوم أحد، وشهد حذيفة المشاهد مع رسول الله ﷺ، كما شهد معارك الفتوح في العراق، وولاه عمر بن الخطاب المدائن، فلم يزل بها حتى مات بُعَيْد قتل عثمان وبيعة الإمام علي عليه السلام سنة ٣٧ هـ. (الإصابة ترجمة ١٦٤٧).

ويقول فيها:

إن الحمام التي صنفتها شرّفت ... على الحمام التي من قبل نعرفها
والقادسيات أطيار مقدّسةٌ ... إذ أنت يا مالك الدنيا مصنّفها
وبعدها غنويّات تنال بها ... غنى الحياة وما يهوى مؤلّفها
والعسكريات أطيارٌ مشرّفةٌ ... وليس غيرك في الدنيا يشرفها
ثم الحمام اليمانيات ما جعلت ... إلّا سيوفًا على الأعداء ترهفها
لا زلت مستعصمًا بالله في نعمٍ ... يهدى لمجدك أسناها وألطفها

ثم سأل أن يقبض منها من يد الخليفة فأجاب سؤاله، وأحضره بين يديه وقبضه، فلما عاد إلى داره نظم أبياتًا، أوّلها:

إمام الهدى أوْلَيْتَني منك أَنْعُمًا ... رَدَدْن عليّ العيش فينان أخضرا
وأحضرتني في حضرة القدس ناظرًا ... إلى خير خلق الله نفسًا وعنصرا
وعَلَّيْت قدري بالحمام وقبضها ... مناولةً من كفّ أبلجِ أزهرا
رفعت بها ذكري وأعليت منصبي ... فخرت بها عزًّا ومجدًا على الورى
حمام إذا خفت الحمام ذكرتها ... فصرت بذاك الذّكر منها معمرا

ويقول في آخرها:

قضى الله أن يبقى إمامًا معظّمًا ... مدى الدّهر ما لاحَ الصباح وأسفرا
فدُمْ يا أمير المؤمنين مخلّدًا ... على الملك منصورَ الجيوش مظفرا

وفي ليلة الجمعة حادي عشري شهر رمضان، نقل مؤيّد الدين أبو الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن برز القمي الوزير من مدفنه بمقبرة الزرادين بالمأمونية، إلى تربة كان أنشأها بالمشهد الكاظمي، ووقف عليها وقوفًا، وذلك بعد ثلاث عشرة سنة وأحد عشر شهرًا.

وفيها، توفي المحبّ أبو عبد الله[1] محمد بن محمود ابن النجار الحافظ المتقن المحتوي على فنون العلوم، حفظ أوّلًا القرآن المجيد وقرأ علم النحو وسمع الحديث

---

(١) محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن ابن النجار، أحد كبار الحفاظ، انظر ترجمته في: العسجد المسبوك (ص ٥٣٩)، والعبر (٥/ ١٨٠)، والمختصر المحتاج إليه (١/ ١٣٧)، والشذرات (٥/ ٢٢٦)، ومعجم الأدباء (١٩/ ٤٩)، وقد أورد له شعرًا، وتاريخ إبل (١/ ٣٦٠)، والأعلام (٧/ ٣٠٨).

وبَرِع في كتبه التاريخ، وقرأ علم الأدب وسافر إلى الحجاز وجاور بمكة، ثم دخل بلاد الشام والجزيرة والموصل وبلاد الجبل وخراسان، وكانت مدّة سفرته وتطوافه هذه البلاد ثماني وعشرين[١] سنة، قرأ فيها على العلماء والمشايخ واشتمل معجمه على ثلاثة آلاف شيخ وأربع مائة امرأة، وجمع مجموعات كثيرة تزيد على أربعين كتابًا، منها: «الذيل على تاريخ بغداد» ست عشرة مجلدة[٢]، و«نثر الدرر» ثمانية أجزاء، و«العقد الفائق في عيون أخبار الدنيا ومحاسن الخلائق». وقدم بغداد سنة أربع وعشرين وستمائة وقد مات أهله جميعهم، فسكن دارًا في محلة الظفرية فعرض عليه السكنى في رباط شيخ الشيوخ، فأبى وقال: إني قادر على المسكن، ومعي ثلثمائة دينار، فما يحلّ لي أن أرتفق من وقف، واشترى جارية، فلما فتحت المدرسة المستنصرية عيّن عليه مشتغلًا في علم الحديث، فأجاب إلى ذلك لأنه لم يبق معه من المال إلّا شيء يسير، فلم يزل على ذلك إلى أن مات، وكان مولده سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ببغداد.

وتوفي، السلطان كيخسرو[٣] بن كيقباذ بن كيخسرو ملك الروم، وولي الملك بعده ولد له صغير[٤]، عمره نحو سبع سنين.

وتوفيت ابنة الخليفة المستعصم بالله، اسمها عائشة، وعمل لها العزاء في الرصافة على جاري العادة، وأنشد الشعراء المراثي، وكتب الوزير مؤيّد الدين

---

(١) في الشذرات والعسجد المسبوك (٢٧) سنة.

(٢) ذكره الذهبي في العبر (٥/ ١٨٠)، والشذرات (٥/ ٢٢٦) قالا: «صاحب تاريخ بغداد»، وأضاف العماد إلى مؤلفاته «ذيل تاريخ بغداد» و«المستدرك على تاريخ بغداد» للخطيب في عشر مجلدات، وقد سلم منه المجلد العاشر في المكتبة الظاهرية بدمشق، ومجلد في باريس برقم (٢١٣١) وعنه نسخة مصوّرة في خزانة المجمع العلمي العراقي. ومن مؤلفاته: «القمر المنير في المسند الكبير» و«كنز الأنام في السنن والأحكام» و«جنة الناظرين في معرفة التابعين» و«الكمال في معرفة الرجال» و«المتفق والمفترق والمؤتلف والمختلف» و«الدرّة الثمينة في أخبار المدينة» و«نزهة الورى في أخبار أمّ القرى» و«روضة الأولياء في مسجد إيلياء» و«مناقب الشافعي» و«غرر الفوائد» في ستّ مجلدات و«الأزهار في أنواع الأشعار» و«الزهر في محاسن شعراء أهل العصر».

(٣) غياث الدين كيخسرو، ولي الملك بعد وفاة أبيه سنة ٦٣٤ هـ، وكان مقبلًا على الخمر والمجون، غير مرضي الطريقة. انظر: العسجد المسبوك (ص ٥٤٠)، وتاريخ مختصر الدول (ص ٢٥٠ و٢٥٥) وفيه أنه مات سنة ٦٤٢ هـ.

(٤) في تاريخ مختصر الدول (ص ٢٥٥): أنه خلف ثلاثة بنين، أكبرهم عز الدين، الذي ولي السلطنة بعد أبيه، وكان مدير أمره الأمير جلال الدين قرطاي.

محمد بن العلقمي إلى الخليفة: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: الآية ١٠]، أجزل الله تعالىٰ ثواب الخدمة الشريفة المقدّسة النبوية الإمامية المستعصمية بالله على احتسابها وجزاها أفضل جزاء الصابرين عند جزع النفوس واكتئابها، وأفاء عليها ظلاً من البقاء ظليلًا، ورجع طرق الحوادث عن حوزتها الشريفة حسيرًا كليلًا، وعوّض عمن غيّر وذهب بحراسة من غير مما وهب، وجعل السادة الموالي المعظّمين في حوز حياطته وكلأهم من كلّ حادثٍ بعين حفظه التي لا تنام ورعايته، وأدام للدنيا وأهلها بقاء الخدمة الشريفة واستمرار عصرها، وخلود الدولة الحالية بمضاء مراسمها العلية ونفاذ أمرها:

فإذا سَلِمتَ فكلّ شيءٍ سالمٌ وإذا بَقِيتَ فكلّ شيءٍ باقي

ولا زال ملكها محروسًا من الغير، مصون الموارد من الكدر، ولا أعاد إلى مواطن شرفها حادثًا، ولا أنزل بمقدس ربعها الأمرع خطبًا كارثًا:

لا روّعت بعدها الخطوب لكم سربًا ولا فضلت لكم حمل

بمحمد وآله».

وكتب ابن عباس مشرف المخزن: «يقبّل الأرض بين يدي مالك رقه وينهي أن العباس لما توفّاه الله تعالىٰ جلس ولده عبد الله رضي الله عنهما للعزاء، فجاء أعرابيٌّ فوقف حياله وأنشد:

اصبر نكن بك صابرين فإنما صبر الرعيّة بعد صبر الرأس

خيرٌ من العباس أجرك بعده والله خير منك للعباس

فنهض عبد الله ورفع بساط العزاء، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ۝١٥٧﴾ [البقرة: الآيتان ١٥٦، ١٥٧]، وقال النبيّ ﷺ: «لو كان يعقوب يعلم ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٥٦] لما قال: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: الآية ٨٤]»، فعظّم الله أجر مولانا وأحسن عزاءه ورحم ميته، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: الآية ٢١]».

وفي هذه السنة، انقطع الحجّ من العراق لأجل الاشتغال بحديث عساكر المغول.

سنة أربع وأربعين وستمائة

فيها، كتب[١] الوزير مؤيّد الدين محمد ابن العلقمي إلى الخليفة ينهي حال بعض الأمراء ويقول في آخر كلامه: وهو «مدبر»، فوقع الخليفة على مطالعته بقلمه:

ولا تساعد أبدًا مدبرًا وكُنْ مع الله على المُدبر

فكتب الوزير في الجواب من نظمه:

يا مالكًا أرجو بحبّي له نَيْل المُنَى والفوز في المحشر
أرشدتني لا زِلْت لي مرشدًا وهاديًا من رأيك الأنور
فضلك فضل ما له منكرٌ ليس لضوءِ الشمس من منكرِ
إن يجمع العالم في واحدٍ فليس لله بمستنكر
فالله يجزيك عاقبة خيرًا ويُبْقيك مدى الأعصر
جعلت تقوى الله مقرونةً بوِرْد أفعالك والمصدر
مَنْ يجعل التقوى له متجرًا فذاك حقًّا رابح المتجر

وفيها، فُتِحت دار[٢] الكتب التي أنشأها الوزير مؤيّد الدين ابن العلقمي في داره، ونقل إليها كتب من أنواع العلوم، فأنشد العدل موفق الدين القاسم بن أبي الحديد:

رأيت الخزانة قد زُيّنتْ بكُتُبٍ لها المنظر الهائل
عقولُ الشيوخ بها أُلِفت ومحصوله ذاك والحاصل
ولما مثلت بها قائمًا وأعجبني الفضلُ والفاضل
تمثلت أسماءها منكم على النّقل ما كذب النّاقل
بها «مجمع البحر» لكنّه من الجودِ ليس له ساحل
ومنها «المهذب» من فضلكم و«مغن» ولكنه نائل
ومنها «الوسيط» بما نرتجيه وفيها «النهاية» و«الكامل»
وإن كان أعوزها «شاملٌ» فقد زانها جُودك الشامل
وإن كان قد فاتها فائتٌ أبو الفضلِ في عِلْمه كامل

---

(١) ورد ذلك في فوات الوفيات (٢/ ٣١٢).

(٢) ذكرها ابن الطقطقي في الفخري (ص ٢٤٨) قال: إنها اشتملت على عشرة آلاف مجلد.

وفيها، وقع الشروع في عمارة مسناة دار، على شاطئ دجلة في بستان الصراة المنتقل إلى الخليفة من البهلوان[١] ابن الأمير فلك الدين محمد بن سنقر، وتولّى العمل في ذلك أستاذ الدار محيي الدين يوسف ابن الجوزي، فسأل في بعض الأيام المشاهر عن اسمه، فقال خالد، فقال:

نظرت إلى الخُلْد الشريف بفكرتي فبشّرني أن الخليفة خالد
إذ الاسم معناه الخلود حقيقةً وأكّده اسم المشاهر خالد

وفيها، أُعيد النظر في مصالح المدرسة المستنصرية إلى شيخ الشيوخ صدر الدين أبي المظفر علي ابن النيّار، فخرج في بعض الأيام من دار الخليفة عقيب غيث معتمدًا على يد فراش، فلما رفع يده عنه زلق الفراش، فقال مبادرًا: ما ينال خيرًا من تتركه من يدك، فقال الموفق بن أبي الحديد في ذلك:

مولاي شيخ الشيوخ دُمْت لنا مكمّل الخلق فاضلًا خلقا
بالأمس لما مشيت معتمدًا حيث خشيت المياه والزّلقا
كنت عماد الذين اعتمدت على يديه حتى تجاوز الطُرُقا
دليلُ هذا ولا خفاء به إنك لمّا تركته زلقا
وهكذا كل من رفعت يدًا عنه وخلّيته أصاب شقا

ثم ردّ إليه النظر على الطبق، وكان يتولّاه نجم الدين محمد بن طراح فعزله وعزل مشرفه واقتنع بالكاتب ونائبِي النظر والإشراف، وكان قد اضطرب حال عقاره وضياعه وقلّ حاصله، فلما عاد أمره إليه توفر حاصله، فقال الكمال محمد بن أبي الفضل الفقيه:

عادات صدر الدين مشكورة وحقٌّ من أحسن أن يُشكرا
أهدوا إليه طبقًا فارغًا فحطّ فيه ذهبًا أحمرا
وعادةُ القوم على عكس ذا إن عوتبوا أو عَمِلوا ما جرى
يا سيّدًا أخلص في نصحه لمالكِ الأمر ومولى الوَرَى

---

(١) فخر الدين أبو المظفر بهلوان بن محمد بن سُنقر الناصري البغدادي، من الأمراء، ترجمه المؤلف في تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٣ ص ١٣٦)، قال: ألحق بالزعماء سنة ٦٤٢ هـ وقرّر له كل سنة ألف دينار، وزيدت إلى ثلاثة آلاف سنة ٦٤٤ هـ.

حقٌّ على رأيك في نصحه لكلّ ما خرب أن تعمرا
لا زلت في دولته حاكمًا يرى صواب الرأي في ما ترى

وفي هذه السنة، وصلت الطيور الحمام من عبادان وخشبات، وسبق النقيب الطاهر قطب الدين أبو عبد الله الأقساسي من سطح الشرابي، فنظم العدل موفق الدين القاسم بن أبي الحديد المدائني كاتب الإنشاء قصيدة، يمدح فيها الخليفة، ويقول فيها:

سبق النقيب من البلاد بأسرها جبليها وجنوبها وشمالها
لا واسط أجدت عليه وإنما ضرّته بلدة إربل بجبالها
والموصل الفيحاء مات جماعة فيها مع الغرباء في أطلالها
ملك الحمائم ما بِحَشْوِ قلوبها شوقٌ إلى دار النقيب وحالها
إني لأعذرها وقد ولّت إلى سنجار تطلب خمسها من مالها
لم تلقَ في سطح النقيب غذاءها أبدًا سوى أتواره بزلالها
كم هذه الخلوات أني خائفٌ من بَرْدِها وزكامها وسعالها
ما كان يغلط طائرٌ لك مرّة فيجيء عاشرها لدى إرسالها
الله أكبر إن هذه عبرةٌ لم يقتدر أحدٌ على أمثالها
لو صوّر الله البروق حمائمًا لك لم تَرَ الأيماض في أفعالها
وسواك لو حمل الدجاج مسابقًا سبقتك طائرة على أرسالها

ثم قال فيه أبياتًا، منها:

أرسل الطاهر النقيب طيورًا لسباقٍ فلم يَفُز بمراد
وطيور المولى الشرابي جاءت وطيور النقيب في كلّ واد
ما حداها على التأخّر إلّا طلب الخمس من طباق الزّاد

فلما حضر النقيب في البدرية يوم الجمعة جريًا على عادته، سلمت القصيدة إليه، وأمر بإيرادها.

وفيها، فُتِح باب مخزن المدرسة المستنصرية المقابل لباب سوق المدرسة، وأُخذ منه نحو أربعمائة رطل شمعًا معمولًا، وحدود ثلثمائة رطل سكّرًا، ومبلغ ثلثمائة دينار وثلاثون مصمتًا طبرية، وقيل: إن جوقة الرندي فعلوا ذلك، وكَثُر اللصوص ببغداد، وكانوا يأتون بالعُدّة ويأخذون أموال الناس.

وفي آذار وقعت صاعقة على نخلةٍ في مسجدٍ بالجانب الغربي أحرقتها والناس يشاهدونها، ووقع في نواحي نهر الملك بَرَدٌ كبار، وزن الواحدة منه ثمانية أرطال.

وفيها، توفي قطب الدين محمد بن عبد الرزاق بن سكينة[١] شيخ رباط شيخ الشيوخ أبي سعيد[٢] بالمشرعة، كان شابًا جميلًا حافظًا للقرآن المجيد أديبًا، حجّ مرارًا مع والده ومنفردًا متوليًا بعض السبلداريات، ثم رغب في الدنيا وأحبّ الرياسة، فسأل أن يرتب حاجبًا بباب المراتب وأن يقرّ على نظره بالرباط ويترك مشيخته، ويبذل على ذلك قرية، فأجيب سؤاله، وخلع عليه وركب بالسيوف المشهورة والبسملة بين يديه والكرائة بين عينيه، فبقي على ذلك يسيرًا، ثم سأل إعفاءه عن الخدمة وإعادته إلى المشيخة، فأجيب سؤاله، ثم سأل أن يرتب ناظرًا في مناثر النمور فرُتِّب، فبقي مدة ثم فصل عن ذلك، ولم يزل على مشيخة الرباط والنظر في وقوفه إلى أن توفّي، وقد نيف على أربعين سنة، فنظم الأمير ركن الدين أحمد بن القراطاي[٣] أبياتًا ذكره فيها، وكتب بها إلى شهاب الدين ريحان[٤]؛ لأنه كان صديقه، وهي:

جـديـرٌ بـك الـصـبـر عـلى الـخَـطْـبِ
فـلـيـس عـلى حـكـم الـمـنـيَّـة مـن عَـتْـبِ
شـجـاك ذهـاب الـقـطـب مـن بـعـد صـحـبـه
ولا غـرو أن يـشـجـى الـشـهـاب عـلى الـقـطـب
يـهـون وبـال الـصـحـب مـا دُمْـتَ بـاقـيًـا
رفـيـع الـذُّرى فـي حـيّـز الـشـرف الـرحـب

---

(١) أبو الفضل محمد بن عبد الرزاق (شيخ الشيوخ) بن عبد الوهاب بن علي بن علي بن عبيد الله بن سكينة الصوفي، ترجمه ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٤ ص ٦٩٦)، وانظر: العسجد المسبوك (ص ٥٤٨).

(٢) يعني رباط جدّه لأمه شيخ الشيوخ أبي سعد الصوفي النيسابوري بالمشرعة (وهي على ما حقّقه الدكتور مصطفى جواد) مشرعة سوق المدرسة النظامية، في موضع خان الباججة جي في سوق الكرك العتيق من شرقي بغداد الحالية، (انظر حاشية ص ٦٩٦ من ج ٤ ق ٤ من التلخيص).

(٣) ركن الدين، أحمد بن القراطاي، انظر ترجمته في تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٢ ص ١٠٩٤).

(٤) شهاب الدين ريحان الخادم، كان لإقبال الشرابي، سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٤٦ هـ، كما سيذكر وفاته في حوادث سنة ٦٥١ هـ.

وفيها، توفيت ستّ العرب[١] ابنة الأمير أبي القاسم عبد العزيز ابن الخليفة المستنصر بالله، فتقدم الخليفة المستعصم بالله أن يعتمد معها جميع ما اعتمد مع ابنته الدارجة في السنة الخالية. وانقطع الحج أيضًا في هذه السنة من العراق.

وفيها، توفي الأمير محمد بن سنقر الطويل صاحب دقوقا، كان أبوه سنقر[٢] من خواص الخليفة الناصر لدين الله، صبّ يومًا على يده ماء فسقطت الصابونة منه فناوله غيرها وقال: «دقوق»، وهو بلغة الترك دجاجة، فاقطعه «دقوقا»، ظنًّا منه أنه طلبها، فلم تزل في يده إلى أن توفي فتسلّمها ابنه محمد، فلما توفي الآن عادت إلى نوّاب الخليفة.

وفيها، توفي يوسف بن يعقوب بن صابر[٣] متقدم المنجنيقية ببغداد، كان شابًا حسنًا أديبًا حاذقًا في صنعته، وكان يقول الشعر، فمما قاله في صبيّ أمرد شح[٤] يشكوه:

يا قوم إن شكايتي من شكوة ... أضحت تعانق من أحبُّ وأعشق
حملت هوى كهواي إلّا أنها ... تطفو ويثقلني الغرام فأغرق
ويغيظني[٥] التبان عند عناقه ... أردافه وهو العدوّ الأزرق[٦]

سنة خمس وأربعين وستمائة

فيها، أحضر مدرّسو المستنصرية إلى دار الوزير، وتقدم إليهم أن لا يذكروا شيئًا من تصانيفهم، ولا يلزموا الفقهاء بحفظ شيءٍ منها، بل يذكروا كلام المشايخ تأدّبًا معهم وتبرّكًا بهم، وأجاب جمال الدين عبد الرحمـٰن ابن الجوزي مدرّس الحنابلة بالسمع والطاعة، ثم مدرّس المالكية سراج الدين عبد الله الشرمساحي، وقال: «ليس

---

(١) ورد ذلك في العسجد المسبوك (ص ٥٤٨).

(٢) فلك الدين أبو المظفر سنقر بن عبد الله الناصري الطويل، كان من المقرّبين للناصر العباسي أقطعه دقوقا وتكريت وبين النهرين، وكان شجاعًا فارسًا سيء الأخلاق شديدًا، توفي سنة ٥٩٦ هـ. انظر: تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٣ ص ٥٠٠)، والجامع المختصر (ص ٢٧).

(٣) ذكر المؤلف أباه يعقوب بن صابر الحراني المنجنيقي في وفيات سنة ٦٢٦ هـ من هذا الكتاب.

(٤) كذا ورد في الأصل، والصواب: يسبح بشكوة، والأبيات في وفيات الأعيان (٣٨/٧) منسوبة لأبيه، قال: وأنشدني عنه في غلام يتعلم السباحة في دجلة ببغداد، وقد لبس تبان أزرق وشدّ على ظهره شكوة منفوخة، كما جرت عادة من يتعلم العوم.

(٥) في الوفيات: ويغيرني.

(٦) يسمي العرب الشديد العداوة: العدوّ الأزرق.

لأصحابنا تعليقة، فأمّا النقط من مسائل الخلاف فمما أرتبه» فبان بذلك عذره، وأمّا شهاب الدين الزنجاني مدرّس الشافعية وأقضى القضاة عبد الرحمٰن ابن اللمغاني مدرّس الحنفية، فإنهما قالا ما معناه: «إن المشايخ كانوا رجالًا ونحن رجال» ونحو ذلك من إيهام المساواة، فأنهيت صورة الحال، فتقدم الخليفة أن يلزموا بذكر كلام المشايخ واحترامهم، فأجابوه بالسمع والطاعة.

وفيها، قبض على بدر الدين محمد بن ورد[1] نائب المخزن ووكل به فيه، ووكل بمن في داره، فتغافل عنه الموكلون به فذبح نفسه بسكين لطيف كان معه، فما أحسّوا إلا بشخيره، فأنهوا ذلك، فتقدم بإحضار طبيب فخاط موضع القطع ولم يبلغ البلعوم؛ لأن يده ضعفت عن قطعه، فلما قويت نفسه أخذ خطه بثلاثين ألف دينار[2].

وفيها، هرب ثلاثة نفر كانوا محبوسين في مطمورة واسط، ثقبوها فخرج الثقب في دار يهودي، فخرجوا منها فحضر واحد منهم عند صاحب الديوان فخر الدين أحمد ابن الدامغاني وعرفه أن رفيقيه فعلا ذلك، وقالا له: «إن لم توافقنا قتلناك»، فسأله عن ذنبه فعرفه أنه قتل عمًّا له، ثم أبرأه ولي دمه منه، فأمر بحبسه سياسة، فتقدم بالإفراج عنه، وأمر بتحصيل الآخرين، فحُصِّلا وحُبِسا.

وفيها، غلت الأسعار، فبلغ الكرّ من الحنطة ثمانين دينارًا، ومن الشعير ثلاثين دينارًا.

وفيها، رتّب دانيال[3] بن شمويل بن أبي الربيع رأس مشيئة[4] ونفذه الوزير مؤيّد الدين محمد ابن العلقمي إلى قاضي القضاة عبد الرحمٰن ابن اللمغاني فأجلسه بين يديه، وقال له: «رتبتك زعيمًا على أهل مِلّتك من أهل دينك المنسوخ الذي

---

(١) وفي تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٣ ص ٣٨٥): «فخر الدين أبو المظفر محمد بن ورد بن محمد الشهرباني البغدادي، رتب نائبًا بالمخزن سنة ٦٣٤ هـ، توفي سنة ٦٥٠ هـ، ولم يذكر المؤلف سنة وفاته في هذا الكتاب. وقد تقدم ذكره في حوادث سنة ٦٤٢ هـ، وفيها أن لقبه فخر الدين.

(٢) ورد ذلك في التلخيص وفيه: «ووجدوا في بيته خمسين ألف دينار، وذكر أنها وديعة لأيتام، فأخذ خطّه بثلاثين ألف دينار».

(٣) ذكر صاحب العسجد المسبوك ترتيبه في حوادث سنة ٦٤٦ هـ (ص ٥٦٠).

(٤) كذلك وردت، وفي العسجد وتلخيص مجمع الآداب (ترجمه ابن الشويخ): «مثيبة»، وسترد في خبر وفاة «ابن الشويخ» بصورة (مشية)، وقد فسرناه فيما مضى من الكتاب.

نسخته الشريعة المحمدية لتأخذهم بحدود دينهم وتأمرهم بما أُمروا به في شريعتهم، وتنهاهم عما نُهوا عنه في شريعتهم، وتفصل بينهم في وقائعهم وخصوماتهم بموجب شريعتهم، والحمد لله على الإسلام»؛ ثم نهض ولبس طرحته في دهليز القاضي وتوجّه إلى بيته راجلًا في جمع من اليهود وجماعة من أتباع الديوان، فتعرّض جماعة من العامة لرجمه، فأنكرت الحال عليهم ومُنِعوا وأخذت منهم جماعة فحبسوا وعُوقِبوا.

وفيها، ولدت امرأة فقيرة أربعة في بطن[١]، فشاع ذلك وأنهي خبرها إلى الخليفة، فأمر بإحضار الأولاد، فأُحضروا في جونة[٢] فتعجّب من ذلك، وأمر لهم بستمائة دينار وثياب، وكانت المرأة وزوجها في غاية الفقر لا يملكان حصيرًا.

وفيها، استولى يوسف[٣] بن محمد بن غازي بن يوسف بن أيوب صاحب حلب على حمص مصالحةً[٤]، وعلى قلعة عزاز[٥]، وفارقها سلطانها ابن شيركوه[٦]، فخطب حينئذ بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل لصاحب حلب ببلاده تبرّعًا منه.

وفيها، أنفذ الخليفة إلى الوزير مؤيد الدين محمد ابن العلقمي دواة فضّة مذهّبة[٧] مع صلاح الدين عمر بن جلدك في جونة، فخلع عليه، ونظم الشعراء في

(١) ورد ذلك في عيون التواريخ (٢٠/ ٢٢) في حوادث سنة ٦٤٦ هـ، وكذلك في العسجد المسبوك (ص ٥٦٠) وفيهما أن الخليفة أنعم على الأم بثياب وحلي تبلغ ألف دينار.

(٢) الجونة: الخابية مطلية بالقار (اللسان ـ جون).

(٣) الملك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف ابن الملك العزيز، ولد سنة ٦٢٧ هـ، وحكم حلب بعد وفاة أبيه سنة ٦٣٤ هـ، واتّسعت مملكته، فقد كسر الخوارزمية وملك بعض البلاد من الجزيرة الفراتية، ثم ملك دمشق والبلاد الشامية سنة ٦٤٨ هـ، وهاجم التتار الشام فخرج من دمشق سنة ٦٥٨ هـ، وقتل في نفس السنة بالقرب من مراغة. انظر: وفيات الأعيان (٤/ ١٠)، وتاريخ مختصر الدول (ص ٢٥٠)، وشفاء القلوب (ص ٤٠٨ ـ ٤٢٠).

(٤) في العبر (٥/ ١٨٥) وفيها نازل عسكر حلب مدينة حمص وأخذوها بعد أشهر في أول سنة ست، وكذلك في العسجد المسبوك (ص ٥٦٢).

(٥) عزاز: بليدة فيها قلعة ولها رستاق شمالي حلب. معجم البلدان (٤/ ١١٨).

(٦) هو الملك الأشرف موسى ابن الملك المنصور ابن المجاهد أسد الدين شيركوه، ملك حمص بعد وفاة أبيه سنة ٦٤٤ هـ.

(٧) ورد ذلك في العسجد المسبوك (ص ٥٦٢) بيد أنه ذكرها في حوادث سنة ٦٤٦ هـ، وذكر أبياتًا غير هذه لبعض الشعراء أولها:

زاد إمام العصر ديوانه ... زيادة فيها تقرّ العيون

ذلك أشعارًا كثيرة:

قُلْ للكواكب ما أردت فحاولي ... لم يبقَ في الدنيا عليك دليلُ
ذهب الذي رصد النجوم رياضةً ... فأطاعه التسيير والتعديل
لو كان بطليموس في أيامه ... لغدا وناظر فِكْرَتَيْه كليل
جمع الرواية والدراية فاستوى ... في وصفه المنقول والمعقول
فيه أسانيد الحديث صحيحةٌ ... وبه استفيد الجرح والتعديل
وإليه ساق الناس علم حقائقٍ ... أدّى إليه الوضع والتشكيل
علمُ البراهين التي بنتاجها ... يتفاوت الموضوع والمحمول
والهندسيات التي بنتاجها ... يستنبط المعلوم والمجهول
وقضى على مزج العناصر حكمه ... فأجابه التصعيد والتحليل
وافى به النسب العريق إلى العُلَى ... وسَما بنفس حبلها موصول
فالمنزل الأدنى به في وحشة ... والمنزل الأعلى به مأهول

وتوفي النقيب قطب الدين أبو عبد الله الحسين بن حسن بن علي المعروف بابن الأقساسي العلوي[1] ببغداد، وكان أديبًا فاضلًا يقول شعرًا جيدًا، بدرت منه كلمة في أيام الخليفة الناصر على وجه التصحيف، وهي: «أردنا خليفة جديد»، فبلغت الناصر فقال: لا يكفي حلقة لكن حلقتين، وأمر بتقييده وحمله إلى الكوفة، فحُمِل وسُجِن فيها، فلم يزل محبوسًا إلى أن استخلف الظاهر، فأمر بإطلاقه، فلما استخلف المستنصر بالله رفق عليه، فقرّبه وأدناه ورتّبه نقيبًا وجعله من ندمائه، وكان ظريفًا خليعًا طيّب الفكاهة حاضر الجواب.

وتوفي الشيخ محمد الركابدار[2]، وكان أديبًا سمع الحديث النبوي، وكان يحب أهل الدين وأرباب التصوّف، خدم في مبدأ أمره مع ركبدارية الأمير قشتمر، ثم خدم ركابدار الخليفة الظاهر، وقُرِّب وأدني، فلما استخلف المستنصر أقرّه على ذلك وزاد في إكرامه، حكى عن نفسه قال: خلوت يومًا بالخليفة المستنصر وهو مسرور يباسطني، فقلت له: يا أمير المؤمنين عندي أمر وأشتهي أن تأذن لي في السؤال عنه، فقال: قُلْ، فقلت: يا أمير المؤمنين تدعوني تارة بالشيخ محمد، فأطير فرحًا وأقول

---

(١) ورد الخبر في العسجد المسبوك (ص ٥٥٤)، وقد ذكر مرارًا في هذا الكتاب وتقدمت ترجمته.
(٢) ذكره ابن الكازروني في مختصر التاريخ (ص ٢٦٢).

قد شرّفني مولانا، ومرّة تقول: أي ركابدار، فأموت خوفًا وأخشى أن أكون قد أذنبت ذنبًا، فقال: لا والله يا شيخ محمد ما لك عندنا إساءة، وإنما متى كنتُ على غير طهارة أقول: أي ركابدار، إجلالًا لذكر اسم النبيّ عليه الصّلاة والسلام[١]. وقد نسب إليه شعر؛ منه قوله من قصيدة طويلة:

أدِرْها باليمين أو الشمال ... فلو كانت حلالًا يا حلالي
ولا تطفئ توقدها بماء ... ففي ياقوتها نور اللآلي
وصرف صرفها بعناء شاد ... مليح الوجه معشوق الدلال
يريك اليأس منه على دنوٍّ ... يريد هوىً ويطمع في الوصال
ولا تخشَ الهموم على سرورٍ ... ولا تجزع لحادثة الليالي

وفيها، قُتِل العندي بهمذان، كان من أولاد المماليك الناصرية، وكان جميل الصورة رائق الحسن، صحب العيّارين[٢] والفتاك إلى أن خرج عن الطاعة، فانضمّ إليه جمع كبير من الفتاك، وكانوا كلّهم عشاقًا له، فطلبوا طلبًا شديدًا فتفرّقوا، وحصل بعضهم فقتل، ولحق هو بصهرٍ له، كان دزدارًا بقلعة «كره»[٣]، فكوتب بحمله فحمله مستظهرًا عليه، فحبس في بغداد، فلما ولي المستعصم أفرج عن المسجونين فكان من جملتهم، فعاود ما كان عليه من الفساد، فطلبه أيبك الحلبي شحنة بغداد، وأخذ بعض أصحابه فاستخلصه، وخرج جماعة من أصحاب الشحنة واعتصم في اصطبل لبعض أصهاره «بدرب الجصاص»، فكبس نائب الشحنة عليه ليلة، فصعد برجًا للطيور فتقدم النفاط في الصعود، فضربه العندي فأزال رأسه فرجع الناس عنه، فهرب ولحق بهمذان واتصل بشحنتها، فخوف منه فسقاه ليلة خمرًا فلما سكر قتله وحمل رأسه إلى بغداد، فعلق بظاهر سور الظفرية.

وفيها، منع جميع الوعاظ من الجلوس للوعظ ببغداد[٤].

---

(١) روى ابن الكازروني ذلك باختصار، انظر: مختصر التاريخ (ص ٢٦٢).

(٢) العيارون: جماعات ظهرت أيام السلاجقة، وأخذت تعبث بالأمن والناس، ووجدت مع المتنفذين من يتعاون معها، وضعفت أيام استقلال الخلافة العباسية، وبدأت الآن تظهر بصورة نشطة.

(٣) كَرَة: هي كرج كما في معجم البلدان (٤٤٦/٤)، وهي مدينة بين همذان وأصبهان في نصف الطريق، وإلى همذان أقرب.

(٤) ورد هذا الخبر مفصّلًا في العسجد المسبوك (ص ٥٥١)، قال: منع الوعّاظ جميعهم من الوعظ، وهم، محمد الأصبهاني الشافعي، ومحمد ابن أخت الشيخ أبي صالح الحنبلي، =

وفيها، قلد تاج الدين الحسن بن المختار نقابة الطالبيين[١]، فعيّن على ولده علم الدين إسمٰعيل[٢] في نقابة مشهد أمير المؤمنين عليه السلام.

وفيها، أنهى خازن المدرسة المستنصرية: أنه شاهد ختم الخزانة متغيّرًا والقفل بحاله، فاعتبروا ما فيها من الرهون والعين، فشذّ منها شيء، ومن المال ثلثمائه دينار، فأنهي ذلك إلى الخليفة، فأمر بإلزام الفقهاء والحاشية برمي تراب، ففعلوا ذلك ثلاثة أيام، فلم يجدوا شيئًا، فتقدم بتقسيط ذلك على البواب بالخزانة والفرّاشين على قدر أحوالهم، فاستوفي ذلك منهم، ورتب عوضهم.

وفيها، شاع ببغداد أن الديوان قد عزم على إبطال المعاملة بالدراهم، وأن يتعاملوا بالقراضة الصورية، وسبب ذلك أن الدراهم كثرت في أيدي الناس، وقلّ الذهب وتجافى الناس أخذها حتى بيعت: كل اثني عشر درهمًا بدينار، فتألّم الناس مما يلحقهم في ذلك من الخسارات فيها، فأمر أن يضرب دراهم جيدة، يتعامل بها الناس كل عشرة دراهم بدينار، وتؤخذ تلك التي تألموا منها كل عشرة دراهم ونصف بدينار، فتألّموا من ذلك أيضًا، فتقدم أن يؤخذ العتيق كل اثني عشر درهمًا بدينار، وتكون الدراهم الجدد كل أحد عشر درهمًا ونصف بدينار.

وفيها، هبّ[٣] هواء شديد أحرق كثيرًا من الزروع وكسر كثيرًا من النخل وقلع جملة من الأشجار، ووقعت صاعقة في دار القاضي بالجانب الغربي وأخرى في الخاتونية[٤] ولم تؤذ أحدًا.

= وعبد الجبار بن عكبر الحنبلي، وشاب حنبلي يُعرف بالقلانسي التركماني، وشاب حنبلي أمرد كوفي حنفي معتزلي حنفي.

(١) انظر: العسجد المسبوك (ص ٥٥٠)، وقد تقدمت ترجمة الحسن بن مختار.

(٢) علم الدين أبو محمد إسمٰعيل، استمرّ في نقابة المشهد العلوي حتى وفاة أبيه سنة ٦٥٢ هـ، فرتب مكانه في نقابة الطالبيين، وتوفي سنة ٦٥٣ هـ وهو في عنفوان شبابه، ودفن في المشهد العلوي. انظر: تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ١ ص ٥٦٦).

(٣) الخبر في العسجد المسبوك (ص ٥٥٤) قال: كان ما وقع من النخل عشرة آلاف نخلة وشجرة.

(٤) قال الدكتور جواد: «كذا وردت: وأقرب الألفاظ إليها المأمونية». إلا أنه استدرك ذلك في حاشيته على تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ١ ص ٣٩٥) فقال: «الخاتونية منسوبة إلى خاتون بنت ملكشاه زوجة الخليفة المقتدي بأمر الله، وكانت متصلة بدار الخلافة العباسية في شرقي بغداد، وهما خاتونيتان: داخلة في دار الخلافة وخارجة، ويراد بها عند الإطلاق الخارجة، ويصعب تعيينها بالإضافة إلى بغداد الحالية، إلّا أنها تبعد كثيرًا عن الأرض الملاصقة لجامع=

وفيها، توفي أبو الفتح إسحاق بن الشويخ رأس مشية[١] اليهود، وكان ذا فضلٍ وأدب، يكتب خطًا حسنًا وينظم شعرًا جيّدًا ويعرف علم النجوم معرفة جيدة، كتب إلى تاج الدين...[٢] الهاهي صدر المخزن رقعة لبعض اليهود من حربي[٣]، فكتب عليها؛ «يجاب سؤال رافعوها»، فكتب ابن الشويخ ليلة[٤]:

مذ كان همّتكم في جبرِ منكسر   أو رفد مفتقر أو رفع منخفض
حذا يراعكم في الفعل حذوكم   فليس ينكر منه رفع منخفض

سنة ست وأربعين وستمائة

وفيها، انحدر الخليفة المستعصم بالله إلى واسط متنزّهًا، وفي خدمته ابن الدامغاني صاحب الديوان وابن النيار وعدّة من الأمراء، فأقام أيامًا وعاد إلى بغداد[٥].

وفيها، حدث بأكثر أهل بغداد أمراض في حلوقهم وخوانيق، ومات بذلك خلق كثير، وذكرت امرأة: أنها رأت في المنام امرأة من الجن تكنى «أم عنقود» قالت لها: «إن ابني مات في هذه البئر» وأشارت إلى بئر داخل سوق السلطان «ولم يعزّني فيه أحد، فلهذا أخنقكم»، فشاع ذلك في الناس، فقصد البئر المذكورة جماعة من العوام والنساء والصبيان ونصبوا عند البئر خيمة وأقاموا هناك العزاء، وكان النساء ينحن ويقلن:

أي أم عـنـقـود اعـذريـنـا   مـات عـنـقـود ومـا دريـنـا
لـمّـا دريـنـا كـلـنـا قـد جـيـنـا   لا تـحـرديـن مـنّـا فـتـخـنـقـيـنـا

وما يناسب ذلك من الهذيان، وأكثرن من هذا وأمثاله، وألقى الناس فيها الثياب والحلي والدراهم والخبز واللحم المطبوخ والدجاج وأنواع الحلواء، وأشعلوا عندها

= مرجان من الشرق، وكنا نجهلها أيام طبعنا الحوادث وظنناها تصحيفًا للمأمونية، ذكر ابن الأثير أن الخاتونيتين في المحلات التي عمرت أيام المقتدي المذكور».

(١) كذا وردت، وقد تقدم ذكرها في حوادث سنة ٦٢٦ هـ بصورة «مشيئة».

(٢) كذا في الأصل، وهو كما تقدم مرارًا معلى ابن الدباهي، وانظر العسجد المسبوك (ص ٥٥٩).

(٣) هي الحربية أو باب حرب.   (٤) كذا في الأصل، ولعلها (إليه).

(٥) ورد ذلك في حوادث سنة ٦٤٥ هـ من العسجد المسبوك (انظر ص٥٥٢ منه)، وذكر في حوادث سنة ٦٤٦ هـ أنه توجه قاصدًا زيارة المشهد الحسيني ومتصيّدًا فمضى نحو دجيل، وعدل إلى الأنبار، ثم قصد المشهد بكربلاء (انظر ص ٥٦٢).

الشموع، فلما أكثروا من ذلك عابه العقلاء والأكابر وأنكروه، فأمر الخليفة بمنع الناس من ذلك، فحضر الشحنة إلى هناك وقال: «إن الديوان قد أقام أم عنقود من العزاء»، وأمر بسدّ البئر، فتفرّق الناس عنها[١].

وفيها، وقع ببغداد وأعمالها مطر كثير وبَرَد كبار[٢]، قتل عددًا كثيرًا من الحيوان، قيل: كان وزن البردة حدود ثلاثة أرطال، وغلت الأسعار عقيب ذلك، حتى بلغ الكرّ من الحنطة مائة دينار، والشعير خمسين دينارًا.

وفيها، توفيت هاجر[٣] أم الخليفة المستعصم بالله، ودفنت في تربة بَنَتْها لنفسها بجانب رباطها المعروف بالمستجد بغربي بغداد بشارع ابن رزق الله، وكانت على قاعدة جميلة، راغبة في فعل الخيرات والمواصلات للفقراء، حجّت في خلافة ولدها وتصدّقت تلك السنة بأموال كثيرة.

وتوفي الأمير قيران الناصري[٤]، كان مقطع الكوفة وولي إمارة الحاج ودُفِن في تربة بناها لنفسه بمقبرة الإمام أحمد بن حنبل، قيل: كان عمره ثمانين سنة.

وتوفي نظام الدين أبو المعالي هبة الله بن الحسن ابن الدوامي[٥]، وقد جاوز عمره أربعًا وثمانين سنة، وكان جوّادًا فاضلًا، رتبه الناصر في عدّة خدمات، وجعله صاحب ديوانه، سنة إحدى عشرة وستمائة، وعزله سنة ثلاث عشرة، وكان الصدور والأكابر يترددون إلى. . .[٦] في مقبرة الشونيزي، وكان حسن السيرة في خدماته مشكورًا، له مواصلات وصدقات كثيرة.

وتوفي عضد الدين أبو الفتوح المبارك[٧] ابن رئيس الرؤساء ابن المنسلة، وعمره

---

(١) أورد ابن شاكر هذا الخبر في حوادث سنة ٦٤٥ هـ، انظر: عيون التواريخ (١٣/٢٠).

(٢) ورد الخبر في العسجد المسبوك (ص ٥٥٤)، بيد أنه ذكره في حوادث سنة ٦٤٥ هـ.

(٣) ورد في العسجد المسبوك خبر وفاتها ضمن حوادث سنة ٦٤٥ هـ. انظر (ص ٥٥٥).

(٤) تقدم ذكره وترجمته، وقد جعل صاحب العسجد وفاته سنة ٦٤٥ هـ. انظر: العسجد المسبوك (ص ٥٥٢).

(٥) تقدمت ترجمته، وقد جعل صاحب العسجد وفاته في سنة ٦٤٥ هـ. انظر: العسجد المسبوك (ص ٥٥٨)، وكذلك في العبر (١٨٧/٥)، والشذرات (٢٣٣/٥).

(٦) مطموسة في الأصل.

(٧) أبو الفتح (وفي العسجد: أبو الفتوح) المبارك ابن الوزير محمد بن عبد الله بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر ابن رئيس الرؤساء، ذكره صاحب العسجد، غير أنه ذكر وفاته في سنة ٦٤٥ هـ. انظر: العسجد المسبوك (ص ٥٦٠)، وفيه: كان مولده في سنة ستين وستمائة، ولعلّه أراد خمسمائة، =

خمس وثمانون سنة، وكان أديبًا فاضلًا مهندسًا متقنًا لأكثر الفنون، كان أبوه وزيرًا للمستضيء[١]، وخدم هو في خدمات كثيرة، رتبه الخليفة الناصر مرة صدرًا للمخزن، فلم يكن عنده معرفة ولا كفاية، قيل: إنه خرج مرة إلى طريق خراسان واستصحب معه طيورًا، كتب على الجناح يومًا: «سرح هذا الطائر ورفيقه يوم كذا من شهر كذا،وقد استخرج بديوان بعقوبا من البقايا خمسة وتسعون دينارًا»، فلما رفع ذلك إلى الخليفة استجهله وأمر بعزله، فلزم منزله منقطعًا إلى مراجعة العلوم، وبنى رباطًا إلى جانب داره بقصر عيسى[٢] مجاور جامع فخر الدولة ابن المطلب ووقف عليه وقوفًا كثيرة، فلما توفي رثاه تلميذه موفق الدين أبو المعالي بن هبة الله بن أبي الحديد بأبيات، منها:

انظر إلى العلياء كيف تزول ... ومراتب الأحوال كيف تحول

واعلم بأن الدهر ليس بحافظ ... عهدًا ولا هو للأنام خليل

مات الذي كنا نعيش بفضله ... ولسوف يتلو الفاضل المفضول

وفيها، عزل عماد الدين يحيى بن المرتضى النيلي عن صدرية المخزن، وأعيد إليه فخر الدين محمد بن أبي عيسى الشهرباني بعد أن بقي بطّالًا أربع سنين.

وفيها، أحضرت إلى الديوان ببغداد عناق[٣] لها أربع آذان وأربع أيدي وأربع أرجل، وهي منفصلة من حدّ العنق ببدنين، لكل بدن بطن وأضلاع وفخذان ورجلان، ولكل بدن ذنب ودبر وفرج.

وفيها، رتب تاج الدين محمد بن... نقيب العباسيّين[٤] بواسط عوض أبيه الدراج، وخلع عليه في دار الوزير، ورتب عبد العزيز ابن الطراح مشرف واسط.

= وكذلك في تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ١ ص ٤٤٨)، وانظر كامل ابن الأثير في حوادث سنة ٦٠٥، والجامع المختصر (٩/٢٤٦).

(١) تولى الوزارة للمستضيء عندما ولي أمر الخلافة سنة ٥٦٦ هـ، وعزله سنة ٥٦٧ هـ، ثم أعاده فكان على ذلك إلى أن عزم على الحجّ، فعرض له ثلاثة من الباطنية وقتلوه. انظر: الفخري (ص ٢٣٣)، ومختصر التاريخ (ص ٢٤٠).

(٢) منسوب إلى عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس، بناه أيام المنصور على شاطئ نهر الرفيل عند مصبّه في دجلة، قال ياقوت: وهو اليوم في وسط العمارة من الجانب الغربي، وليس له أثر الآن، إنما هناك محلة كبيرة ذات سوق تسمّى قصر عيسى. معجم البلدان (٤/٣٦١).

(٣) العناق: بفتح العين، الأنثى من ولد المعز. وورد هذا الخبر في العسجد المسبوك (ص ٥٦٢).

(٤) انظر الخبر في: العسجد المسبوك (ص ٥٦٤).

وفي يوم عيد الفطر، أنهى محمد بن صليجان[١] ناظر ديوان التَّرِكات[٢] إلى الديوان، أن مدينة السلام خلت عن ميت سوى طفل صغير «بدرب نصير».

ذكر تواتر الأمطار وزيادة دجلة[٣]

وفي شوال، تواترت الغيوث حتى امتلأت البواليع واستجدّ عوضها وامتلأت أيضًا، وتعطّل على الناس معظم أشغالهم، وكان ذلك عامًا ببغداد وتستر وإربل والموصل وغير ذلك من البلاد، ودام حتى منع الناس عن الزرع وغرقت القرى وهدمت الدور وتشعثت قلعة إربل، وانهدمت قلعة الكرخيني بالمرة، وامتلأت الزابات، وتجمر الماء بدجلة وزادت زيادة عظيمة، غرقت الشطانيات بالجانب الغربي من بغداد، ومن فتحة انفتحت فوق قبر أحمد بن حنبل، غرق منها محلة الحربية والكرخ والمارستان والخلد[٤] ودار بختيار والسوق بأسره، من رباط الخلاطية إلى القنطرة، وقطعة من محلة قطفتا والشيخ بأسره والجنبشة. ووقع قطعة من جامع فخر الدولة الحسن بن المطلب وقطعة من سور المشهد الكاظمي على ساكنه السلام، وجامع الحربية بأسره، وانتقل الناس من مساكنهم القريبة من دجلة إلى المواضع العالية، وساخ مسجد مجاور رباط ابن جهير على دجلة، يعرف بمسجد عشائر[٥] كان به حجرة ورواق وسقاية، ولم يبق لم أثر، ولم تبلغ هذه الزيادة تلك التي كانت سنة أربع عشرة وستمائة، وغرق في الجانب الشرقي ما كان ظاهر السور من مساكن كانت استجدّت منذ أيام الخليفة المستنصر بالله، وبولغ في عمارتها، وكان بها أسواق مادة، وحمامات وبساتين مثمرة، حتى كادت تشبه حاضرة حلب أو سوق التركمان بالموصل، كان ذلك مما يلي سوق العجم، واجتمع بها خلق كثير من الزعماء

(١) محمد بن صليجان، سيذكره المؤلف عَرَضًا في حوادث سنة ٦٥١ هـ.
(٢) وتسمى أيضًا المواريث الحشرية، ويتولّى صاحبها النظر في مواريث من يموت ولا وارث له، أو له وارث لا يستفرق ميراثه. انظر: صبح الأعشى (٤/ ٣٣).
(٣) انظر العسجد المسبوك (ص ٥٦٤).
(٤) قصر الخلد، بناه أبو جعفر المنصور بين سنتي ١٥٧ ـ ١٥٨ هـ، على شاطئ دجلة، فوق مصبّ نهر الصراة بدجلة، ونزله المنصور فأصبح مقرّه الرسمي، إلا أنه توفي نفس السنة، وكان الأمين ينزله أثناء خلافة والده، فلما أفضت إليه انتقل إلى قصر المنصور، ونزل المأمون قصر الخلد عندما استخلف. انظر: الطبري (٨/ ٥٢ و٥٦ و٣٦٥).
(٥) مسجد عشائر، بناه المستنصر بالله، قال ابن الكازروني: «وبنى مسجد عشائر، المطل على كرسي الجسر العتيق بالجانب الغربي، وجدّده أحسن تجديد، وذلك في سنة ٦٣٦ هـ». انظر: مختصر التواريخ (ص ٢٦١).

والأجناد، فهدم الماء معظم ذلك وتلف من الأمتعة والغلات شيء كثير، ونبع الماء من أساس حائط المدرسة المستنصرية ومن دار سنقرجا زعيم خوزستان المجاورة للمستنصرية، ومن مسجد الحضائر المعروف بأم الناصر المجاور لهذه الدار، وامتلأت الطريق وامتنع الناس من الجواز إلى هناك من باب سوق المدرسة إلى باب مشرعة الإبريين[١]، وكان من حيث تزايد الماء في دجلة، تقدم بإحكام القورج[٢]، وخرج الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي إلى هناك ونزل عن فرسه وحمل باقة حطب فوافقه كافة الناس، واشتدّ العمل، فاتفق أن دجلة نقصت فأنشد الشعراء في ذلك أشعارًا، فمن جملة من قال في هذا المعنى، موفق الدين القاسم بن أبي الحديد ارتجالًا ولم يورده لكثرة الزحام، وهو:

تلقيت دجلة لما طغت ... وخاف البرية من مائها
بوجهٍ يشابه بدر السما ... ء وكفّ حكت جود أنوائها
فلما رأتك رأت عالمًا ... يطب المصالح من دائها
فولت حياء كما تنزوي ... القبيحة من جنب حسنائها[٣]

ثم زادت في ذي الحجة، زيادة مفرطة أعظم من الأولى، فانفتحت في القورج فتحة وصاحب الديوان فخر الدين ابن الدامغاني هناك، فنجا بنفسه مسرعًا ودخل البلد، وانفتحت أخرى إلى جانب دار المسناة وأحاط الماء ببغداد، وكان الهواء شديدًا فهدم من السور الآخر عدة أبراج وخرج من مرامي النشاب، فأحكمت هذه المواضع، وهدم السور الطيني وأخذ ترابه لأجل ذلك، فأخذ الماء في النقيصة بعد ذلك بأيام بعد أن خرج من باب الغربة، فرمى ما بين يديه من الحيطان والخانات، وغشي رباط شيخ الشيوخ[٤] وما يجاوره، ودخل درب السلسلة[٥] فلم يبق به دار إلا هدمها، ولم

---

(١) مشرعة الإبريين، أي الذين يبيعون الإبر، وهي على ما حققه مؤلف «دليل خارطة بغداد»: شريعة سوق السموأل حاليًا، انظر (ص ١٥٧ و١٥٨) منه.

(٢) القورج: نهر بين القاطول وبغداد. قال ياقوت: منه يكون غرق بغداد كل وقت تغرق. معجم البلدان (٤/ ٤١٢).

(٣) وأورد صاحب العسجد المسبوك (ص ٥٦٥) أبياتًا أخرى لعلي ابن الوكيل.

(٤) قال الدكتور مصطفى جواد: ويترجح عندنا أنه كان عجل خان جقال المعروف عند العامة (بجقان). انظر: الجامع المختصر (ص ١٣٧) «الحاشية».

(٥) درب السلسلة: قال الدكتور جواد: فدرب السلسلة هو سوق الصفارين الحالي، على ما ظهر لنا. انظر: حاشية الصفحة (٣٨) من الجامع المختصر.

يتمكّن أحد من أهل هذه المواضع من نقل شيء مما لهم بها، بل نجوا بأنفسهم، ووقعت الدور على ما فيها، ووصل إلى البدرية ودار الخليفة والريحانيين[١] ودار الوزير وباب العامة، وتعذّر سلوك هذه الأماكن وانهدمت الدور الشطانيات بأسرها وسوق المدرسة ودرب المسعود[٢]، وأقام الماء في المدرسة النظامية ستة أذرع وغرقت محلة الرصافة، ووقع أكثر دورها وسورها وغشي قبور الخلفاء رضوان الله عليهم، وهدم مشهد عبيد الله[٣] ورباط الأصحاب المجاور له، وأمّا الجانب الغربي فغرق بأسره من محلة الحربية إلى الخليلات، وانهدمت معظم الدور، ولم يسلم سوى بعض باب البصرة والكرخ وأمّا المشهد الكاظمي على ساكنه السلام، فإنه هدم سوره ودوره فأقام على الضريحين الشريفين بحيث لم يَبِنْ من الرمامين سوى رؤوسهما ودخل الماء جامع المنصور وهدم رباط الزوزني، ودخل رباط الحريم بعد أن بولغ في تعليته، وغرق المحلة التي بالحريم والترب التي للخلفاء بها، وهم المعتضد والمكتفي والقاهر والمستكفي والمتقي.

وفيها، اشتدّ البرد يوم نزول الشمس برج الحمل وعاد الناس لبس الفرو، وكاد الماء يجمد فنظم موفق الدين بن أبي الحديد في ذلك:

أتى فصل الربيع وكان فصل ... به جمدت من البرد المياه

تشابهت البروج وليس بدعًا ... فبين الجدي والحمل اشتباه

وفيها، سعى علي ابن الإربلي من دقوقا إلى بغداد، فوصل بعد العصر وفضل على معتوق الموصلي المعروف بالكوثر نصف ساعة[٤] ودار حول الكشك شوطًا، وخرج إلى التفرج عليه الخليفة المستعصم بالله وأولاده وجلسوا في الكشك إلى حين وصوله، وكان هذا المذكور مختصًا بخدمة الأمير مبارك ولد الخليفة، فأمر له بفرس من مراكبه وخلعة وذهب، ودار من الغد في البلد بالطبول والبوقات فحصل له شيء كثير.

---

(١) سوق الريحانيين: في الجانب الشرقي من بغداد قرب دار الخلافة.

(٢) درب المسعود: كان من جواد المدرسة النظامية، وهو درب نافذ به دروب غير نافذة يفضي إلى درب دينار الصغير. قال الدكتور جواد: وهذا الوصف يدل على أنه كان قرب سوق الصفارين والبزازين، ولعلّه الدرب الذي فيه خزانة كتب المتحف العراقي. انظر: تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٣ ص ٦٥) (الحاشية).

(٣) تقدم في حوادث سنة ٦٣٩ هـ أنه عبيد الله بن محمد بن عمر العلوي.

(٤) ورد الخبر في العسجد المسبوك (ص ٥٦٦) وفيه: «وفضل على معتوق الموصلي المعروف بالكوثر نصف ساعة زمانية وسبع دقائق».

وفيها، فقد التقي ابن كلالة التاجر[١] من صندوق له ألف دينار، فأشكل عليه الأمر في ذلك وحار فكره في من فعله، فكتم الحال نحو خمسة عشر يومًا، فظهر له أن مملوكين صغيرين أحدهما هندي والآخر حبشي قد طلبا غفلة وكسرا قفل الخزانة وأخذا ذلك، لأنهما اكتريا دارًا واتفقا فيها على الفساد فأخذهما وضربهما، فاعترفا وأحضرا المال، فلم يشذ منه سوى مائة دينار، ثم حملهما إلى أستاذ الدار فأقرّا بأنهما سرقا مالًا آخر من تاجر يجاور دار سيدهما، فأمر بحبسهما، وهذا الفعل من ابن كلالة يدل على عقله وثباته، لأنه لو أشاع ذلك واتّهم جيرانه ربما أفضى إلى ضياع المال وستر حال المملوكين، لأنهما لم يكن يؤبه لهما ولا يظن فيهما ذلك لصغرهما.

وفيها، توفي الحريري[٢] الفقير الدمشقي بها، كان له زاوية يقصده فيها الفقراء وغيرهم، وكان يعاشر الصبيان الأحداث، وكان الناس يكثرون القول فيه ويقولون إنه إباحي وما كان عنده مراقبة ولا مبالاة بمن يقول عنه بل يدخل معهم الحمام ويعتمد ما يسميه الفقراء تخريبًا[٣]، والفقهاء ينكرون[٤] فعله، حتى إن السلطان أخذه مرارًا وحبسه وهو لا يرجع عن ذلك، ومع هذا كان من وقع نظره عليه من الأحداث وأولاد الأجناد والأمراء وغيرهم يحسن ظنّه فيه ويميل إليه ولا يعود ينتفع به أهله، بل يلازمه ويقيم عنده اعتقادًا فيه وميلًا إليه، وكان فيه لطف ويقول شعرًا؛ فمن قوله:

كم تتعبني بصحبة الأجساد ... كم تشهرني بلذّة الميعاد

جُدْ لي بمدامة تقوي رمقي ... والجنّة جُدْ بها على الزهّاد[٥]

---

(١) ذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٤٠ هـ.

(٢) علي بن الحسين بن المنصور البسري، الشيخ أبو الحسن الحريري له ترجمة في فوات الوفيات (٢/ ٨٨) وفيه: أنه توفي سنة ٦٤٥ هـ. وانظر: الذيل على الروضتين (ص ١٨٠) وفيه: «الشيخ علي المعروف بالحريري المقيم بقرية بسر في زاويته، وكان يتردّد إلى دمشق، وتبعه طائفة من الفقراء وهم المعروفون بالحريرية أصحاب الزي المنافي للشريعة». وانظر: عيون التواريخ (٢٠/ ١٤)، والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٥٩).

(٣) كذا في الأصل.

(٤) وفي ذيل الروضتين (ص ١٨٠): أنهم أفتوا بقتله.

(٥) البيتان في الوافي بالوفيات (٢/ ٨٨).

وفيها، توفي جمال الدين أبو الحسن علي بن يحيى ابن المخرمي[١] المعروف بالمخرمي، شاب فاضل أديب حافظ للقرآن المجيد، كان ينوب أخاه فخر الدين المبارك ابن المخرمي إلى أن عزل ووكل بهما[٢]، فلما أفرج عنهما تشاغل جمال الدين بالعلم وزيارة أصحابه وإخوانه وألف كتابًا مختصرًا سماه «نتائج الأفكار»، يشتمل على رياضة النفس ومدح العقل وذمّ الهوى، وكان يقول شعرًا جيدًا، وله أشعار كثيرة، ورثاه أخوه فخر الدين بقوله:

لقد شفني وجدي وضاقت مذاهبي ... وحل عزائي بعد موت المخرمي

أخي وابن أمي والذي كان ناظري ... وسمعي وروحي بين لحمي وأعظمي

رزتك المنايا وكنا[٣] ولو أنصفت ... لقد كان من قبل التفرّق مأتمي

ترحلت عن دار الفناء مطهرًا ... من الذام فأبشر بالسلامة وأنعم

فإن حال ما بيني وبينك تربة ... مجاورة السبط الإمام المكرم

إليك تراني قد حثثت مطيّتي ... وعن كثب يأتي البشير بمقدمي

فوالله ما أسلوك دون منيّتي ... وحبك من قلبي كما كنت فاعلم

فلا طلعت شمس إذا كنت غائبًا ... ولا سار بدرٌ في الدجى بين أنجم

ولا نسمت ريح الصبا بعد بعدكم ... ولا راق لي عيش ولا لذ مطعمي

سأبكيك ما دامت حياتي فإن جرى ... من الدمع تقصير سأتبعه دمي

وشكري لما أولاك حيًا وميتًا ... من البرّ ما قد كَلّ عن نشره فمي

أبو الطيب الوافي الذي فاق فضله ... وإنعامه أربى على كل منعم

الإشارة بذلك إلى شهاب الدين ريحان السكيني[٤]، فإنه وفى له حيًا وميتًا، وبالغ في برّه وتجهيزه ودفنه، فإنه أوصى أن يدفن في تلّ قريب من مشهد الحسين عليه السلام، وأن يكون تابوته مكشوفًا ليس عليه غطاء ولا ثوب ولا يقرأ بين يديه قرّاء الألحان، بل جماعة فقراء يقرؤون تلاوةً وجماعة يسبحون الله تعالىٰ ويهلّلونه ويحمدونه، ففعل ذلك كله.

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية (١٣/ ١٧٥) وهو فيه (المحرمي) من خطأ الطبع، والأعلام (٥/ ١٨٥)، والمخرم كما تقدم محلّة ببغداد.

(٢) تقدم خبر ذلك في حوادث سنة ٦٤٣ هـ.

(٣) كذا في الأصل، وهو مختل الوزن.

(٤) خادم إقبال الشرابي، ذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٤٤ هـ، كما سيذكر وفاته في حوادث سنة ٦٥١ هـ.

وفيها، توفي أبو الحسن علي بن يوسف القفطي[1] المعروف بالقاضي الأكرم وزير حلب، مولده بمدينة قفط من أعمال الصعيد الأعلى بمصر، كان غزير الفضل والأدب، قد احتوى على فنون العلوم كالنحو واللغة والفقه والحديث وعلم القرآن والأصول والمنطق والنجوم والهندسة، وفاق في النظم والنثر، وله تصانيف كثيرة في عدة فنون، فمن شعره[2]:

ضدّان عندي قصّرا همّتي ... وجه حيي[3] ولسان وقاح
إن رُمْت أمرًا خانني ذو الحيا ... ومقول[4] يطيعني في النجاح
فانثني في حيرةٍ منهما ... لي مخلب ماضٍ وما من[5] جناح
شبه جبان فرّ من معرك ... خوفًا وفي يمناه عضب الكفاح

وله في أعور[6]:

شيخٌ لنا يعزى إلى منذر ... مستقبح الأخلاق والعين
من عجب البحر[7] فحدث به ... بفرد عين ولسانين

(١) علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد الشيباني القفطي، ولد بقفط سنة ٥٦٨ هـ، ورحل به أبوه إلى القاهرة، وبها قرأ الكتب، ثم خرج إلى الشام وأقام بحلب فتولى بعض الأعمال للميمون القيصري، ثم ولي الوزارة للملك العزيز وابنه حتى وفاته، وكان أديبًا شاعرًا متضلّعًا في علوم اللغة وغيرها مولعًا بجمع الكتب، ولم يكن له دار ولا زوجة ولما احتضر أوصى بكتبه للناصر صاحب حلب. ومؤلّفاته كثيرة، طُبع منها: «أخبار العلماء بأخبار الحكماء» و«إنباه الرواة على أنباه النحاة»، ومن مؤلفاته: «الصاد والضاد» أو «الفاء والضاد»، و«الدر الثمين في أخبار المتيمين» وفي بعض المصادر «المنتمين»، و«أخبار المصنفين» و«تاريخ مصر» و«تاريخ اليمن» و«الحلي والثياب» و«إصلاح خلل صحاح الجوهري» و«الكلام على الموطأ» و«أخبار السلجوقية» وغيرها. انظر: عيون التواريخ (٢٠/٢٦) وفيه: أنه ولد سنة ٥٦٠ هـ، والطالع السعيد (ص ٢٣٧) وفيه: «ولادته سنة ٥٦٣ هـ»، وشذرات الذهب (٥/٢٣٦)، والعسجد المسبوك (ص ٥٦٧)، والعبر (٥/١٩١)، وتاريخ مختصر الدول (ص ٢٧٢)، ومعجم الأدباء (١٥/١٧٥)، ومعجم البلدان (٤/٣٨٣)، والأعلام (٥/١٨٧).

(٢) الأبيات في عيون التواريخ (٢٠/٢٧)، وفوات الوفيات (٢/١٩٢)، ومعجم الأدباء (١٥/ ١٧٩).

(٣) في عيون التواريخ: «وجه حبيبي»، والصواب ما أثبتناه.

(٤) في معجم الأدباء: «مقولي».

(٥) في عيون التواريخ: «ومالي».

(٦) البيتان في معجم الأدباء (١٥/ ١٨٠).

(٧) كذا في الأصل، وفي معجم الأدباء: «الدهر»، وهو الصواب.

وكان محبًا للكتب، جمع منها ما لم يجمعه أحد أبناء جنسه؛ لأنه غالى في أثمانها، فقصد بها من الآفاق، ولم يكن له ولد ولا زوجة ولم يخلف سوى أخيه[١]، ووصى بكتبه للسلطان[٢]، فأخذها ولعلها تساوي خمسين ألف دينار.

وفيها، خرج شيحة[٣] أمير المدينة في نفر يسير فلقيه جماعة من «بني لأم» وكان بينهما دم فحاربوه وقتلوه واحتزّوا رأسه وسلبوه، فملك بعده ولده الأكبر «عيسى»[٤]، وأنفذ من أحضر جثته ودفنت بالمدينة.

وفيها، حضر بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل مدينة ماردين وملكها ونهب وأسر[٥]، ومن جملة الأسرى «أيدمر» بيدار الكامل، وكان قد بلغه أنه سبّه وشتمه، فأمر بصلبه.

سنة سبع وأربعين وستمائة

وفي هذه السنة، قصد الفرنج مدينة دمياط وحصروها[٦]، فنفذ الملك الصالح أيوب ابن الكامل محمد صاحب مصر عسكرًا نجدة لمن كان بها من العسكر، وكان الملك الصالح مريضًا، فالتقى العسكران واقتتلا قتالًا شديدًا، فكسر المسلمون الفرنج، ثم عاد الفرنج وقاتلوا أشدّ قتال واستظهروا على المسلمين فانهزموا ودخلوا دمياط واغلقوا الأبواب، وكاتبوا الملك الصالح بالخبر، وكان قد سقاه الطبيب دواء مخدرًا وقال: «لا يزعج ولا ينبه»، فوصل الكتاب إلى خادمه فكتمه ولم ينبهه ولا ردّ عليه جوابًا، فكتبوا مرة أخرى، فلم يرد إليهم جوابًا ولا أعلمه، فأرجف الناس في

---

(١) مؤيّد الدين إبراهيم أقام بحلب أيضًا، وكان أديبًا كاتبًا. انظر: معجم البلدان (٤/ ٣٨٣).

(٢) هو الملك الناصر صاحب حلب.

(٣) انظر الخبر في: عيون التواريخ (٢٠/ ٢٧)، والعسجد المسبوك (ص ٥٦٤)، وفي صبح الأعشى (٤/ ٣٠٠) أنه قتل سنة ٦٤٧ هـ، وانظر ترجمته في: تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ١ ص ١٦٦).

(٤) في صبح الأعشى (٤/ ٣٠٠) أن أخاه «جماز قبض عليه سنة ٦٤٩ هـ وملك مكانه.

(٥) وقد ورد الخبر أيضًا في العسجد المسبوك (ص ٥٦٦)، وقد ذكر المؤلف أن المغول أخذوها صلحًا. «انظر حوادث سنة ٦٤٢ هـ».

(٦) ذكرت هذه الحادثة في البداية والنهاية (١٣/ ١٧٧)، والعبر (٥/ ١٩٢)، والشذرات (٥/ ٢٣٧)، والعسجد المسبوك (ص ٥٧٠)، وعيون التواريخ (٢٠/ ٣٠)، وقد وردت تفصيلًا في تاريخ مختصر الدول (ص ٢٥٨)، وفيها: أن الإفرنج دخلوا دمياط بدون تعب ولا قتال. ودمياط: مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم والنيل، وهي ثغر من ثغور الإسلام. معجم البلدان (٢/ ٤٧٢).

دمياط بأنه قد مات، فضعفت نفوس أهل البلد والعسكر أيضًا، فاجتمع أهل البلد وعزموا على الهرب والنجاة بأنفسهم وأولادهم وأحرقوا أبواب البلد، فأخذ العسكر بردهم فلم يوفقوا على ذلك، فنهبوا البلد نهبًا شنيعًا فازدحم أهل البلد في الأبواب وخرجوا عن آخرهم، وتلف منهم خلق كثير وبقي البلد خاليًا من أهله ومن العسكر، وقصدوا جميعًا مصر، فلما علم الفرنج بذلك دخلوا البلد وملكوه بغير كلفة ولا مشقة، وأمّا الملك الصالح فإنه أفاق من نومه، وسأل عن أخبار دمياط فقيل له عن الكتب الواصلة وعرضت عليه، فلما وقف عليها انزعج وأنكر على الخادم فعله، فعرفه أن الطبيب أشار بأن لا يزعج من نومه، فلما وصل العسكر وأهل دمياط إلى مصر عزم الملك الصالح على قتل الذين نهبوا أهل البلد[1]، فأشير عليه بترك ذلك لأجل قرب العدو منه فتركهم مديدة، ثم صلب نيّفًا وثمانين[2] زعيمًا، واستعاد من العسكر معظم ما أخذوه من الناس وأعاده عليهم.

وفيها، وصل الخبر إلى بغداد أن طائفة من المغول كبسوا إيوان خانقين وما يجاورها، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، ونهبوا أغنامًا كثيرة وأبقارًا وغير ذلك[3]، وساروا إلى «رانكاو» وفعلوا مثل ذلك، وانتقلوا إلى البت[4] والراذان[5] واعتمدوا أيضًا . . .[6] كذلك، فجفل الناس من طريق خراسان والخالص، ودخلوا بغداد، فخاف الناس وانزعجوا، وتقدم الديوان إلى الأمراء والعساكر بالخروج إلى ظاهر البلد، وتقدم إلى كافة أهل البلد برمي النشاب والاستعداد وتعليق السلاح في الأسواق والخانات والدكاكين والمبيت في الأسواق وإشعال الأضواء، ففعلوا ذلك بجانبي مدينة السلام، ونفذت الطلائع ومعهم الطيور ليخبروا بصورة الحال، فعادوا وأخبروا أن المغول عادوا، ودخلوا الدربند بعد أن قتلوا في «دقوقا» خلقًا كثيرًا وأسروا جماعة، وارتكبوا الفواحش بالنساء والصبيان، فحينئذ دخلت العساكر واطمأن الناس.

---

(١) في تاريخ مختصر الدول (ص ٢٥٩): أنه عزم على قتلهم لفرارهم وتركهم المدينة دون قتال. انظر: البداية والنهاية (١٣/ ١٧٧)، وعيون التواريخ (٢٠/ ٣٠).

(٢) في الشذرات (٥/ ٢٣٧)، والعبر (٥/ ١٩٢)، أنه صلب ستين شخصًا. وفي تاريخ مختصر الدول (ص ٢٥٩): «أربعة وخمسين أميرًا».

(٣) ورد ذلك في العسجد المسبوك (ص ٥٧١).

(٤) البَتّ: قرية كالمدينة من أعمال بغداد قريبة من راذان. معجم البلدان (١/ ٣٣٤).

(٥) راذان: راذان الأعلى والأسفل: كورتان بسواد بغداد تشتمل على قرى كثيرة. معجم البلدان (٣/ ١٢).

(٦) مطموسة في الأصل.

وفيها، نقل فخر الدولة الحسن بن المطلب من مدفنه بالإيوان الذي في جامعه على شاطىء دجلة، حيث وقع حائطه إلى مشهد موسى بن جعفر عليه السلام، تولى نقله النوّاب الذين ينظرون في وقوفه، وأرادوا نقله إلى موضع في الجامع فلم يجوز الفقهاء ذلك، وذلك بعد نيف وستين سنة من موته، وكان في السنة الخالية قد انشقّ حائط تربة الخليفة المستضيء بأمر الله، فنقل من مدفنه إلى موضع في التربة المذكورة[1]، ونقل معه سبعة توابيت فيها: أخته عائشة المعروفة بالفيروزجية، وولده أبو منصور[2]، وولدان[3] للظاهر، وزوجة الظاهر، ثم نقلوا في هذه السنة إلى الترب بالرصافة، ونقل أيضًا من الحريم الطاهري إلى الرصافة: المعتضد بالله بعد ثلاثمائة ونيف وخمسين سنة من وفاته[4]، وولده المكتفي[5] بعد ثلاثمائة وخمسين سنة، والقاهر[6] أخو المكتفي، بعد ثلاثمائة سنة، وابن أخي القاهر بعد مائتين وتسعين سنة، والمستكفي[7] بعد ثلاثمائة وعشر سنين.

وفيها، كتب إنسان فتيا مضمونها: هل الإيمان يزيد وينقص أم لا؟ وعرضت على جماعة فلم يكتبوا فيها. وكتب فيها ابن وضاح الحنبلي[8] وعبد العزيز

(١) توفي المستضيء سنة ٥٧٥ هـ، ودفن بدار الصخر من دار الخلافة، إلى أن نقل إلى تربة بالجانب الغربي على شاطئ دجلة سنة ٥٧٦ هـ. انظر: مختصر التاريخ (ص ٢٣٩).

(٢) هو أبو منصور هاشم، توفي سنة ٥٧٨ هـ، ودفن عند والده، مختصر التاريخ (ص ٢٤٠).

(٣) هما أبو جعفر المنصور، الذي أفضت الخلافة إليه فسمّي المستنصر بالله وتوفي سنة ٦٤٠ هـ، وأبو عبد الله العباس، توفي سنة ٦٣١ هـ، وبقية أولاده قتلوا عند اجتياح المغول بغداد. مختصر التاريخ (ص ٢٥٧).

(٤) توفي المعتضد بالله سنة ٢٨٩ هـ ودُفن بحجرة الرخام في دار محمد بن طاهر. انظر: مختصر التاريخ (ص ١٦٦).

(٥) المكتفي بالله، علي بن أحمد المعتضد، بويع له سنة ٢٨٩ هـ، وتوفي سنة ٢٦٥ هـ. انظر: مختصر التاريخ (ص ١٦٨).

(٦) القاهر بالله، محمد بن أحمد المعتضد، بويع له سنة ٣٢٠ هـ، وخلع سنة ٣٢٢ هـ، وسملت عيناه وتوفي سنة ٣٣٩ هـ. انظر: مختصر التاريخ (ص ١٨٦).

(٧) المستكفي، عبد الله بن علي المكتفي، بويع له سنة ٣٣٣ هـ، وخلع سنة ٣٣٤ هـ وسملت عيناه وحبس إلى أن مات سنة ٣٣٨ هـ. انظر: مختصر التاريخ (ص ١٧٦).

(٨) علي بن محمد بن محمد بن أبي سعد بن وضاح الشهراباني، الفقيه المحدث الزاهد، ولد سنة ٥٩١ هـ أو ٥٩٠ بشهرابان، وسمع بها الحديث، وقدم بغداد واشتغل بالعلم وأتقن العربية، وألف كتبًا منها: «الدليل الواضح في اقتفاء نهج السلف الصالح» و«الرد على أهل الإلحاد» وغير ذلك، توفي سنة ٦٧٢ هـ. انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٢/ ٢٨٢).

القميطي[١]، وبالغا في ذم من يقول: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، ثم سلمت إلى فقيه حنفي، فحبسها عنده ولم يكتب فيها، فانتهى حديثها إلى الديوان وتألم الحنفية من ذلك وقالوا: هذا يعرض بذم أبي حنيفة، فتقدم بإخراج ابن وضاح من المدرسة المستنصرية، ونفي ابن القميطي عن بغداد، فحمل إلى الحديثة وألزم المقام بها[٢].

ووصل إلى بغداد في هذه السنة شخص صغير الخلقة جدًا، يقال له أبو منصور الأصفهاني[٣]، وطوله ثلاثة أشبار وثلاثة أصابع، ومن كعبه إلى ركبته قبضة ولحيته طويلة، وعمره خمس وأربعون سنة، فحمل إلى الخليفة، فتقدم له بثياب ومال وأسكن في دار الخلافة وأجري عليه ما يحتاج إليه، ثم نقل إلى دار قريبة من دار الوزير، وكان فيه معاشرة وانطباع[٤].

وفيها، أمر الخليفة بعمارة سور مشهد موسى بن جعفر عليه السلام، فلما شرعوا في ذلك وجدوا برنية[٥] فيها ألفا درهم قديمة منها يونانية عليها صور، ومنها ضرب بغداد سنة نيف وثلاثين ومائة، ومنها ما هو ضرب واسط يقارب هذا التاريخ، فعرضت على الخليفة، فأمر أن تصرف في عمارة المشهد، فاشتراها الناس بأوفر الأثمان، وأهدي منها إلى الأكابر، فنفذوا إلى المشهد أضعاف ما كان حُمِل إليهم.

وفي حادي عشر ذي القعدة، أمر الخليفة بحمل مشدّتين إلى مشهد موسى بن جعفر عليه السلام، وتعليقهما على القبّتين الشريفتين، ثم تقدم بإزالتهما في خامس عشري الشهر المذكور.

---

(١) عبد العزيز بن محمد بن المبارك بن محمد القميطي، ذكره ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ١ ص ١٦٦)، (ترجمة عز الدين صالح بن أحمد الدقوقي).

(٢) الحديثة، وهي حديثة الموصل: بليدة كانت على دجلة بالجانب الشرقي قرب الزاب الأعلى. معجم البلدان (٢/ ٢٣٠).

(٣) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٢/ ٢٨٢).

(٤) ورد خبره في العسجد المسبوك (ص ٥٧٠).

(٥) البرنية: إناء من خزف. وقد تقدم في حوادث سنة ٦٤١ هـ أنهم وجدوا مثل هذه النقود في مقبرة باب حرب. قال دكتور جواد: وقيل ثلاث سنين من صنع هذا الكتاب (١٣٥١ هـ)، وجدت مثل هذه النقود قرب الكاظمية.

وفيها، رتب محمد بن حسين صدرًا بالأعمال الواسطية، بعد أن فصل عنها ابن يحيى البصري، واستقلّ بنظارة البصرة.

وفيها، توفيت ابنة[١] الخليفة المستعصم بالله، فأمر بدفنها في الدار التي أنشأها على نهر عيسى مجاور «شارع رزق الله»، وقنطرة الشوك[٢] المعروفة بدار سوسيان[٣].

ولم يحج أحد من العراق في هذه السنة.

سنة ثمان وأربعين وستمائة

وفيها، توفي الملك الصالح أيوب ابن الكامل صاحب مصر، وكان ولده غياث الدين تورانشاه[٤] مقيمًا في حصن كيفا[٥]، فكتم موته وروسل ولده فتوجّه على البر إلى دمشق فدخلها وملكها، وفرّق الأموال على العساكر وأصلح أحوال البلد وقرّر قواعده، وخرج متوجّهًا إلى مصر فوصلها واعتمد فيها مثل ما اعتمد في دمشق، وقيل: كانت وفاة الملك الصالح في شعبان سنة سبع وأربعين[٦]، ولقب غياث الدين بالملك المعظم وانتظمت أموره واستقرّ ملكه، ففرّق الأموال في الأمراء والعساكر

(١) ذكرها ابن الكازروني في مختصر التاريخ (ص ٢٧٦)، قال: ودفنت بالدار الزرقاء من دار سوسيان، ثم حوّلت إلى ترب الرصافة سنة ٦٥٠ هـ، وانظر: العسجد المسبوك (ص ٥٧٣) وفيه قصيدتا رثاء للقاسم بن أبي الحديد وأبي الفضل ابن العلقمي.

(٢) قنطرة الشوك: قال ياقوت: «قنطرة مشهورة معروفة على نهر عيسى في غربي بغداد، وهناك محلة كبيرة وسوق واسع». معجم البلدان (٤/٤٠٧).

(٣) دارسوسيان، نسبة إلى سوسيان بن إيلدغدي المعروف بابن شملة التركماني، كان قد استولى على بلاد خوزستان وتستر، بعد وفاة أبيه، وانتقلت منه إلى حكم الخلافة ببغداد سنة ٥٩١، وكان الساعي في ذلك الوزير ابن القصاب، وجاء سوسيان إلى بغداد ونزل على نهر عيسى في الموضع الذي عرف باسمه، وتوفي في المدينة سنة ٥٩٨ هـ. انظر: تلخيص مجمع الآداب (ج ٥ ترجمة ١٢٠٩)، والجامع المختصر (ص ٩٦)، وابن الأثير حوادث (٥٧٠، ٥٨٩، ٥٩٠)، ومرآة الزمان (٨/ ٤٤٥).

(٤) توران شاه، ومعناه ملك الشرق (انظر الوفيات ١/١٣٦)، وهو الابن الوحيد الباقي للملك الصالح الذي لم يوص بالملك لأحد.

(٥) حصن كيفا: وهي بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر. انظر: معجم البلدان (٢/ ٢٦٥).

(٦) وهو الصواب كما في العسجد المسبوك (ص ٥٧٤)، وعيون التواريخ (٢٠/ ٣٠)، وتاريخ مختصر الدول (ص ٢٥٨)، وتاريخ الخلفاء (ص ٤٦٥)، وشذرات الذهب (٥/ ٢٣٧)، والعبر (٥/ ١٩٥)، وتتمة المختصر (٢/ ٢٦٣)، والبداية والنهاية (١٣/ ١٧٧)، وخطط المقريزي (٣/ ٨٩).

وجهّزهم وسيّرهم إلى دمياط فقاتلوا من بها من الفرنج أشدّ قتال، فانهزم الفرنج وولوا مدبرين[١]، وأخذتهم السيوف، فقتل منهم زيادة على ثلاثين ألف[٢] إنسان، وأسر ما لا يحصى كثرة، واحتمى الملك أفرنسيس[٣] وجموعه في ضيعة تُعرف «بميناء»[٤]، وطلب الأمان فأجيب إلى ذلك، وتسلّموا دمياط وعاد أهلها إليها وعمروا ما تشعّث منها وقرّر على الفرنسيس مائتي ألف دينار[٥]، فرهن عندهم أخاه وولده وجماعة من عشيرته، فعند ذلك خلّي سبيله، فسار إلى بلاده ليحمل المال[٦]، وأمّا الملك المعظم فإن الأتراك البحرية[٧] أنكروا بعض سيرته فتحالفوا على قتله، وكان رأسهم في ذلك أمير يُعرف بعزّ الدين أيبك التركماني[٨]، فحضر عند السلطان وهو على المائدة وخاطبه في حاجة، فغلظ عليه فوثب أيبك وسلّ سيفه وضرب السلطان ضربة، فاتّقاها بيده

---

(١) كان قائد الجيوش المصرية الأمير فخر الدين يوسف ابن الشيخ، الذي قُتل عندما هاجم الفرنج مدينة المنصورة، وحدثت بعد ذلك معركة كبيرة في البر بين دمياط والمنصورة، انتصر فيها المصريّون انتصارًا باهرًا، وقد اتفق كسر الفرنج مع مقدم الملك المعظم. انظر: عيون التواريخ (٢٠/ ٣٢ و٤٣)، والعسجد المسبوك (ص ٥٧١).

(٢) كذلك في البداية والنهاية (١٣/ ١٧٧)، وفي العسجد المسبوك (ص ٥٧٥) ثمانين ألف وهو رقم مبالغ فيه، وفي الشذرات (٥/ ٢٣٩) كانت الأسرى نيفًا وعشرين ألفًا... وكانت القتلى سبعة آلاف، وخطط المقريزي (٣/ ١) ألف وخمسمائة.

(٣) ورد اسمه في بعض المصادر على صورة «الفرنسيس»، وفي تاريخ مختصر الدول (ص ٢٥٨): «ريدا فرنس» وتعني ملك فرنسا، وهو الملك لويس التاسع الذي قام بحملة صليبية على مصر انتهت بأسره في الثاني من محرم سنة ٦٤٨ هـ: ٦ نيسان ١٢٥٠م. انظر: حملة لويس التاسع على مصر لمحمد مصطفى زيادة (ص ٨٧) وما بعدها.

(٤) في عيون التواريخ (٢٠/ ٣٧): «منية أبي عبد الله».

(٥) في الشذرات (٥/ ٢٤٠) خمسمائة ألف، وفي خطط المقريزي (٣/ ٩١) أربعمائة ألف.

(٦) في عيون التواريخ (٢٠/ ٤٠): «وبقي الفرنسيس في الاعتقال إلى أن قتل الملك المعظم»، وفي تاريخ مختصر الدول (ص ٢٦٠) أنه سلم دمياط وأقام بعكا وبني قيسارية وأصلحها وأسكنها جماعة ثم عاد إلى بلاده.

(٧) الأتراك البحرية: هم مماليك الملك الصالح الذين لم يتخلوا عنه إبان محنته واعتقاله في الكرك، وهم الذين مهدوا له أخذ مصر من أخيه، فعظمت منزلتهم عنده فجعلهم أمراء مملكته، واستكثر منهم فكانوا دون الألف مملوك وسماهم البحرية. انظر: خطط المقريزي (٣/ ٩٠).

(٨) أحد المماليك الأتراك البحرية، كان قد انتقل إلى الملك الصالح من أولاد ابن التركماني، فعرف بالتركماني، ورقاه في خدمته حتى صار من جملة الأمراء، ولما مات الصالح قدّمه الأتراك وملكوه بعد مقتل تورانشاه ولقبوه الملك المعزّ، وتزوج شجرة الدر أم خليل حظية الملك الصالح التي قتلته فيما بعد. انظر: خطط المقريزي (٣/ ٩٠)، والبداية والنهاية (١٧/ ١٧٨ و١٩٩).

ونهض فدخل بيت الخشب، وأغلق عليه بابه، فقال الأترك لأيبك: «تمّم عملك»، فأراد أن يدخل عليه البيت فلم يقدر على ذلك، فدعا بنفاط وأمر أن يرمي البيت بقوارير النفط ففعل، فعلقت النار فيه فصعد السلطان إلى السطح وألقى نفسه إلى جهة البحر فاتّبعوه وقتلوه، ثم ألقوه في البحر، وكان قتله في آخر المحرم من هذه السنة[1]، وقيل: كان ذلك بمواطأة من زوجة أبيه الملك الصالح المعروفة بأم خليل[2] وهو ولد الملك المعظم، وكان صغيرًا[3] فاتفق الترك البحرية على أن يجعلوا أمرهم إليها في التدبير، فملّكوها وخطبوا لها بمصر وأعمالها، ونقشوا اسمها على سكّة الدينار والدرهم وكان الخطباء يقولون بعد الدعاء للخليفة المستعصم بالله: «واحفظ اللّهمّ الجهة الصالحة ملكة المسلمين عصمة الدنيا والدين أم خليل المستعصمية صاحبة الملك الصالح خليل أمير المؤمنين»، ولما قتل السلطان ثار أسرى الفرنج بمصر وفكّوا القيود من أرجلهم وقتلوا خلقًا كثيرًا، فأحاط العسكر بهم وقتلوا منهم زيادة على ثلاثة عشر ألف إنسان، ثم إن أم خليل عزلت نفسها عن السلطنة في آخر السنة[4]، وخطب بعدها للمعظم بن أقسيس ابن الملك المسعود بن . . .[5] وهو طفل.

---

(١) انظر: تاريخ مختصر الدول (ص ٢٦٠)، وعيون التواريخ (٢٠/ ٤٣)، وتتمة المختصر (٢/ ٢٦٦)، والذيل على الروضتين (١٨٥)، وخطط المقريزي (٣/ ٩٠) وفيه: «وبموته انقضت دولة بني أيوب من ديار مصر بعدما أقامت إحدى وثمانين سنة وسبعة عشر يومًا، وملك منهم ثمانية ملوك».

(٢) كانت من حظايا الملك الصالح نجم الدين أيوب، واسمها شجرة الدر التركية، واطأت البحرية على قتل الملك المعظم، وملكت الديار المصرية وخطب باسمها، وتزوّجها المعزّ، ثم قتلته، فتمالأ عليها مماليكه وقتلوها سنة ٦٥٥ هـ، وألقوها على مزبلة ثلاثة أيام. انظر: البداية والنهاية (١٣/ ١٩٩)، وتاريخ مختصر الدول (ص ٢٥٩)، وعيون التواريخ (٢٠/ ١١٢).

(٣) كذلك في العسجد المسبوك (ص ٥٧٦)، وفي البداية والنهاية (١٣/ ١٩٩)، وعيون التواريخ (٢/ ١١٣) أنه مات صغيرًا.

(٤) في خطط المقريزي (٣/ ٩١ ـ ٩٢): «فأقاموها في السلطنة، وحلفوا لها في عاشر صفر، وتزوج الأمير عزّ الدين أيبك التركماني بالملكة شجرة الدر ونزلت له عن السلطنة، وكانت مدّتها ثمانين يومًا، وأركبوه (عز الدين) بشعار السلطنة في يوم السبت آخر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين».

(٥) كذا في الأصل وأقسيس هو نفسه الملك المسعود وقد تقدمت ترجمته، وفي البداية والنهاية (١٣/ ١٧٨): «ثم أقاموا صبيًا من بني أيوب ابن عشر سنين وهو الملك الأشرف مظفر الدين موسى ابن الناصر يوسف بن المسعود أقسيس ابن الكامل، وجعلوا المعز أتابكة فكانت السكة والخطبة بينهما». وانظر: عيون التواريخ (٢٠/ ٤٨)، والنجوم الزاهرة (٧/ ٤)، وفي خطط المقريزي (٣/ ٩٢): «اجتمع رأي الأمراء على إقامة الأشرف مظفر الدين موسى بن الناصر، =

وفي المحرم، تقدم بمنع أهل الكرخ والمختارة من النياحة والإنشاد وقراءة مقتل الحسين عليه السلام، خوفًا من تجاوز ذلك إلى ما يؤدّي إلى وقوع الفتنة[١].

وفيها، صلب حسين بن تاج الدين ابن العلقمي نسيب الوزير مؤيّد الدين ابن العلقمي نفسه، وكان شابًا. وسبب ذلك أنه تنابذ هو ويهودي بقال، فأهانه فشكا منه، فطلب ليحضر إلى دار الوزير، فامتنع من الحضور وصلب نفسه.

وفيها، سأل عالي بن زخريا اليهودي الإربلي[٢] أن يرتّب رأس مشية اليهود فأجيب إلى ذلك وشافهه الوزير به ونفذه إلى أقضى القضاة، فأجلسه بين يديه وحمد الله وأثنى عليه وصلّى على محمّد ﷺ وقال له: «قد وليتك الزعامة على أهل شريعتك المنسوخة التي نسختها شريعة الإسلام أدامها الله ما دامت السماوات والأرض على أن تحكم بين المترافعين إليك منهم، فتأمرهم بما أمروا به في دينهم وتنهاهم عما نهوا عنه في دينهم»، ثم نهض من عنده ولبس طرحته في دهليز القاضي وخرج ومعه جمع من اليهود وأتباع باب النوبي ومعه تقليده الذي كتب له من الديوان.

وفيها، أنفذ الخليفة إلى الوزير علي بن عمر بن جلدك[٣]، شدة من أقلام، فكتب الوزير: «قبّل المملوك الأرض شكرًا للإنعام عليه بأقلام قلمت عنه أظفار الحدثان، وقامت له في حرب صرف الدهر مقام عوامل المران، وأجنته ثمار الأوطار من أغصانها وحازت له قصبات المفاخر يوم رهانها، فبالله كم عقد ذمام في عقدها وكم بحر سعادة أصبح من مدادها ومددها، وكم مُنادٍ حظ استقام بمثقفاتها، وكم صوارم خطوب فلت مضاربها بمطرور[٤] مرهفاتها، والله تعالىٰ ينهض المملوك بمفروض دعائه ويوفقه للقيام بشكر ما أولاه مولاه من جميل رأيه وجزيل حبائه

= ويقال المسعود يوسف ابن الملك المسعود يوسف، ويقال: حسن، ويقال أيضًا: أقسيس ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ـ شريكًا للمعزّ في السلطنة فأقاموه معه ـ وعمره نحو ست سنين ـ».

(١) ذكره صاحب العسجد المسبوك (ص ٥٧٥)، وأورد مثل هذا الخبر في حوادث سنة ٦٥٠ هـ (ص ٥٨٥).

(٢) انظر العسجد المسبوك (ص ٥٧٥) وفيه أن اسمه (غالي بن زخر).

(٣) كذا في الأصل، ولعله: على يد عمر بن جلدك كما تقدم في حوادث سنة ٦٤٥ هـ.

(٤) في الأصل: بمطروق وهو غير مستقيم المعنى، والتصحيح من الوافي بالوفيات (٢/ ٣١٣).

بمحمد وآله:

خوّلتني نعمًا تكاد تعيد لي … عصر الشباب وتدني منه أيّاما[1]
لم يبق لي أملٌ إلّا وقد بلغت … نفسي أقاصيه برًّا وإنعاما
تعطي الأقاليم من لم يبدِ مسألةً … جودًا فلا عجبًا أن تعط أقلاما
لأفتحنّ بها والله يقدرني … مصاعبًا أعجزت من قبل بهراما
إذا نسبن إلى خطّ[2] فإن لها … شبًا إذا أعملته يخرق الهاما
بالحمد والشكر أجريها لدولتكم … والرأي يحصد من أعدائها الهاما

طالع المملوك بدعائه الصادر عن ناصع ولائه والأمر أعلى وأسمى إن شاء الله تعالى»[3].

وفيها، حضر الأمير سيف الدين علي بن قيران عند الوزير وأستاذ الدار، وأنهى إليهما: أنه شاهد العدل شمس الدين علي بن النسابة خطيب جامع القصر في بستان يعرف بالديلمي ومعه جماعة رجال ونساء وهو على حالة منكرة، ثم شاع ذلك حتى تحدث به العوام والأسواق والأكابر في المحافل، فأنكر الخطيب ذلك وحلف على بطلانه، بل اعترف أنه كان في البستان المذكور بشبهة أن معظمه وقف على الترب بالرصافة وهو ينظر فيه، وأن الذين كانوا معه ولده وغلمانه وأصحابه، فقبل الديوان عذره، غير أن العوام أفرطوا في شنعته وكتبوا رقاعًا ورموها في الجامع تتضمن الشناعة على الخطيب، وامتنع جماعة من الحنابلة من الصلاء وراءه، ولم يكن في بغداد من يرجع عليه من الخطباء، وأثني على رجل يخطب بواسط يقال له: «العدل أبو المظفر عبد الله بن العباس الرشيدي»، فتقدم بإحضاره، فوصل في يوم جمعة، ودخل إلى الوزير فنفذه إلى الجامع وأهبته مع فراش وراءه، فخطب في ذلك اليوم وحضر بكرة السبت عند شيخ الشيوخ ابن النيار فلقيه بالبشر والإكرام وأنشده:

فلتهنك اليوم الولاية إنها … قصدتك من بلدٍ بعيد المنزع
لم تعطها أملًا ولم تشغل بها … قلبًا ولم تسأل لها عن موضع

---

(١) البيت غير مستقيم الوزن.
(٢) الخط المنسوب: الخط الذي ينسب إلى كاتب مجيد مشهور بجودة الخط، ويقلّده كاتب آخر.
(٣) انظر: الوافي بالوفيات (٢/ ٣١٣).

وقيل في الخطيب المعزول أشعار، منها ما قاله بعض الفقهاء بالمدرسة المستنصرية:

قل للخطيب تعزّ عن شرف مضى   وسعادة من جدّك المتناهي
إن الخطابة كالخلافة أقسمت   أن لا تكون لغير عبد الله
فتعلّقت بسمي مولانا كما   يتعلق العشاق بالأشباه
ولئن عزلت لما عزلت لريبة   بل أنت تحت أوامرٍ ونواهي
لكنما الأقدار ليس يردها   شرف الجدود ولا علوّ الجاه
فارج العواطف فهي تجبر كسر من   يرميه صرف زمانه بدواهي

وفيها، توفي عبد الغني بن فاخر[١]، مهتر[٢] الفراشين بدار الخليفة، وكان شيخًا ظريفًا لطيفًا، خاليًا من العلم حسن الزيّ مليح الملبوس كثير التنعّم متشبّهًا بالملوك في ترتيب داره، وكانت داره تشتمل على عدة حجر، في كل حجرة جارية وخادم، تسمّى تلك الحجرة باسم ذلك الخادم، كانت نفقته في الشهر زيادة عن مائة وخمسين دينارًا، عدا ما يحتاج إليه سطح الطيور وهو نحو عشرين دينارًا، وكان متهوسًا بحديث الجنّ، يزعم أنه يستحضرهم وينفذ فيهم أمره، قال الشيخ تاج الدين علي بن أنجب المعروف بابن الساعي[٣] رحمه الله: «قال لي مرّة أن جنيًّا اسمه شمردل تمرّد عليّ وخالف أمري وإني تألمت منه إلى ملك الجن فأمر بحبسه»، فقلت: «وأين ذلك الحبس؟» فقال: «في النجف»، فكنت أسأله دائمًا عنه فيقول: «هو على حاله في الحبس»، قال: وشفعت فيه مرة ليطلقه، فقال لي: أي شيء يعجبك منه حتى تشفع في إطلاقه، فإنه وحش الصورة قذر أحمق مؤذ، قلت: فيستتاب، قال: لا والله. وكنت أعجب منه كيف كان يقول ذلك بكليته مع دهاءٍ كان عنده ومكر وعدم غفلة، ورأيت في حمام داره مخاد[٤] جلود كبارًا وصغارًا، فسألته عن ذلك،

---

(١) ورد خبره في العسجد المسبوك (ص ٥٨٠)، والتطابق كبير هنا بين الحوادث والعسجد.

(٢) مهتر أو مهتار الفراشين أو بيت الفراش يكون صاحبها مسؤولًا عن بيت الفراش المشتمل على أنواع الفرش والخيام، وتحت يده جماعة من الغلمان مرصدون للخدمة فيها أثناء الحضر والسفر يعبر عنهم بالفرّاشين، ولهم درب خاصة بنصب الخيام وشدّ الأحمال وغير ذلك. انظر: صبح الأعشى (٤/ ١١).

(٣) علي بن عثمان بن عبد الله البغدادي، أبو طالب الخازن المؤرخ، تاج الدين من كبار المصنّفين، وأشهر مؤلّفاته «الجامع المختصر» توفي سنة ٦٧٤ هـ سيذكره المؤلف.

(٤) المخاد، ويعني بها الوسائد، وهو لفظ شائع عند العراقيين اليوم وواحدتها مُخدّة بتشديد=

فقال: هذه أجعلها تحت كعبي وركبتي ورأسي إذا نمت لأجل تدليك جسمي، ووقف داره على المارستان العضدي، وبنى تربة في المشهد الكاظمي ـ على ساكنه السلام ـ وعمل ضريحًا وصندوقًا وجعل في التربة فرشًا وربعة وقناديل وخادمًا، ووقف أملاكه على التربة والخادم، ومن يختار العقود هناك من معتقيه ومقرئ وفراش، وكان عمره نيفًا وسبعين سنة[1].

ولم يحج في هذه السنة أحد من العراق، بل حجّ جماعة من بغداد على طريق البصرة، فلما عادوا أخبروا أن أبا سعيد[2] أمير مكّة أغلق بابها ومنع الناس من الخروج، وأنه أخذ من كل إنسان دينارًا عن نفسه ودينارًا عن حمله، وأنه رتب بالحرم الشريف إمامًا للزيدية، يقول: «حيّ على خير العمل»، تقرّبًا بذلك إلى صاحب اليمن[3].

وفيها، رتب شرف الدين إقبال الشرابي عماد الدين بن ذي الفقار العلوي[4] مدرّسًا بالمدرسة التي أنشأها بواسط، حكي أنه لما حودث الشرابي في ترتيبه دخل بعض الخدم، وقال له: قد رأيت الليلة منامًا، فسأله عنه فقال: رأيت عليًا ـ عليه السلام ـ ومعه سيف في غمدٍ أخضر وقد ناولك إيّاه، وقال لك: هذا ذو الفقار، فأذن في ترتيبه.

وفيها، ظهر العيّارون[5] في بغداد، حتى إنهم صاروا يحضرون في جماعة ويأخذون ما يجدونه على وجه القهر والغلبة، ودخلوا بيوت الأمراء وجرحوا وفتكوا،

= الدال).

(١) في العسجد المسبوك (ص ٥٨١) (وعمره نحوًا من ثمانين سنة).

(٢) ورد خبره في العسجد المسبوك (ص ٥٧٩) بتطابق يكاد يكون تامًا، وهو كما في صبح الأعشى (٤/ ٢٧٣) أبو سعد الحسن بن علي بن قتادة العلوي غلب على مكّة سنة ٦٤٧ هـ، واستجاش عليه جماز بن حسن بن قتادة الناصر صاحب دمشق فجهز له جيشًا، وسار إليه وقتله سنة ٦٥١ هـ. وانظر: عمدة الطالب (ص ١١٦).

(٣) صاحب اليمن إذ ذاك الإمام المهدي لدين الله أحمد بن الحسين العلوي الذي قتل سنة ٦٥٦ هـ. انظر: فرجة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن (ص ٣١).

(٤) عماد الدين أبو ذي الفقار بن الأشرف ذي الفقار بن أبي جعفر محمد بن أبي حمصام ذي الفقار الحسني المرندي الشافعي، كان شيخًا فاضلًا زاهدًا قدم بغداد سنة ٦٣٠، رتّب فقيهًا في المدرسة المستنصرية ثم مدرّسًا في الشرابية بواسط، ولما فتحت المستنصرية بعد احتلال بغداد عيّن مدرّسًا بها، وكان مولده بمرند سنة ٥٩٦ هـ، وتوفي ببغداد سنة ٦٨٠ هـ. انظر: تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٢ ص ٢٥٣ و٣٨٤).

(٥) ورد خبر العيارين في هذه السنة من العسجد المسبوك (ص ٥٧٨).

ودخلوا دار قطب الدين سنجر البكاكي[١]، وكان قد أرجف بأنه يرتب شحنة بغداد وأخذوا منها جملة كبيرة.

وفيها، توفي فخر الدين عمر بن إسحٰق الدوراقي[٢]، كان يتولّى أشغال زعماء البيات، وينوب عنهم، وكان ذا مالٍ كثير فائض، وجاهٍ عريض، بنى بشرقي مدينة واسط جامعًا كان قد دُثِر، يُعرف بجامع ابن رقاقا، وعمّر إلى جانبه رباطًا، وأسكنه جماعة من الفقراء، ورتب فيه من يلقّن القرآن المجيد ويسمع الحديث، وأجرى عليهم الجرايات اليومية والشهرية، ثم أنشأ قريبًا من مدرسة الشرابي التي بشرقي واسط رباطًا آخر على شاطئ دجلة، وتربة دفن بها، ووقف عليها وقوفًا سنية، وكان قد تجاوز السبعين من عمره.

سنة تسع وأربعين وستمائة

فيها، اتّبع علي[٣] بن أبي الفتح بن أبي الفرج الوزير ابن رئيس الرؤساء صيرفيًا يهوديًا معه مال، فلما دخل داره هجم عليه وقتله وأخذ المال، فاستغاثت زوجته فقتلها أيضًا، وخرج فاتبعه الجيران وقبضوه وحملوه إلى باب النوبي، فقتل توسيطًا، وكان مشهورًا بالفساد مقدمًا على فعل المنكرات، ومن العجب أن أبا الفرج الوزير ركب في موكبه عازمًا على الحج فلما وصل باب قطفتا عرض له ثلاثة نفر من الباطنية في زيّ الصوفية وناولوه رقعة، فلمّا مدّ يده ليأخذها قتلوه فقتلوا في الحال، وجد هذا أبي الفرج وهو الوزير «رئيس الرؤساء» وزير الإمام القائم بأمر الله لما ظفر به ألب أرسلان[٤] البساسيري قتله بعد أن شهره وصلبه، وفي تصاريف الزمان عبر، نعوذ بالله ونسأله خاتمة الخير.

وفيها، توفي[٥] محمد بن أبي الفرج ابن رئيس الرؤساء، وكان رجلًا ساذجًا سليم الصدر، خدم الديوان أكثر عمره،

---

(١) قطب الدين أبو المظفر سنجر بن عبد الله المستنصري التركي ينسب إلى جمال الدين بكلك، رتّب شحنة بخزانة السلاح ثم شحنة الحلة، وعيّن في إمارة الحاج، وقتل صبرًا سنة ٦٥٦ هـ عند احتلال بغداد. انظر: تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٤ ص ٦٤٥).

(٢) أبو حفص عمر بن أبي بكر إسحٰق الدورقي، ذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٣٢ هـ عند ذكر فتح المدرسة الشهابية بواسط. انظر: معجم الآداب (ج ٤ ق ٣ ص ٢٦٧).

(٣) ورد خبره في العسجد المسبوك (ص ٥٨١).

(٤) هو أرسلان البساسيري، وقد تقدم ذكره عرضًا في حوادث سنة ٦٤٠ هـ.

(٥) انظر خبره في: العسجد المسبوك (ص ٥٨٥).

ذُكِر[١] أنه صنّف كتابًا وهو عدة مجلدات يحتوي على جميع العلوم، فطُلِب منه، فأحضر الجزء الأول فإذا فيه بعد البسملة: «باب فضيلة العلم وما ورد فيه من الآيات والأخبار والأشعار»، وباقي المجلد كاغد ليس فيه شيء مكتوب، فطلب منه الجزء الثاني فأحضره وهو كذلك، فطُلِب منه الجزء الذي بعده، فقال: لم أبوّبه. وله حكايات غريبة منها: أنه أحضر بناء وأمره ببناء دار يكون حائطها في غاية الإحكام والعرض بحيث إذا شرع العيارون في نقبه من آخر الثلث الأول من الليل يفرغون منه وقت السحر، فجعل البناء عرضه ست آجرات بالقالب الكبير، فلما فرغ أمر جماعة أن ينقبوه من الثلث الأول من الليل ففعلوا ففرغوا منه نصف الليل، فقال للبنّاء: زد ثلاث آجرات أخرى، وعاش حتى تجاوز الثمانين[٢] سنة.

وفيها، توفي جلال الدين عبد الله بن المختار[٣] العلوي الكوفي، كان عريق النسب، كبير القدر، أديبًا فصيحًا، حفظ القرآن في نيّف وخمسين يومًا، وكان إذا حضر مجلسًا بسط القول فيه وأكثر من الحكايات والأشعار والأخبار والسِّيَر، ندب إلى صدرية المخزن فاستعفى ولم يجب، وكان يحضر عند الخليفة الناصر في رمي البندق والفتوة ولعب الحمام، وكان يفتي فيه، ويرجع إلى قوله، ولم يزل على ذلك إلى أيام الخليفة المستنصر بالله، فأشار عليه أن يلبس سراويل الفتوّة من أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وأفتى بجواز ذلك، فتوجّه الخليفة إلى المشهد ولبس السراويل عند الضريح الشريف، وكان هو النقيب في ذلك، ورتب كاتب شرائح الطيور الحمام ولم يزل على ذلك إلى أيام الخليفة المستعصم، وضبط أنسابها في الدساتير، وكان مولده سنة سبع وسبعين وخمسمائة.

وفيها، ادّعى رجل أنه علويٌّ، وعمل دعوة، واستحضر جماعة فيهم رجل معه ولدٌ له صبي، فأطعم والده حلواء فيها مرقد، ثم فسق بولده، فلما أفاق شكا إلى الديوان، فأحضر الرجل وقُرِّر فاعترف، فتقدم بصلبه، فذكر أن له بالموصل مالًا كثيرًا، وسأل أن يؤخذ منه ويعفى عنه، فقيل له: من أين لك هذا المال؟ فقال: كان في جواري شيخ مريض وكنت أتولّى حاله، فجعلت له في بعض ما يسقى سمًّا

---

(١) في العسجد المسبوك (ص ٥٨٥): قال ابن الخازن ذكر لي أنه... الخ. الخبر.

(٢) في العسجد المسبوك: «وقد جاوز ستين سنة».

(٣) من بني المختار العلويين الحسينيين. جاء في عمدة الطالب (ص ٢٦١): أما أبو علي عمر المختار بن أبي العلا مسلم، ويقال لعقبه إلى الآن بنو المختار.

فمات، فأخذني صاحب الموصل فعرضت عليه نسبي فخلّى سبيلي، وأخذ المال منه، فلم يلتفت إليه، وتقدم بصلبه.

ذكر الشيخ ظهير الدين ابن الكازروني[١] رحمه الله في تاريخه بخطه، قال: «كنت أتولّى عمارة الرباط المستجد، فجاءني شقاق الصخر وقال لي: قد رأيت عجبًا وينبغي أن تشاهده فقمت معه وأراني صخرة قد انفلقت عن موضع قد تعدّاه المنشار، وفيه أوراق خضر ودودة تضطرب، فأخذت الدودة والورقة وجعلته في قرطاس وختمت عليه، وحملته إلى الشيخ صدر الدين ابن النيار فحمله إلى الخليفة، فعجب من قدرة الله عزّ وجلّ، ثم إن الخليفة حضر وشاهد الصخرة ولم يكن عليها سبيل من ظاهرها».

وفيها، وصل رسول صاحب اليمن إلى بغداد يخبر أن خارجيًّا خرج وادّعى الخلافة واجتمع معه خلق كثير، وأنه أخرج إليه طائفة من عسكره وقابلوه فانهزم وقتل أكثر أصحابه[٢].

وفيها، تزوج مقلد[٣] بن أحمد ابن الخردادي التاجر ببغداد ابنة عمٍّ له على صداق مبلغه «مائة ألف دينار»، ولم يسمع مثل هذا إلّا عن الخلفاء والملوك، وهذا أحمد المذكور قدم بغداد بعد وفاة أبيه وقد خلف مالًا كثيرًا، فأقام بها، ثم سافر إلى خراسان واتّصل بملوك المغول وتحدّث مع السلطان كيل خان في الصلح مع الخليفة، وقدم بغداد مع رسول السلطان، ثم عاد ومعه الهدايا والتحف، وتوفي سنة اثنتين وخمسين ببغداد.

---

(١) علي بن محمد بن محمود بن أبي العزّ البغدادي المعروف بابن الكازروني، ولد سنة ٦١١ هـ، وتوفي ببغداد سنة ٦٩٧ هـ، كان مؤرخًا راويًا للحديث، ومؤلفاته كثيرة منها: «مختصر التاريخ» الذي اعتمدناه في تحقيق بعض فصول هذا الكتاب، وتاريخه المشار إليه هو «روضة الأديب» وهو تاريخ جليل لم يعثر إلّا على نقول منه تدل على جزالة فوائده. انظر ترجمته في: مقدمة مختصر التاريخ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد.

(٢) في العسجد المسبوك (ص ٥٨٢): «وفي شهر ربيع الأول وصل الخبر أن صاحب اليمن يوسف بن عمر بن علي بن رسول الملقّب بالمظفر، جرّد عسكر لمحاربة الزيدي الخارج باليمن، فاستولى على عسكره وظفر بهم، وقتل منهم طائفة وأخذ عليهم مدينة صنعاء وملكها». وانظر: البداية والنهاية (١٣/١٨١).

(٣) ترجمه ابن الفوطي في التلخيص (ج ٤ ق ١ ص ٣٦٤) قال: عزّ الدين مقلد بن صفي الدين أحمد ابن الخردازي التاجر، كان من التجّار الكبار، وخرج من بغداد إلى بلاد فارس وكان كثير المال.

وفيها، نفذ الخليفة المستعصم إلى الوزير مؤيّد الدين ابن العلقمي بغلة، فقام وقبّل حافرها، وخلع على عمر بن جلدك الذي أحضرها، فأنشد موفق الدين القاسم بن أبي الحديد ارتجالاً:

هنّئت يا خير الملوك ببغلة من مالك متفضّل متطوّل
جاء البشير بها كأنما جبريل جاء محمدًا بالدلدل[1]
أخت الحصان وهكذا رتب العلى تأتي مكملة بغير مكمل[2]

وفيها، وصل الشيخ محمد بن الداية الواعظ إلى بغداد من تستر وحضر عند الوزير، وقال: «إن الله تعالىٰ أمرني بأن أستنجد جماعة وألقى عساكر المغول»، فقال له الوزير: أفي المنام قيل لك ذلك؟ قال: لا، ثم قال: «ووقع لي أني إذا لقيتهم لا أبالغ في القتل»، فقال لي الله تعالىٰ: «بكش»، معناه بالعربية: «اقتل»، فأمر الوزير أن يجعل في تربة الشيخ شهاب الدين السهروردي ـ قدّس الله روحه ـ بالظفرية، قال الشيخ تاج الدين ابن الساعي صاحب التاريخ: «اجتمعت به فرأيته شيخًا مليح الشيبة حسن الهيئة وسألته عن هذه الحال، فقال لي مثل ذلك، وقال: إنما جئت ليرسل الديوان معي عسكرًا، ثم إن الوزير أحضره وأمره بالعود إلى تستر إلى أن يرى الديوان رأيه فتوجّه إليها».

وفيها، شرع في بناء المدرسة البشيرية[3].

سنة خمسين وستمائة

فيها، وصلت عساكر المغول[4] إلى أهل الجبال وأوقعوا بالأكراد وغيرهم،

---

(١) الدلدل: بغلة لرسول الله ﷺ. انظر: القاموس المحيط (٣/ ٣٧٧).

(٢) في العسجد المسبوك (ص ٥٨٢): «تأتي مكملة لخير مكمل»، وانظر الخبر والأبيات وفيه أبيات أخرى لعزّ الدين محمد ابن الوزير ابن العلقمي، أوّلها:

ومركوبة جعلت زينة تبذّ الجياد بأرمالها

(٣) تقع هذه المدرسة في الجانب الغربي من بغداد قرب مشهد الشيخ معروف الكرخي، وهي منسوبة إلى منشئتها حظية الخليفة المستعصم وزوجته وأمّ ولده أبي نصر محمد المعروف بباب بشير، وسيذكر المؤلف خبر افتتاحها، ووفاة منشئها في حوادث سنة ٦٥٢ هـ. وانظر: العسجد المسبوك (ص ٦٠٣).

(٤) في البداية والنهاية (١٣/ ١٨٢): «وفيها وصلت التتار إلى الجزيرة وسروج ورأس العين وما إلى هذه البلاد، فقتلوا وسبوا ونهبوا وخرّبوا... وكان عدّة من قتلوا في هذه السنة من أهل الجزيرة نحوًا من عشرة آلاف وأسروا من الولدان والنساء ما يقارب ذلك»، وانظر الخبر مختصرًا في=

وقتلوا وأسروا ونهبوا وسلبوا، وسارت طائفةٌ منهم إلى أن بلغوا حرّان والرّها، فأغاروا على ما هناك، ثم عادوا فصادفوا قفلًا واصلًا من الروح نحو بغداد، فقتلوا من فيه ونهبوا الأموال، فكتب ابن الصلايا[١] والي إربل إلى بغداد بذلك، فخاف أهلها خوفًا شديدًا، وأمّا المغول فعادوا إلى منازلهم بأذربيجان وغيرها.

وفيها، انحدر الخليفة المستعصم إلى واسط متنزّهًا، ثم سار إلى الحلّة، وفي خدمته فخر الدين ابن الدامغاني صاحب الديوان، وكان قد بني له في الحلة دارًا على شاطئ الفرات، فاستحسنها وأقام بها ثلاثة أيام وعاد إلى بغداد.

وفيها، فارق كثير من الجند بغداد لانقطاع أرزاقهم ولحقوا ببلاد الشام.

وفيها، فتح الرباط المستجد الذي أمرت أمّ[٢] الخليفة المستعصم بعمارته إلى جانب تربتها «بشارع رزق الله»، وحضر الوزير وكافة أرباب الدولة، وكان الخليفة في سطحه وعملت فيه دعوة عظيمة وخلع على كل من تولّى عمارته.

وفتح الرباط الذي أمرت بتجديده أمّ[٣] الخليفة الناصر مجاور مشهد عبيد الله عليه السلام، وعمل فيه دعوة، وكان قد تشعّث منذ الغرق وأجري على ما كان عليه أولًا.

وفيها، زلزلت[٤] الأرض ببغداد، وحُكِيَ عن الوزير مؤيّد الدين أنّه قال: تحرّكت من غير محرك، وماج ماء بركة كانت بين يديه، وتواترت الغيوث ودامت ليلًا ونهارًا حتى منعت الناس عن الحركة وسقطت دور كثيرة.

= الشذرات (٥/٢٤٩)، والعبر (٥/ ٢٠٤).

(١) ابن الصلايا العلوي، تاج الدين، تقدمت ترجمته.

(٢) وهي أم ولد اسمها هاجر، كانت صالحة ديّنة كريمة كثيرة البرّ والعطاء، توفيت سنة ٦٤٥ هـ، ودفنت بالتربة التي أنشأتها بباب شارع ابن رزق الله بالجانب الغربي قريبًا من معروف الكرخي. انظر: مختصر التاريخ (ص ٢٦٦).

(٣) وهي أم ولد تركية اسمها زمرد خاتون، وأخبارها كثيرة في كتب التاريخ، كانت صالحة كثيرة المعروف. وعمرت التربة التي عند معروف الكرخي وبنت مدرسة إلى جانبها، ولا تزال فيه التربة قائمة. (مختصر التاريخ ص٢).

(٤) ورد هذا الخبر في العسجد المسبوك (ص ٥٨٨)، وفيه أبيات لأبي الفضل محمد ابن الوزير ابن العلقمي قالها في ذلك.

وفيها، كتب[١] أقضى القضاة سراج الدين النهرقلي[٢] إلى الوزير يذكر أن المدرسة التاجية قد استولى عليها جماعة من العوام وسكنوا بها وصارت لهم بمنزلة الملك يتبايعون بها، ويسكنها النساء وتجري فيها أمور، فتقدم بإخراجهم فأخرجوا وسُلِّمت إليه، فرتب فيها مدرِّسًا وفقيهًا، وهذه المدرسة بناها تاج الملك[٣] وزير السلطان ملكشاه السلجوقي[٤] بعد نظام الملك للشافعية، وجعل مدرسها الشيخ أبا بكر الشاشي[٥]، وفتحت سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة.

وفي شعبان، توفي الشيخ أبو الفضائل الحسن[٦] بن محمد الصغاني شيخ وقته

---

(١) في البداية والنهاية (١٣/ ١٨٢): «وفيها أعاد قاضي القضاة عمر بن علي النهرقلي أمر المدرسة التاجية التي كان قد استحوذ عليها طائفة من العوامّ وجعلوها كالقيسارية يبتاعون فيها مدة طويلة، وهي مدرسة جيّدة حسنة قريبة الشبه من المدرسة النظامية، وقد كان بانيها يقال له تاج الملك وزير ملك شاه السلجوقي وأول من درّس بها الشيخ أبو بكر الشاشي».

(٢) النهرقلي: نسبة إلى محلّة مجاورة بالكرخ بالجانب الغربي تُعرف بنهر القلائين، وهو سراج الدين عمر بن بركة النهرقلي، ولي القضاء بعد وفاة عبد الرحمٰن ابن اللمغاني سنة أربع وخمسين وستمائة، وأرسل إلى المدينة المنوّرة لعمارة الحرم الشريف، وبها توفي سنة ٦٥٥ هـ. انظر: مختصر التاريخ (٢٧٨)، والبداية والنهاية (١٣/ ١٨٢) وفيه: (عمر بن علي النهرقلي).

(٣) تاج الملك أبو الغنائم ـ صاحب خزانة السلطان ملكشاه والناظر في أمر دوره وفي وزارة أولاده ـ انظر: الوفيات (٥/ ٢٨٣).

(٤) أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي، ملك بعد أبيه ما لم يملكه له من ملوك الإسلام عدا الخلفاء الأوائل، وكان عادلًا، عمّر كثيرًا من البلدان وحفر أنهارًا كثيرة وأنشأ في الماوز كثيرًا من الأربطة والقناطر، وهو الذي عمّر جامع السلطان ببغداد سنة ٤٨٥ هـ. انظر: الوفيات (٥/ ٣).

(٥) أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشي، ولد بميافارقين سنة ٤٥٤ هـ، وتفقّه بها ثم رحل إلى بغداد وانتهت إليه رئاسة الطائفة الشافعية، وصنّف «حلية العلماء» ودرّس بالمدرسة النظامية سنة ٥٠٤ إلى حين وفاته في سنة ٥٠٧ هـ، ودفن بباب أبرز. انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢١٩)، والعبر (٤/ ١٣)، والشذرات (٤/ ١٦).

(٦) رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوي العمري الصاغاني نسبة إلى الصاغانيات فيما وراء النهر، ولد بمدينة لاهور الهندية سنة ٥٧٧ هـ، ونشأ بغزنة من بلاد السند ورحل إلى الهند وجاور بمكة ودخل بغداد، وكان فقيهًا محدثًا من أعلم أهل عصره في اللغة، صنّف كتبًا كثيرة أشهرها «مجمع البحرين» و«العباب الزاخر واللباب الفاخر» في اللغة لم يكمله، وبقيت منه أجزاء حققها الشيخ محمد حسن آل ياسين، ونشرها ببغداد سنة ١٩٨٠م، ومن مؤلفاته «التكملة» ست مجلدات جعلها تكملة لصحاح الجوهري و«الشوارد في اللغة» و«الأضداد» جلع و«شرح صحيح البخاري» و«در السحابة في مواضع وفيات الصحابة» وغيرها. انظر: عيون التواريخ (٢٠/ ٦٦)، ومعجم الأدباء (٩/ ١٨٩)، والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٦)، والعسجد المسبوك (ص ٥٨٩).

ومقدّم أهل زمانه في علم اللغة وفنّ الأدب مع معرفة بعلم الحديث والتفسير والفقه على مذهب أبي حنيفة، وكان زاهدًا عابدًا كثير الصمت، قدم بغداد سنة خمس عشرة وستمائة، وقرأ الناس عليه وانتفعوا به، وألحقه القاضي محمد بن أحمد الزنجاني بالمعدلين، فلم يحضر مجلس قاضٍ ولا شهد، ونفذه الخليفة الناصر رسولًا إلى ملك الهند، فعاد بعد مدة طويلة في خلافة المستنصر بالله، ونفذه مرة أخرى وعاد بعد مدّة، فرتب شيخًا برباط المرزبانية، فلم يزل إلى آخر أيام المستنصر، ثم نظر في شرط الواقف فوجد فيه: أن يكون الشيخ شافعيًا، فعزل نفسه، فرتب مدرس المدرسة التتشية[١] وكان يتردّد إلى دار الوزير يشغل ولده عزّ الدين[٢] في الأدب وصنّف كتاب «مجمع البحرين» وكتاب «العباب الزاخر ودر اللباب الفاخر»، فانتهى منه إلى فصل الباء من باب الميم وكتب بخطه «بكم»ولم يتمّه، وتوفي فجأة ودُفِن في داره، وكان قد أوصى بذلك، وأن يحمل إلى مكّة ويُدفن مجاور الفضل بن عياض[٣]، ففعل أولاده ذلك وتولّى تجهيزه ودفنه أصحاب الوزير، ورثاه عز الدين ابن الوزير بأبيات، أولها:

تخاطبنا الدنيا خطاب مناصحٍ ... وأسماعنا عمّا تقول صوادف

تخوّفنا والأمن حشو قلوبنا ... كأن سوانا من عَنَتْه المخاوف

وترشدنا أحداثها فنرى الهدى ... عيانًا ولكنا غرورًا نخالف

ونرجو من الأيام عدلًا لجهلنا ... ويقضي بجور صرفها المترادف

هَوَتْ بالصغاني الذي لجّ قدره ... علوًا من الأقدار دهماء قاذف

لِيَبْكِ عليه العلم إن عاش بعده ... وتندب أن تبق النهى والمعارف

ويقول فيها:

بكاك كتاب لم تتمّ فصوله ... ودون أماني الرجال صوادف

---

(١) كذا في الأصل، وهي التتشية الحنفية، تقع ـ على ما حققه الدكتور مصطفى جواد ـ على دجلة قرب جامع مرجان. انظر: تحقيق مجمع الآداب (ج ٤ ق ١ ص ٣٥٠) «الحاشية».

(٢) عزّ الدين أبو الفضل محمد ابن الوزير مؤيّد الدين محمد بن أحمد ابن العلقمي الأسدي، كان عزّ الدين كاتبًا مترسّلًا كثير المحفوظ، شاعرًا، لازم أبا الفضائل الصاغاني، وقرأ عليه أكثر دواوين العرب، ودرس الفقه، ورتّب صدرًا بالمخزن أيام وزارة والده، وولي الوزارة بعد وفاة أبيه سنة ٦٥٦ هـ، وتوفي سنة ٦٥٧ هـ، وسيذكر المؤلف ذلك.

(٣) هو الفضل بن عياض التميمي، أحد بني يربوع، ولد بخراسان، وقدم الكوفة فسمع الحديث، ثم تعبّد وانتقل إلى مكة فنزلها إلى أن مات بها سنة ١٨٧ هـ، وكان ثقة عابدًا ورعًا كثير الحديث. انظر: طبقات ابن سعد (٥/ ٣٦٦).

كذا مجمع البحرين فرّق شمله وغاص اكتئابًا موجه المتقاذف
لَئِن أصبح التصحيف بعدك فاشيًا لقد ألفت بسط الوجوه الصحائف
فحال بني الآداب بعدك حائلٌ وبالُ بني الآداب بعدك كاسف
قضى فقضت أم الفضائل نحبها وما حكمها فيما قضت متجانف
ومات حميدًا حين لم يبقَ مشرقٌ ولا مغربٌ إلّا له فيه واصف

وفي شوال، توفي علاء الدين الطبرسي الظاهري المعروف بالدويدار الكبير[١]، كان دويدار الخليفة الظاهر، وكان حظيًا عنده، ابتاعه من أباذ[٢] مملوك الشرواني وزوجه ابنة «قراطاش» وخوله، فلمّا استخلف المستنصر قدمه وقرّبه وزوّجه ابنة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل وأعطاه ليلة دخوله «مائة ألف دينار»، وأقطعه «قوسان»، وكان يحصل له منها من أملاك استجدها حدود «ثلثمائة ألف دينار»، وكان يحب العمارات والمتنزهات، فمما بناه داره التي بشرقي بغداد على شاطئ دجلة تجاه الرباط المعروف بدار الفلك، ولم يكن ببغداد مثلها وعمل بها بستانًا غرس فيه النخل والشجر والنارنج، وعمل له دولابًا فاستحسنها الخليفة المستعصم فطلبها منه، فلم يسمح له بها، فلما توفي أخذها، وكان علاء الدين جوّادًا كريمًا حسن السيرة مواصلًا لأرباب البيوت، ودفن في مشهد موسى بن جعفر عليه السلام في الإيوان المقابل لباب الدخول عند زوجته ابنة بدر الدين صاحب الموصل، ورثاه الشعراء؛ فممّا قاله عزّ الدين عبد الحميد بن أبي الحديد من أبيات[٣]:

بأبي الذي فقد الحياة وعوده لدنّ وغصن شبابه فينان[٤]
تبكيك دار الشطّ فهي كئيبةٌ والجسر والشرقي والميدان
أبكيك للأنس القديم وصحبة كانت وقد تتفرّق الإخوان
من زعزع الطّود الأشم فدكّت الـ أبراج منه وهدّت الأركان
فعليك من رضوان ربك رحمةٌ يغدوك منها الروح والريحان

---

(١) تقدم ذكره في مواضع عديدة من الكتاب، وانظر ترجمته وخبر وفاته في: العسجد المسبوك (ص ٥٩٠).

(٢) في الفخري (ص ٢٤١): «بدر الدين آياز». (٣) الأبيات في العسجد المسبوك (ص ٥٩١).

(٤) في العسجد: «فتان».

ومِمّا قاله:

لا تأمن الدنيا وقد غدر الزمان بالطبرسي
ورماه من بعد المنا من والسعود بيوم نحس
وكساه ثوبًا من ترا بٍ بعد أثواب الدمقس
فاحبس عنان النفس فهـ ـي مقيمة في شرّ حبس
واقنع من الدنيا بثو ب لا يساوي نصف فلس

وتقدم بتأمير ولده شرف الدين، وولد مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير وخلع عليهما، وحجّ بالناس قطب الدين سنجر البكلكي.

سنة إحدى وخمسين وستمائة

فيها، سيَّر منكوخان[1] إلى ما وراء النهر وما والاها هولاكوقان، وأصحبه عدةً من أهل بيته، وسيَّر معه جيشًا كثيفًا، فسار من قراقرم[2] إليها وأقام بنواحيها إلى أن ملك العراق والشام على ما نذكره، وعبر الأمير أرغون[3] إلى خدمته فأقرّه على أعمال خراسان.

وفيها، أضيفت صدرية المخزن إلى صاحب الديوان فخر الدين ابن الدامغاني فبقي قليلًا، ثم رتب بالمخزن أبو الفضل محمد ابن الوزير ابن العلقمي.

وفيها، زادت[4] دجلة زيادة عظيمة غرق بها كثير من مزروعات بغداد وغيرها، وتواترت الغيوث حتى ملأت البلاليع، وصار الماء في الدروب كالغدران، حكى القاضي أبو المعالي القاسم بن أبي الحديد أنه رأى غسالًا بقصعة «بين الدربين» يغسل

---

(١) ورد ذكره في مختصر الدول (ص ٢٦٣) بصورة مونككا وهو أخو هولاكو، وفي (ص ٢٦١) منه: أنه ولي ملك المغول سنة ٦٤٩ هـ.

(٢) وفي مختصر الدول: قراقورم. قال في حوادث سنة ٦٢٧ هـ: عندما احتلّ قان الخطا: «ودخلت عساكر المغول إلى المدينة ونهبوا وأسروا البنين والبنات وأمّنوا الباقي، وفتحوا غيرها من المدن المشهورة ورتب فيها قان الشحاني وقفل إلى مواضعه القديمة وبنى بها مدينة سمّاها أردوباليق وهي مدينة قراقورم وأسكنها خلقًا من أهل الخطا وتركستان والفرس والمستعربين» (ص ٢٤٨).

(٣) في مختصر الدول (ص ٢٦٤): «في شهر شعبان نزل هولاكو بمروج مدينة سمرقند... فوصل إليه الأمير أرغون وأكثر أكابر خراسان»، وفي (ص ٢٥٧) أن كيوك خان ولاه على بلاد خراسان والعراق وأذربيجان وشروان واللور وكرمان وفارس وطرف الهند.

(٤) انظر: العسجد المسبوك (ص ٥٩٣) وفيه: «زادت دجلة والفرات زيادة كبيرة...».

كما يغسل في شاطئ دجلة، وأنهى نوّاب البصرة إلى الديوان أنه وقع في آب بالبصرة غيث بَلّ الأرض واشتدّ الحر حتى مات جماعة ممن كان يخرج من قرية إلى أخرى يكون بينهما دون الفرسخ.

وفيها، أعطى[١] رجل سائلًا في بعض أسواق بغداد دينارًا، فقال السائل: إني أعرف هذا الدينار، وإنه فُقِد مني في جملة دنانير، فسأل الرجل عن علامة ما فُقِد منه فذكرها، فقال: إني وجدت هذا منذ سنة وما زال عندي إلى الآن ولم أجد أحدًا يذكره وأخرجته لأتصدّق به عن صاحبه، وهذا أول دينار أخرجته، ثم سلّم الذهب إلى السائل فأغناه عن السؤال. وقد ذكر ابن الحافظ النجار في تاريخه: أن رجلًا[٢] ضاع منه دملج ذهب وزنه خمسون دينارًا ومضى عليه دهر طويل وافتقر الرجل وصار يبيع الزجاج في سلة على رأسه، فعثر يومًا فسقط الزجاج وتكسّر فبكى واجتمع الناس عليه، فقال: والله لقد ضاع مني مرة دملج ذهب وزنه خمسون مثقالًا فلم أحزن عليه كحزني على هذه السلة، فقال له رجل ممن اجتمع عليه: أنا وجدته ولكني خرّجته، وأعطاه خمسين مثقالًا ذهبًا. ويقرب من ذلك ويناسبه ما حكاه ابن صليجا[٣] ناظر التركات ببغداد، قال: جاء رجل وقال معي: مائتا دينار لبيت المال، فقلنا: من أين؟ قال: إن رجلًا غريبًا سلّم إلي ذلك عند وفاته وأمرني أن أوصله إلى أختٍ له سمّاها في مكان ذكره، وقد سألت عنها فعرّفوني أنها توفيت، فقبضنا ذلك منه وأنهينا حاله إلى الخليفة المستعصم، فأمر أن يعطى منها مائة دينار فطلبناه فلم نجده.

وفيها، أحضر بين يدي الوزير عجل له في سنامه حافر وظلف، فحمل إلى دار الخليفة فشاهده وأمر أن يجعل في بستان الخلد.

وفيها، تكاملت عمارة دار الخليفة المستعصم بالمحول[٤].

---

(١) انظر الخبر في العسجد المسبوك (ص ٥٩٥)، والبداية والنهاية (١٣/ ١٨٤) نقلًا عن ابن الساعي.

(٢) ورد ذلك في البداية والنهاية (١٣/ ١٨٤).

(٣) تقدم ذكره في حوادث سنة ٦٤٦ هـ باسم محمد بن صليجان.

(٤) ورد هذا الخبر في العسجد المسبوك (ص ٥٩٤) على الوجه التالي: «وفيه تكامل بناء دار المحول وبلغت الغرامة عليها زيادة على مائتي ألف»، والمحول بليدة حسنة طيّبة نزهة كثيرة البساتين والفواكه والأسواق والمياه، بينها وبين بغداد فرسخ، وباب محول محلة كبيرة. انظر: معجم البلدان (٥/ ٦٦)، والمشترك وضعًا (ص ٣٨٧).

وفيها، حبس إنسان[١] في بعض الحجر، فدخل عليه الموكلون به يومًا فلم يجدوه، فأنهوا ذلك، فحضر من يشاهد محبسه، فوجده جالسًا، ثم تكرّر منه ذلك، تارة يفقد وتارة يُرى، فسألوه عن ذلك فقال: كنت في زيارة الصالحين والأئمة عليهم السلام، فأمر بضربه وتقريره، فضرب فكان لا يتأوّه بل يقول: بسم الله، فاعتبروا طوابيق الحبس فوجدوا فيها خللًا فكشفوه فإذا به قد عمل كهفًا يقعد فيه وعنده إبريق فيه ماء ورغيفان، فقيل له: لِمَ فعلت ذلك؟ فقال: رجاء أن يفرج عني إذا نظرت بهذه العين.

وفيها، توفي علي بن أبي الفوارس المقرئ الواسطي الخياط المعروف بالسبرياريك[٢]، وقدم بغداد واستوطنها، وكان حاذقًا في الخياطة، قيل: إن الأمير الأرنباي[٣] أحضره ليلة العيد وقد عرض عليه ثوب أطلس قد اشتطّ صاحبه في ثمنه، فقال: أنا أخيطه ولا أقطعه وتلبسه، فإن رضي صاحبه بما يعطى وإلّا يعد عليه، فقال له: افعل ذلك، ففعل، وجاء صاحبه وأصر على الاشتطاط، ففتق وطوي وثقل وأعيد عليه، فلما رآه صحيحًا رضي بما أعطي.

وفيها، توفي الشيخ صدقة ابن وزير الواسطي[٤]، كان أحد الصوفية برباط المأمونية، ثم ترك لذلك وخدم ناظر حجر البيع، ثم عزل فانقطع في زاوية له وهي مشهورة في بغداد.

وتوفي زهير الشاعر المصري المشهور بمصر[٥]، وشهاب الدين ريحان الخادم[٦] كان لإقبال الشرابي، وكان قريبًا إليه، وكان ذا فضلٍ وأدب ومروءة وكرم.

---

(١) ورد خبره مفصلًا في العسجد المسبوك (ص ٥٩٥) وفيه أن اسم الرجل محمد الدقوقي.

(٢) كذا وردت ولم تعرف حقيقتها.

(٣) كذا وردت في الأصل ولم تعرف حقيقتها.

(٤) ورد اسم صدقة ابن وزير الواسطي مرارًا في تلخيص مجمع الآداب (الصفحات ٤٧٠ و٤٨١ من القسم الأول ج ٤ و٢٧١ من القسم الثالث و٨٤٧ من القسم الرابع)، وترجمته في المنتظم (٢/ ٢٠٤)، ومرآة الزمان (٨/ ٢٤٢)، والمختصر المحتاج إليه (٢/ ١٠٦)، وفي (ج ٥) من التلخيص، وفيها: أنه توفي سنة ٥٥٧ هـ فهذا غير ذاك إذن.

(٥) هو الشاعر المشهور أبو الفضل زهير بن محمد بن علي المهلبي العتكي المعروف ببهاء الدين، ولد سنة ٥٨١، واتصل بخدمة الملك الصالح أيوب صاحب مصر وتوجه معه إلى دمشق فلما أخذت منه وهو بنابلس بقي بها حتى إذا أطلق من سجنه بالكرك وملك مصر ذهب معه إليها، وتوفي بها سنة ٦٥٦ هـ، وقد أجمعت المصادر على وفاته في هذه السنة بخلاف ما ورد هنا. انظر: وفيات الأعيان (٢/ ٣٣٢)، والشذرات (٥/ ٢٧٦)، والنجوم الزاهرة (٧/ ٦٢).

(٦) تقدمت ترجمته.

وتوفي الشيخ محمد الواعظ[١] وعمره ثمانون سنة، كان ذا حظوة عند الخليفة الظاهر، فلما حضرته الوفاة أوصى أن يغسله[٢]، فحصل له من الفرش والآلات ما يزيد قيمته على ألفي دينار، وحجّ بالناس قطب الدين سنجر البكلكي.

سنة اثنتين وخمسين وستمائة

في هذه السنة جرت بين أصحاب الشيخ عدي بن مسافر[٣] وأصحاب بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل محاربة، كان سببها[٤] أن بدر الدين كان كثير التثقيل على أولاد الشيخ عدي ويكلّفهم مالًا على وجه المساعدة، فأطلقوا ألسنتهم فيه، فأرسل طائفة من عسكره إليهم فقاتلوه قتالًا شديدًا، فانهزمت الأكراد العدوية وقتل منهم جماعة كثيرة، وأسروا منهم جماعة، فصلب بدر الدين منهم مائة وذبح مائة وأمر بتقطيع أعضاء أميرهم وتعليقها على أبواب الموصل، وأرسل من نبش قبر الشيخ عَديٍّ من ضريحه وأحرق عظامه.

وفيها، قتل القراطاي[٥] بمصر، وسبب ذلك أنه كان يناوىء أيبك التركماني في منزلته ويضاهيه في مرتبته، وكانا قد أقاما طفلًا من ولد الملك الصالح أيوب بمصر

---

(١) تقدم ذكره في مواضع عديدة من الكتاب. (٢) ورد ذلك في مختصر التاريخ (ص ٢٥٧).

(٣) عدي بن مسافر بن إسمٰعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان، الهكاري مسكنًا، ولد في قرية يقال لها بيت فار من أعمال بعلبك سنة ٤٦٥، ولقي شيوخ الصوفية وصحبهم، حتى اشتهر أمره شهرة كبيرة، وانقطع إلى جبل الهكارية من أعمال الموصل وبنى زاوية له ومال إليه أهل تلك النواحي وغالى به كثيرون، توفي سنة ٥٥٧ هـ، وقيل: ٥٥٥ هـ. انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٢٥٤)، وتاريخ إربل (١/ ١١٤)، والأعلام (٥/ ١١).

(٤) ورد في العسجد المسبوك (ص ٦٠١): «كان زعيم الموصل، قد أخذ من أولاد الشيخ عدي الكردي الوفا من العين على وجه الإكراه، فعظم ذلك عليهم وأطلقوا ألسنتهم في سبّه، فبلغه ذلك فأمر بنبش الشيخ عدي من قبره وإحراق عظامه، فأنكى ذلك في قلوب الأكراد، واجتمع بعضهم إلى بعض واتفقوا على نهب أعمال الموصل، فنهبوها، فطلب بدر الدين لؤلؤ أكراد الجبل فأتاه منهم ألف فارس، فضمّ إليهم عسكرًا ونعتهم لمحاربة الأكراد أصحاب عدي» وذكر بقيّة ما ورد هنا.

(٥) انظر ترجمته في: مرآة الزمان (٨/ ٧٩٢)، وانظر خبر مقتله مختصرًا في خطط المقريزي (٣/ ٩٢)، والعسجد المسبوك (ص ٦٠٥) وفيه: «ثم عدم الصغير الذي كان يخطب له من بني أيوب»، والشذرات (٥/ ٢٥٥)، والعبر (٥/ ٢١١) وفيها: (فارس الدين أقطايا التركي الصالحي النجمي)، وتتمة المختصر (٢/ ٢٧٨) وفيه: «استقلّ المعزّ التركماني بالسلطة وأبطل الأشرف موسى وبعث به إلى عماته القطبيات»، وانظر أيضًا البداية والنهاية (١٣/ ١٨٥)، وعيون التواريخ (٢٠/ ٧٦) وفيه: «وكان قد طغى وبغى وتكبّر وتجبّر، بحيث أنه إذا ركب من داره إلى القلعة أو=

يخطب له، ثم للتركماني بعده، فاتّفق أن القراطاي تزوّج ابنة نجم الدين غازي صاحب ماردين، فلما نقلت إليه أشار[١] التركماني عليه أن يختار لها بالقلعة دارًا تسكنها، فلما عزم على ذلك أكمن له جماعة وثبوا عليه وقتلوه وألقوا رأسه إلى أصحابه[٢] فتفرّقوا، ونودي بإباحة دوره ودور أتباعه، فنهبت أموالهم وزالت نعمتهم في ساعة واحدة، وكان القرطاي شجاعًا جوّادًا كريمًا، يصل إلى ياردبته في السنة حدود خمسة عشر ألف دينار، فلما قتل فارق المماليك البحرية مصر، وفيهم بيبرس[٣] المعروف بالبندقدار، وكانوا ثلثمائة فارس، ولحقوا بدمشق وأقاموا عند الملك الناصر صاحبها، ثم عزموا على الوثوب به، فنُمّ الخبر إليه، فأراد القبض عليهم، ففطنوا بذلك فخرجوا[٤] نحو الكرك، فسيّر نحوهم جيشًا فعرف البندقدار أنه لا قِبَل له بهم، فأشار بأصحابه أن يكمن لهم بنفسه فوافقوه على ذلك، فكمن بوادي الكرك، فلما التقوا واقتتلوا انهزم البحرية خديعة فتبعهم الدمشقيون حتى جازوا الكمين، فخرج البندقدار عليهم فيمن معه وهو يضرب طبل الباز، فأعاد البحرية الكرّ عليهم فانهزموا وتمّت الهزيمة، فنهى البندقدار أصحابه عن القتل وأمرهم بالسلب، فغنموا جميع ما كان معهم، ثم إن التركماني غيّب الطفل المقدّم ذكره، واستبدّ بملك مصر وخطب لنفسه بالسلطنة.

وفيها، وقع ببغداد وأعمالها غيث كثير، تبعه بَرَد كبار كالبندق، وأظلم الجوّ، فتضرّع الناس إلى الله تعالىٰ ولجؤوا إلى الاستغفار، فكشف الله ذلك، وزادت دجلة عقيب ذلك وفُتِحت في القورج فتحة غرقت كثيرًا من الزروع، وزاد الفرات زيادة

= من القلعة إلى داره، يقتل جماعة ولا يلتفت إلى الملك المعزّ ولا إلى غيره، فاتّفق الملك المعزّ مع شجرة الدر على قتله».

(١) في عيون التواريخ (٢٠/٧٧) وغيره: أن اقطاي هو الذي طلب القلعة ليسكن العروس فيها.

(٢) وكانوا سبعمائة فارس. انظر: عيون التواريخ (٢٠/٧٧).

(٣) الأمير ركن الدين أبو الفتح بيبرس البندقدار الصالحي التركي، أحد المماليك البحرية، ولد بأرض القبجاق سنة ٦٢٥ هـ، وأسر وبيع فاشتراه علاء الدين البندقدار ثم أخذه الملك الصالح أيوب، والتجأ إلى الملك الناصر صاحب الشام، وبعدها قتل السلطان المظفر وبويع له بالسلطنة وتلقب بالظاهر سنة ٦٥٨ هـ واستولى على الشام، ولم يزل إلى أن مات سنة ٦٧٦ هـ. انظر: فوات الوفيات (١/١٥٩)، وعيون التواريخ (٢١/١٣٥)، وخطط المقريزي (٣/٩٣).

(٤) وفي عيون التواريخ: أنهم أغروا الملك الناصر باستعادة مصر فأرسل جيشًا وخرجوا معه حتى وصلوا العوجاء، وخرج المعزّ في جيش وأقام على الباردة قرب العباسية، ثم تواترت الأخبار بتوجه عساكر هولاكو إلى الشام متوسط الخليفة في الصلح بين الناصر والمعزّ، فعاد بيبرس مع العسكر الشامي وأقطعه الملك الناصر مثلما كان له بمصر. (انظر: ٢٠/٨٢ و٩٣).

عظيمة، غرقت عانة والحديثة وهيت والفلوجة[١]، وانفجرت السدود الفراتية جميعها وغرقت الزروع[٢].

وفيها، وثب[٣] غانم بن راجح بن قتادة العلوي أمير مكة بجمع من العبيد على أبيه راجح، فقبض عليه وقيّده وزعم أنه مجنون وحجر عليه، فسأله أن يخلي سبيله ليذهب حيث شاء ولا يعارضه في مكة، فأعطاه جملًا فحمل عليه وخرج هاربًا، واستقرّ غانم بمكة وكاتب الخليفة المستعصم بذلك، فأقرّه عليها.

وفيها، وصل مكتوب قطب الدين سنجر البكلكي أمير الحاج إلى الديوان، يذكر أن المياه كانت قليلة وهلك جماعة من الحاجّ والجمال.

وفيها، أمر[٤] الخليفة بوقفية دار سوسيان وما يجري معها من الحجر والبساتين، وجُعِلت رباطًا للصوفية، ورتب الشيخ عبد الصمد بن أبي الجيش إمام مسجد قمرية شيخًا للصوفية بها، وجعل ولده موضعه في مسجد قمرية، ثم وقف «دار الشط» المجاورة «الدار الفلك» وجعلت رباطًا للنساء، وجُعِلت شيخته الشريفة بنت المهتدي.

وفيها، توفي فخر الدين محمد بن هبة الله بن الحسن ابن الدوامي[٥]، وكان حسن البديهة ظريفًا خليعًا مشهورًا بالنوادر وحدّة الخاطر طيّب الفكاهة لا يملّ جليسه مجالسته ولا تسأم محاورته، هذا مع وقار وسكون وأدب وفضل، خدم في عدة خدمات، وكان يقول الشعر، فمن ذلك ما كتبه إلى شرف الدين إقبال الشرابي يسأله أن يمكّنه من ابتياع دار كانت مجاورة لداره وقد استصلحها وكلاؤه:

أنا في الويل من حديث الدار فارحموني قد عِيلَ فيها اصطباري

---

(١) مدن على الفرات لا زالت تسمى بأسمائها هذه.

(٢) انظر: العسجد المسبوك (ص ٦٠١). (٣) انظر: العسجد المسبوك (ص ٦٠٠).

(٤) في العسجد المسبوك (ص ٦٠٢).

(٥) فخر الدين أبو عبد الله محمد بن أبي المعالي هبة الله بن الحسن ابن الدوامي البغدادي، والدوامي نسبة إلى جهة من جهات القائم بأمر الله تُعرف بالدوامية (قاله ابن الدبيثي في ترجمة الحسن بن علي الدوامي)، ولد سنة ٥٨٦ هـ، وكان أديبًا ظريفًا شاعرًا كما وصفه مترجموه. انظر: تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٣ ص ٣٨٣)، والعسجد المسبوك (ص ٦٠٧)، وفيهما أبيات غير المذكورة هنا.

كل ما قيل لي قد استصلحوها   أتلظّى ولا يقرّ قراري
يا مليك الدنيا ويا واحد الدّهر   ويا من نداه كالغيث جاري
ليس فيها معنى يرغبكم والله   في أخذها سوى إضراري
ولعمري فإن ذلك معنًى   مستطاب يلذّ للسمار
كل شيء فيها خراب بباب   يسخن العين وهي عشّ الفار
وإذا دبّ عنكبوت على السطـ   ـح تداعت من سائر الأقطار
لي إليها ضرورة فتطول   وتعاهد مني مكان اضطراري
وتقدم بأنهم يتركوني   أشتريها فإنها وسط داري
وتصدّق بها وعش في نعيم   آمنًا من شوائب الأكدار

وفي سلخ شعبان، فُتِحَت دار القرآن التي أمرت بعمارتها والدة الأمير أبي نصر محمد ابن الخليفة المستعصم المعروفة بباب بشير التي بنت المدرسة البشيرية، وهذه الدار على شاطئ دجلة بغربي بغداد وتوفيت البشيرية[١] في تاسع شوال من هذه السنة، ودُفِنت تحت القبّة التي أعدّتها بجانب المدرسة المذكورة، وتوفي بعدها ولدها أبو نصر محمد[٢] في ثاني عشر ذي القعدة ودُفِن عندها.

وفيها، ورد خط ابن عبد الباقي الحنفي قاضي واسط من مكة، وكان قد حجّ في السنة الماضية، إلى أقضى القضاة سراج الدين النهرقلي يذكر فيه: أنه قد عزل نفسه عن القضاء وجاور بمكة، فأحضر عماد الدين زكريا[٣] القزويني من الحلة، وكان قاضيًا بها، وقلّده القضاء بواسط، وتوفي ابن عبد الباقي بمكة في رمضان من هذه السنة.

---

(١) انظر: العسجد المسبوك (ص ٦٠٨)، وقد تقدم في حوادث سنة ٦٤٩ هـ ذكر ابتداء بناء المدرسة البشيرية.

(٢) انظر: العسجد المسبوك (ص ٦٠٨).

(٣) زكريا بن محمد بن محمود، عماد الدين، القزويني، يرجع نسبه إلى أنس بن مالك الأنصاري، ولي قضاء الحلّة في عهد الخليفة المستعصم، وكان مولده بقزوين سنة ٦٠٥ هـ، ورحل إلى الشام والعراق، وكان أديبًا مؤرخًا جغرافيًا، صنّف كتبًا طبع منها «آثار البلاد وأخبار العباد» و«عجائب المخلوقات»، وسيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٦٨٢ هـ. انظر: الأعلام (٣/ ٨١)، وفيه إشارة إلى أهم مصادره.

سنة ثلاث وخمسين وستمائة

وفي محرم، حدثت فتنة[١] بين أهل الكرخ وباب البصرة، قتل فيها عدّة كثيرة من الفريقين، ودام الشرّ بينهم، فأرسل الديوان طائفة من الجند نزلوا بين المحلّتين لمنع الفتنة فمالوا على أهل الكرخ ونهبوا الدور المتطرّفة منها، ثم أخذوا خطوط المشايخ من أهل المحلتين بكفّ الجهال عن الشر، ونصبت أخشاب على أبواب المحلّتين لصلب من يثير الفتنة، فكفوا أنفسهم، ثم عادوا إلى ذلك في ذي القعدة، فخرج العسكر لكفّهم عن ذلك ومنعهم، فلم يمتنعوا، وقتل بينهم خلق كثير، ثم اصطلحوا ظاهرًا، فعاد العسكر عنهم، وتجدّد بسبب ذلك بين محال أهل بغداد فتنٌ من أجل الذهب، فكفّهم الديوان ومنعهم.

وفيها، وقعت[٢] غيوث كثيرة بالموصل وبغداد وزادت دجلة زيادة عظيمة غرقت كثيرًا من بغداد وأعمالها، وزاد الفرات فغرقت عانة والحديثة وهيت والحلّة وأعمالها والكوفة وأعمالها وأحاط الماء بجامعها وبلغ النجف، ثم هبّت ريح عاصف ألقت زيادة على ثلاثة آلاف نخلة من نخل الكوفة، وكذلك من نخل السيب[٣] وتلف بالغرق نحو سبعين ألف نخلة، والتقى ماء دجلة والفرات واجتمعا عند قوسان، وأتلف كثيرًا ووقعت مسناة مسجد معروف ـ رحمة الله عليه ـ وهو على شاطئ دجلة تحت مسجد قمرية بسبب الغرق، ولم يزل خرابًا إلى أن عمّره ضياء الدين، وهو خال الصاحب علاء الدين عطاء ملك[٤] بن محمد الجويني في سنة أربع وستين وستمائة وتمّمه الصاحب شمس الدين[٥] أخوه،

(١) انظر خبرها في العسجد المسبوك (ص ٦١١).

(٢) ورد ذلك في العسجد المسبوك (ص ٦٠٨).

(٣) السيب: أصلُهُ مجرى الماء، وهو كورة من سواد الكوفة، وهما سيبان الأعلى والأسفل من طوج سورًا عند قصر ابن هُبيرة. انظر: معجم البلدان (٣/ ٢٩٣).

(٤) عطاء ملك بن محمد بن محمد، علاء الدين الجويني، أخو شمس الدين صاحب ديوان المماليك في دولة المغول، ولّاه هولاكو العراق سنة ٦٥٧ هـ، وعُزِل سنة ٦٨٠ هـ، وقبض عليه الوالي الجديد (مجد الدين اليزدي) فعذّبه واستخرج منه أموالًا كثيرة، ثم أطلق سراحه وسلّم إليه مجد الملك فقتله وعيّن واليًا على العراق، وتوفي سنة ٦٨١ هـ، وسترد أخباره مفصّلة في هذا الكتاب. انظر: فوات الوفيات (٢/ ٧٥)، وجامع التواريخ في مواضع متفرّقة من المجلد الثاني، الجزء الثاني، والشذرات (٥/ ٣٨٢)، والعبر (٥/ ٣٤٣) وفيهما «أنه توفي سنة ٦٨٣ هـ»، وتلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٢ ص ١٠٣٤).

(٥) شمس الدين محمد بن محمد الجويني، ولّاه هولاكو منصب صاحب ديوان الممالك وهو بمثابة=

وتولّى ذلك بهاء الدين ابن الفخر عيسى[١] الإربلي المنشئ بالديوان سنة ثمان وسبعين وستمائة.

وفيها، كثر فساد العيارين ببغداد[٢]، فكانوا يسلبون عمائم الناس ويأخذون ثيابهم من الحمامات ظاهرًا، ويقتلون من ظفروا به من أتباع صاحب الشرطة، ونهبوا دكاكين «درب زاحل»، وصار الناس معهم في ويلٍ عظيم.

ذكر ما جرى بين الوزير والدويدار

وفي هذه السنة، نسب إلى مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير أنه يدبر[٣] في خلع الخليفة المستعصم والمبايعة لولده الكبير، فانزعج لذلك، وأقسم بالأيمان المعتبرة أن ما عنده مما نسب إليه عِلْم، وسأل أن يواقف مع من قال عنه ذلك، وكان قد نَسَب هذا القول إلى فلك الدين محمد بن علاء الدين الطبرسي[٤] الدويدار الكبير، وإلى الوزير مؤيّد الدين ابن العلقمي، فاستوحش منهما وخاف على نفسه وجمع عساكره إليه وباتوا تحت السلاح، وفعل الوزير أيضًا مثل ذلك، وكانوا مستعدّين، فراسله الخليفة بنجم الدين عبد الغني ابن الدرنوس[٥]، وسكنه، فلم يسكن وأصرّ

= رئيس الوزراء اليوم سنة ٦٥٧ هـ، (وسيذكر المؤلف ذلك)، ولم يزل نافذ الكلمة حتى تولى أرغون المغولي، فاختفى منه ثم حضر بين يديه فقتله سنة ٦٨٣ هـ، وسترد أخباره مفصّلة فيما سيأتي من هذا الكتاب. وانظر: جامع التواريخ في مواضع مختلفة في المجلد الثاني، الجزء الثاني.

(١) هو بهاء الدين عيسى بن أبي الفتح الأربلي، كاتب مترسّل شاعر، كتب لمتولي إربل وخدم ببغداد في ديوان الإنشاء، من مؤلفاته: «المقامات الأربع» «رسالة الطيف»، «كشفة الغمّة لمعرفة الأئمة»، «حياة الإمامين زيد العابدين ومحمد الباقر»، توفي سنة ٦٩٢ هـ. انظر: الأعلام (٥/ ١٣٥).

(٢) انظر: العسجد المسبوك (ص ٦١١).

(٣) انظر الخبر مفصلًا في العسجد المسبوك (ص ٦١٦)، ألا أنه جعله ضمن حوادث سنة ٦٥٤ هـ، وسيرد في كتاب الأمان الذي كتبه المستعصم بالله «أنه كتب في سنة ٦٥٤ هـ». وانظر: جامع التواريخ (مجلد ٢ ج ١ ص ٢٦٢) إلا أنه ذكر الأحداث بشكل مغاير لما ورد هنا.

(٤) فلك الدين أبو الفوارس محمد بن علاء الدين الطبرسي بن عبد الله الظاهري، البغدادي، الأمير، ولد سنة ٦٢٥ هـ، ورتب أميرًا وعمره (١٢) سنة، وجعل أميرًا للحاجّ، وعقد عليه ضمان قوسان، قتله التتار سنة ٦٥٦ هـ. انظر: تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٣ ص ٥١١) وفيه: «أنه كان مريضًا عندما نزل هولاكو على بغداد فأخذ درعة وقاتل وقتل أميرًا من عظمائهم ثم قتل، إلا أن المؤلف سيذكر في حوادث سنة ٦٥٦ هـ أنه قتل صبرًا مع جماعة من الأمراء».

(٥) في العسجد المسبوك (ص ٦١٦): «عبد الغني بن الدربوس»، وفي جامع التواريخ (ج ١ =

على الجمع بينه وبين من قال عنه، ووقعت وقعة عظيمة بين عوام سوق المدرسة ومشرعة الصبّاغين بسبب الحديث في ذلك، وقتل فيها خلق كثير وجُرِح عالم عظيم، فاشتدّ خوف الناس لذلك، ثم انكشف الشر، واستمرّ حال مجاهد الدين على المقاطعة وآثر الخليفة إزالة ما في نفسه، فكان يكثر من الجواز بالشبارة تحت داره مصعدًا ومنحدرًا، ثم إن فخر الدين ابن الدامغاني صاحب الديوان راسل الدويدار وضمن له القيام بما يرضى به، وتردد القول بينهما على لسان بهاء الدين داود بن المختار[1]، فسأل الدويدار أن يكتب له أمان بعلم الخليفة ويقرأ في جمعٍ من العالم، فقال له صاحب الديوان: «أنا أفعل ذلك وأحضر في دارك، وتنجد أنت إلى الخليفة وتسمع كلامه وأكون في دارك إلى أن تعود إليها»، فأجاب إلى ذلك، فركب صاحب الديوان إليه فتلقاه خواص الدويدار من الباب وسألوه الدخول راكبًا فأبى ونزل على الباب، ففرش تحته وتحت فرسه أثواب أطلس، وتلقّاه الدويدار ومعه أولاده واعتنقا، ثم جلسا، وجاء ابن الدرنوس ومعه الأمان، فتلقاه الدويدار وصاحب الديوان وقبّل الأرض، فتناول الدويدار الأمان وجعله على رأسه وسلّمه إلى صاحب الديوان، فقرأه على الدويدار وأصحابه بصوتٍ عال، وكان صورته بعد البسملة: «قد أمّنا مملوكنا الخاص لدينا أيبك بإذن الله سبحانه وأمان رسوله ﷺ وأماننا حاضرًا ومستقبلًا في نفسه وأولاده وما في يده من كل ما يتموّل[2] وما خوّل ويخوّل، أمانًا مزيلًا أسباب الارتياب تساوى فيه لفظنا وضميرنا لعلمنا صحة تدينه ونزاهة سرّه وعلنه، فليثق إلى ذلك، فله علينا عهد الله وذمّته، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرًا عظيمًا، وكتبناه في جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة»[3]، ثم استدعاه ابن الدرنوس، فنزل في شبارة ومعه ولداه، فلما دخل دار الخليفة ووقع نظره عليه قبّل الأرض ووقف مطرقًا فأذن له في الجلوس، وقال له: «ما خطر ببالنا صحة ما نسب إليك

= مجلد ٢ ص ٢٦٤): «ابن درنوس» وسماه ابن الطقطقي في الفخري (ص ٢٦): «عبد الغني بن درنوس» قال: «كان ببغداد حمال يقال له عبد الغني بن الدرنوس، فتوصل في أيام المستنصر حتى صار براجًا في بعض أبراج دار الخليفة، فما زال يحسن التوصل إلى ولد المستنصر إلى أن توفي المستنصر، فرتبه المستعصم مقدم البراجين، وبلغت منزلته إلى الدرجة التي ينهض له الوزير إذا دخل».

(١) سيذكر المؤلف أن التتار قتلوه صبرًا سنة ٦٥٦ هـ.

(٢) في العسجد المسبوك (ص ٦١٨) في كل ما يقول وما خول. ولعلّه تصحيف.

(٣) في العسجد المسبوك (ص ٦١٨): وكتبناه في السبت العشرين من جمادى الآخرة من سنة أربع وخمسين وستمائة.

فطيّب نفسك»، فبكى، ثم عدل به إلى الرواق، وخلع عليه وعلى ولديه[١]، ثم قلّد سيفًا كان بين يديه وقال: «هذا سيفنا لسيفنا»، فقبّل الأرض، وعاد وابن الدرنوس معه، فقدمت له شبارة الخليفة فقبّل صدرها، وكشف الفرش وقبّله ووقف في وسطها ولم يقعد، ونزل ولداه وابن الدرنوس في شبارة أخرى، فلما قرب من داره نثر على ابن الدرنوس طبق ذهب وطبق فضّة في وسط الشبارة، ثم صعد واجتمع بصاحب الديوان وجماعة من الزعماء وقدمت الأطعمة وضربت البشارات[٢] على بابه، وخلع على ابن الدرنوس وأعطاه خمسمائة دينار، وخلع على الفراشين الذين كانوا صحبة ابن الدرنوس، وأعطى كل واحد مائة دينار، وخلع على باقي الملّاحين، وتقدم الخليفة إلى المدرّسين في المستنصرية أن يقولوا بعد الختمة كلامًا خلاصته: «إن الأمير مجاهد الدين أيبك الخاص مولى أمير المؤمنين لم يثبت عليه عند مولاه ومالكه شيء مما نُسِب إليه وفّقه الله تعالىٰ والخلائق للتمسّك بطاعة أمير المؤمنين والإخلاص في ولائه وأوزعهم وإيّاه شكر مراحمه العميمة وإنعامه»، فسأل الدويدار أن يحضر المدرّسون عنده فحضروا فخلع عليهم، ومدح صاحب الديوان في هذه النوبة بأشعار، منها قول ابن البقّال[٣]:

مولاي يا من فاق أسلافه ... في كلّ فضلٍ بين خصمين
لا غرو أن أصلح ربي بكم ... بين فريقين عظيمين

ونظم عبد الله بن جعفر الكاتب قصيدة تتضمن صورة الحال مفصّلًا، أوّلها:

الحمد لله بانَ الحق واتّضحا ... وخاب واضع هذا الإفك وافتضحا

فقال الدويدار: ما الإفك؟ فقال: الكذب، فقال: بل واضع ذاك الخلط... وهي طويلة.

ذكر الفتنة بين أهل أبي حنيفة والرصافة

وفيها، وقع بين أهل محلة الرصافة ومحلة أبي حنيفة والخضيريين فتنة أفضت إلى محاربة شديدة، استظهر فيها أهل محلة أبي حنيفة والخضيريين على أهل

---

(١) هما غازي وكشلوخان كما في العسجد المسبوك (ص ٦١٩).
(٢) في العسجد: وخربت بوفاة البشارة.
(٣) لعلّه يوسف بن علي بن أحمد البغدادي، المعروف بابن البغال، سيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٦٦٦ هـ.

الرصافة، وطردوهم إلى باب المحلة وركبهم السيف، فدهمهم الليل، فازدحموا للدخول، فمات منهم جماعة نحو ثلاثين نفرًا، وحصروهم ومنعوا أن يدخل إليهم شيء حتى الماء من دجلة، فأضرّ بهم ذلك، فتقدّم شحنة بغداد من زجر أهل محلة أبي حنيفة، وكفّهم عن الشر، ثم إنهم اقتتلوا بعد أيام وجرح بين الفريقين خلق كثير، وقتل جماعة واستظهر أهل محلة أبي حنيفة والخضيريين على أهل الرصافة، وباتوا تلك الليلة واستعدّوا للقتال وعزموا على إحراق محلة أبي حنيفة، وعبر من أهل باب البصرة لمساعدة أهل الرصافة خلق كثير، ومن أهل الكرخ لمساعدة الخضيريين، فحضر أصحاب الشحنة وكفوهم، فتفرّقوا، ومنعوا أهل الرصافة أن يدخل إليهم شيء فبقوا على ذلك أيامًا، ثم أحضر إلى الديوان جماعة من مشايخهم وأعيانهم، وأخذت خطوطهم بكفّ الأشرار ومنعهم عن الفساد، وأحضر جماعة من محلة أبي حنيفة، وأصلح بين الفريقين.

عـدّة حوادث

في هذه السنة، توفي الملك العزيز يوسف بن يعقوب ابن الملك العادل[1] بدمشق.

وتوفي أمين الدين كافور[2] الخادم الظاهري، وكان كثير الخير والصدقات والمواصلات، حجّ مرارًا كثيرة وتولّى دار التشريفات، وكان قريبًا من إقبال الشرابي حاكمًا في دولته، ودُفِن في مشهد الحسين عليه السلام.

وتوفي عمر بن جلدك المطالعاتي[3]، وعمره تسعون سنة، كان من فرّاشي سدة الخليفة، وكانت المطالعات تبرز على يده من الخليفة إلى الوزير.

وتوفي أبو الفضل بن أبي الخير ابن المسبحي الجاثليقي ببغداد، وقد تجاوز التسعين، وولي بعده مارميخا النصيبي، وكان أديبًا فاضلًا.

وتوفي علي بن محمد بن عمار، أحد حجّاب المناطق، كان شابًا نشأ في الجاه والحرمة، وأحضر له والده المؤدّبين فلم يحصل طائلًا لكنه كتب خطًّا حسنًا، وكان

---

(١) ذكر في وفيات سنة ٦٥٤ هـ من ذيل الروضتين (ص ١٩٤)، والعبر (٥/ ٢١٩)، وعيون التواريخ (٢٠/ ١٠٢) مجير الدين يعقوب ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، فلعلّه هو.

(٢) تقدم ذكره في مواضع أخرى من هذا الكتاب، وفي العسجد المسبوك أنه توفي سنة ٦٥٤ هـ، انظر (ص ٦٢١) منه.

(٣) تقدم ذكره في مواضع أخرى من الكتاب، وانظر: العسجد المسبوك (ص ٦٢١) وفيه أنه توفي سنة ٦٥٤ هـ.

معجبًا بنفسه، مبالغًا في ملبوسه ومركوبه وعرض الطرز وطول البكرائة، مجملًا لغلمانه، نظم فيه بعض الشعراء مخاطبًا لبعض الصدور:

رأى العبد في الحجاب شخصًا مجملًا ... عريضًا قصيرًا طيّب العرف والنشر
بطرز عراض ما رأينا كمثلها ... على كتفه أدنى[1] من الفتر أو شبر
وكرائة ما للجماعة مثلها ... مطولة تجري على معظم الظهر
وذيل طويل يكنس الأرض خلفه ... وكمّ وسيع لا كزيد ولا عمرو
ويا تكتي سرواله مثل قمصه ... طوال وساع مرسلات بلا حصر
ويظهر من فوق السراويل تكة ... إلى كعبه خضراء صفراء كالزهر
فأعجبني هذا اللباس وشكله ... وأحوجني هذا العيان إلى الخبر
فقلت عساه من ذوي الفضل عالمًا ... فحادثته فضلًا فإذا هو لا يدري
فقلت أصيلًا من بيوت قديمة ... وأمّا من الأشراف أو من بني الطهر
فقلت له: ممن أطيل لك البقا ... فقال سريعًا: ابن ساكنة القصر
فأمسكت إجلالًا له ومهابةً ... وقلت له أحسنت يا طاهر النجر

ورثاه بعض أصدقائه بأبيات يقول فيها:

وقد كان من أقراننا وكأننا ... إليه وإن طال الزمان نصير
وما عمرنا إلا قصير بطوله ... وكلٌ طويل ينتهي فقصير
وكلٌ من التراب ابتداء انتشائه ... وكلٌ إلى ما كان منه يصير

وفيها، أرسل صلاح الدين بن أيوب[2] صاحب دمشق وحلب إلى الخليفة المستعصم رسولًا، معه فردة ركاب كبيرة من حديد، ذكر أنها ركاب النبيّ ﷺ، وأنها عند بني أيوب يحفظونها كما حفظ بنو العباس ـ البردة الشريفة ـ فقبّلها الخليفة، وجعلها في خزانته مع البردة والقضيب، فأنشد أبو المعالي القاسم بن أبي

(١) كذا في الأصل، ولعلّها أوفى ليستقيم المعنى.

(٢) هو يوسف بن محمد بن غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب، الملك العزيز صلاح الدين، وقد أورد صاحب العسجد المسبوك هذا الخبر في حوادث (٦٥٤ هـ). انظر: الصفحة (ص ٦١٤) منه.

الحديد ارتجالًا[١]:

لو كنت في زمن النبيّ محمدٍ من آله أو كنت[٢] من أصحابه
ما رامَ قلبي غير لثم ركابه شرفًا وقد بلغت[٣] لثم ركابه

وفيها، وثب أهل النيل[٤] على الشحنة بها، فقتلوه لكونه أساء السيرة فيهم، وكان يهجم على نسائهم ويفتك بهنّ، فتألموا إلى الخليفة والوزير وصاحب الديوان، وأنهوا حاله فلم يلتفت إليهم، ولا أنكرت الحال عليه، فلما انتهى قَتْلَه إلى الخليفة أمر الأمير سيف الدين قليج بالمسير إليهم ومؤاخذة من فعل ذلك، فسار إليهم وأخذ جماعة، فقتل منهم وصلب وقطع أعصاب آخرين وأيديهم، وأحرق دورًا كثيرة ونهب أموال أصحابه.

وفيها، وقعت القبّة[٥] الخضراء المجاورة لجامع المنصور، وهي من الأبنية القديمة، أنشأها الخليفة المنصور لما عمّر مدينته، وكانت عالية ينظر الجالس منها من يخرج من الأنبار، وكان المنصور يجلس فيها متنزهًا، وما زال الخلفاء يجلسون فيها للفرجة إلى أيام الرشيد، ثم هجرت وصارت مأوى للبوم والغربان، وكان بعض الفقراء قد جاور في جامع المنصور، فقال فيها لما رأى ما آلت حالها إليه:

يا بومة القبّة الخضراء قد أنست روحي بروحك إذ يستبشع البوم
زهدت في زخرف الدنيا فأسكنك الر بع الخراب فمن يذممك مذموم

وفي آب، كان غيم ورعد وبرق وغيث، وغلت الأسعار ببغداد.

وفي هذه السنة، اتفقت أمور عجيبة وحوادث غريبة، قد ذكرناها. منها: الغرق العام الذي أخرب أكثر بغداد لا سيّما دار الخلافة[٦]، والدور الشطانية من الجانبين، وانتقال الناس من دورهم وتضاعف أجرة المساكن الشعثة في أطراف البلد، وغلت

---

(١) البيتان في العسجد المسبوك لابن الخازن، قال: قال ابن الخازن في تذييله: «وقد شاهدت الركاب المذكورة وقبلته وقلت في ذلك».

(٢) في الأصل: (وكنت). (٣) في العسجد: «أدركت».

(٤) النيل، بليدة في سواد الكوفة قرب حلة بني مزيد يخترقها خليج كبير يتخلج من الفراب الكبير، حفره الحجاج بن يوسف وسمّاه بنيل مصر. معجم البلدان (٥/ ٣٣٤).

(٥) ورد الخبر في العسجد المسبوك (ص ٦١٥) إلا أنه جعل في حوادث سنة ٦٥٤ هـ، وانظر وصف القبّة الخضراء في تاريخ بغداد (١/ ٨٠).

(٦) انظر خبر غرق بغداد في: النجوم الزاهرة (٥/ ٣٠)، وعيون التواريخ (٢٠/ ٨٦).

الأسعار وتعذّرت الأقوات، وغرقت نواحي دجيل ونهر عيسى ونهر الملك والأعمال الفراتية: عانة والحديثة وهيت والأنبار والحلة والكوفة وقوسان، وذهبت الزروع وتلفت الأشجار، وتهدّمت الجوامع والمساجد؛ كجامع المنصور، وهو أوّل جامع وضع ببغداد، ورباط الزوزني المجاور له، والقبّة الخضراء، وجامع المهدي بالرصافة، ومشهد عبيد الله والرباط المنسوب إليه، وجامع السلطان، وجامع القصر، ورباط دار الذهب بعقد المصطنع، وبعض مسجد قمرية بالجانب الغربي، وحائط رواق المدرسة النظامية، وعدة مساجد. وقيل: إن رجلًا ثقة تصدّى لإثبات ما تهدّم من الدور في الجانبين، وكان مبلغهما اثني عشر ألف دار وثلثمائة ونيفًا وسبعين دارًا. ثم تلا ذلك الحروب بين عوام بغداد وظهور العيارين وقوّة شأنهم وأخذهم أموال الناس والفتك بهم، وما جرى بين أهل الرصافة ومحلة أبي حنيفة والخضيريين من القتل والجراحات، وبين أهل محلة المستعصمية والجعفرية[١]، ودرب زاحل والعنوتين، وسوق المدرسة وأهل المشرعة، وسفك بين هؤلاء دماء كثيرة، وأفرط أهل الكرخ في ذلك حتّى تقدم الخليفة بينهم وأحرق دورهم إلى غير ذلك، وما جرى للدويدار الصغير مجاهد الدين أيبك والوزير مؤيد الدين ابن العلقمي، وانضمام أكثر المماليك الأتراك إلى الدويدار، والوقعة بينهم وبين الوزير حتى كادت الفتنة تنتشر بينهم ويتعدّى ضررها إلى الناس، ثم ظهور النار بأرض الحجاز بالقرب من مدينة الرسول ﷺ ودوامها وكونها تأكل الحجارة وتذر الخشب والشجر، ثم تلا ذلك أن زلزلت المدينة وارتجّ لها المنبر الشريف وتحرّكت سلاسل قناديل الحجرة الشريفة واضطربت، ثم عقيب ذلك وقع حريق في أول ليلة من شهر رمضان في حرم الرسول ﷺ أتى على جميعه، وأحرق المنبر النبوي الذي كان يرقى عليه ﷺ ويخطب، وانهدم أعالي الحجرة الشريفة، نسأل الله تعالىٰ عفوه ورحمته ورضوانه[٢].

وفيها، أمر الخليفة بتعيين واعظ يجلس بباب بدر، فأحضر العدل إسمٰعيل بن محمود النعال[٣] فجلس في يوم جمعة فلم يستصلح، فأحضر في الجمعة الأخرى جلال الدين بن عكبر، فجلس فحصل له قبول، فأمر بالجلوس دائمًا.

---

(١) الجعفرية: محلة كبيرة مشهورة في الجانب الشرقي من بغداد، معجم البلدان (٢/ ١٤٤).

(٢) خبر ظهور النار في المدينة واحتراق المسجد النبوي في النجوم الزاهرة (٧/ ٣٦)، وعيون التواريخ (٢٠/ ٨٧).

(٣) ذكر المؤلف أنه قطع عن الوعظ سنة ٦٢٩ هـ.

وفيها، مرض صانع حمام ببغداد كان يظهر الفقر، ولم يكن له وارث، فحضر ناظر التركات عنده وطلب منه مفتاح صندوقه وفتحه فإذا فيه سبعة أرطال ذهبًا واثنا عشر رطلًا فضّة، فأخذ الجميع، فما زال يصيح ويتأوّه حتى مات.

وفيها، ردّ الخليفة المستعصم أملاك الوزير القمي على ورثته وكان سبب ذلك أن عبد الرحمٰن ابن الطبّال وكيل الخليفة استأذن في بيع شيء من عقاره، فقيل للخليفة: إن هذه الأملاك وقفها القمي على ابنتيه التي إحداهما زوجة الوزير مؤيّد الدين ابن العلقمي والأخرى زوجة عزّ الدين محمد ولده، فأمر بإعادة جميع الأملاك عليهما.

وفيها، حملت القصعة[1] الحجر المعروفة «بقصعة فرعون» من سرّ من رأى إلى بغداد في كلك، ورُفِعت تحت دار الخليفة، وكانت عظيمة جدًا فلم تزل إلى سنة سبع وخمسين وستمائة، ثم كُسِرَت.

وفيها، نبشت[2] امرأة في مقبرة معروف الكرخي وأخذت أكفانها، فخرج بعض أهل قطفتا ليصلي فرأى النباش، فهرب، فأنهى ذلك، فكبس عليه وأخذ، فوجدوا عنده عدة أكفان فقطعت يداه وعلّقتا في حلقة[3] وأشهر ببغداد.

وفيها، حضر عند الوزير رجل شاب وقال: أنا قتلت فلانًا لأنه تعرّض بي وأنا حدث وهربت إلى الشام وزرت القدس وحججت وجاورت وقد رجعت الآن فاقتصّوا مني، فسأل الوزير عن أهل المقتول، فلم يجد منهم أحدًا، فقال له: قد عفونا عنك، فتخيّل له أن القصاص لم يسقط عنه، فدخل حمامًا وذبح نفسه فضعف عن قطع أوداجه، فأخرج وحمل إلى المارستان وعُولج فعاش مدّة.

وفيها، فتحت المدرسة البشيرية[4] بالجانب الغربي من بغداد تجاه قطفتا التي أمرت ببنائها حظية الخليفة المستعصم أمّ ولده أبي نصر المعروفة بباب بشير، وجعلتها وقفًا على المذاهب الأربعة على قاعدة المدرسة المستنصرية، ووقفت عليها وقوفًا كثيرة قبل فراغها، وكان فتحها يوم الخميس ثالث عشر جمادى الآخرة، وحضر

---

(١) في العسجد المسبوك (ص ٦١٠): «حجر مجوف على شكل البرك سعة قطرها سبعة أذرع».

(٢) ورد هذا الخبر في العسجد المسبوك (ص ٦١٠).

(٣) كذا ورد، ولعلّه أراد رقبته كما ورد في العسجد.

(٤) ورد الخبر في العسجد المسبوك (ص ٦٠٩)، وفيه تفاصيل الدعوة بمناسبة افتتاحها، والكتب المحمولة إليها بالخط المنسوب.

الخليفة وأولاده فجلسوا في وسطها، وحضر الوزير وأرباب المناصب ومشايخ الربط والمدرّسون، وكان المدرس بها سراج الدين النهرقلي أقضى القضاة، وشرف الدين عبد الله ابن أستاذ الدار، ومحيي الدين ابن الجوزي، ونور الدين محمد ابن المغربي الخوارزمي الحنفي، وعلم الدين أحمد بن الشرمساحي المالكي، وعملت وظيفة عظيمة، وخلع على المدرسين المذكورين، وعلى الناظر بها، ونوّاب العمارة، والفرّاشين وخدم القبّة، وأنشدت الأشعار، وكان يومًا مشهودًا، وكانت وفاة البشيرية في السنة الماضية على ما ذكرناه.

وفيها، توفي شرف الدين إقبال الشرابي[1]، كان شيخًا شجاعًا كريمًا شريف النفس عالي الهمّة، بنى بواسط مدرسة على شاطئ دجلة بالجانب الشرقي، وعمر إلى جانبها جامعًا، وبنى ببغداد مدرسة في سوق السلطان، وجدد بمكة ـ شرّفها الله تعالىٰ ـ الرباط الذي اشتهر ذكره في الدنيا، وعين عرفة التي في الموقف، وأجرى ماءها لانتفاع الحاجّ به، وأوقف على ذلك كلّه الوقوف السنية، وكان كثير الصدقات والمواصلات، كان في خدمة الخليفة بالحلّة، فمرض بها وحمل إلى بغداد في شبارة وهو مثقل، فوصل في سابع عشري شوال، وتوفي في ثامن عشريه وصُلّي عليه في جامع القصر، ودُفِن في تربة أم الخليفة المستعصم بباب القبّة على يمين الداخل، وجلس الوزير وأرباب المناصب في العزاء بالمدرسة المستنصرية، وكان أولًا لعزّ الدين نجاح الشرابي، وانتقل إلى زوجته بعد وفاته، فلما أفضت الخلافة إلى الظاهر حملته إليه فقبّله، فأبعده عنه رشيق وأنفذه إلى ولده المستنصر، فلما دخل عليه قال: «ما اسمك»؟ فقال: إقبال، فسرّ بذلك واستبشر وتفاءل به، فلما أفضت الخلافة إليه قرّبه وقبض على رشيق وحبسه وجعل إقبالًا شرابيًا، ثم جعله سرخيل العسكر، فلمّا توفي زعيم إربل سار بالعسكر إليها وأخذها وعاد مظفرًا[2]، فلما أفضت الخلافة إلى المستعصم زادت منزلته عنده وقرب من قلبه، فلما وصلت عساكر المغول سنة خمس وثلاثين خرج إلى لقائهم، وظهر من حسن تدبيره ما أوجب زيادة الإنعام عليه، وكان حال الملك منتظمًا بصائب رأيه، فلمّا توفي اختلّت الأمور بعده.

---

(١) ورد ذكره كثيرًا في هذا الكتاب، انظر خبر وفاته في: العسجد المسبوك (ص ٦١٢).

(٢) تقدم خبر فتح إربل مفصلًا في حوادث سنة ٦٣٠ هـ.

وفيها، توفي الشيخ تاج الدين محمد بن الحسن الأرموي[١] مدرّس الشرفية التي بناها الشرابي ببغداد، وقد جاوز عمره ثمانين سنة، وكان وحيد عصره فضلًا، وفريد داره علمًا، قرأ على الإمام فخر الدين الرازي[٢] وصحبه، وكان متواضعًا لمن دونه، مترفّعًا على من فوقه، وكان عريض النعمة واسع الجاه بوجود الشرابي، يستكثر من المماليك الحسان الترك وغيرهم، وكان أهل بغداد يتحدّثون فيه فلا يعبأ بحديثهم ولا يكترث لذلك، حكى عنه بعض أصحابه قال: «قلت له يومًا أن الناس قد أكثروا القول في هؤلاء المماليك، فقال: ألست تعلم أن الإنسان يحب أن يسكن أحسن الدور ويلبس أفخر الثياب ويأكل أطيب المآكل ويركب أجمل المراكب؟ قلت: بلى، قال: فلِمَ لا يكون من يلي خدمتي به ويقرب منه على أحسن صورة! وإن شئت أريتك ما بداري من الجواري الحسان، فأمسكت عنه وعرفت أنه كذا ينبغي للعاقل أن يفعل»، وقيل له يومًا: إن جاريتك فلانة تحب مملوكك فلانًا، وكانا في غاية الحسن والجمال، فقال: الآن ثبت عندي صحة عقلها. ودُفِن في قبّة ببيت له بالشونيزي.

وتوفي بعده عبد الحميد بن الحسن بن شاهي[٣] بدمشق، وكان صديقه ورفيقه في الاشتغال على فخر الدين الرازي، فرثاهما أبو المعالي القاسم بن أبي الحديد بقصيدة طويلة. يقول فيها:

رحل الأرموي عنّا رحيلًا زاده فيه علمه بالوجود

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري، المعروف بابن الخطيب، الإمام المفسّر المشهور، أصله من طبرستان ومولده في الري ورحل إلى خوارزم، وما وراء النهر وخراسان، أقبل الناس عليه وعلى كتبه يتدارسونها، وكان واعظًا وأديبًا، توفي في هراة سنة ٦٠٦ هـ، ومؤلفاته كثيرة جدًا، طبع منها «مفاتيح الغيب» في تفسير القرآن، و«لوامع البينات في شرح أسماء الله والصفات» و«معالم أصول الدين» و«محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلّمين» و«المسائل الخمسون في أصول الدين» و«أسرار التنزيل» وغيرها. انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢٤٨)، وذيل الروضتين (ص ٦٨)، والعبر (٥/ ٨)، والشذرات (٥/ ٢١)، والأعلام (٧/ ٢٠٣) وفيه إشارة إلى مصادره الأخرى.

(٣) أبو محمد عبد الحميد بن عيسى بن عمر بن يوسف، شمس الدين الخسروشاهي (نسبة إلى خسروشاه قرية بمرو) ولد سنة ٥٨٠ هـ، ورحل واشتغل على فخر الدين الرازي وسمع الحديث ودرس الأصول، وقدم الشام وأقام مدّة بالكرك، وتوفي بدمشق ودفن بقاسيون. انظر: العبر (٥/ ٢١٣)، والشذرات (٥/ ٢٥٦)، والعسجد المسبوك (ص ٦٠٦)، وفي جميعها أنه توفي سنة ٦٥٢ هـ، ولم يرد اسمه بصورة عبد الحميد بن الحسن بن شاهي.

أغفلت بعده العلوم وضاقت طرق الفقه عن سلوك المريد
إنّ حال العراق بعدك حال الشـ ـام من بعد موت عبد الحميد
إن بكت بعده دمشق فبغدا د لها عَبْرة بغير جمود
كوكبا بلدتين غابا... ... وأمسيا في سعود
إن حظّ الذكيّ فيما أراه عند ذي العرش فوق حظ البليد

وتوفي نقيب الطالبيين أبو إسمٰعيل الحسن بن المختار[١].

وحجّ بالناس فلك الدين محمد بن علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير، فلما عاد الحاج أخبروا: أنه بعد رمي الجمار ولبس المخيط وقع بين الجند وأهل مكة شر أفضى إلى فتنة وحرب، وقتل جماعة وجرح خلق كثير، ونهب بعض سوق منى وتعدى النهب إلى الحاج فعزم أمير الحاج إلى قتال أمير مكة فأشير عليه بالكف وحفظ الناموس، وكان عاقلاً ففعل، فأرسل إدريس وأبو نمي[٢] أميرا مكة إليه يعتذران مما وقع من الجهال ويسألانه المناداة بالكف عن الفتنة، ففعل ذلك، ونحر الناس قريب غروب الشمس.

سنة أربع وخمسين وستمائة

فيها، أرسل السلطان هولاكوقان إلى ركن الدين[٣] مقدم الباطنية يستدعيه فأرسل إليه صبيًا عمره سبع سنين زعم أنه ولده، واعتذر من الحضور، فأنعم عليه وأعاده إليه، فأرسل أخاه شيرنشاه في ثلثمائة فارس، فأمر السلطان بقتلهم، فقتلوا[٤]، ثم أرسل إلى ركن الدين يتهدده إن تأخر عن الحضور، فلما عزم على ذلك منعه أصحابه

---

(١) ذكره صاحب العسجد المسبوك في وفيات هذه السنة (ص ٦١٢) قال النقيب الطاهر إسمٰعيل بن الحسين بن المختار وقد سبق ذكر تقليده نقابة الطالبيين في السنة الماضية، وحمل إلى مشهد أمير المؤمنين علي كرّم الله وجهه. وكان شابًا سويًا قد جاوز ثلاثين سنة من عمره.

(٢) أبو نمي محمد بن أبي سعد بن قتادة العلوي، أمير من الشجعان، غلب على مكة، توفي سنة ٧٠١ هـ. انظر: عمدة الطالب (ص ١١٦)، وصبح الأعشى (٤/ ٢٧٣).

(٣) ركن الدين، هو خوزشاه بن علاء الدين محمد بن جلال الدين حسن ـ صاحب الإسماعيلية. انظر: تاريخ مختصر الدول (ص ٢٦٤) وعمدة الطالب (ص ١٩٣).

(٤) في مختصر الدول (ص ٢٦٥) أن هولاكو سير الثلثمائة إلى جمالاباذ من بلد قزوين وأعاد أخاه محملاً رسالة إليه وهي أن له إلى خمسة أيام إن لم يصل بنفسه إلى الخدمة يُحكِم قلعته ويستعد للحرب. وتقدم بقتل الثلثمائة رجل الذين كانوا بجمالاذ قزوين.

خوفًا عليه فأرسل يعتذر بأن أصحابه منعوه وأنه متى وجد فرصة في الخروج من بينهم حضر، فأمر السلطان بمنازلة قلعة «ميمون ذر»[(١)] فساروا إليها ونصبوا عليها المناجيق وواصلوا الزحف والقتال، فاشتغل الباطنية بالقتال عن ركن الدين، فنزل ومعه ولده وخواصه وحضر بين يدي السلطان فلما عرف أصحابه ذلك سألوا الأمان، فأجيبوا إلى ذلك[(٢)]، فسلموا القلعة وفارقوها فأمر بهدمها، ثم فتحوا ما يجاورها من القلاع وهدموا الجميع، ثم أرسل السلطان إلى متولي «قلعة الموت» يعرفه نزول ركن الدين إليه ويأمره بالتسليم، فأبى وامتنع، فسير إليه الجيوش فأحاطوا به وحاصروه وضيقوا عليه، فسأل الأمان فأجيب إليه، فسلم القلعة فهدمت، وحضر شمس الدين محتشم قهستان ومعه جماعة من أصحاب ركن الدين، فأنعم السلطان عليه فعاد إلى قهستان وسلمت جميع قلاعها، فأمر السلطان بهدمها ولم يتخلف سوى قلعتي كردكره وكشتمر[(٣)]، ففتحتا بعد سنين متطاولة، ووصل رؤساء الديلم إلى السلطان وسألوه الأمان وصالحوه على تخريب قلاعهم، ثم رحل السلطان في سنة خمس وخمسين نحو همذان، وأمر بقتل ركن الدين وأصحابه فقتلوا وانقرض ملكه وملك أهل بيته، ولما فتحت قلعة «الموت» خرج الإمام العلامة نصير الدين محمد بن محمد الطوسي وكان في خدمة علاء الدين محمد بن الحسن الإسماعيلي[(٤)] وحضر بين يدي السلطان، فحظي عنده وأنعم عليه فعمل الرصد بمراغة سنة سبع وخمسين.

ذكر فتنة الكرخ[(٥)]

في ذي الحجة، قتل أهل الكرخ رجلًا من أهل «قطفتا» فحمله أهله إلى باب النوبي، فدخل جماعة من الخدم إلى الخليفة وعرّفوه وعظّموا ذلك ونسبوا إلى أهل

---

(١) في مختصر التاريخ «ميمون دره».

(٢) سيذكر المؤلف أن هولاكو أمر بقتل فخر الدين فيما بعد. وانظر: مختصر الدول (ص ٢٦٦).

(٣) انظر تاريخ مختصر الدول، (ص ٢٦٥).

(٤) علاء الدين بن محمد بن الحسن بن أبي عبد الله حسين بن المصطفى لدين الله نزار الإسماعيلي، وقد طعن بعضهم في نسبه، قالوا: إن حسن الذي نسب نفسه إلى مصطفى كاذب في دعواه، بل إنه ابن محمد بن بزرك أمير الروذباري، ولد على فراشه، ولم يَدّعِ أنه ابن نزار حتى مات أبوه. وحبس حسن هذا على مكانه بقلعة الموت، فادعى أنه علوي وأنه ابن نزار. وعلاء الدين محمد جد ركن الدين المذكور الذي قتله هولاكو. انظر: عمدة الطالب (ص ١٩٣).

(٥) ورد خبرها في العسجد المسبوك (ص ٦٢١)، كما ذكر خبر هذه الفتنة ابن الطقطقي في الفخري (ص ٢٤٥) قال «ولم يجر في أيام المستعصم شيء يؤثر سوى نهب الكرخ، وبئس الأثر ذلك».

الكرخ كل فساد، فأمر بردعهم، فركب الجند إليهم وتبعهم العوام ونهبوا[١] محلة الكرخ، وأحرقوا عدة مواضع، وسبوا كثيرًا من النساء والعلويات والخفرات، وسفكوا الدماء، وعملوا كل منكر، وكان الجند والعوام يتغلبون على من قد نهب شيئًا فيأخذونه منه، وعظمت الحال في ذلك، فخوطب الخليفة في أمرهم فأمر بالكف عنهم ونودي بالأمان، فدخل جماعة من أهل الكرخ إلى منازلهم وقد تخلف بها قوم من العوام فقتلوهم، ثم تقدم الخليفة إلى الجند وغيرهم بإحضار ما نهبوه إلى باب النوبي، فأحضروا شيئًا كثيرًا، فرد على كل من عرف ماله ما وجده، وكان شيئًا لا يحصى كثرة، ونودي بحمل النساء والأسرى إلى دار الرقيق فحملوا وأعيدوا إلى أربابهم ثم حصل الذي كانت الفتنة بسببه وقتل، وصلب قاتل القطفتي بباب الكرخ.

ذكر الزلازل والنار بالمدينة[٢]

في جمادى الآخرة، كانت زلازل مهولة بنواحي مدينة النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حتى ماج المنبر الشريف وتحركت سلاسل القناديل ثم ظهرت في رجب نار على مسيرة أربعة فراسخ منها دامت خمسة عشر يومًا، كانت تأكل الصخر وتذيبه وإذا ألقي فيها ثوب أو خشب أو سعف أخضر لم يحترق، فدخل الناس الحرم وتضرعوا إلى الله تعالى وتابوا وأعتق أمير المدينة عبيده وخرج من جميع المظالم وأعاد أملاكًا كان قد اغتصبها على أربابها، ثم أطفئت بقدرة الله تعالى.

وفي شعبان وقع حريق بمسجد النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم[٣] ـ وحجرته بالمدينة أيضًا واحترق المنبر الذي كان من عهده ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وسقف حجرته وسبب ذلك أن القَيِّم أشعل المصابيح فوقعت منها شرارة نار على ثوبه فاحترق، ثم تعدت النار إلى قفص من أقفاص القناديل فالتهبت المشاقة التي فيه، فانزعج القيم وشده وبيده إبريق فيه زيت، فصبه على النار ظنًا منه أنه ماء فازدادت

---

(١) في الفخري (ص ٢٤٤) أن نهب الكرخ نسب إلى الأمير أبي العباس أحمد ابن المستعصم قيل إنه هو الذي أشار بذلك.

(٢) انظر الخبر مفصلاً في البداية والنهاية (١٣/ ١٨٧)، وعيون التواريخ (٢٠/ ٨٧)، وفيهما رسائل وردت من المدينة تصف ما حدث بها من زلازل وظهور النيران، وانظر العسجد المسبوك (ص ٦١٩)، وتتمة المختصر (٢/ ٢٨١)، وتاريخ الخلفاء (ص ٤٦٥)، والعبر (٥/ ٢١٥)، وشذرات الذهب (٥/ ٢٦٣)، وذيل الروضتين (ص ١٩٠).

(٣) ورد الخبر في العسجد المسبوك (ص ٦٢٠)، والعبر (٥/ ٢١٦)، وشذرات الذهب (٥/ ٢٦٣).

النار التهابًا، فلما بلغ الخليفة المستعصم ذلك أرسل قاضي القضاة سراج الدين النهرقلي وعدة من العدول، وأصحبهم مالاً لعمارة ما احترق، فساروا إلى هناك وعمروا ما خرب وأعادوه إلى أحسن ما كان، وملكت بغداد وهم هناك، وقيل: إن القاضي توفي بقبة السنة ودفن بالبقيع.

ذكر غرق بغداد(١)

في هذه السنة، زادت دجلة زيادة عظيمة، وانفتح في القورج فتحة كبيرة عجز من يتولاه عن استدراكها، فركب الوزير وكافة الولاة معه، وأخذ الوزير في يده باقة شوك، ففعل سائر العالم مثل ذلك، ولم يقع التمكن من سدها فتركت، وانهزم الناس كلهم والماء في أثرهم فأحاط ببغداد، وغرق الجانبين منها، وهدم دورًا كثيرة بالحريم والمشهد وتلك المحال، وامتلأت أسواق الجانب الشرقي، وخرج الماء من حيطان الدور والمنافذ والآبار والبلاليع وامتلأت دار الخليفة كلها ما عدا «الدار الشاطئية» فانتقل مَنْ بها إلى الغرف والسطوح، وتعذر الوصول إلى دار الخليفة إلا في سفينة أو سباحة، ونقل من كان من أنساب الخليفة محبوسًا في دار الشجرة ودار الصخر إلى ديوان الزمام، وانتقل الوزير من داره إلى دار علاء الدين الطبرسي الدويدار، ثم دخل الماء إلى ديوان الزمام وليس له درج، فصار من بها واقفًا وبلغ الماء إلى صدره، وكل من له ولد صغير حمله على كتفه، وهم يستغيثون ويضجون، فحولوا إلى الحلبة وقد ذهب كل ما كان عندهم، وضربت لهم الخيم بها وكانت السفن والأكلاك تسير في الريحانيين حتى تصل إلى باب العامة، وتحول كل من كان ساكنًا في محال دار الخليفة، وتلف من الناس شيء كثير، وكان علو الماء في المدرسة النظامية زيادة على أربعة أذرع(٢)، وعمل اليهود سكرًا في رأس بين الدربين ودرب القيار، وساعدهم المسلمون على عمله، فنازعهم فيه من يتعدى ضرره إلى ملكه، وجرت بينه خصومات وشهروا السلاح ونادوا يا آل خيبر، فقبض الشحنة على جماعة منهم فضربهم وشوه خلقهم وشهرهم، ونودي عليهم: «هذا جزاء من شهر السلاح على المسلمين وقال: يا آل خيبر» وخلت محال دار الخليفة ومعظم محال

---

(١) انظر الخبر في: العسجد المسبوك (ص ٦١٦)، وعيون التواريخ (٢٠/٧٦)، قال: «ففيها غرقت بغداد الغرق الشنيع الذي لم يعهد مثله»، وشذرات الذهب (٥/٢٦٤)، والعبر (٥/٢١٦).

(٢) في العسجد المسبوك (ص ٦١٩) في جمادى الآخرة نضب الماء في المدرسة النظامية، وكان علوه ستة أذرع.

بغداد من ساكن، ووقعت دور كثيرة في سائر المحال، وخلت الديار وتعفت الآثار وصار في النظر إليها اعتبار. ووقع رباط الزوزني والحائط الشطاني من جامع فخر الدولة بن المطلب، وتداعى أكثره. وصلى الناس عدة جمع في المدرسة المستنصرية وكان الناس يحضرون بالسفن فامتلأت المدرسة وغلق بابها، واتصلت الصفوف في السفن من باب المستنصرية إلى سوق المدرسة وإلى آخره، وصلى أهل باب الأزج في مصلى العيد بعقد الحلبة، وسقطت نصف مسناة مسجد قمرية، فعمل له سكر من خشب وطرفاء، فما زال على ذلك إلى أن عمره الصاحب علاء الدين عطا ملك الجويني سنة سبع وستين وستمائة، وزاد الفرات أيضًا فغرقت عانة والحديثة وهيت والحلة وغيرها، وانفتح قبين[1] فغرق دجيل ونهر عيسى ونهر الملك، وأتلف زروعًا كثيرة.

سنة خمس وخمسين وستمائة

في هذه السنة، رحل السلطان هولاكوقان من همذان نحو العراق[2]، فلما اتصل ذلك بالخليفة المستعصم شاور وزيره مؤيد الدين ابن العلقمي فيما ينبغي فعله، فأشار ببذل الأموال وحملها إليه مع التحف الكثيرة والأشياء الغريبة والأعلاق النفيسة، فلما شرع في ذلك ثناه الدويدار وغيره، وقالوا: إن غرض الوزير تدبير حاله مع السلطان، فوافقهم واقتصر على إنفاذ شيء يسير[3] مع شرف الدين عبد الله ابن الجوزي، فلما وصل إليه أنكر ذلك، وأرسل إلى الخليفة يطلب إما الدويدار الصغير أو ولد الدويدار الكبير أو سليمان شاه[4]، فلم يفعل وأرسل شرف الدين ابن الجوزي يعتذر من ذلك، فسار السلطان حينئذٍ نحو بغداد، وأمر الأمير سوغونجاق[5] أن يسير بقطعة من الجيوش على إربل، ويعبر دجلة ويجتمع بالأمير بايجو[6]، ويقصدان بغداد من غربي دجلة، ففعل، وسار السلطان في باقي الجيوش، فلما بلغ الخليفة مسيره أمر الدويدار

---

(١) قبين: في مراصد الإطلاع (٣/١٠٦٦): «اسم لنهر وولاية بالعراق».
(٢) انظر: مختصر تاريخ الدول (ص ٢٦٩)، والفخري (ص ٢٤٦).
(٣) ورد ذلك في مختصر تاريخ الدول (ص ٢٧٠).
(٤) في مختصر تاريخ الدول (ص ٢٧٠): أن هولاكو طلب أن يجيء الخليفة بنفسه أو يُسَيِّر أحد ثلاثة نفر: إما الوزير وإما الدويدار وإما سليمان شاه، فتقدم الخليفة إليهم بالمضي، فلم يركنوا إلى قوله.
(٥) اسمه في (تاريخ مختصر الدول (ص ٤٧٢) سونجاق نوين.
(٦) اسمه في (تاريخ مختصر الدول (ص ٤٧٢) بايجو نوين.

أن يخرج من بغداد بالعسكر، فخرج ونزل قريبًا من بعقوبا، فلما بلغه وصول سوغونجاق وبايجو عَبَرَ دجلة ونزل حيال حربى[١]، وأرسل أميرًا يعرف بأيبك الحلبي في مقدمته، فمضى واتصل ببايجو وأقبل بين يدي العسكر يعرفهم الطرق ويهديهم[٢]، فلما عبر الدويدار دجلة أمر الخليفة مرشدًا الخصي[٣] المنسوب إلى إقبال الشرابي أن يخرج في باقي العسكر للقاء السلطان بخانقين، فامتنع الأمراء من المسير تحت لوائه، وكان الخليفة قد أهمل حال الجند ومنعهم أرزاقهم وأسقط أكثرهم من دساتير ديوان العرض، فآلت أحوالهم إلى سؤال الناس وبذل وجوههم في الطلب في الأسواق والجوامع. ونظم الشعراء في ذلك الأشعار. فمما قاله المجد النشابي[٤] من قصيدة[٥]:

يا سائلي ولمحض الحق[٦] يرتاد أصِخْ فعندي نشدان وإنشاد

واسمع فعندي روايات تحققها دراية وأحاديث وإسناد[٧]

فهم ذكيّ وقلب حاذق يَقِظٌ وخاطر لنفود النقد نقاد[٨]

عن فتية فتكوا في الدين وانتهكوا حماه جهلًا[٩] برأي فيه إفساد

(١) في تاريخ مختصر الدول (ص ٢٧٠): وخرج الدويدار من بغداد ونزل بجانب يعقوبا، ولما بلغه أن بايجو نوين عبر دجلة ونزل بالجانب الغربي ظن أن هولاكو قد نزل هناك فرحل عن بعقوبا ونزل بحيال بايجو.

(٢) في مختصر تاريخ الدول (ص ٢٧٠): ولقي يزك المغول أميرًا من أمراء الخليفة يقال له أيبك الحلبي فحملوه إلى هولاكو فأمنه إن تكلم بالصحيح وطيب قلبه فصار يسير أمام العسكر ويهديهم.

(٣) في العسجد المسبوك (ص ٦٢٦) «مرشد الشرفي» نسبة إلى شرف الدين إقبال الشرابي.

(٤) المجد النشابي، أسعد بن إبراهيم بن حسن، الأربلي، الكاتب، ولي كتابة الإنشاء لصاحب أربل وأنفذ رسولاً إلى الخليفة المستنصر. انظر: فوات الوفيات (١٧/١).

(٥) القصيدة للمجد النشابي في عيون التواريخ (١٢٩/٢٠)، ونسبت في العسجد المسبوك (ص ٦٢٤) إلى عبد القاهر ابن القرطبي «يريد به ابن الفوطي» قال وكان يومئذٍ كاتب ديوان العرض. وذكر ابن الطقطقي ثلاثة أبيات منه في الفخري (ص ٣٣) نسبها إلى: بعض شعراء الدولة المستعصمية» وقد رجح عبد الكريم توفيق العبود نسبتها إلى عبد القاهر ابن الفوطي اعتمادًا على ما عرف عنه من كرهٍ للخيانة ونزعةٍ للمعارضة. انظر الشعر العربي في العراق (ص ١٢٦).

(٦) في العسجد المسبوك: محضر الخير.

(٧) في العسجد المسبوك:

واسمع تجد لي روايات تحققها دراية وأحاديث وإسناد

(٨) في عيون التواريخ: وقلب حافظ يقظٌ .... لنقود النقد نقاد

(٩) في الأصل: حماه حملاً، وهو تصحيف صححناه عن العسجد المسبوك.

إذا ترامت أمور الناس ليس لهم فيها رواء ولا حزم وإنجاد
أما الوزير فمشغول بعنبره والعارضان[١] فنساج ومداد
وحاجب الباب طورًا شارب ثمل وتارة هو جنكي وعواد[٢]
وابن عباس[٣] مغرى باللواط له في كل ناحية علق وقواد
وشيخ الإسلام صدر الدين[٤] همته مقصورة لحطام المال يرتاد
نمته[٥] في اللؤم آباء سواسية ما سودوا في الورى يومًا ولا سادوا
لكنما الفلك الدوار دار على كرورةٍ لم يكنها قبل يعتاد
إن جئت يثرب أو شارفت ساحتها فقل لمن أنزلت في حقه صاد
الكفر أضرم في الإسلام جذوته وليس يرجى لنار الكفر إخماد
واضيعة الملك والدين الحنيف وما تلقاه من حادثات الدهر بغداد
أين المنية مني كي تساورني فللمنية إصدار وإيراد
من قبل واقعة شنعاء مظلمة يشيب من هولها طفل وأكباد

وأما السلطان فإنه سار نحو بغداد بجيوش تملأ الفضاء واستصحب آلات الحصار وغيرها وأجفل أهل السواد من بين يديه إلى بغداد حتى امتلأت شوارعها، فضاقت على وسعتها عنهم، فقعدوا في الطرقات والدكاكين، وغلت الأقوات ووقع الناس في الخوف الشديد والويل العظيم. ذكر بعض أصحاب الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي أنه سمعه يومًا ينشد من شعره:

كيف يرجى الصلاح من أمر قوم ضيّعوا الحزم فيه أي ضياع
فمطاع الكلام غير سديد وسديد المقال غير مطاع

(١) تقدم في حوادث سنة ٦٣٥ هـ أنه جعل للجيش عارضان، أحدهما الديوان عرض الجيش المختصر بالغرباء، والآخر عرض العساكر البغدادية.

(٢) الجنك: بفتح الجيم، آلة للطرب معروفة، وهي معربة من الفارسية. وفي العيون: وحارس الباب، وفي المسجد «وشرف الدست».

(٣) هو عميد الدين منصور بن عباس، وقد تقدم ذكره مرارًا في هذا الكتاب.

(٤) هو صدر الدين علي ابن النيار، الذي ولاه المستعصم منصب شيخ الشيوخ.

(٥) في المسجد: غذّته.

وفي شوال، ندب العدل نجم الدين عبد الله ابن البادرائي[١] إلى القضاء وهو مريض، فاستعفى فلم يُعْفَ، واستدعي إلى دار الوزير فحضر بين غلمانه وهو ضعيف عن الحركة والكلام، فخلع عليه وشرفه بالقضاء، فركب إلى جامع الخليفة وجلس في القبة وقرأ تقليده على المنبر، ثم خرج وجلس في منصب القضاء وحكم وسمع البينة وكتب الإنهاء، ولم يجلس بعد ذلك وانقطع في بيته تسعة عشر يومًا وتوفي. قيل: إن ولده شهد عنده فقبل شهادته وقال: أنا أعرَفُ بولدي ولا أحتاج مع علمي به إلى مُزَكٍّ، وكان رحمه الله عالمًا فاضلاً محققًا روسِلَ به ملوك الشام ومصر، وبنى بدمشق مدرسة للشافعية ووقف عليها وقوفًا كثيرة[٢]، وكان كثير الصدقات، أوصى أن يدفن في الشونيزي، فدفن هناك وتقدم بإحضار القاضي نظام الدين عبد المنعم البندنيجي[٣] من قضاء الجانب الغربي، وشرفه بقضاء القضاة وخلع عليه، وولي بعده في الجانب الغربي عز الدين أحمد بن محمود الزنجاني.

وفيها، توفي الشيخ عماد الدين محمد ابن الشيخ شهاب الدين السهروردي ورتب بعده شيخًا برباط المأمونية ابنه جمال الدين عبد الرحمٰن.

سنة ست وخمسين وستمائة
مسير هولاكو وسقوط بغداد

ذكرنا في سنة خمس وخمسين مسير السلطان هولاكوقان من بلاده نحو بغداد، وأنه أمر الأمير بايجو بالمسير إلى إربل وأن يعبر دجلة ويسير إلى بغداد من الجانب

---

(١) الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن الحسن البغدادي البادرائي، نسبة إلى بادرايا وهي قرية من أعمال واسط اسمها حاليًا (بدرة) ولد سنة ٥٩٤ هـ وسمع الحديث ورواه وترسل عن الديوان إلى الشام ومصر وغيرها، وبنى بدمشق مدرسة للشافعية وصف بأنه دمث الأخلاق حسن المحاضرة كثير المباسطة. انظر: عيون التواريخ (٢٠/ ١١٥)، والعبر (٥/ ٢٢٣)، والشذرات (٥/ ٢٦٩).

(٢) كان الخليفة قد أرسله إلى الشام، فابتاع دار «أسامة» بدمشق من الملك الناصر داود فعمرها وبنى بها مدرسة للشافعية، وأوقف عليها أوقافًا كثيرة، فكانت من أحسن مدارس دمشق. انظر: عيون التواريخ (٢٠/ ١١٦)، والذيل على الروضتين (ص ١٩٨).

(٣) نظام الدين عبد المنعم كامل البندنيجي (انظر خبر تعيينه في مختصر التاريخ (ص ٢٧٩) وسيذكر المؤلف أن هولاكو أمر بأن يقر على القضاء، كما سيذكر وفاته سنة ٦٧٦ هـ. انظر ترجمته هناك. والبندنيجي نسبة إلى البندنيجين. قال ياقوت: هي بلدة مشهورة في طرف النهروان من ناحية الجبل من أعمال بغداد، معجم البلدان (١/ ٤٩٩) وقد تطور اسمها إلى البندنيج ثم المندليج ثم مندلي، وهي بلدة مندلي الحالية في محافظة ديالى.

الغربي، ففعل ذلك، فلما بلغ الخليفة وصوله تقدم إلى الدويدار الصغير مجاهد الدين أيبك وجماعة من الأمراء بالتوجه إلى لقائه، فعبروا دجلة فلما تجاوزوا قنطرة[١] باب البصرة بفرسخ واحد رأوا عساكر المغول قد أقبلت كالجراد المنتشر، فالتقوا واقتتلوا يوم الأربعاء تاسع المحرم، فانكسرت عساكر المغول قصدًا وخديعة، فتبعهم الدويدار وقتل منهم عدة كثيرة وحمل رؤوسهم إلى بغداد، وما زال يتبعهم بقية نهاره، فأشار عليه الأمير فتح الدين بن بكر[٢] بأن يثبت مكانه ولا يتبعهم، فلم يصغ إليه، فأدركه الليل وقد تجاوز نهر بشير بيز دجيل فباتوا هناك، فلما أصبحوا حملت عليهم عساكر المغول وقاتلوهم قتالاً شديدًا، فلم يثبت عساكر الدويدار، فانكسروا وكروا راجعين إلى بغداد، فوجدوا نهر بشير قد فاض[٣] من الليل وملأ الصحراء، فعجزت الخيول عن سلوكه ووحلت فيه، فلم يخلص منه إلا من كانت فرسه شديدة، وألقى معظم العسكر نفسه في دجلة فهلك منهم خلق كثير، ودخل من نجا منهم بغداد مع الدويدار على أقبح صورة، وتبعهم الأمير بايجو وعسكره يقتلون فيهم وغنموا سوادهم وكل ما كان معهم، ونزلوا بالجانب الغربي، وقد خلا من أهله، فشرعوا بالرمي بالنشاب إلى الجانب الشرقي، فكانت السهام تصل إلى الدور الشطانية، وكان الخليفة جالسًا في رواقه وبين يديه صغيرة من مولدات العرب تسمى «عرفة»[٤] كانت مدللة مطبوعة مضحكة، فأصابها سهم دخل من بعض الشبابيك فقتلها، فانزعج الخليفة لذلك وأحضر السهم بين يديه فإذا عليه مكتوب «إذا أراد الله أن ينفذ قضاءه سلب ذوي العقول عقولهم» فأمر عند ذلك بعمل ما يحول بين شبابيك الدار وبين الرماة، فعملت ستائر من ألواح الخشب.

وأما السلطان هولاكوقان فإنه وصل إلى ظاهر بغداد في ثاني عشر المحرم في جيش لا يحصى عدده ولا ينفذ مدده، وقد أغلقت أبواب السور، فعرف بذلك ضعفهم عن لقائه فأمر بحفر خندق فحفر وبنى بترابه سور محيط ببغداد وعمل له

---

(١) في معجم البلدان (٥/ ٤٠٥) وعلى الصراة قنطرتان، سفلى يُدخل منها إلى باب البصرة وأخرى فوق ذلك. وفي المراصد أن هذه هي السفلى، وكانت ـ على ما حققه الدكتور مصطفى جواد ـ في غربي الحعيفر الحالي.

(٢) فتح الدين حسن بن كر الكردي الأربلي، قال ابن الكازروني: إنه قتل في المعركة: (مختصر التاريخ (ص ٢٧١) وذكر في العسجد المسبوك في حوادث سنة ٦٤٣ هـ قال: خلع عليه في دار الوزير وقلد سيفًا محلى بالذهب وأعطي تسعة أحمال كوساشا. انظر (ص ٥٣٧).

(٣) في عيون التواريخ أن المغول هم الذين أحدثوا الفتق في النهر انظر: (ص ٢٠، ١٣٣ منه).

(٤) ورد خبر هذه المولدة في عيون التواريخ (٢٠/ ١٣٣).

أبواب ورتب عليها أمراء المغول، وشرعوا في عمل ستائر للمناجيق ونصبوا المناجيق والعرادات[١] واستظهروا غاية الاستظهار، والناس يشاهدون ذلك من السور، وقد نصبوا أيضًا عليه المناجيق إلا أنها لم تصح ولا حصل بها انتفاع[٢].

ثم إن السلطان أمر بعقد جسر تحت بغداد ليمنع من ينحدر إلى واسط فعقد تحت قرية العقاب، ولم يعلم أهل بغداد به، فكانت السفن تصل إليه فيؤخذ من بها ويقتل، فقتل عنده خلق كثير، فلما كان اليوم الرابع عشر من المحرم خرج الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي إلى خدمة السلطان في جماعة من مماليكه وأتباعه، وكانوا ينهون الناس عن الرمي بالنشاب ويقولون: سوف يقع الصلح إن شاء الله فلا تحاربوا، هذا وعساكر المغول يبالغون في الرمي وقد اجتمع منهم خلق كثير على برج العجمي[٣] الذي عن يمين باب سور الحلبة، ونصبوا عليه المناجيق وواصلوا الرمي بالحجارة فهدموا وصعدوا على السور في اليوم الحادي والعشرين من المحرم، وتمكنوا من البلد، وأمسكوا عن الرمي، وعاد الوزير إلى بغداد يوم الأحد سابع عشر من المحرم وقال للخليفة: قد تقدم السلطان أن تخرج إليه، فأخرج ولده الأوسط وهو أبو الفضل عبد الرحمٰن في الحال فلم يقع الاقتناع به، فخرج الخليفة والوزير في يوم الاثنين ثامن عشري المحرم ومعه جمع كثير، فلما صاروا ظاهر السور منعوا أصحابه من الوصول معه وأفردوا له خيمة وأسكن بها، وخرج مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير وشهاب الدين سليمان شاه وسائر الأمراء في أول صفر وخرج ابن الخليفة الأكبر أبو العباس أحمد يوم الجمعة ثاني صفر، ثم دخل الخليفة بغداد يوم الأحد رابع صفر ومعه جماعة من أمراء المغول وخواجه نصير الدين الطوسي وأخرج إليهم من الأموال والجواهر والحلي والزركش والثياب وأواني الذهب والفضة والأعلاق النفيسة جملة عظيمة، ثم عاد مع الجماعة إلى ظاهر السور بقية ذلك اليوم، فأمر السلطان بقتله فقتل يوم الأربعاء رابع عشر صفر، ولم يهرق دمه بل جعل في غرارة

---

(١) العرادات: ومفردها عرادة، آلة أصغر من المنجنيق، تستخدم لرمي الأحجار إلى مسافات بعيدة لغرض هدم الأسوار أو ضرب المعسكرات أو الجند المهاجمين.

(٢) كذلك في مختصر التاريخ (ص ٧٢) وفيه: «وتقدم الخليفة بإقامة جماعة من الرماة على السور وإطلاق مال كثير إليهم، فخرج جماعة من الأعيان وأعوان الديوان، والمال معهم وشرعوا في الإثبات وإطلاق اليسير وسرقة الباقي شرهًا إلى المال».

(٣) نسبة إلى الصوفي المشهور الشيخ عبد القادر الجيلي، المعروف اليوم بالكيلاني، وكان العامة يسمونه قبل اشتهاره بالعجمي لمجيئه من بلاد العجم، وكان هذا البرج بالقرب من باب الحلبة في الزاوية الغربية الجنوبية من السور، انظر: دليل خارطة بغداد (ص ١٦٢).

ورفس حتى مات[١]، ودفن وعفي أثر قبره، وكان قد بلغ من العمر ستًا وأربعين سنة وأربعة أشهر، وكانت مدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأيامًا، ثم قتل ولده أبو العباس أحمد، وكان مولده سنة إحدى وثلاثين وستمائة، وله من الأولاد أبو الفضل محمد ورابعة، وهي التي تزوج بها خواجه هارون[٢] ابن الصاحب شمس الدين الجويني، ومولدها يوم عيد النحر سنة خمس وخمسين، وأختها ست الملوك. ثم قتل ابن الخليفة الأوسط أبو الفضل عبد الرحمٰن، ومولده سنة ثلاث وثلاثين، وله من الأولاد أبو القاسم محمد، وبنت واحدة. وأما ولد الخليفة الأصغر مبارك[٣] وأخواته فاطمة[٤] وخديجة[٥] ومريم[٦] فإنهم لم يُقتلوا بل أُسروا، ثم عين على بعض الأمراء فدخل بغداد ومعه جماعة ونائب أستاذ الدار ابن الجوزي وجاؤوا إلى أعمام الخليفة وأنسابه الذين كانوا في دار الصخر[٧] ودار الشجرة، وكانوا يطلبون واحدًا بعد واحد فيخرج بأولاده وجواريه فيحمل إلى مقبرة «الخلال»[٨] التي تجاه المنظرة فيقتل، فقتلوا جميعهم عن

---

(١) انظر: مختصر التاريخ (ص ٢٧٣)، وجامع التواريخ (ج ٢ ق ١ ص ٢٩٤)، والبداية والنهاية (٢٠١/١٣)، وعيون التواريخ (١٣٣/٢٠).

(٢) شرف الدين، الصاحب هارون، كان من أولي الأمر بالعراق، وسيرد ذكره كثيرًا في هذا الكتاب وسيذكر ولايته العراق ووفاته مقتولاً سنة ٦٨٥ هـ.

(٣) أبو المناقب، مبارك، أصغر أولاد الخليفة، ولد سنة ٦٤٠ هـ، أسره المغول وبقي تحت حكمهم إلا أنه كان محترمًا عندهم. وتزوج وأولد وتوفي بمراغة سنة ٦٧٧ هـ ودفن هناك ثم نقل إلى بغداد، ودفن في دار سوسيان. انظر: مختصر التاريخ (ص ٣٢٨).

(٤) قال ابن الكازروني: «توفيت بأرض العجم في أسر المغول، ولم يتعرض لها بسوء». انظر: مختصر التاريخ (ص ٢٧٦).

(٥) قال ابن الكازروني: أسرت ـ خديجة ـ وحملت إلى بلاد العجم واتصلت إلى الإمام العالم الخير الكامل الزاهد الورع محيي الدين أبي المحامد يحيى بن أبي المجد إبراهيم بن أبي الفضائل محمد بن أبي بكر المنيعي الخالدي بتزويج صحيح شرعي وعاد بها إلى بغداد في سنة اثنتين وسبعين وستمائة فسكنت بدار سوسيان إلى أن توفيت سنة ٦٧٦ هـ وخلفت أولادًا من الصدر محيي الدين المذكور. انظر مختصر التاريخ (ص ٢٧٦).

(٦) قال ابن الكازروني: وهي باقية إلى الآن وهو أول سنة ٦٨١ هـ في أسر المغول محترمة مكرمة، انظر: مختصر التاريخ (ص ٢٧٧).

(٧) دار الصخر من دور الخلافة، دفن فيها المستضيء سنة ٥٧٥ قبل نقله إلى تربة بالجانب الغربي، والناصر المتوفى سنة ٦٢٢ هـ. انظر: مختصر التاريخ (ص ٢٣٩ و٢٤٧).

(٨) الخلال: هو أبو بكر عبد العزيز بن جعفر الحنبلي دفين باب الأرج المعروف اليوم بالشيخ الخلافي، قال الدكتور مصطفى جواد، وكانت وفاته سنة ٣٦٣ ونحن أول المنبهين على حقيقته.

آخرهم[١]، ثم قتل مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير وأمير الحاج فلك الدين محمد بن علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير[٢]، وشهاب الدين سليمان شاه بن برجم، وفلك الدين محمد بن قيران الظاهري، وقطب الدين سنجر البكلكي الذي كان شحنة بغداد وحج بالناس عدة سنين، وعز الدين أبقرا[٣] شحنة بغداد أيضًا، ومحيي الدين ابن الجوزي[٤] أستاذ الدار وولده جمال الدين عبد الرحمٰن، وأخوه شرف الدين عبد الله، وأخوه تاج الدين عبد الكريم، وشيخ الشيوخ صدر الدين علي ابن النيار[٥]، وشرف الدين عبد الله ابن أخيه. وبهاء الدين داود بن المختار[٦] والنقيب الطاهر شمس الدين علي بن المختار[٧]، وشرف الدين محمد بن طاوس[٨]. وتقي الدين عبد الرحمٰن ابن الطبال[٩] وكيل الخليفة، وأمر بحمل رأس الدويدار وابن الدويدار الكبير وسليمان شاه إلى الموصل، فحملت وعلقت ظاهر سور البلد[١٠]،

---

(١) قتل أولاد المستنصر، وهم: أبو هاشم يوسف، وأبو القاسم علي (ذكره في العسجد المسبوك فيمن قتل، وكان قد ذكر وفاته في صدور سنة ٦٥٣ هـ) وأبو منصور الحسن وأبو الفتوح علي وأبو الفتح سليمان، وقتل الأميران المؤيد أبو عبد الله الحسين والموفق أبو علي يحيى ولد أبي الحسن علي ابن الخليفة الناصر لدين الله. انظر: العسجد المسبوك (ص ٦٣٢ و٦٣٧)، ومختصر التاريخ (ص ٢٤٨ و٢٥٧).

(٢) وفي تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ص) أنه قتل شهيدًا أثناء القتال.

(٣) انظر العسجد المسبوك (ص ٦٣٥).

(٤) انظر خبر قتله مع أولاده الثلاثة في العسجد المسبوك (ص ٦٣٥)، والعبر (٥/ ٢٣)، والشذرات (٥/ ٢٨٧).

(٥) انظر خبر قتله مع ابن أخيه في: العسجد المسبوك (ص ٦٣٧).

(٦) داود بن المختار العلوي، انظر العسجد المسبوك (ص ٦٣٨).

(٧) انظر العسجد المسبوك (ص ٦٣٨) وفيه «النقيب الطاهر علي ابن النقيب الطاهر الحسن بن المختار، وكان شابًا طريًا ذكيًا سويًا، ينظم شعرًا جيدًا، قتل وقد نيف على العشرين سنة».

(٨) شرف الدين أبو الفضل محمد بن طاوس العلوي. انظر العسجد المسبوك (ص ٦٣٩).

(٩) عبد الرحمٰن بن حمزة ابن الطبال، انظر العسجد المسبوك (ص ٦٤٠).

(١٠) وممن قتل: بلبان المستنصري الظاهري، ذكره صاحب العسجد المسبوك (ص ٦٣٥)، قال: كان شابًا نجيبًا موصوفًا بالفروسية والشجاعة، قتل وله نحو من أربعين سنة. والسيد شرف الدين ابن الصدر العلوي، كان كبير القدر، روسل به الملوك، قتل وقد جاوز الستين: العسجد (ص ٦٣٧). والعدل عبد الوهاب بن عبد الرحيم بن عبد الوهاب بن سكينة، ذكر في العسجد المسبوك (ص ٦٣٨). ونقيب العباسيين شمس الدين أبو الحسن ابن النسابة: العسجد المسبوك (ص ٦٣٧). والصدر أبو معشر الهمداني، مدرّس مدرسة بين الدربين: العسجد المسبوك (ص ٦٣٨)، ومحمد بن البوقي، أحد حجّاب المناطق، كان شابًا جميلاً يقول الشعر الجيد العسجد المسبوك (ص ٦٣٩)، والقاضي البرهان القزويني الشافعي: العسجد المسبوك (ص ٦٣٨). =

ووضع السيف في أهل بغداد يوم الاثنين خامس[١] صفر وما زالوا في قتل ونهب وأسر وتعذيب الناس بأنواع العذاب واستخراج الأموال منهم بأليم العقاب مدة أربعين[٢] يومًا، فقتلوا الرجال والنساء والصبيان والأطفال، فلم يبق من أهل البلد ومن التجأ إليهم من أهل السواد إلا القليل، ما عدا النصارى فإنهم عين لهم شحان حرسوا بيوتهم، والتجأ إليهم خلق كثير من المسلمين فسلموا عندهم، وكان ببغداد جماعة من التجار الذي يسافرون إلى خراسان وغيرها قد تعلقوا من قبل على أمراء المغول وكتب لهم فرامين، فلما فتحت بغداد خرجوا إلى الأمراء وعادوا ومعهم من يحرس بيوتهم، والتجأ إليهم أيضًا جماعة من جيرانهم فسلموا، وكذلك دار الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي فإنه سلم بها خلق كثير، ودار صاحب الديوان ابن الدامغاني ودار حاجب الباب ابن الدوامي، وما عدا هذه الأماكن فإنه لم يسلم فيه أحد إلا من كان في الآبار والقنوات، وأحرق معظم البلد وجامع الخليفة وما يجاوره، واستولى الخراب على البلد، وكانت القتلى في الدروب والأسواق كالتلول، ووقعت الأمطار عليهم ووطئتهم الخيول فاستحالت صورهم وصاروا عبرة لمن يرى، ثم نودي بالأمان، فخرج من تخلف وقد تغيرت ألوانهم وذهلت عقولهم لما شاهدوا من الأهوال التي لا يعبر عنها بلسان، وهم كالموتى إذا خرجوا من القبور يوم النشور من الخوف والجوع والبرد.

= وإبراهيم البهرقضاني الشافعي: العسجد المسبوك (ص ٦٣٨). والشمس علي بن يوسف الكاتب: العسجد المسبوك (ص ٦٣٨). وعمر بن الجلال عبد الله بن المختار العلوي، حاجب باب المراتب: العسجد المسبوك (ص ٦٣٩). والتقي ابن الموسوي، نقيب مشهد موسى الكاظم: العسجد المسبوك (ص ٦٣٩). وعبد الله بن خنفر، وكذا ورد في العسجد المسبوك (ص ٦٣٩): «قال الأديب الكاتب الشاعر: ولعله عبد الله بن جعفر الذي تقدم ذكره في هذا الكتاب. وأحمد ابن القزويني الهاشمي شيخ رباط الدرجة، قتل بعد استخدامه: العسجد المسبوك (ص ٦٣٩). ومظفر الدين محمد ابن الأمير جمال الدين قشتمر الناصري: العسجد المسبوك (ص ٦٣٩) وله ترجمة في تلخيص مجمع الآداب (ج ٥). والموفق عبد القاهر بن محمد ابن الفوطي، الأديب الشاعر: العسجد المسبوك (ص ٦٣٩)، وشذرات الذهب (٥/ ٢٧٨). وعلي بن الزبيدي: العسجد المسبوك (ص ٦٤٠). والسراج علي بن البجلي، الأديب الكاتب المترسل الشاعر: العسجد المسبوك (ص ٦٣٩)، وعلي ابن الخباز الزاهد: العبر (٥/ ٢٣٣)، والصبري، أبو زكريا يحيى بن يوسف، اللغوي الشاعر الضرير، قتل مغوليًا بعكازه ثم قتل: العبر (٥/ ٢٣٧)، والشذرات (٥/ ٢٨٤)».

(١) في مختصر التاريخ (ص ٢٧٣): وفي ثامن صفر وقع السيف ببغداد.

(٢) في العسجد المسبوك (ص ٦٣١): «بضعًا وثلاثين يومًا»، وفي تاريخ مختصر الدول (ص ٢٧٢): «سبعة أيام».

وأما أهل الحلة والكوفة فإنهم انتزحوا إلى البطائح بأولادهم وما قدروا عليه من أموالهم، وحضر أكابرهم من العلويين والفقهاء مع مجد الدين بن طاوس العلوي(١) إلى حضرة السلطان وسألوه حقن دمائهم، فأجاب سؤالهم وعين لهم شحنة، فعادوا إلى بلادهم وأرسلوا إلى من في البطائح من الناس يعرفونهم ذلك، فحضروا بأهلهم وأموالهم وجمعوا مالاً عظيمًا وحملوه إلى السلطان فتصدق عليهم بنفوسهم، وأما واسط، فإن الأمير بغاتمر(٢) انحدر عليها بعساكره وانتهى فيها إلى قريب البصرة فقتل ونهب وسبى، وكان الولاة والنقباء وأكابر الناس قد انحدروا بأهلهم وأموالهم إلى البصرة والبطائح فسلموا. قيل: إن عدة القتلى ببغداد زادت عن ثمانمائة ألف نفس(٣) عدا من ألقي من الأطفال في الوحول ومن هلك في القني والآبار وسراديب الموتى جوعًا وخوفًا، ووقع الوباء فيمن تخلف بعد القتل من شم روائح القتلى وشرب الماء الممتزج في الجيف، وكان الناس يكثرون من شم البصل لقوة الجيفة وكثرة الذباب فإنه ملأ الفضاء، وكان يسقط على المطعومات فيفسدها، وكان أهل الحلة والكوفة والسيب يجلبون إلى بغداد الأطعمة فانتفع الناس بذلك، وكانوا يبتاعون بأثمانها الكتب النفيسة وصفر المطعم وغيره من الأثاث بأوهى قيمة، فاستغنى بهذا الوجه خلق كثير منهم.

ورحل السلطان من بغداد في جمادى الأولى عائدًا إلى بلاده ومقر ملكه، وفوض أمر بغداد إلى الأمير علي بهادر(٤) وجعله شحنة بها، وإلى الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي، وصاحب الديوان فخر الدين ابن الدامغاني، ونجم الدين أحمد بن عمران(٥) وهو من أهل باجسر(٦)، كان يخدم في زمن الخليفة عاملاً، فاتصل الآن

---

(١) مجد الدين محمد بن الحسن بن سعد الدين موسى بن جعفر بن طاوس الحسني العلوي، خرج إلى السلطان هولاكو وسأله أن يحقن دماء أهل الحلة والنيل والمشهدين، ففعل وورد إليه النقابة بالبلاد الفراتية فحكم في ذلك قليلاً، وسيذكر المؤلف وفاته في حوادث هذه السنة.

(٢) في مختصر تاريخ الدول (ص ٢٧٣)، «بوقا تيمور» وانظر فيه خبر انحداره إلى واسط.

(٣) بالغ المؤرخون في عدد القتلى، فقد قدر بعضهم أن عدد القتلى ألف ألف وثمانمائة ألف، وانظر الروايات المختلفة في البداية والنهاية (١٣/ ٢٠٢).

(٤) سيذكر المؤلف قتله في حوادث سنة ٦٦١ هـ.

(٥) نجم الدين أحمد بن عمران الباجسرائي، تولى بعض الأعمال، ويبدو أنه كان كثير السعايات ولم تطل أيامه، فقد أعدم سنة ٦٢ هـ، وسيذكر المؤلف ذلك.

(٦) هي باجسرى كما في معجم البلدان (١/ ٣١٣) بليدة في شرقي بغداد، بينها وبين حلوان.

ببعض الأمراء وحضر بين يدي السلطان وأنهى إليه من حال العراق ما أوجب تقديمه وتشريفه وتعيينه في الأعمال الشرقية، وهي الخالص وطريق خراسان والبندنيجين، وأن يتفق مع الوزير وصاحب الديوان في الحكم ولقب الملك، ونجم الدين عبد الغني بن الدرنوس وشرف الدين العلوي المعروف بالطويل[(١)]، وكان تاج الدين علي ابن الدوامي حاجب الباب قد خرج مع الوزير إلى حضرة السلطان، فأمر له أن يكون صدر الأعمال الفراتية، فلم تطل مدته وتوفي في ربيع الأول، فجعل ولده مجد الدين حسين عوضه، وحضر أقضى القضاة نظام الدين عبد المنعم البندنيجي بين يدي السلطان فأمر بأن يقر على القضاء، فلما عاد الوزير والجماعة من خدمة السلطان قرروا حال البلاد ومهدوا قواعدها وعينوا بها الصدور والنظار والنواب، فعينوا سراج الدين ابن البجلي[(٢)] في الأعمال الواسطية والبصرية، ونجم الدين ابن المعين صدر الأعمال الحلية والكوفية، وفخر الدين مبارك ابن المخرمي صدر دجيل والمستنصري، وعز الدين بن أبي الحديد كاتب السلة فلم تطل أيامه وتوفي، فرتب عوضه ابن الجمل النصراني، وعز الدين ابن الموسوي العلوي نائب الشرطة، والشيخ عبد الصمد بن أبي الجيش إمام مسجد قمرية خازن الديوان، ورتبوا في جميع الأعمال نوابًا وشرعوا في عمارتها، فتوفي الوزير مؤيد الدين محمد ابن العلقمي في مستهل جمادى الآخرة، ودفن في مشهد موسى بن جعفر ـ عليه السلام ـ فأمر السلطان أن يكون ابنه عز الدين أبو الفضل وزيرًا بعده، ووصل الأمير قراغا بعد ذلك إلى بغداد، وعين عماد الدين عمر بن محمد القزويني نائبًا عنه، فكان يحضر الديوان مع الجماعة وكان ذا دين ومروءة، وعين علي شهاب الدين بن عبد الله صدرًا في الوقوف، وتقدم إليه بعمارة جامع الخليفة، وكان قد أحرق كما ذكرنا، ثم فتح المدارس والربط، وأثبت الفقهاء والصوفية وأدرّ عليهم الأخباز والمشاهرات، وسلمت مفاتيح دار الخليفة إلى مجد الدين محمد ابن الأثير، وجعل أمر الفراشين والبوابين إليه، وتقدم للجاثليق بسكنى دار علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير التي على شاطىء دجلة فسكنها، ودق الناقوس على أعلاها، واستولى على دار الفلك التي كانت رباطًا للنساء تجاه هذه الدار المذكورة، وعلى الرباط البشري المجاور لها، وهدم الكتابة التي كانت على البابين وكتب عوضها بالسرياني، ولقد قال الشعراء في واقعة بغداد أشعارًا كثيرة، منها: ما

---

(١) سيذكر المؤلف قتله في حوادث سنة ٦٦١ هـ.

(٢) تقدم ذكره في حوادث سنة ٦٤٢ هـ وفيه إشارة إلى أن كان ناظر دار الغرب. وانظر تعليقنا هناك.

قاله شمس الدين محمد بن عبيد الله[1] الكوفي الواعظ:

بانوا ولي أدمع في الخد تشتبك ولوعة في مجال الصدر تعتكر
بالرغم لا بالرضى مني فراقهم ساروا ولم أدر أيَّ الأرض قد سلكوا
يا صاحبي ما احتيالي بعد بعدهم أشِرْ عليَّ فإن الرأي مشترك
عزَّ اللقاء وضاقت دونه حِيَلي فالقلب في أمره حيران مرتبك
يعوقني عن مرادي ما بُليتُ به كما يعوق جناحَيْ طائرٍ شَرَك
أروم صبرًا وقلبي لا يطاوعني وكيف ينهض من قد خانه الورك
إن كنتَ فاقِدَ إلْفٍ نُحْ عليه معي فإننا كلنا في ذاك[2] نشترك
يا نكبة ما نجا من صرفها أحد من الورى فاستوى المملوك والملك
تَمَكَّنَتْ بعد عِزٍّ في أحبتنا أيدي الأعادي فما أبقوا ولا تركوا
لو أن ما نالهم يُفدى فديتُهم بمهجتي وبما أصبحتُ أمتلك
ربع الهداية أضحى بعد بعدهم معطلاً ودم الإسلام منسفك[3]
أين الذين على كل الورى حكموا أين الذين اقْتَنَوْا أين الأولى ملكوا
وقفت من بعدهم في الدار أسألها عنهم وعمّا حووا فيها وما ملكوا
أجابني الطلل البالي وربعهم الـ ـخالي: نعم ها هنا كانوا وقد هلكوا
لا تحسبوا الدمع ماء في الخدود جرى وإنما هي روح الصب تنسبك[4]

---

(١) له ترجمة في فوات الوفيات (٢/ ٩٢٥)، وأورد له ابن شاكر في الجزء ٢٠ من عيون التواريخ شعرًا كبيرًا.

(٢) في عيون التواريخ (ص ١٣٧): في النوح.

(٣) في عيون التواريخ: ينسفك وبعده:

والشرك منجبرٌ والملك منكسر والحق مستتر والستر منهتك
ذاك السواد شباب الدهر كان وقد شاب الزمان ودال الفاحم الحلك
كانوا وكانت حماة العز تحرسهم من الأعادي فلما نكبوا فتكوا

(٤) وقد رويت له قصائد أخرى في رثاء بغداد منها قصيدة أولها:

أين سارت تُرى حداة العيس بحبيبي وواحدي وأنيسي

عيون التواريخ (٢٠/ ١٣٨). وأخرى أولها:

أحباب قلبي نأوا فالدمع يستبق وكم سألتهم رفقًا فما رفقوا

عيون التواريخ (٢٠/ ١٣٨). وأخرى أولها:

عندي لأجل فراقكم آلام فإلام أُعْذَرُ فيكم وأُلامُ

ولما شاهد ترب الرصافة وقد نبشت قبور الخلفاء وأحرقت تلك الأماكن وأبرزت العظام والرؤوس! كتب على بعض الحيطان:

إن ترد عبرة فتلك بنو العـ ... ـباس حلّت عليهم الآفات

استبيح الحريم إذ قتل الأحـ ... ـياء منهم وأحرق الأموات

ومما قاله أيضًا[1]:

يا عصبة الإسلام نوحوا واندبوا ... أسفًا على ما حلّ بالمستعصم

دست الوزارة كان قبل زمانه ... لابن الفرات[2] فصار لابن العلقمي

ذكر من توفي من الأعيان بعد الواقعة

توفي[3] الوزير مؤيد الدين محمد ابن العلقمي في جمادى الآخرة ببغداد وعمره ثلاث وستون سنة، كان عالمًا فاضلاً أديبًا يحب العلماء ويسدي إليهم

= فوات الوفيات (١/٤٩٧). وأخرى أولها:

إن لم تقرّح أدمُعِي أجفاني ... من بعد بُعْدِكم فما أجفاني

فوات الوفيات (١/٤٩٩). ومما قيل في رثاء بغداد قصيدة تقي الدين إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر الذائعة وأولها:

لسائل الدمع عن بغداد أخبار ... فما وقوفك والأحباب قد ساروا

انظرها في: النجوم الزاهرة (٧/٥١)، وتاريخ الخلفاء (ص ٤٧٣)، وشذرات الذهب (٥/٢٧١). وقصيدة موفق الدين القاسم بن أبي الحديد وأولها:

لولا البكاء لما قدرت على الأسى ... إن البكاء معونة الملتاع

عيون التواريخ (٢٠/١٣٨). وقصيدة أبي عبد الله محمد بن الحسين بن أبي بكر بن أحمد الموصلي وأولها:

ذهب الحياء وخفت الأحلام ... وجرت دموع العين وهي سجام

انظر: عيون التواريخ (٢٠/١٤١). وقصيدة ياقوت المستعصمي وأولها:

يا مجلسًا قد فقدت بهجته ... أصبحت والحادثات في قرنِ

انظر: عيون التواريخ (٢٠/١٤١). وقصيدة علي بن ممدود بن مسعود السنجاري وأولها:

دار الأحبة بالزوراء حياك ... وجاءك المزن هطالاً ورواك

انظر: عيون التواريخ (٢٠/١٤١).

(١) البيتان بدون نسبة في شذرات الذهب (٥/٢٧١)، وتاريخ الخلفاء (ص ٤٧٢).

(٢) ابن الفرات هو علي بن محمد بن موسى ابن الفرات، الوزير العباسي المشهور، ولد سنة ٢٤١ هـ واستوزر للخليفة المقتدر ثلاث مرات، انظر: الوزراء للعنابي (ص ١١٠).

(٣) انظر خبر وفاته في: عيون التواريخ (٢٠/١٩٣)، والشذرات (٥/٢٧٢)، والعسجد المسبوك (ص ٦٤٠).

المعروف[١]، وتوفي علم الدين أحمد[٢] أخوه بعده وعز الدين حسين ابن النيار[٣] أخو شيخ الشيوخ، وتاج الدين علي ابن الدوامي حاجب الباب في ثالث عشر ربيع الأول، ومجد الدين محمد بن الحسن بن طاوس العلوي، والقاضي موفق الدين أبو المعالي القاسم[٤] ابن أبي الحديد المدائني في جمادى الآخرة، فرثاه أخوه عز الدين عبد الحميد بقوله:

أبا المعالي هل سمعت تأوهي ... فلقد عهدتك في الحياة سميعا
عيني بكتك ولو تطيق جوانحي ... وجوارحي أجرت عليك نجيعا
أنفًا غضبت على الزمان فلم تطع ... حبلاً لأسباب الوفاء قطوعا
ووفيت للمولى الوزير فلم تعش ... من بعده شهرًا ولا أسبوعا
وبقيتُ بعدكما فلو كان الردى ... بيدي لفارقنا الحياة جميعا

فعاش عز الدين[٥] بعد أخيه أربعة عشر يومًا. وتوفي تاج الدين أبو المعالي محمد ابن الصلايا العلوي[٦] ناظر إربل قتل بجبل سياه كوه[٧]، وكان قد قصد حضرة السلطان بعد وقعة بغداد ليقرر حاله، فأمر بقتله، وكان كريمًا جوادًا فاضلاً متدينًا يبالغ في عقوبة من يفسد أو يشرب الخمر. وبدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، توفي[٨] بها

(١) وفي هامش الأصل تعليقة هي «إلا أن خيانته لمخدومه تدل على سوء أصله».

(٢) ذكره المؤلف في حوادث سنتي (٦٣١) و(٦٤٠ هـ).

(٣) أبو المكارم حسين بن أحمد بن الحسين ابن النيار الكاتب. كان شيخًا فاضلاً عارفًا بالحساب، تولى عدة أعمال، أخذه المغول مع شيخ الشيوخ ليقتلا فجاء أمر السلطان هولاكو بأن لا يقتل شيخ الشيوخ وكان قد قتل، فحمل أخوه حافيًا فافتدى نفسه بعشرة آلاف دينار، فسلم من القتل، فمات بعدها بقليل وعمره ثمانون سنة. انظر: العسجد المسبوك (ص ٦٤٢).

(٤) تقدمت ترجمته. وانظر خبر وفاته في العسجد المسبوك (ص ٦٤٨)، والعبر (٥/ ٢٣٤)، وفوات الوفيات (١/ ١٠)، وعيون التواريخ (٢٠/ ١٦٣)، والبداية والنهاية (١٣/ ١٩٩)، وفيه أنه توفي سنة ٦٥٥ هـ.

(٥) عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد المعروف بابن أبي الحديد المدائني المعتزلي، صاحب شرح نهج البلاغة، تقدمت ترجمته، انظر خبر وفاته في عيون التواريخ (٢٠/ ١١٢)، والعسجد المسبوك (ص ٦٤٢).

(٦) تقدمت ترجمته، وانظر خبر مقتله في: العبر (٥/ ٢٣٦)، وشذرات الذهب (٥/ ٢٨٤).

(٧) جبل طويل بين الري وأصبهان يمتد حتى يتصل ببلاد الجبل. انظر: معجم البلدان (٣/ ٢٩٢).

(٨) في عبر الذهبي (٥/ ٢٤٠)، وشذرات الذهب (٥/ ٢٨٩)، ومختصر التاريخ (ص ٢٧٩)، وعيون التواريخ (٢٠/ ٢١٦)، أنه توفي في شعبان سنة ٦٥٧ هـ.

في شعبان، كان قد توجه إلى السلطان بعد واقعة بغداد أيضًا فأنعم عليه وأعاده، فلما دخل الموصل مرض أيامًا ومات وعمره نحو ثمانين سنة، ملك الموصل خمسين سنة ودفن بالقلعة، ثم نقل إلى مدرسة أنشأها على شاطىء دجلة تعرف بالبدرية[١]، وكان عاقلاً حازمًا لبيبا جوادًا كريمًا ذا دهاء وحيلة، مدحه ابن سنان الخفاجي فأجازه بألف دينار وخلع عليه وطلب من الشيخ عز الدين ابن الأثير أن يجمع تاريخًا ويجعله باسمه ففعل وعمل التاريخ، فأجزل صلته. وكرمُه وجودُه وصنائعُه وحسن سيرته مشهورة، وكان كثير الإحسان إلى الرعية مائلاً إلى شهواتهم عادلاً شهمًا حسن السياسة كثير القتل والتشويه والمؤاخذة. قيل: كان موته سنة سبع وخمسين، وقام بعده ابنه الملك الصالح إسماعيل.

وتوفي[٢] شهاب الدين محمود بن أحمد الزنجاني، كان قاضي القضاة ببغداد وعزل في سنة.

سنة سبع وخمسين وستمائة

فيها، توجه[٣] فخر الدين ابن الدامغاني صاحب الديوان إلى الأردو[٤] المعظم ومعه صدور أعمال العراق، فأنعم السلطان عليه وأراد أن يفوض أمر العراق إليه فرجع نجم الدين بن عمران[٥] عليه، ونسب إليه أنه أطلق من السجن بالمدائن رجلاً من أنساب الخليفة المستعصم فتوجه إلى الشام، فانتقض أمره واعتقل، فتوفي

---

(١) البدرية، مدرسة بناها بدر الدين لؤلؤ على أنقاض مسجد بناه الحمدانيون في القرن الرابع الهجري، ثم شيد بدر الدين مشهدًا للإمام يحيى بن القاسم في هذه المدرسة، ودفن هو في المشهد نفسه. ولا تزال فيه المشهد في شمال الموصل باقية إلى اليوم. انظر: التكملة (٢/ ١) ترجمة ١٥٧٤ وتعليق المحقق عليها. وحضارة العراق (٨/ ١٣٧).

(٢) وفي سبب وفاته خلاف بين المؤرخين، فقد ذكر الإسنوي في طبقات الشافعية (٢/ ١٥)، والإسنوي في طبقاته (٥/ ١٥٤) نقلا عن تاريخ الذهبي: أنه قتل بسيف التتار عندما أخذوا بغداد، إلا أن ابن الفوطي ذكر في (ج ٤ ق ٣ ص ١٩٥) من التلخيص (ترجمة فخر الدين عبد الله بن عبد الجليل) أنه ممن كان يخرج الفقهاء إلى باب السور إلى مخيم السلطان هولاكو مع شهاب الدين الزنجاني ليقتلوا».

(٣) تقدمت ترجمته في حوادث سنة ٦٢٦ من هذا الكتاب، وقد ورد خبر توجهه وقتله في أشنة في تلخيص مجمع الآداب (ج ٢ ق ٣ ص ٩٩).

(٤) الأردو، كلمة مغولية تعني المعسكر، ويراد بها هنا «مخيم الملك».

(٥) نجم الدين أحمد بن عمران الباجسرائي، يبدو أنه كثير السعايات. ولم تطل أيامه، فقد أعدم سنة ٦٦٢ هـ وسيذكر المؤلف ذلك في حوادث هذه السنة.

بنواحي أشنة[١] من أعمال أذربيجان، وكان عمره نحو خمس وستين سنة، ورتب نجم الدين ابن المعين صاحب ديوان بغداد فسار إليها وجماعة الصدور صحبته، فلما دخلها مرض وتوفي بها، وكان من جملة من توجه إلى الأردو سراج الدين ابن البجلي صدر واسط والبصرة فأثبت عليه أن أخربها وأهمل مصالحها فأمر بقتله فقتل[٢]، ورتب في واسط مجد الدين صالح بن الهذيل ولقب بالملك، فلما وصل إليها وقرر قواعدها عمل بها جسرًا ففرغ منه في أمد يسير ومدّ، ولم يكن لها من حيث عمرت جسر.

وفيها، تقدم بجمع أهل بغداد وكتبت أسماؤهم وجعل عليهم أمراء ألوف ومئات وعشرات، وقرر على كل واحد منهم ما يؤديه في كل سنة على قدر حاله ما عدا الشيخ الكبير ومن هو غير بالغ، فما زالوا على ذلك إلى أن ولي الصاحب علاء الدين عطاء ملك الجويني العراق فأسقط ذلك عنهم.

ولاية علاء الدين عطاء ملك العراق

في هذه السنة، وَلِيَ شمس الدين محمد بن محمد الجويني صاحب ديوان الممالك[٣]، وعلاء الدين عطاء، ملك أخوه العراق وجعل معه عماد الدين عمر ابن محمد القزويني.

ذكر مسير السلطان إلى الشام[٤]

في هذه السنة، أرسل السلطان هولاكوقان إلى الملك الناصر صاحب الشام يستدعيه[٥]، فأنفذ ولده الملقب بالملك العزيز وأصحبه التحف والهدايا، فأنعم عليه وأعاده وقال له: نحن طلبنا أباك وحيث لم يحضر نسير إليه، فلما بلغه ذلك حار في أمره وسار بأهله وأولاده إلى الكرك، ثم إن السلطان أمر بعمل ثلاثة جسور على

---

(١) أشنة: بلدة في طرف أذربيجان من جهة أربل معجم البلدان (١/ ٢٠١).

(٢) ذكر ذلك صاحب العسجد المسبوك في حوادث سنة ٦٥٦ هـ قال: «فلما انقضت الدولة العباسية وسلمت إليه البلاد الواسطية، فلما توجه إليها قتل هناك صبرًا، انظر (ص ٦٣٩) منه.

(٣) صاحب ديوان الممالك، بمثابة رئيس الوزراء اليوم، يتولى أمور الدولة، ويدعى له على المنابر بعد الخليفة أو السلطان.

(٤) انظر تفاصيل سيره إلى الشام في البداية والنهاية (١٣/ ٢١٥).

(٥) انظر نص الرسالة في تاريخ مختصر الدول (ص ٢٧٧) وهي رسالة تهديد ووعيد. وشذرات الذهب (٥/ ٢٧٢).

الفرات: أحدها عند ملطية[(١)] والآخر عند البيرة[(٢)] والآخر عند قلعة الروم[(٣)]، ثم سار في جيوش لا تحصى إلى بلاد الجزيرة فملكها وأمن أهلها[(٤)]، وامتنعت[(٥)] عليه سروج[(٦)] فأخذها عنوة وقتل أهلها ثم عبر الفرات وكان ما نذكره.

ذكر قتل الملك الأشرف صاحب ميافارقين[(٧)]

كان سبب قتله، أنه غدر بالمغول الذين عنده فقتلهم، فلما بلغ السلطان هولاكوقان ذلك سَيَّر ولده أشموط في جماعة من العسكر فحصروا «ميافارقين» وضيقوا على أهلها وفتحوها عنوة، وأخذوا الأشرف أسيرًا وحملوه إلى السلطان وهو بالشام سنة ثمان وخمسين فأمر بقتله فقتل وولي على ميافارقين مملوكًا[(٨)] كان للأشرف المذكور.

عدة حوادث

في ذي الحجة، توفي عز الدين أبو الفضل محمد ابن الوزير مؤيد الدين محمد ابن العلقمي[(٩)]، ولي الوزارة بعد وفاة أبيه، وكان على القاعدة التي كانت في زمن الخليفة في الملبوس والمركوب، دخل الديوان يومًا فقيل لعلي بهادر[(١٠)] شحنة بغداد: أن فرس الوزير على الباب وفي حلقها مشدة وعليها كنبوش إبريسم، فقام ومضى وشاهدها فعجب من ذلك، فقيل له: هذه كانت قواعد الوزراء والعظماء في

(١) ملطية: بلدة مشهورة من بلاد الشام، تتاخم الشام. معجم البلدان (٥/ ١٩٢).

(٢) البيرة: ذكرنا عن معجم البلدان: إنها بلدة قرب سمسياط بين حلب والثغور الرومية.

(٣) قلعة الروم: قلعة حصينة في غربي الفرات مقابل البيرة، بينها وبين سمسياط. معجم البلدان (٤/ ٩٠).

(٤) في تاريخ مختصر الدول (ص ٢٧٩) أنه نزل على حران وتسلمها بالأمان وكذلك الرها ولم يَدْنُ لأحد بسوء.

(٥) انظر تاريخ مختصر الدول (ص ٢٧٩).

(٦) سروج: بلدة قريبة من حران من ديار مضر معجم البلدان (٣/ ٢١٦).

(٧) انظر الخبر في البداية والنهاية (١٣/ ٢١٥)، وتاريخ مختصر الدول (ص ٢٨٠) وفيه: «ولما وصل هولاكو تل باش وصلت العساكر التي حاصرت ميافارقين ومعهم الأشرف صاحبها، وأنهوا أنهم أخذوها وقتلوا كل من فيها، ولم يتخلف فيها إلا أنفار قليلة لأنهم هلكوا جوعًا وماتوا، ولولا ذلك لم يتمكن المغول من أخذها وقتل الأشرف صاحبها».

(٨) اسمه عبد الله كما في مختصر الدول (ص ٢٨٠).

(٩) تقدمت ترجمته.

(١٠) سيذكر المؤلف خبر قتله في حوادث سنة ٦٦١ هـ.

زمن الخليفة، فبال قائمًا على المشدة وأمر بإخراج الفرس من الدركاة[١] وعاد وهو مغتاظ منكر لهذه الحال، وكان عمر عز الدين نحو أربعين سنة.

وفيها، توفي علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو صاحب بلاد الروم.

وفي هذه السنة، وصل بهاء الدين علي ابن الفخر عيسى الأربلي إلى بغداد[٢] ورتب كاتب الإنشاء بالديوان وأقام بها إلى أن مات[٣].

وفيها، وضع نصير الدين الطوسي الرصد بمراغة وعين فيه جماعة يتولون عمله إلى أن انتحر[٤] في سنة اثنتين وسبعين.

سنة ثماني وخمسين وستمائة

في آخر سنة سبع وخمسين، سار السلطان الأعظم هولاكوقان بعساكر عظيمة عبروا على الجسور التي تقدم ذكر عملها إلى مدينة حلب فحصروها وقاتلوا من بها وفتحوها وملكوها في خامس صفر، وقتلوا وسبوا وأسروا وأخذوا الأموال[٥]، ثم ملك بلاد الشام جميعها عنوة، وصلحًا لمن سأله الأمان وحقن دمه[٦]، وكان بحلب شحنة يعرف بفخر الدين الساقي، فلما ملكها أنعم عليه وأعاد الحكم إليه وعين علي «توكال بخشي» شحنة بها معه فاتفق أعيان حلب ورئيسها على القول في فخر الدين الساقي وأثبتوا عليه ما صار إليه من الأموال، فأمر السلطان بقتله فقتل، وولي رئيس حلب عليها. ثم إن السلطان أحكم ثغور الشام وترك بها جيشًا عليه الأمير «كتبغا»[٧]

(١) الدركاة تعني السدة أو العتبة، هنا، وهي فارسية تعني في الأصل: فناء أمام القصر. انظر: تكملة المعاجم العربية (٤/ ٣٣٩).

(٢) ذكر البهاء الأربلي ذلك في مقدمة كتابه «التذكرة الفخرية». انظر (ص ٤٧) منه.

(٣) في سنة ٦٩٢ هـ. انظر فوات الوفيات (٣/ ٥٧).

(٤) سيذكر المؤلف وفاته دون أن يشير إلى أنه انتحر.

(٥) في تاريخ مختصر الدول (ص ٢٧٩): «وأما هولاكو فإنه بنفسه نزل على حلب وبنى عليها سيبًا ونصب المجنيقات واستضعف في سورها موضعًا عند باب الواق وأكثر القتال والزحف عليه، وفي أيام قلائل ملكوها، وقتل فيها أكثر من الذين قتل ببغداد». وفي البداية والنهاية (١٣/ ٢١٨): «حاصروها سبعة أيام ثم افتتحوها بالأمان، ثم غدروا بأهلها وقتلوا منهم خلقًا لا يعلمهم إلا الله عز وجل». وانظر: العبر (٥/ ٢٤١)، وعيون التواريخ (٢٠/ ٢٢٢)، وشذرات الذهب (٥/ ٢٩٠).

(٦) في مختصر الدول (ص ٢٧٩)، (وتسلموا حماه بالأمان وحمص أيضًا. . .).

(٧) أحد كبار أمراء المغول سيذكر المؤلف قتله في معركة عين جالوت.

ورحل فنزل على ماردين وبها صاحبها نجم الدين غازي، فأرسل إليه ولده قرا أرسلان الملقب بالملك المظفر، فأنعم السلطان عليه وأمره أن يحسن لأبيه الطاعة وحذره عاقبة العصيان، فلما عاد إليه وأبلغه ذلك اعتقله خوفًا منه أن يقبض عليه، فدام حصر ماردين ووقع بها وباء كاد يفني من بها، فمات صاحبها نجم الدين غازي، فخرج ابنه الملك المظفر من الحبس ونزل إلى عبودية السلطان فخلع عليه وأعاده[1]، ثم رحل قاصدًا مقر ملكه. وأما كتبغا فإنه نزل على الكرك واستنزل الملك الناصر بأمان وسيره إلى عبودية السلطان فأكرمه ووعده أنه إذا ملك مصر أعاده إلى الشام[2].

حُكِيَ أن السلطان لما كان بوطأة حران وقف له جمع من الفقراء القلندرية فقال لنصير الدين الطوسي: ما هؤلاء؟ قال: فضلة في العالم، فأمر بقتلهم فقتلوا، وسأله عن معنى قولِهِ فقال: «الناس أربع طبقات، بين إمارة وتجارة وصناعة وزراعة، فمن لم يكن منهم كان كَلًّا عليهم».

وفيها، اتفق علي بهادر شحنة بغداد وعماد الدين القزويني وجماعة من صدور العراق وقصدوا حضرة السلطان حيث كان في الشام ورفعوا على علاء الدين صاحب الديوان أشياء اعتمدها وأثبتوا ما استوعبه من الأموال، فأعاده معهم إلى بغداد ليقابل على ذلك، فلما قوبل وثُبِّتَ عليه ما نُسب إليه أنهوا ذلك إلى السلطان فأمر بقتله، فسئل العفو عنه فأمر بحلق لحيته فحلقت، وكان يجلس في الديوان ويستر وجهه.

وفيها، وَلِيَ الصاحب علاء الدين، عز الدين أحمد بن محمود الزنجاني[3] قضاء القضاة ببغداد نقلًا من الجانب الغربي وخلع عليه.

---

(١) كذلك ورد في مختصر الدول (ص ٢٨٠) وفيه: أنه سير إليه ولده مظفر الدين لأنه كان في خدمة هولاكو لما كان بالشام.

(٢) انظر: مختصر الدول (ص ٢٨٠). إلا أن هولاكو قتل الناصر وأخاه الملك الظاهر وجميع من معهم عندما بلغه أن قطز انتصر على جيشه في عين جالوت كما سيأتي، وانظر كذلك البداية والنهاية (١٣/ ٥٤٠).

(٣) عز الدين أبو العباس أحمد بن أبي المناقب شهاب الدين محمود (وقد تقدم ذكره كثيرًا في هذا الكتاب) بن أحمد بن بختيار الزنجاني البغدادي قاضي القضاء. ولد ببغداد ودرس الفقه على والده، استنابه نظام الدين البندنيجي قاضي القضاة في قضاء الجانب الغربي. انظر ترجمته في تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ١ ص ١٩) وفيه أيضًا أن الصاحب علاء الدين ولّاه قضاء القضاة في سنة ٦٧٠ هـ بعد وفاة سراج الدين الهنايسي.

سنة تسع وخمسين وستمائة

فيها، سار الملك المظفر قطز[١] صاحب مصر إلى الشام لما عرف أن السلطان هولاكوقان قد عاد إلى بلاده، فخرج إليه الأمير كتبغا[٢] ومن معه من العساكر والتقوا واقتتلوا عند عين الجالوت[٣] فقتل كتبغا وعدة من أولاده وجمع كثير من عسكره، وانهزم الباقون[٤] فدخل الملك «قطز» دمشق واستولى على الشام جميعه وأحكم أموره وقرر قوانينه وعاد إلى مصر، فلما كان بنواحي غزة وثب البندقدار[٥] في عدة من مماليك الصالح أيوب فقتلوه، واتفقوا[٦] الأمراء عليه فجعلوه سلطانهم ولقب الملك الظاهر، فسار في الجيوش حتى دخل مصر فلما استقر بها شرع في قتل كل من توسم فيه الرياسة حتى توطد ملكه، فلما بلغ السلطان هولاكوقان ذلك أمر بقتل الملك الناصر وأخيه وأصحابهما وكانوا عنده كما تقدم ذكره، ثم أمر إيلكا نوين بالمسير إلى الشام، فسار بخلق كثير من العسكر، فلما قرب من دمشق بلغه أن الملك الظاهر قد تجهز للقائه ووصل إلى دمشق، فعاد إلى بلاد الروم، ولما بلغ الملك الصالح إسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ مسير إيلكا نوين فارق الموصل، وقصد الملك الظاهر

---

(١) الملك المظفر سيف الدين قطز، حكم مصر بعد أن عزل المنصور ابن المعز سنة سبع وخمسين، وأوقع بعساكر هولاكو في عين جالوت، فكانت أول هزيمة عرفها التتر وأوقفت تقدمهم نحو مصر، وعندما عاد قطز إلى مصر اغتاله أحد قواده كما سيأتي. انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٢٢٥)، وخطط المقريزي (٣/ ٩٣).

(٢) كتبغا نوين، ذكر المؤلف في حوادث سنة ٦٥٨ أن هولاكو تركه على عساكره بالشام، وكان من أكبر الأمراء المغول شجاعًا ذا تجربة ورأي وخبرة في القتال وافتتاح الحصون. قتل في معركة عين جالوت وأسر ابنه وقتل صبرًا. انظر: عيون التواريخ (٢٠/ ٢٤٣)، والعبر (٥/ ٢٤٧)، والبداية والنهاية (٣/ ٢٢٦).

(٣) عين الجالوت: بليدة لطيفة بين بيسان ونابلس، من أعمال فلسطين، معجم البلدان (٤/ ١٧٧).

(٤) انظر: تفاصيل معركة عين جالوت المجيدة في البداية والنهاية (١٣/ ٢٢٠)، وفيه وفي مختصر الدول (ص ٢٨٠)، والشذرات (٥/ ٢٩٠)، والعبر (٥/ ٢٤٣)، وعيون التواريخ (٢٠/ ٢٢٧)، وخطط المقريزي (٣/ ٩٣): أنها وقعت في رمضان من سنة ٦٥٨ هـ.

(٥) البندقدار: هو المشرف على الرمي بالبندق وآمره، وهو الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس البندقداري الصالح - ترجمناه في موضع سابق - قتل المظفر قطز وتولى أمر مصر والشام سنة ٦٥٨ هـ حتى وفاته سنة ٦٧٦ هـ.

(٦) انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٣٢٣) وفيه: «واتفقت كلمتهم على أن يبايعوا بيبرس البندقداري ولم يكن هو من أكابر المقدمين، ولكن أرادوا أن يجربوا به، ولقبوه الملك الظاهر. وكان شهمًا شجاعًا أقامه الله للناس لشدة احتياجهم إليه في هذا الوقت الشديد والأمر العسير».

وهو بدمشق[١] وطلب منه جيشًا يمنع به المغول عن قصد الموصل، فوعده بذلك، فلما عاد إيلكا نوين عين له جماعة من العسكر، فسار بهم إلى الموصل وأنفذ سنجر[٢] مملوك أبيه على مقدمته، فلما بلغ الموصل منع عن دخولها أيامًا، فوثب محيي الدين بن زيلاق[٣] في طائفة من العوام، وفتحوا له باب الجسر فدخل منه ووضع السيف في النصاري فقتل أكثرهم ونهب أموالهم، فبلغه أن عسكر المغول واصل إليه فخرج ومعه ألف فارس وسار نحو نصيبين، فالتقى به عسكر المغول فقتلوه وقتلوا أكثر من معه[٤]، فلما بلغ السلطان هولاكوقان ذلك سير الأمير سنداغو إلى الموصل. وأما الملك الصالح بن بدر الدين فإنه وصل الموصل ودخلها فلما استقر بها وصل الأمير سنداغو[٥] نوين وحصره ونصب المناجيق على سور الموصل وخندق عليها، وواصل الزحف والقتال مدة اثني عشر شهرًا إلى أن استولى عليها سنة ستين على ما نذكره.

وفيها، وصل صاحب الديوان شمس الدين إلى بغداد ومعه يرليغ[٦] يتضمن براءة أخيه علاء الدين مما نسب إليه وبولايته العراق وبسط يده، فلما قرىء في الديوان قال الصاحب شمس الدين لعلي بهادر شحنة بغداد: «الشعر إذا حلق نبت والرأس إذا حلق لم ينبت» ودبر في قتله، وقتل عماد الدين القزويني على ما نذكره.

وفيها رتب الشيخ جلال الدين عبد الجبار بن عكبر[٧] الواعظ مدرس طائفة

---

(١) ورد ذلك في تاريخ مختصر الدول (ص ٢٨٢).

(٢) علم الدين سنجر، ورد ذكره في مختصر تاريخ الدول (ص ٢٨٢).

(٣) محيي الدين يوسف بن سلامة بن إبراهيم أبو المحاسن الهاشمي العباسي يعرف بابن زيلاق، ولد بالموصل سنة ٦٠٣ هـ، وكان شاعرًا مجيدًا أديبًا. انظر: شذرات الذهب (٥/ ٣٠٤) وفيه (محمد بن يوسف)، والعبر (٥/ ٢٦٢)، وفوات الوفيات (٢/ ٣٣٦)، وعيون التواريخ (٢٠/ ٢٧٩) وفيه وفي ذيل المرآة (٢/ ١٨١) طائفة من شعره. وسيذكر المؤلف مقتله عن يد المغول بعد افتتاحهم الموصل سنة ٦٦٠ هـ.

(٤) انظر: تاريخ مختصر الدول (ص ٢٨٣).

(٥) اسمه في تاريخ مختصر الدول «سمدغو».

(٦) المقصود باليرليغ «المرسوم السلطاني» الخاص بالتنزيه، فهو غير القرقاز «حاشية الدكتور مصطفى جواد».

(٧) عبد الجبار بن عبد الخالق بن محمد العكبري، ينتهي نسبه إلى الخليفة عمر بن الخطاب، ولد سنة ٦١٩ هـ ببغداد، وكان في صباه خياطًا واشتغل بالطب، ثم تفقه على المذهب الحنبلي حتى صار من أكبر شيوخه، ورتب واعظًا بباب بدر حتى احتلال بغداد. وأسر فاشتراه بدر الدين لؤلؤ وحمله إلى الموصل فوعظ بها، ثم عين مدرسًا للحنابلة بالمدرسة المستنصرية. له «إيقاظ=

الحنابلة بالمدرسة المستنصرية نقلاً من الإعادة بها، وحضر درسه الصاحب علاء الدين والأكابر والعلماء وخلع عليه.

سنة ستين وستمائة

ذكرنا في السنة الماضية أن الأمير سنداغو[1] نزل على الموصل وحصرها، وكان أهلها قد أبلوا في الجهاد بلاء حسنًا، وقام الملك الصالح إسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ في ذلك قيامًا تامًا ونصب حبال مجانيق المغول بباب الميدان والجصاصين ثلاثين منجنيقًا ترمي ليلاً ونهارًا، فلما طال الحصار ورأى سنداغو أن القتال والزحف لا يجديان نفعًا أمسك على ذلك إلى أن فنيت ميرة أهلها وتعذرت الأقوات عليهم واشتد بهم الأمر حتى أكلوا الميتة ولحوم الكلاب، فحينئذٍ طلب الملك الصالح من سنداغو الأمان له ولأولاده ولأهل البلد، وترددت الرسل بينهما فأجابه إلى ذلك[2]، فلما خرج إليه قبض عليه وعلى ولده وأتباعه ودخل العسكر إلى البلد وقتلوا ونهبوا وسبوا وأسروا ثم أمر بقتل ولده الملقب علاء الملك، فقتل وعلق رأسه على باب الجسر، وسير الملك الصالح وأخاه الملك الكامل إلى السلطان هولاكوقان فأمر بالملك الصالح فسلخ وجهه وهو حي، ثم قتل وقتل أخوه وكان طفلاً، وقتل أصحابهم وأتباعهم[3]. ثم رتب ابن يونس الباعشيقي[4] واليًا بالموصل ورتب معه الأمير نور الدين شحنة، وكان الملك الصالح لما اشتد حَصْرُ الموصل كاتَبَ سلطان الشام يسأله مساعدته فأرسل لنصرته أميرًا اسمه إيلبرلك[5] في جماعة، فلما وصل سنجار

= الوعاظ» و«المقدمة في أصول الفقه» و«تفسير الكتاب الحكيم» توفي سنة ٦٨١ هـ. انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٢/ ٣٠٠)، وشذرات الذهب (٥/ ٣٧٤) وفيه أنه ولد سنة ٦١٠ هـ، والأعلام (٤/ ٤٨) وفيه إشارة إلى مصادر ترجمته الأخرى.

(١) اسمه في تاريخ مختصر الدول (ص ٢٨٤) «سمدغو».

(٢) انظر: تاريخ مختصر الدول (ص ٢٨٤)، وفيه «لما صار الأمير سمدغو يخاطب الملك الصالح ويطالبه انخذع وفتح أبواب المدينة وخرج إليهم بالمطربين والأغاني والمساخرة بين يديه» وانظر العبر (٥/ ٢٥٨).

(٣) انظر خبر فتح الموصل في العبر (٥/ ٢٥٨)، والشذرات (٥/ ٣٠٠)، وتاريخ مختصر الدول (ص ٢٨٤)، وذيل الروضتين (ص ٢١٩).

(٤) هو الأمير شمس الدين بن يونس. انظر أخباره في: تاريخ مختصر الدول (ص ٢٨٣) وما بعدها وفيه: أن المغول قتلوه سنة ٦٦١ ورتبو الزكي الأربلي موضعه.

(٥) إيلبرلك: ورد اسمه في مختصر تاريخ الدول (ص ٢٨٤)، وذيل الروضتين (ص ٢١٨) بصورة «بولو».

كتب على الجناح إلى الملك الصالح يعرفه وصوله، فاتفق أن بعض المغول رمى ذلك الطائر بسهم فوجد الخط فحمله إلى سنداغو فأرسل جماعة من عسكره نحو إيلبرلك، فساروا إليه وقاتلوه بظاهر سنجار فقتلوه وقتلوا معظم أصحابه وانهزم الباقون، ولما فرغ سنداغو من فتح الموصل سار إلى جزيرة ابن عمر ففتحها بأمان وقتل حاكمها، واستعمل عليها رجلاً نصرانيًا اسمه «مرحسيا» ثم عاد إلى السلطان، ومن جملة من قتل بالموصل في هذه الوقعة محيي الدين بن زيلاق[1] وكان من الفضلاء، له رسائل وأشعار مشهورة منها: قوله يعتذر إلى من يستدعيه:

أنا في منزلي وقد وهب اللـ ـه نديمًا وقينة وعقارا
فابسطوا العذر في التأخر عنكم «شغل الحلي أهله أن يعارا»

ولابن زيلاق أيضًا:

«رحلوا بقلبي المستهام وغادروا بين...»[2]
«ولقد شيعت حداجهم بمدامعي...»[2]

وفيها، أبطلت الدراهم السواد[3] بالموصل، وكانت نحو أربعين درهمًا بدينار، وضرب بها دراهم نقرة[4] وفلوس.

وفيها، قتل عماد الدين القزويني أحد الحكام ببغداد، وسبب ذلك ما تقدم ذكره في السنة الماضية، فلما كان الصاحب شمس الدين بالعراق أخذ خطوط الولاة والأكابر بما صار إليه من الأموال، وعرض ذلك على السلطان، فأمر بالفحص عنه فثبت عليه أكثره، فأمر بقتله، ثم إن الصاحب شمس الدين قبض على مجد الدين صالح بن الهذيل ملك واسط وطولب بالبقايا وشدد عليه ثم دُوشِخَ[5] وضرب،

---

(١) ترجمناه في حوادث سنة ٦٥٩ هـ. وانظر خبر مقتله في: العبر (٥/ ٣٠٤)، وعيون التواريخ (٢٠/ ٢٧٩).

(٢) كذا في الأصل.

(٣) قال القلقشندي: أما الدراهم السوداء، فأسماء على غير مسميات كالدنانير الجيشية، وقال في الدنانير الجيشية: فمسمى لا حقيقة، وإنما استعمله أهل ديوان الجيش في عبرة الإقطاعات بأن يجعلوا لكل إقطاع عبرة دنانير معينة من قليل أو كثر. انظر: صبح الأعشى ٣/ ٤٣٨.

(٤) الدراهم النقرة: في صبح الأعشى (٣/ ٤٣٩): (وأصل موضوعها أن يكون ثلثاها من فضة وثلثها من نحاس، وتطبع بدور الضرب).

(٥) دَوْشَخَه: أي عصره بالدوشاخة ذات الفلقتين، وفي تكملة المعاجم العربية (٤/ ٤٤٥) الدوشاخة: آلة ذات شعبتين.

وطيف به في واسط واستوفي منه قدر يسير ساعده به الناس، وقبض على أصحابه ونوابه وطولبوا بالأموال وضربوا، ثم سلمت الأعمال الواسطية إلى الملك فخر الدين منوجهر ابن ملك همذان[١]، فانحدر إليها، واستصحب فخر الدين مظفر ابن الطراح[٢] وجعله نائبًا عنه في تدبيرها.

سنة إحدى وستين وستمائة

فيها، قتل علي بهادر[٣] شحنة بغداد والعلوي المعروف بالطويل، وكانا ممن سعى في الصاحب علاء الدين، كما تقدم ذكره، فأخذ الصاحب شمس الدين خطوط حكام بغداد بما صار إليهما من الأموال وما اعتمدا في العراق، وعرض ذلك على السلطان فأمر بقتلهما، فأرسل الأيلجية[٤] في طلبهما من بغداد، فلما سارا عنها أنفذ من قتلهما وعين الأمير قرابوقا[٥] شحنة ببغداد، وكان علي بهادر حسن السياسة مظهرًا للخير يلازم الصلوات في الجمع والتراويح وغيرها، فلما قتل قبض على شهاب الدين داود بن عبدوس[٦] وكيله، وثقل بالحديد وطولب بالأموال، فأدى عشرة آلاف دينار، ثم إن الصاحب علاء الدين خاطب في أمره فتقدم بإعادة ذلك عليه.

وفيها، وَلِيَ السيد رضي الدين علي ابن طاووس[٧] نقابة الطالبيين بالعراق.

---

(١) أبو نصر، منوجهر بن أبي الكرم بن منوجهر الهمذاني، وإليه تنسب التذكرة الخمزية التي صنفها البهاء الأربلي. انظر: تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٣ ص ٤١٩).

(٢) فخر الدين أبو الليث المظفر بن محمد بن جعفر الشيباني الوافي، سيذكر المؤلف أنه ولي الكوفة والحلة والسيب سنة ٦٧٣ هـ وفي التلخيص (ج ٤ ق ٣ ص ٤١١): أنه ولي صدرية واسط والحلة، وفوض إليه أعمال الحلة ونهر الملك سنة ٦٨٧ هـ وولي واسط سنة ٦٩٤ هـ وبقي إلى أن قتله ابن تاشان في نفس السنة.

(٣) تقدم خبر تعيينه شحنة بغداد في حوادث سنة ٦٥٦ هـ.

(٤) أيلجي: السفير أو الرسول، والأيلجية: الغلمان الذين كان المغول يتخذونهم للمراسلة.

(٥) سيذكر المؤلف خبر عزله في حوادث سنة ٦٦٢ هـ.

(٦) شهاب الدين داود بن عبدوس، ذكره ابن الفوطي استطرادًا في تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ١ ص ٢٩).

(٧) رضي الدين علي بن سعد الدين موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد ينتهي نسبه إلى محمد الطاووس الحسني العلوي، ولد بالحلة سنة ٥٨٩ وبها نشأ وقرأ كتب الفقه والأصول حتى صار من أكبر فقهاء الإمامية في عصره، وهاجر إلى بغداد وتزوج بابنه الوزير ناصر بن المهدي العلوي، وقربه الخليفة المستنصر، وتنقل بين بغداد والحلة وكربلاء والنجف. وامتلك خزانة كتب كبيرة، وضع لها فهرسًا سماه «الإبانة في معرفة كتب الخزانة» ومؤلفاته كثيرة، وتوفي سنة=

وفيها، توفي عز الدين عبد الرحمٰن ابن الناقد[١] وعمره إحدى وخمسون سنة وخمسة أشهر.

سنة اثنتين وستين وستمائة

فيها وصل نصير الدين محمد الطوسي إلى بغداد لِتَصَفُّحِ الأحوال والنظر في أمر الوقوف والبحث عن الأجناد والممالك، ثم انحدر إلى واسط والبصرة، وجمع من العراق كتبًا كثيرة لأجل الرصد. ووصل أيضًا جلال الدين بن مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير وقبض على نجم الدين أحمد بن عمران الباجسري، وأُخرج مكتوفًا راجلاً إلى ظاهربغداد، وقد نصبت هناك خيمة بها صاحب الديوان علاء الدين وخواجه نصير الدين الطوسي وابن الدويدار وجماعة من الأمراء، فعمل له يارغو[٢] وقوبل على أمور نسبت إليه، فوجب عليه القتل فقتل، وأخذ ابن الدويدار مرارته، ثم طيف برأسه على خشبة ونهبت داره، وكان حسن السيرة ذا مروءة، كان من متصرفي السواد ببغداد. فلما وصل السلطان هولاكوقان العراق توصل حتى مثل في حضرته وأنهى إليه من الأحوال ما أوجب الإنعام عليه وتقديمه حتى صار من جملة الحكام ببغداد وشارك في تدبير الأعمال وخوطب بالملك، فقال في حق علاء الدين صاحب الديوان وعاداه، فأفضت حاله إلى ما جرى عليه، نعوذ بالله من سوء التوفيق، ثم إن ابن الدويدار شرع في بيع ما له من الغنم والبقر والجواميس وغير ذلك، واقترض من الأكابر والتجار مالاً كثيرًا واستعار خيولاً وآلات سفر، وأظهر أنه يريد الخروج إلى الصيد وزيارة المشاهد، وأخذ والدته وقصد مشهد الحسين ـ عليه السلام ـ ثم توجه إلى الشام، فأخر عنه جماعة ممن صحبه من الجند لعجزهم فلما عادوا أخذهم قرابوغا شحنة بغداد وقتلهم، وقبض على كل من كان ببغداد وواسط وغيرها من الجند فقتلهم.

= ٦٦٤ هـ وسيذكر المؤلف ذلك، انظر: السيد علي آل طاووس، للشيخ محمد حسن آل ياسين (مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلة ١٢ سنة ١٩٦٥)، وفيه أسماء مؤلفاته وإشارة إلى أهم مصادر ترجمته.

(١) عز الدين، أبو الفرج، عبد الرحمٰن بن كمال الدين أبي القاسم بن أبي السعادات محمد بن الناقد البغدادي، ترجمه ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ١ ص ١٩٩).

(٢) اليارغو: كلمة مغولية تعني المحاكمة، واليارغوجي: الحاكم.

وفيها، قبض قرابوغا شحنة بغداد على علاء الدين صاحب الديوان واعتقله ونسب إليه أشياء قد عزم على أن يعتمدها، فأرسل إلى أخيه الصاحب شمس الدين وهو باذربيجان يعرفه ذلك، فعرض أمره على السلطان فأمر بحمله إلى بين يديه على اختياره ومعه كل من قال عنه ونسب وسعى به إلى قرابوغا، تحت الاستظهار، فلما وصلوا وعمل «اليارغو» لم يثبت على الصاحب علاء الدين ما نسب إليه فأمر بقتل من سعى به وعزل قرابوغا عن العراق، وأعيد الصاحب علاء الدين على قاعدته إلى بغداد، ورتب توكال بخشي شحنة بغداد وهو شتكتاي نوكره.

سنة ثلاث وستين وستمائة

في تاسع عشر ربيع الآخر، كانت[1] وفاة السلطان هولاكوقان ودفن في قلعة «تلا» من أعمال مراغة، وولي بعده ولده السلطان أباقاخان وجلس على التخت في خامس عشرين الشهر المذكور، وأجمع الأمراء على طاعته وسائر العساكر، وكان عمر السلطان هولاكوقان نحو خمسين سنة، وكان عالي الهمة عظيم السياسة عارفًا بغوامض الأمور وتدبير الملك، فاق على من تقدمه بالرأي السديد والبأس الشديد والسياسة القاهرة، وكان يحب العلماء والفضلاء ويحسن إليهم ويجزل صِلاتهم[2] ويشفق على رعيته ويأمر بالإحسان إليهم والتخفيف عنهم، ولم يثقل عليهم ولا كلفهم ما جرت عادة الملوك به من التكليفات والتوزيعات وغير ذلك.

وفيها همّ السلطان ركن الدين بقتل البروانة[3] وزيره، فنم الخبر إليه فواطأ أمراء المغول الذين هناك على قتل السلطان فأدخله أحدهم خيمته وخنقه بوتر قوس ودفنه في الخيمة، وأقام مقامه ابنًا له عمره أربع سنين اسمه كيخسرو ولقبه غياث الدين.

---

(١) انظر: عيون التواريخ (٢٠/ ٣٢٥)، وفي العبر (٥/ ٢٧٨)، والبداية والنهاية (١٣/ ٢٤٥)، والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٢٠)، وتاريخ مختصر الدول (ص ٢٨٤) أنه توفي سنة ٦٦٤ هـ.

(٢) كذلك في تاريخ مختصر الدول (ص ٢٨٤)، وفي عيون التواريخ (٢٠/ ٣٢٥) «وما كان له دأب إلا القتل».

(٣) البروانة أو «البرواناة» كلمة فارسية معناها في الأصل الحاجب ثم أطلقت في دول الروم السلاجقة بآسيا الصغرى على الوزير الأكبر. والبرواناة هنا هو معين الدين سليمان: السلوك للمقريزي (١/ ٥٧٢). وركن الدين هو كيقباذ بن كيخسرو بن قلج أرسلان السلجوقي. كان هو وأبوه مقهورين مع التتار، له الاسم ولهم التصرف، وقد اتهم بمراسلة الملك الظاهر. انظر: العبر (٥/ ٢٨٥)، والشذرات (٥/ ٣٢٣) وفيها أنه قتل سنة ٦٦٦ هـ.

وفيها، عين رضي الدين المعروف بالبابا واليًا بالموصل فدخلها وقبض على الزكي الإربلي الذي كان واليها وطالبه بالبقاء التي ساقها الحساب عليه واستوفى منه معظمها ثم قتله.

وفيها، قبض مرمليخا الجاثليق على نصراني من أهل بغداد قد أسلم، فاعتقله بداره المعروفة بالدويدار الكبير على شاطىء دجلة وعزم على تغريقه، فبلغ العوام ذلك فاجتمعوا ونهبوا سوق العطارين برأس درب دينار وغيره من محال بغداد والنصارى، وحصروا الجاثليق وأحرقوا باب داره وقاتلوا أصحابه، فنزل في سفينة وقصد صاحب الديوان علاء الدين واستجار به فأمر الكلحية[١] بكف العوام، وركب توكال بخشي شحنة بغداد وأخذ نفرًا من العوام وقتل منهم وحبس جماعة، فسكنت الفتنة، ثم إن الجاثليق توجه إلى الأردو الأشرف، وعاد على إربل وبنى بقلعتها بيعة، ثم قدم بغداد وأقام بها إلى أن مات سنة...[٢] ورتب في منصبه ماردنحا الإربلي.

وفيها، توفي جمال الدين أبو الحسن علي بن برز القمي المعروف بأميران، وهو ابن أخي الوزير مؤيد الدين القمي، ودفن في تربة عمه بمشهد موسى ـ عليه السلام ـ.

سنة أربع وستين وستمائة

فيها، سار الملك الظاهر المعروف بالبندقدار إلى بلاد الأرمن وأوقع بأهلها ونهبهم واستباح أموالهم وأكثر القتل والأسر فيهم، خصوصًا أهل سيس[٣] وأسر ابنًا للثون[٤] صغيرًا. وكان سبب ذلك أن لثون[٤] راسل البندقدار لما ملك مصر وهادنه على خراج مقرر يحمله إليه، فمطله به هذه السنة، فلما عاد البندقدار اجتاز بأنطاكية وحصرها وفتحها عنوة وقتل أهلها ونهب أموالهم، وعاد إلى بلاده فأرسل لثون إلى البندقدار يسأله فداء ابنه، فأجابه إلى ذلك وقال: إن لنا أسيرًا بيد المغول يعرف بسنقر

---

(١) كذا ورد في الأصل. وسيرد في حوادث سنة ٦٩٠ على صورة «الكلجية» وكذلك ورد في تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٣ ص ٤١١). قال «ووصل الملك نور الدين عبد الرحمٰن بن تاشان ومعه بروجي متقدم الكلجية» قال الدكتور مصطفى جواد في حاشيته على (التلخيص): والظاهر أنهم صنف من الأتراك المغول، والظاهر أيضًا أن باب كلواذا نسب إليهم فقيل «باب الخلج».

(٢) بياض في الأصل.

(٣) انظر البداية والنهاية (١٣/ ٢٤٤)، وتاريخ مختصر الدول (ص ٢٨٥).

(٤) اسمه في تاريخ مختصر الدول (ص ٢٨٥): «حاتم» واسم ابنه في عيون التواريخ (٢٠/ ٣٣٧): «ليفون». وفي ذيل المرآة (٤/ ٣٨٤)، وكنز الدرر (٨/ ١١٨) «ليفو ابن هيثوم».

الأشقر، خلّصه وأرسله إلينا لنطلق ابنك[١]، فسار إلى عبودية السلطان أباقاقان وأنهى ذلك إليه وسأله إطلاق سنقر، فأمر بتسليمه إليه، فسيره إلى البندقدار فأطلق ابنه. ثم إن لثون أرسل ابنًا له كبيرًا إلى السلطان أباقاقان ذكر أنه قد عجز عن الحركة وسأله أن يملك ابنه المذكور، فأجاب سؤاله وأعاده إليه، فاستقل بملك أبيه[٢].

وفيها، وصل إلى بغداد رجل معه فيلان، أفرد الديوان لهما دارًا فأقام أيامًا ثم توجه بهما إلى السلطان.

وفيها، توفي فخر الدين أبو سعد المبارك ابن المخرمي، خدم الخلفاء في عدة خدمات آخرها صاحب ديوان العراق، ولما كفت يده انقطع في داره، إلى أن ملك السلطان بغداد، فلما تقرر حال الحكام بها، ولاه صدرًا بدجيل، ثم نقل إلى مشيخة رباط الحريم، بموجب التماسه وإيثاره للعزلة والعبادة، فبقي على ذلك إلى أن مات ودفن بحضرة الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ.

وفيها، توفي السيد النقيب الطاهر رضي الدين علي ابن طاووس[٣] وحمل إلى مشهد جده علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ. قيل: كان عمره نحو ثلاث وسبعين سنة.

سنة خمس وستين وستمائة

في هذه السنة، عبر براق بن جفتاي بن قبلاي خان النهر إلى غربيه بعساكر كثيرة فسار السلطان أباقا للقائه، فالتقوا[٤] بنواحي هراة[٥] واقتتلوا قتالاً شديدًا استظهر فيه براق ثم إن الله مَنَّ بالنصر على السلطان أباقا وأيده، فانهزم براق وعسكره وتمت هزيمتهم إلى جيحون[٦]، وتبعهم عسكر السلطان أباقا

(١) انظر تفاصيل خلاص الأمير شمس الدين سنقر الأشقر في: عيون التواريخ (٢٠/ ٣٦١)، وتاريخ مختصر الدول (ص ٢٨٦).

(٢) انظر: تاريخ مختصر الدول (ص ٢٨٦) وفيه أن ذلك حدث سنة ٦٦٩ هـ.

(٣) تقدمت ترجمته في حوادث سنة ٦٦١ هـ.

(٤) انظر تفاصيل ذلك في: جامع التواريخ (مجلد ٢ ج ٢ ص ١٨ ـ ٨٥) وفيه أن الوقعة كانت في غرة ذي الحجة سنة ٦٦٨ هـ.

(٥) مدينة كبيرة من أمهات مدن خراسان، وكان المغول قد خربوها سنة ٦١٨ هـ. انظر: معجم البلدان (٥/ ٩٦).

(٦) جيحون، اسم وادي خراسان، ونهر عظيم تصب فيه أنهار كثيرة. انظر: معجم البلدان (٢/ ١٩٦).

يقتلون فيهم وينهبون وغرق منهم خلق كثير في جيحون، ونجا يراق وبعض عسكره.

وفيها، عزل توكال بخشي عن نوكرية هوشتكتاي شحنة بغداد وجعل عوضه تتارقيا.

وفيها، بنى علاء الدين صاحب الديوان بظاهر بغداد تجاه باب الظفرية والحلبة قصرًا ورواقات وحمامًا، واستجد حوله بستانًا عظيمًا غرس فيه أنواع النخل والأشجار والأثمار حتى الفستق وغرم عليه مالاً كثيرًا.

وفيها، وصل شمس الدين محمد ابن الكبشي إلى بغداد وعين مدرسًا بالمدرسة النظامية، وحضر درسه الحكام والعلماء فلم يزل على ذلك إلى أن خطر له التوجه إلى بهاء الدين ابن الصاحب شمس الدين الجويني فسار إليه.

سنة ست وستين وستمائة

فيها، أمر علاء الدين صاحب الديوان ببناء رباط بمشهد علي ـ عليه السلام ـ ليسكنه المقيمون هناك، ووقف عليه وقوفًا كثيرة وأدرَّ لمن يسكنه ما يحتاج إليه، وأمر بضرب فلوس من المس[1] ليتعامل بها الناس ببغداد وغيرها، كل أربعة وعشرين فلسًا بدرهم، وبكل دينار خمسة أرطال، وأمر الناس بالتأهب للحج، وأحضر عرب الطريق وأطلق لهم من ماله شيئًا كثيرًا وأخذ منهم الرهائن على أن يسيروا الحاج ويعيدونهم، ولما توجه الناس مضى الصاحب معهم إلى الكوفة وجهز الفقراء وزودهم، وعين للناس من يتأمر عليهم في السفر، فحجوا وعادوا سالمين.

وفيها، أمر الصاحب بقتل ابن الخشكري النعماني الشاعر. وسبب ذلك: أنه بلغه عنه أنه يقول أشياء تنافي الشرع ويفضل شعره على القرآن المجيد، ويقدم على ما لا يجوز ذكره، فعظم ذلك عليه. واتفق انحداره إلى واسط، فلما وصل النعمانية[2] حضر ابن الخشكري عنده وأنشده قصيدة يمدحه فيها، فأذن المؤذن، فنصت الصاحب إليه، فقال ابن الخشكري: «يا مولانا اسمع شيئًا جديدًا وأعرِضْ عن شيء له سنين»

---

(١) المس: هو النحاس «جواد».

(٢) بليدة بين واسط وبغداد في نصف الطريق على ضفة دجلة معدودة من أعمال الزاب الأعلى. انظر معجم البلدان (٥/ ٢٩٤) وهي الآن من أقضية محافظة واسط.

فثبت حينئذٍ عنده ما قيل عنه. ثم إن الجماعة الذين نقلوا عنه ذلك أوهموه أن الصاحب يعجبه ما يقوله ويطيب له سماعه عنه، فاغتر وشرع في القول وانبسط والصاحب يصغي إليه غير منكر عليه، فلما ركب من الغد أمر ابن سليط الأسدي أن ينفرد به ويقتله، فعدل به عن الطريق وأخذ يحادثه إلى أن بعد عن الناس، ثم أمر بعض أصحابه بإنزاله عن فرسه مداعبًا له، وهو يشتمهم، فلما أنزله أمره بنزع ثيابه، فقال: «والله إن هذا لعب بارد وإنكم أعراب أجلاف ثقال» وهو يتوهم أن هذا الفعل من أنواع اللعب كما كان يعهده منهم دائمًا في الخلوة، فقال له: «اضرب عنقه»، فضربه بالسيف فقتله وأخذ فرسه وثيابه.

وفيها، وقع بنيسابور خسف وزلازل هلك منه خلق كثير وخرج الناس إلى البراري، فلما سكن ذلك عادوا إلى منازلهم.

وفيها، توفي الشيخ عفيف الدين يوسف ابن البقال[1] شيخ رباط الرزبانية، كان شيخًا صالحًا ورعًا زاهدًا، حكى عن نفسه قال[2]: كنت بمصر واتصل بي ما جرى ببغداد في الواقعة من القتل والنهب والفتك والأسر، فأنكرته بقلبي وقلت: يا رب كيف هذا وفيهم الأطفال ومن لا ذنب له؟ فرأيت تلك الليلة في المنام رجلًا في يده كتاب فأخذته منه فإذا فيه:

دع الاعتراض فما الأمر لك ولا الحكم في حركات الفلك
ولا تسأل الله عن فعله فمن خاض لجة بحرٍ هلك[3]

فاستغفرت الله تعالى وأمسكت.

وفيها، توفي الشيخ ضياء الدين محمود الجامرجي[4] شيخ رباط الشونيزي،

---

(١) عفيف الدين، أبو عبد الله يوسف بن علي بن أحمد البغدادي المقرىء، يعرف بابن البقال، كان زاهدًا متصوفًا، له تصانيف منها «سلوك الخواص» سافر إلى مصر فكان بها أثناء احتلال المغول بغداد ورجع بعدها إلى بغداد فرتب شيخًا برباط المرزبانية وتوفي سنة ٦٦٦ هـ. انظر: تلخيص مجمع الآداب (ج ١ ق ١ ص ٥٥٢)، وطبقات ابن رجب (٢/ ٢٨٠)، والبداية والنهاية (١٣/ ٢٥٣).

(٢) ورد نص الترجمة والحكاية في البداية والنهاية (١٣/ ٢٥٣).

(٣) البيتان في طبقات ابن رجب (٢/ ٢٨١)، والبداية والنهاية (١٣/ ٢٥٣)، وتلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ١ ص ٥٥٢).

(٤) ورد ذكره استطرادًا في تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ١ ص ٢٤٧) والجامرجي نسبة إلى جاجَرم، وهي بلدة بين نيسابور وجرجان. انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢٥٦).

ودفن في صفة الشيخ الجنيد[1]، وهو الذي تولى تجديد الرباط المذكور، كان الصاحب علاء الدين يحترمه كثيرًا ويعتني بأمره ويقوم بكل ما يحتاج إليه.

وفيها، وَلِيَ على الموصل رجل نصراني اسمه مسعود وهو من قرى إربل اسمها برقوطا، وعزل عنها البابا، ورتب معه شحنة من المغول اسمه أشموط.

وفيها، قتلت ببغداد امرأة تسمى عروس خاتون، كانت زوجة بعض أصحاب توكال بخشي شحنة بغداد اسمه حسين آغا. وسبب ذلك: أنها هويت غلامًا أمردًا مليحًا فلما عرف بذلك أراد قتله فأبى الشحنة ذلك وقال: يقتلان جميعًا أو يستبقيان بعد أخذ الحد منهما، فأخرج الغلام إلى ظاهر السور وضرب له وتد في الأرض وأقعد عليه فمات، ثم قدم المرأة وقتلها بيده وهو يبكي أسفًا عليها.

وحج الناس في هذه السنة على قاعدة السنة الماضية.

سنة سبع وستين وستمائة

فيها، قدم[2] السلطان أباقاخان إلى بغداد وفي خدمته الأمراء والوزراء والعساكر، فأقام إلى زمن الربيع وعاد، واعتمد الصاحب علاء الدين في الخدمة بالتحف والأعلاق النفيسة ما يجب.

وسقط ببغداد في هذه السنة وفر كثير كان سمكه في السطوح دون الشبر.

وفيها، رتب السيد النقيب تاج الدين علي ابن الطقطقي العلوي صدرًا بالأعمال الحلية.

وفيها، توفي أقضى القضاة نظام الدين عبد المنعم البندنيجي ودفن في صفة الشيخ الجنيد، وقد بلغ من العمر إلى ست وسبعين سنة، وكان ورعًا عفيفًا تقيًا حسن السيرة، اشتغل بالفقه في عنفوان شبابه بمدرسة دار الذهب ببغداد حتى برع، وأفتى ثم رتب معيدًا بالمدرسة المستنصرية، ثم شهد عند أقضى القضاة كمال الدين عبد الرحمن ابن اللمغاني، ثم جعل في ديوان العرض على إطلاق معايش الجند،

---

(١) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز القواريري الزاهد المشهور. أصله من نهاوند ومولده ومنشؤه بالعراق. توفي سنة ٢٩٧ هـ. انظر: وفيات الأعيان (١/٣٧٣)، وتاريخ بغداد (٧/٢٤١).

(٢) في جامع التواريخ (مجلد ٢ جزء ٢ ص ١٢) أنه جعل «أران» و«بغداد» مشتى له.

فلما تكملت له سنة أطلق له عنها المشاهرة فامتنع من أخذها وقال «لا يحل لي أن أجمع بين خدمة ووظيفة المستنصرية» فأنهي ذلك إلى الخليفة فاستحسنه وتقدم أن يطلق له مشاهرة مع أرباب الرسوم، ثم عين قاضيًا بالجانب الغربي سنة اثنتين وخمسين ثم نقل إلى الجانب الشرقي وخوطب بأقضى القضاة سنة خمس وخمسين فاستمر على ذلك إلى الآن، سئل في حال مرضه عمن يصلح بعده للقضاء فقال: «قد تقلدته حيًا فما أتقلده ميتًا» فقيل له: لا بد من الإشارة في ذلك، فقال: إن امتنع سراج الدين الهنايسي[1] فيكون عز الدين ابن الزنجاني قاضي الجانب الغربي، فلما توفي أحضر سراج الدين محمد بن أبي فراس الهنايسي الشافعي ورتب قاضي قضاة بغداد نقلاً من التدريس بالمدرسة البشيرية فلم يمتنع عن ذلك.

وفيها، توفي القاضي فخر الدين عبد الله بن عبد الجليل[2] الطهراني الراوي الحنفي، استنابه أقضى القضاة نظام الدين البندنيجي في القضاء وفوض إليه أمر الحسبة ببغداد، ابتلي بالمرض في وجهه حتى تآكل أنفه ولقي مشاق عظيمة حتى توفي.

وفيها، توفي الشيخ الصالح الزاهد محمد ابن السكران[3]، ودفن في رباطه بناحية المباركية من الخالص بالجانب الشرقي من بغداد وبنى عليه قبة وعمل عليه ضريح من الخشب، وكان رحمه الله على قاعدة السلف في العفة والزهد والانقطاع وتربية الفقراء والإيثار وحسن السيرة، سكن في هذه الناحية في مبدأ أمره يزرع بيده ويواسي الواردين مما يحصل له، ثم عمر موضعًا يأوي الفقراء إليه فبقي على ذلك مدة، ثم عمر له هذا الموضع رباطًا فزرع إلى جانبه بستانًا غرس فيه نخلاً وشجرًا وأوقفه على الفقراء، فانضم إليه جماعة من الصالحين كل منهم يزرع بيده ولا

---

(١) محمد بن أبي فراس، الهنايسي، نسبة إلى الهنايس من قرى واسط، ذكره المؤلف استطرادًا في (ج ٢ ق ١ ص ٢٣٠) وفي (ق ٤ ص ٨٢٦) وفيه خبر ترتيبه قاضي القضاة. وسيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٦٧٠ هـ.

(٢) ترجمه ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب قال: «قدم بغداد، وتولى بها القضاء والتدريس والحسبة، استنابة القاضي أقضى القضاة نظام الدين عبد المنعم البندنيجي وكان شديد الوطأة على أهل العناد والفساد وتولى تدريس المدرسة البشيرية، وكان عالمًا بالفقه وأيام الناس، وهو ممن كان يخرج الفقهاء إلى باب السور إلى مخيم السلطان هولاكو مع شهاب الدين الزنجاني ليقتلوا». انظر: (ج ٤ ق ٣ ص ١٩٥).

(٣) ذكره ابن الفوطي استطرادًا في تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ١ ص ٢٥٣)، قال الدكتور جواد في حاشيته «لا يزال قبره معمورًا في شرقي الراشدية قرب الجريدة على الخالص القديم المندثر.

يتخصص بالنماء، فكان يقيم بجميع من يجتاز به، ثم اعتمد على أصحابه في ذلك وانقطع يعبد الله ولا يطلب بفيه قوتًا، لكن إن أعطي له أكل وإن اشتغلوا عنه لا يطلب، حتى إنه ربما بقي أيامًا لا يَطْعَم، فقال يومًا لأصحابه: «لا ريب أنكم ما تسألون عن أحوال الفقراء، وقد بلغني أن بينكم فقيرًا له أيام لم يطعم» ففحصوا عن ذلك فعرفوا أنهم أهملوا الشيخ، فاعتذروا إليه باشتغالهم في خدمة الواردين واستغفروا الله. قيل: إن خواجه نصير الدين الطوسي اجتمع به وقال له: ما حد الفقر؟ فقال: الذي أعرفه أن ربق[1] الفقير ضيق لا يدخله رأس كبير.

سنة ثمان وستين وستمائة

فيها، تقدم علاء الدين صاحب الديوان بعمل دولاب تحت مسناة المدرسة المستنصرية يقبض الماء من دجلة ويرمي إلى مزملتها، ثم يجري تحت الأرض إلى بركة عملت في صحن المدرسة، ثم يخرج منها إلى مزملة عملت تجاه إيوان الساعات خارج المدرسة، وجدد تطبيق صحنها وتبنيد حيطانها، وكان المتولي لذلك شمس الدين حميد الخراساني صدر الوقوف، ثم أمر بعمارة مسناة مسجد قمرية بالجانب الغربي، وكانت قد خربت في زمن الخليفة المستعصم عند زيادة دجلة وغرق بغداد وعمل موضعها سكر من الخشب وبقي إلى الآن فتقدم بتجديده وعمله كما كان أولاً، ثم تقدم بترتيب الشيخ نور الدين علي ابن الأطلبي الحنفي مدرسًا بالبشيرية عوضًا عن فخر الدين الطهراني المتوفى في السنة الماضية.

وفي خامس عشرين جمادى الآخرة، ركب علاء الدين صاحب الديوان لصلاة الجمعة فلما وصل إلى المسجد الذي عند عقد مشرعة الأبريين، نهض عليه رجل وضربه بسكين عدة ضربات، فانهزم كل من كان بين يديه من السرهنكية[2]، وهرب الرجل أيضًا فعرض له رجل جمال كان قاعدًا بباب غلة ابن تومة وألقي عليه كساءه ولحقه السرهنكية فضربوه بالدبابيس[3] وقبضوه، وأما الصاحب فإنه أدخل دار بهاء الدين ابن الفخر عيسى، وكان يومئذٍ يسكن في الدار المعروفة بديوان الشرابي، لما

---

(١) الرُبق - حبل فيه عِدة عُرى تشد به إليهم، الواحدة من العرى ربقة، وفي الحديث «خلع ربقة الإسلام من عنقه».

(٢) السرهنك، القائد في الجيش.

(٣) الدبابيس، ومفردها الدبوس: وهو هراوة من الحديد في طرفه كتلة صغيرة فيها نتوءات تستعمل في تهشيم الخوذ المعدنية ويحملها الفرسان في السروج تحت أرجلهم.

عرف بذلك خرج حافيًا وتلقاه ودخل بين يديه وأحضر الطبيب فسير الجرح ومصه فوجده سليمًا من السم وأحضر الجارح وسئل عن وضعه، فلم يقل شيئًا وعاجله الموت لكن توهموا أن ذلك بوضع بعض النصارى.

وفيها، غلت الأسعار ببغداد حتى بلغ الكر من الحنطة مائة وخمسين دينارًا، وكان الخبز يتعذر في الأسواق أكثر الأوقات.

وفيها، توفي الشيخ أبو نصر محمد بن أبي الحسن الجزار[1] الصوفي ببغداد، وكان شيخًا ورعًا كيسًا حسن المحاضرة، يقول الشعر وله ديوان مشهور، ورد عليه بعض أصحابه فلم يقم له وأنشده قوله:

نهض القلب حين أقبلت إجلا   لًا لما فيه من صحيح الوداد
ونهوض القلوب بالود أولى   من نهوض الأجساد للأجساد[2]

وفيها، توفي تقي الدين بن كليب النحوي الواسطي، وكان فاضلاً شاعرًا.

وفيها، رفع البابا على مسعود البرقوطي والي الموصل وأشموط الشحنة بما وصل من الأموال إليهما فأخذا وحوسبا وعزلا، وسلمت الموصل إلى البابا، وجعل منه بعض أمراء المغول شحنة.

سنة تسع وستين وستمائة

فيها، توفي الشيخ سراج الدين عبد الله ابن الشرمساحي[3] المالكي المدرس بالمدرس المستنصرية، وكان عالمًا كثير العبادة، ورد إلى بغداد في زمن الخليفة المستنصر ومعه أخوه علم الدين أحمد[3]، فلما توفي الآن عين أخوه علم الدين في موضعه نقلاً من تدريس البشيرية.

وفيها، قتل العدل نجم الدين يحيى بن عبد العزيز الناسخ، وسبب ذلك: أنه نسب إليه مكاتبة ملوك الشام فحبس وقرر، فاعترف بذلك، فأمر بقتله، وكان فاضلاً ورعًا تقيًا ـ نعوذ بالله من سوء التوفيق ـ.

---

(١) انظر: البداية والنهاية (١٣/٢٥٨) وفيه: الشيخ أبو نصر بن أبي الحسن ابن الخراز، الصوفي البغدادي الشاعر، له ديوان حسن، وكان جميل المعاشرة حسن المذاكرة.

(٢) البيتان في البداية والنهاية (١٣/٢٥٨).

(٣) تقدمت ترجمته.

وفيها، توفي صفي الدين عبد الله بن جميل الجبي كان أديبًا فاضلاً ظريفًا خليعًا حسن الأخلاق طيب الحاضرة، وكان من شعراء الديوان زمن الخليفة، وله أشعار حسنة.

وحج الناس في هذه السنة وعادوا سالمين.

سنة سبعين وستمائة

فيها، وصل خواجه شرف الدين هارون ابن الصاحب شمس الدين محمد ابن الجويني صاحب ديوان الممالك، وسأل من الصاحب علاء الدين عمه تزويجه بابنة أبي العباس أحمد ابن الخليفة المستعصم، فأحضر قاضي القضاة سراج الدين محمد بن أبي فراس الهنايسي وجماعة العدول والمشايخ، فاشترطت والدتها ـ وهي زوجة الصاحب علاء الدين ـ قبل العقد عليه: أن لا يشرب الخمر، وأجاب إلى ذلك فعقد العقد وكتب كتاب الصداق بخط بهاء الدين ابن الفخر عيسى الأربلي المنشىء، فشهد فيه قاضي القضاة وعدلان. وصورته: «الحمد لله الذي جمع الشمل ونظمه، وقوّى عقد الألفة وأحكمه، وأوثق حبل الاجتماع وأبرمه، وصلواته على سيدنا محمد الذي شرفه وعظمه ورفع قدره وكرمه، وعلى آله وصحبه الذين أوضحوا منار الإيمان وعلمه، وأظهروا برهانه وأناروا ظلمه، وكشفوا لبه وخصصوا مبهمه. هذا ما أشهد عليه المولى الصاحب المعظم، شرف الدولة والدين، ملك الوزراء مفخرة الدنيا هارون ابن المولى الصاحب المعظم شرف الدولة والدين الأعظم العادل المؤيد المجاهد المرابط شمس الدين آصف العهد ملك وزراء الآفاق، مالك رق المعالي بالاستحقاق، فريد العصر في شرف الخلال وكرم الأخلاق، محمد ابن الصاحب المعظم بهاء الدين محمد ـ أطال الله عمر الخلف، وأهدى الرضوان إلى السلف ـ في صحة من رأيه الكريم ونفاذ من تصرفه القويم ومضاء من سداده المستقيم. ،أن عليه وقِبَلَه وفي ذمته وخالص ماله لزوجته السيدة الجليلة المعظمة الكريمة المقدسة الطاهرة الزكية، أمة الله المباركة المدعوة رابعة[1]، أخت البتول الزهراء في طهارة الميلاد وابنة عمها في نسب الآباء والأجداد، بنت الأمير الكبير السعيد الشهيد أبي العباس أحمد ابن الإمام السعيد الشهيد أبي أحمد عبد الله الإمام المستعصم بالله أمير المؤمنين (وذكر نسبه إلى العباس عم النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ) من العين مائة ألف دينار واحدة ذهبًا عينًا صحاحًا، وذلك بحق صداقها الذي تزوجها عليه تزويجًا صحيحًا

---

(١) ذكرها ابن الكازروني قال: (مولدها في العيد الكبير سنة خمس وخمسين وستمائة). انظر: مختصر التاريخ (ص ٢٧٤).

شرعيًا بولي رشد وشاهدي عدل. وتولى هذا العقد الميمون قاضي القضاة شرقًا وغربًا وبعدًا وقربًا سراج الدين محمد بن أبي فراس الهنايسي بإذنها ورضاها، فصار المبلغ المشار إليه دينًا لها عليه وحقًا واجبًا ثابتًا لازمًا، وصداقًا حالًا غير مؤجل، يؤديه إليها متى شاءت من ليل أو نهار، من غير دفع ولا منع ولا اعتذار. أقر المولى الصاحب المعظم شرف الدين المشهد على نفسه أنه مليء بالنقد المذكور وهو مائة ألف دينار من النقد المعين فيه، وفي أنه قادر عليه، وقَبِلَ ذلك وصح قبوله، وبذلك جميعه أشهد على نفسه الكريمة في جمادى الآخرة سنة سبعين وستمائة».

وفيها، أمر علاء الدين صاحب الديوان بتجديد عمارة منارة جامع الخليفة، وكان صدر الوقوف يومئذٍ شهاب الدين علي بن عبد الله، فشرع في ذلك، وأنجزت في آخر شعبان، ثم سقطت في شهر رمضان بعد فراغ الناس من صلاة التراويح، ولم يتأذ أحد ممن كان هناك.

وفيها، وقع حريق بسوق المدرسة النظامية فاحترق جميعه، وهلك فيه خلق كثير ممن كان في الغرف وذهب من أموال الناس شيء كثير، فأمر الصاحب علاء الدين بعمارته من حاصل وقف المدرسة.

وفيها، توفي قاضي القضاة سراج الدين محمد بن أبي فراس الهنايسي في آخر رمضان، ودفن في الصفة التي تقابل ضريح الشيخ معروف ـ رحمه الله ـ كان في مبدأ أمره فقيهًا، ثم ولي مدرسًا في المدرسة البشيرية، ثم نقل إلى القضاء، وخطب بجامع الخليفة وهو قاض، وولي القضاء بعده عز الدين أحمد ابن الزنجاني نقلًا من قضاء الجانب الغربي في ذي الحجة.

وفيها، قتل نجم الدين خواجه إمام، كان من نواب الصاحب علاء الدين، قدم من خراسان فأثبته فقيهًا بالمدرسة المستنصرية وفوض إليه أمر وكالته في خاصته، وقدمه وأعلى مرتبته حتى صار المشار إليه في بغداد، وحصل أموالاً عظيمة، ثم كفر بالنعمة واستعد للقول في الصاحب، فبلغه ذلك، فقبض عليه وحبسه في داره، فنقب الحبس وخرج منه ليلاً والتجأ إلى البعض أمراء المغول وضمن له مالاً على أن يوصله إلى حضرة السلطان، فركب الصاحب في جماعة وأحاط به وأخذه وقتله، وطيف برأسه في بغداد ثم دفن في مشهد أبي حنيفة.

وفيها، توفي. . .[1] كان أديبًا من كبار المتصرفين.

---

(١) كذا ما ورد في الأصل.

وفيها، أمر صاحب الديوان علاء الدين بعمارة موضع في نهر جعفر[١] من أعمال واسط سماه المأمن، وبنى فيه ديوانًا وجامعًا وخانًا وحمامًا وسوقًا، وانتقل إليه خلق كثير، وكان التجار المنحدرون إلى البصرة والمصعدون منها يصعدون متاعهم إليه، فانتفعوا به وأمنوا على أموالهم، وبنى فيه ناصر الدين قتلغ شاه الصاحبي[٢] مدرسة.

سنة إحدى وسبعين وستمائة

فيها، رأى رجل ببغداد في المنام أن بعض أولاد الحسن بن علي ـ عليه السلام ـ في موضع «بقراح أبي الشحم» فأعلم الناس بذلك، فنبشوا الموضع فوجدوا فيه قبرًا، فتبرع بعض الموسرين وأخرج شيئًا من ماله وشرع في عمارته، وشاع ذلك ببغداد فحضر خلق كثير للزيارة ونذروا له نذورًا صح أكثرها، فاجتمع من ذلك شيء كثير، فعمر بالآجر والجص «عبد الله الباهر».

وفيها، تكاملت عمارة المدرسة التي أمرت بإنشائها زوجة[٣] علاء الدين صاحب الديوان، مجاور مشهد عبيد الله ـ عليه السلام ـ ظاهربغداد وسميت العصمتية، ووقفتها على الطوائف الأربع، وبنت إلى جانبها تربة لها ورباطًا للمتصوفة، وفتحت في هذه السنة، ورتبت بها القاضي عز الدين أبو العز محمد بن جعفر البصري[٤] مدرس الطائفة الشافعية، وعفيف الدين ربيع بن محمد الكوفي[٥] مدرس الحنفية، وشرف

---

(١) نهر جعفر: نهر بين واسط ونهر دَقْلة، عليه قرى وهو أحد ذنائب دجلة. انظر: معجم البلدان (٥/٣١٩).

(٢) قتلغ شاه بن سنجر بن عبد الله الصاحبي نسبة إلى الصاحب علاء الدين عطاء ملك، سيذكر المؤلف أنه ولي مشرفًا بالعراق سنة (٦٨٥) ثمَ استقل بحكم العراق ثم عزل سنة ٦٨٧ هـ وطولب بأموال كثيرة، ثم قتله سعد الدولة مسعود اليهودي الماشعيري مشرف الحراق سنة (٦٨٧ هـ). ذكره ابن الفوطي في التخليص (ج ٢ ق ١ ص ١٤٩) (ترجمة أخيه عز الدين دولتشاه).

(٣) هي ذات العصمة شاه لبنى بنت عبد الخالق بن ملكشاه بن أيوب الأيوبية. زوجة أبي بكر أحمد بن المستعصم بالله أولاً ثمَ زوجه الصاحب علاء الدين عطا ملك الجويني ثانية.

(٤) سيرد بعد سطور بصورة (أحمد بن جعفر) ثم (محمد) وسيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٦٧٢ وفي التلخيص (ق ١ ص ٣١٣): عز الدين محمد بن عبد الله بن أبي السعود بن جعفر البصري القاضي، كان فاضلاً فصيح العبارة عارفًا بالمذهب والأصول والخلاف وكان متبحرًا في علم التفسير.

(٥) ترجمه ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ١ ص ٤٧٨) وباختصار قال: عفيف الدين أبو محمد ربيع بن محمد بن أبي منصور الكوفي القاضي الحنفي، كان من القضاة العلماء=

الدين داود الجيلي[١] مدرّس الحنابلة، ومجد الدين المعروف بشقير الواعظ مدرس المالكية، وخلع على الجميع، وعمل بها وظيفة، وجعلت النظر فيها إلى شهاب الدين علي بن عبد الله والإشراف عليه إلى من ولي القضاء ببغداد.

وفيها، عين تاج الدين عبد الرحيم بن يونس[٢] الموصلي الشافعي قاضيًا بالجانب الغربي ببغداد، وأضيف إليه التدريس بالمدرسة البشيرية، وكان رجلًا فاضلًا عالمًا له مصنفات مشهورة، فلم تطل أيامه وتوفي في آخر هذه السنة، وتوفي أيضًا القاضي مجد الدين أحمد الدوري فجأةً.

وفيها، جلس خواجه شرف الدين هارون ابن الصاحب شمس الدين ابن الجويني صاحب ديوان الممالك على السدة بالمدرسة النظامية، وألقى دروسًا، وحضر علاء الدين صاحب الديوان عمه وكافة أرباب الدولة والمدرسون والعلماء والفقهاء تحت سدته وأنشد الشعراء بعد فراغه.

وفيها، رتب قاضي القضاة عز الدين أحمد ابن الزنجاني عز الدين أبا العز أحمد بن جعفر البصري نائبًا عنه في القضاء ببغداد.

سنة اثنتين وسبعين وستمائة

فيها، وصل السلطان أباقاخان إلى بغداد، وفي خدمته الأمراء والعساكر وخواجه نصير الدين الطوسي، وعبر دجلة وتصيد في أراضي قوسان حتى بلغ قريبًا من واسط، ثم عاد إلى بغداد ونزل بالمحول وأمر بالإحسان إلى الرعايا وتخفيف التمغات[٣] وحذف الأثقال عنهم، وكتب ذلك على حيطان باب جامع المستنصرية،

= الأدباء، وأورد له شعرًا. وذكر له مؤلف كشف الظنون شرحًا لكتاب «المقصود والمحدود»، تأليف إبراهيم بن يحيى اليزيدي.

(١) شرف الدين، أبو أحمد، داود بن عبد الله بن كوشيار، كان فقيهًا بارعًا، صنف في أصول الفقه كتابًا سماه «الحاوي» وفي أصول الدين «تحرير الدلائل» وتوفي بعد سنة ٦٩٠ هـ. انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٢/ ٣٤٤)، وورد ذكره استطرادًا في التلخيص (ج ٤ ق ٢ ص ٧٦٠).

(٢) عبد الرحيم بن محمد بن محمد بن يونس بن منعة الموصلي، مولده بالموصل سنة ٥٩٨ هـ، تاج الدين. كان من كبار فقهاء الشافعية وقضاتهم ومؤلفيهم. اختصر كتاب الوجيز للغزالي وسماه التعجيز، واختصر كتاب المحصول. انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢٥٥)، وعيون التواريخ (٢١/ ٢٠)، وطبقات الشافعية للسبكي (٥/ ٧٢).

(٣) التمغات أو الطمغات: الرسوم أو الضرائب عن الأموال التجارية، وتعني أيضًا الختم والتوقيع.

ثم أقطع المحول بلغان خاتون[١]، فلما انقضى الشتاء عاد إلى مقر ملكه وأما خواجه نصير الدين الطوسي فإنه أقام ببغداد وتصفح أحوال الوقوف وأدار أخبار الفقهاء والمدرسين والصوفية وأطلق المشاهرات وقرر القواعد في الوقف وأصلحها بعد اختلالها.

وأمر السلطان بإضافة تستر وأعمالها إلى علاء الدين صاحب الديوان، فتوجه إليها وتصفح أحوالها وعين بها نوابًا، فذكروا له أن رجلاً يدّعي النبوة وقد اتفق معه جماعة، وقد نقص لهم من الفروض صلاة العصر وعشاء الآخرة، فأمر بإحضاره وسأله عن هذا الحال فرآه ذكيًا عارفًا ببعض العلوم، فأمر بقتله فقتل وسلم إلى العوام، وأخذ أكثر من كان قد اتبعه، وهذا كان صبيًا من أبناء التجار اسمه «كي» اشتغل بحفظ القرآن والفقه والإشارات والنجوم، وكان ينظم شعرًا بالفارسية، فادعى أنه عيسى ابن مريم وقال «إن بلغت من العمر ثمانيًا وثلاثين سنة تم أمري» ونظم شعرًا يتضمن ذلك، فقيل: ولم يبلغ ما ذكره من العمر.

وفيها، عين نجم الدين محمد بن أبي العز البصري مدرس الطائفة الشافعية بمدرسة الأصحاب، ونصير الدين الفاروقي[٢] مدرس المدرسة النظامية.

وفيها، توفي الشيخ كمال الدين علي بن وضاح الشهراباني الحنبلي مدرس المجاهدية، ودفن تحت أقدام الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمهما الله ـ وكان شيخًا صالحًا زاهدًا ورعًا عارفًا بالمذهب والأحاديث النبوية، وله تصانيف كثيرة. كان مولده سنة تسعين وخمسمائة[٣].

وتوفي القاضي عز الدين أبو العز محمد بن جعفر البصري[٤]، ودفن عند الجنيد، وكان عالمًا فاضلاً، ولي تدريس النظامية بعد واقعة بغداد، ثم نقل إلى

---

(١) بلغان خاتون، زوجة آباقاخان، فلما توفي تزوجها «أرغون خان» ثم زوجة لأرغون خان. انظر: جامع التواريخ (مجلد ٢ ج ٢ ص ٦ وما بعدها).

(٢) الفاروقي، نسبة إلى فاروق من قرى اصطخر فارس (معجم البلدان) وهو أبو بكر عبد الله بن عمر بن أبي الرضا الفارسي الفاروقي، كان من كبار الشافعية، قدم دمشق وسكن بغداد ودرس بالمستنصرية وغيرها، وتوفي سنة ٧٠٦ هـ. انظر: ابن حجر الدرر (٢/ ٢٨٢)، والشذرات (٦/ ١٤)، وفيه: الفاروثي. قال: ولد بفاروث، قرية من عمل شيراز.

(٣) في طبقات ابن رجب (٢/ ٢٨٢): كان مولده سنة ٥٩١ هـ.

(٤) ذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٧١ هـ. انظر: ترجمته في الحاشية.

تدريس مدرسة الأصحاب، ودرس في المدرسة العصمتية عند فتحها، وناب في الحكم والقضاء ببغداد.

وفيها، نقل النقيب تاج الدين علي بن رمضان ابن الطقطقي[1] بظاهر سور بغداد، وثب عليه جماعة من أهل الحلة وضربوه بالسيوف وكان السلطان ببغداد، فلم يزل الصاحب علاء الدين يفحص عن قاتليه حتى حصلهم وقتلهم، ثم أخذ أكثر أملاكه بشبهة ما بقي عليه من ضمان الأعمال الحلية.

وفي منتصف ذي القعدة، توفي الملك عز الدين عبد العزيز بن جعفر النيسابوري[2] ببغداد، وكان شيخًا جوادًا مواصلاً لكل من يسترفده واشتهر ذكره في البلاد بالكرم، تولى شحنكية واسط والبصرة، وكان حسن السيرة عظيم الناموس، دفن في مشهد علي ـ عليه السلام ـ ورثاه الشعراء بأشعار كثيرة منها: قول ابن الكبوش[3]

---

(١) في عمدة الطالب (ص ١٤٧): تاج الدين علي بن محمد بن رمضان، ويعرف بابن الطقطقي. قال: ساعدته الأقدار حتى حصل من الأموال والعقار والضياع ما لا يكاد يحصى... وترقى أمره إلى أن كتب إلى السلطان أباقاخان بن هولاكو في عزل صاحب الديوان وإقامته عوضه، ووعده بأموال جزيلة، فوقع كتابه بيد الوزير شمس الدين الجويني أخي صاحب الديوان عطا ملك، فأخذ قرطاسًا وكتب فيه:

كم لي أنبه منك مقلة نائم ... يبدي سباتًا كلما نبهته
فكأنك الطفل الصغير بمهده ... يزداد نومًا كلما حركته

وجعل كتاب النقيب فيه وأرسله إلى أخيه، فاستعد صاحب الديوان وقرر أمره على أن أمر جماعة بالفتك به ليلاً، ففتكوا به وهربوا إلى موضع ظنوه مأمنًا وقد أمرهم بالمسير إليه صاحب الديوان، فخرج صاحب الديوان من ساعته إلى ذلك الموضع فقبض على أولئك الجماعة وأمر بهم فقتلوا واستولى على أموال النقيب وأملاكه وذخائره.

(٢) عز الدين أبو المظفر عبد العزيز بن جعفر بن الحسين النيسابوري، ينتهي نسبه إلى الأشتر النخعي، ولد سنة ٦٢٦ هـ وولي أعمال واسط والبصرة. انظر: تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ١ ص ٢٠٨)، وذكره ابن الطقطقي قال: وكان عز الدين عبد العزيز بن جعفر النيسابوري ـ لمجالسة أهل الفضل ولكثرة معاشرتهم له ـ يتنبه على معان حسنة، ويحل الألغاز المشكلة، أسرع منهم، ولم يكن له حظ من علم، وما كان يظهر للناس إلا أنه رجل فاضل. وخفي ذلك حتى على الصاحب علاء الدين. انظر: الفخري (ص ١٢)، وترجمه ابن شاكر في عيون التواريخ (٢١/ ٦٥) ويكاد التطابق بين ما أورده وهذا الكتاب يكون تامًا.

(٣) هو عبد السلام بن صالح ابن الكبوش البصري، لقبه عز الدين كما سيذكر المؤلف في خبر وفاته سنة ٦٧٦ هـ والشذرات (٥/ ٣٥٢)، وفي تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ١ ص ٢٠٩): «نجم الدين». وكان شاعرًا رقيقًا ورد بعض شعره في الشذرات.

البصري من قصيدة هذا منها[(١)]:

لم أبك حتى بكى لك الكرم ... والسيف يوم القراع[(٢)] والقلم
واحمرَّ وجهُ الثرى عليك أسًى ... إذ كُلُّ[(٣)] دمع جرى عليك دم
لا أحمد الغيث إن عداك ولا ... إذا انبرى في ثراك ينسجم
وكيف يسقي ثراك صوب حيًا ... وفيه بحر بالجود يلتطم
وأين جود الغمام منك ولو ... جادت علينا بالعسجد الديم
لو كان يحيي الندى الكرام لقد ... أحياك من بعد موتك الكرم
أنت إمام الندى قد اتفقت ... عليك بعد اختلافها الأمم
جزت المدى في الندى فلا عرب ... يلقاك في شأوه ولا عجم
ما نال كعب ما نلت منه ولا ... معن ولا حاتم ولا هرم
لم تلف فوق السماء منزلة ... إلا سمت نحوها بك الهمم
من بعد عبد العزيز لا وخدت[(٤)] ... إلى رسوم المكارم الرسُم
الموقد النار في الدجى كرمًا ... بالمندل الرطب والشتا شبم[(٥)]
من لم يمت بعد ألفه أسفًا ... فإنه في الوداد متهم
ولو قضينا لما قضيت أسى ... لما قضت بعد حقك الذمم
إن لم تسل مقلة عليك دمًا ... فلا حلا في جفونها الحلم
بمن يلوذ الراجي سواك ومن ... به يعوذ اللاجي ويعتصم
قد كنت لي كعبة أطوف بها ... يا من حماه لوفده حرم
ما لي أرى المكرمات بعدك قد ... شلت يداها وزلت القدم
ماتت فما تبشر[(٦)] المكارم إذ ... تنشر منك الأعراق والشيم
هي الليالي التي تفرقنا ... أيدي ملماتها وتلتئم
ما دام فيها ملك ولا ملك ... ولا تدوم البؤسى ولا النعم
فأين كسرى وأين قيصره ... وما دهى[(٧)] قومه وأين هم

---

(١) البيت الأول في التلخيص (ج ٤ ق ١ ص ٢٠٨)، والقيصدة في عيون التواريخ (٢١/ ٦٦).
(٢) في العيون: الهياج.
(٣) في العيون: فكل دمع.
(٤) في العيون وفدت، ولعلها تصحيف.
(٥) في الأصل (شيم) والتصحيح من العيون.
(٦) في العيون: تنشر.
(٧) في العيون (وما دعا).

سيهدم العارضان كل بنا وما بنى المجد ليس ينهدم
إنا لنستمطر الغمام وقد أخلف في العام سيله العرم
ولو سألنا عبد العزيز وما في القبر إلا عظامه الرمم
لقام يهتز كالقناة[1] فتى أغر أقنى في أنفه شمم
ما قال يومًا لسائليه بلا حذار لا بل مقاله نعم
يزدحم القول حين أمدحه كجوده والوفود تزدحم
كأنما النظم من سهولته ينظمه قبل نظمه الكلم
إن القوافي التي أقمت لها سوقًا عفت مثل ما عفا الكرم
وانقرضت دولة القريض فما ينظم فكر ولا يقول فم
وأصبح الناس والبلاد معًا بعدك لا بانة ولا علم

وتوفي[2] بعده خواجه نصير الدين أبو جعفر محمد ابن الطوسي في ثامن عشر ذي الحجة، ودفن في مشهد موسى بن جعفر ـ عليه السلام ـ في سرداب قديم البناء خال من دفن. قيل: إنه كان قد عمل للخليفة الناصر لدين الله، وكان فاضلاً عالمًا كريم الأخلاق حسن السيرة متواضعًا لا يضجر من سائل ولا يرد طالب حاجة، كان مولده سنة سبع وتسعين وخمسمائة، ورثاه الشعراء، فمما قاله بهاء الدين ابن الفخر عيسى الأربلي المنشىء فيه وفي الملك عز الدين عبد العزيز المذكور:

ولما قضى عبد العزيز بن جعفر وأردفه رزء النصير محمد
جزعت لفقدان الأخلاء وانبرت شؤوني كمرفضّ الجمان المبدد
وجاشت إليّ النفس حزنًا ولوعةً فقلت تَعَزّي واصبري فكأن قَدِ

وفيها، انحدر علاء الدين صاحب الديوان إلى واسط، وقبض على فخر الدين مظفر ابن الطراح وأصحابه ونوّابه، وأخذ منهم أموالاً كثيرة وعزله ورتّب عوضه شمس الدين محمد البروجردي[3].

(١) في الأصل: كالبان، ولا يستقيم بها الوزن، والتصحيح من العيون.
(٢) ذكر المؤلف في حوادث سنة ٦٥٧ هـ أنه انتحر.
(٣) البروجردي، نسبة إلى بروجرد بلدة بين همذان والكرج معجم البلدان (١/ ٤٠٤).

وفيها، أحضر عماد الدين محمد بن حسن الأبهري[1] المعروف بالزمهرير تقدم بعض الخواقين إلى خواجه نصير الدين الطوسي بمشيخة رباط الخلاطية، فرتبه عوضًا عن شمس الدين ابن اليزدي وكان شيخًا لم يخالط الصوفية ولا عرف قواعدهم ولا تأدب بآدابهم وكان الناس يولعون به، فقال له يومًا شمس الدين الكوفي الواعظ «أنا وأنت لا نرى في الجنة» فتأثر لذلك واغتاظ منه، فقال له: إن الله تعالى يقول: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: الآية ١٣]، ولم يزل شيخًا بالرباط إلى سنة سبع وسبعين، ثم سافر وأعيد ابن اليزدي إلى الرباط.

وفيها، ظهر جراد كثير أكل الغلات وسائر الزروع وخوص النخل وورق الأشجار في الحلة، والكوفة، وبغداد.

سنة ثلاث وسبعين وستمائة

فيها، رتب الشيخ محيي الدين محمد بن المحيا العباسي[2] مدرّسًا بالمدرسة المغيثية[3]، وعين القاضي نظام الدين محمد الهروي المعروف بشيخ الإسلام قاضيًا بالجانب الغربي من بغداد، فعين على الشيخ محيي الدين المذكور نائبًا عنه في القضاء.

وفيها، توفي السيد النقيب جمال الدين محمد بن طاووس بالحلة ودفن عند جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ. وتوفي نجم الدين منصور ابن المؤذن، كان يخدم في زمن الخليفة ناظرًا بالحجر البئر. ورتب بعد واقعة بغداد في الديوان مشاركًا للنواب، ولم يزل على ذلك إلى الآن، وكان حسن السيرة مشكور

---

(١) ترجمه ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٢ ص ٧١٢)، قال: لما وقعت الواقعة ببغداد وحصل في جملة الأسرى من أصحاب (أولجاي خاتون) وأقام عندهم مديدة وقرر في أذهانهم أنه من أولاد المشايخ والصوفية. ثم توصل إلى مشيخة رباط الخلاطين، وكان بارد اللهجة فسمي الزمهرير.

(٢) الشيخ محيي الدين محمد بن المحيا العباسي، عين خطيبًا بجامع السلطان سنة ٦٧٤ هـ ذكره ابن الفوطي في التلخيص (ج ٥ ص ١٣٣)، قال إنه اشتغل بالجلوس في الخلوة بزاوية كمال الدين المراغي سنة ٦٧٥ هـ، وتوفي سنة ٧٠٣ هـ. انظر كذلك: الجواهر المضيئة (١/ ٢٦٣).

(٣) منسوبة إلى مغيث الدين أبي القاسم محمود بن غياث الدين محمد ابن ملكشاه السلجوقي المتوفى سنة ٥٢٥ هـ، ويقال لها مدرسة السلطان أيضًا، كانت تقع على دجلة جنوب المدرسة التتشية. انظر: المنتظم (١٠/ ٢٣٥)، والوفيات (٥/ ١٨٢)، والعبر (٤/ ٦٦)، والشذرات (٤/ ٧٦). وعن المدرسة: حضارة العراق (٨/ ٧٧).

الطريقة، قال ابن البديع «كان بينه وبين شيخنا ابن نجاد مودة فكان يكاتبه شيخنا بأشعار ومراسلات، كتب إليه مرة وقد أبل ومرض:

صرف الله عنك نازلة الأهـ ـوال يا حامل الخطوب الثقال

وفديناك بالنفوس التي عـ ـزت علينا فضلاً عن الأموال

ولعمري أن الذي أنت شاك ... يفدى من ... بالمال

....(1)

وفيها، رتب فخر الدين مظفر ابن الطراح صدر الحلة، والكوفة والسيب.

وفيها، مات العلم الشرمساحي أخو سراج الدين المالكي وهو مدرس المالكية بالمستنصرية. قال ابن البديع: وفيه يقول شيخنا:

عليم الخنا لا الدين رأسك للنعل وليس لغير النعل رأسك بالأهل

فحزت بتدريس ولا فخر لامرىء بمنصبه إن كان خلوًا من الفضل

وما منصب التدريس إلا غضاضة إذا ما اجتنى فيه نظيرك في الجهل

يصيب ولا يدري ويخطي وما درى كما جاء في تفصيل ذي المنطق الفضل

ولولا سراج الدين قلت مقالة يسيرها الركبان في الحزن والسهل

وكان أخوه سراج الدين صديقًا لشيخنا ـ رحمهما الله تعالى ـ.

سنة أربع وسبعين وستمائة

فيها، وقع ببغداد وفر كثير علا على الأرض مقدار شبر، وهبت ريح شديدة، وأظلم الجو، فخاف الناس وانزعجوا وعادوا بالتضرع إلى الله تعالى والاستغفار حتى انكشفت، وتأخر وقوع الغيث في هذه السنة فخرج الناس إلى ظاهر بغداد للاستسقاء مشاة يتقدمهم قاضي القضاة عز الدين أحمد ابن الزنجاني، وخطب الشيخ جلال الدين عبد الجبار بن عكبر الواعظ، ثم خرجوا من الغد كذلك وخطب الشيخ عماد الدين ذو الفقار مدرس الشافعية بالمستنصرية ثم خرجوا في اليوم الثالث، وخطب الشيخ ظهير الدين محمد بن عبد القادر، فلم يسقوا ماء الغيث إنما زاد الفرات عقيب ذلك وسقى الزروع.

---

(1) مطموس في الأصل.

وفي آذار، جاء برد عظيم جمد الماء منه وأتلف الأشجار، ووقع في نيسان ببغداد برد كبار أهلك الزروع وقتل المواشي والغنم والطيور.

وفيها، عيّن الشيخ محيي الدين محمد بن المحيا العباسي خطيبًا بجامع المدينة المعروف بجامع السلطان ولصلاة العيدين بالمدرسة المستنصرية، وشرط الواقف: أن لا يخطب بها إلا هاشمي عباسي، ولم يخطب بالعراق بعد الوقعة خطيب هاشمي سواه.

وفيها، عزل أمين الدين مبارك الهندي الجوهري من نقابة مشهد موسى بن جعفر ـ عليه السلام ـ وعين في النقابة نجم الدين علي ابن الموسوي. ولما كان مبارك المذكور نقيبًا قال فيه بعض الشعراء:

رأيت في النوم إمام الهدى ... موسى حليف الهم والوجد
يقول ما تنكبني نكبة ... إلا من الهند أو السند
تحكم السندي في مهجتي ... وحكم الهندي في ولدي
فلعنة الله على من به ... تحكم السندي والهندي

وفيها، رتب الشيخ جمال الدين عبد الله ابن العاقولي مدرس مدرسة الأصحاب، ورتب نجم الدين بن أبي العز البصري نائبًا عن قاضي القضاة عز الدين ابن الزنجاني في القضاء ببغداد.

وفيها، وجد رجل وامرأة في شهر رمضان في حمام على فاحشة، فأمر علاء الدين صاحب الديوان بحصبهما، فحصبا ظاهر سور بغداد ولم ير في تاريخ أنه حصب ببغداد أحد.

وفيها، توفي تاج الدين علي بن أنجب بن عبد الله بن عمار بن عبيد الله[1] المعروف بابن الساعي المؤرخ، وكان مولده سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، وكان أديبًا فاضلًا، له مصنفات كثيرة آخرها «كتاب الزهاد» وجد عليه بخط الشيخ زكي

---

(١) المؤرخ المشهور صاحب (الجامع المختصر) ولد سنة ٥٩٣ هـ وسمع الحديث واعتنى بالتاريخ وجمع وصنف. انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٢٧٠) وفيه «ولم يكن بالحافظ ولا الضابط المتقن، وله تاريخ كبير عندي أكثره» وتاريخ علماء بغداد (ص ١٣٧) وفيه: (علي بن أنجب بن عثمان بن عبيد الله بن عبد الرحيم البغدادي). وانظر: الأعلام (٥/ ٧١) وفيه إشارة إلى بقية مصادر ترجمته.

الدين عبد الله بن حبيب الكاتب:

ما زال تاج الدين طول المدى من عمره يعنق في السير
في طلب العلم وتدوينه وفعله نفع بلا ضير
على علي بتصانيفه وهذه خاتمة الخير

وفيها، سقط ركن الدين ابن النقيب محيي الدين محمد بن حيدر نقيب الموصل بفرسه إلى دجلة ببغداد، وكان مجتازًا على الجسر فأصعد إلى مشهد علي ـ عليه السلام ـ فدفن هناك، وكان شابًا حسن الخلقة، عمره سبع عشرة سنة ورثاه شمس الدين محمد بن عبد الله الكوفي[1] الواعظ بقصيدة طويلة أوردها في العزاء يقول فيها:

ألقاه في الماء الجواد كأنه بدر هوى في جندل متمور
أمواج دجلة أغرقته إذ طغت وكذا الطغاة على الأكارم تجتري
ولقد تكدر صفوها من بعده ومتى صفت لهم ولم تتكدر
بالله هل أغرقته شغفًا به يا ماء أو حسدًا لماء الكوثر
هلا رحمت شبابه وتركته من أجل ولهى فيه ذات تحير
أوما علمت بأنه رحب الفنا والصدر عذب اللفظ حلو المنظر
يا ماء ما أنصفت آل محمد وعلى كمال الدين كنت المجتري
في الطف لم تسعد أباه بقطرة واليوم قد أغرقته في أبحر
غاصوا عليه وأخرجوه معظمًا ومكرمًا وكذا نفيس الجوهر
والله ما نزعت ملابس جسمه حتى تبختر في الحرير الأخضر
فالشوق يظمئني إليه وكلما حاولت شرب الماء زاد تكدري
يا نفس ذوبي حسرة وكآبة وتَأَسُّفي وتَلَهُّفي وتَحَسُّري
ماذا يكون أغير ما هو كائن نزل القضاء صبرت أو لم تصبر

وفيها، توفي تاج الدين علي بن عبدوس، كان من كبار المتصرفين ببغداد، فرثاه شمس الدين محمد بن الكوفي الواعظ بقصيدة أوردها في العزاء، يقول فيها:

أرى الدنيا تؤول إلى نفاد ونحن لها بأنفسنا نفادي

(١) محمد بن عبد الله أو عبيد الله كما في الوافي، تقدمت ترجمته، وسيذكر المؤلف خبر وفاته في حوادث سنة ٦٧٥ هـ.

ونعلم أنها تفنى وتفني ... ونطلبها بجد واجتهاد
ونصلحها وتفسدنا وندري ... بأن صلاحها عين الفساد
وقد أزف الرحيل وعن يسير ... يسير الغافلون بغير زاد
هي الأم التي قتلت بنيها ... فحاذرها محاذرة الأعادي
وما فعلت بتاج الدين يكفي ... إذا فكرت فكرة انتقاد
لقد سلبته أحسن ما رآه ... يسر بحسنه أهل الوداد
أتاج الدين كنت أخي وركني ... فبعدك بالإخاء لمن أنادي
أيا ابن أبي قطعت نياط قلبي ... بأحزان وأسياف حداد
أتاج الدين قد أفنيت صبري ... وكنت على الخطوب من الجلاد
أتاج الدين قد أوحشت عيني ... وإن كنت انتقلت إلى فؤادي
فلو كان التلاقي بعد شهر ... لكنت أضج من طول البعاد
فكيف وليس في الدنيا تلاق ... وميعاد التلاقي في المعاد
أردت بأن أنال به سروري ... فمات وما بلغت به مرادي
رحلت وقد سلبت جميل صبري ... وسرت فسار عن جفني رقادي
فحزنك كل يوم في انتقاص ... وحزني كل يوم في ازدياد
سرورك عند مولانا علي ... وحزني عند موسى والجواد
وحزني قد يخففه يقيني ... بأنك قد قدمت على جواد

سنة خمس وسبعين وستمائة

في هذه السنة، سار الملك الظاهر البندقدار بعساكره إلى بلاد الروم، وكان غرضه قتل البرواناة[1]، فلما عرف بمسيره تحصن ببعض القلاع التي على ساحل البحر، وخرج المغول إلى لقاء البندقدار وكانوا نحو ثلاثة آلاف فارس، فالتقوا به

(١) أو البرواناة، وهو معين الدين سليمان بن علي بن محمد بن حسن البرواناة، كان أبوه من عراق العجم، لما استولى عليها التتار غادرها إلى بلاد الروم، فرتب مقرئًا في بعض الترب، وكان بارعًا في العربية حافظًا للقرآن الكريم، وتعلم الحساب فعين مستوفيًا إلى أن توفي فعين ولده معين الدين مكانه، وتدرج واستفحل أمره حتى استولى على ممالك الروم. وصانع ملوك التتر وداراهم، وكذلك ملوك الروم، كما كاتب الملك الظاهر ليكون سندًا له وعونًا، وكان ذا رأي وحزم، قتله التتار سنة ٦٧٦ هـ. انظر: ذيل المرآة (٣/ ٢٧٠)، وعيون التواريخ (٢١/ ١٥١)، ومختصر التاريخ (ص ٨٧).

في قيسارية[١] وقاتلوه فاستظهر عليهم وقتل أكثرهم وانهزم الباقون[٢]، فأقام بظاهر قيسارية خمسة عشر يومًا ثم دخلها، ولم يتأذ بجيشه أحد من الرعية، وقال «إني لم أقصد هذه البلاد لخرابها بل لتخليصها من المغول» فلما عزم على العود نهب النصارى وأخذ أموالهم وسبى ذراريهم ولم يقتل منهم أحدًا، ثم رحل عائدًا إلى بلاده واستصحب أم البروانة وأولاده وحرمه، فلما وصل إلى مصر ظهر له الخيانة من جماعة من نوابه، فأمر بهم فشهروا على جمال وطيف بهم في أكثر بلاده أيامًا حتى هلكوا.

وفيها، تكرر وقوع النار في أسواق بغداد ومساكنها من منتصف المحرم إلى آخر صفر، فلم يخل الإنذار بوقوعها ليلاً ونهارًا، واشتد خوف الناس لذلك وأمر علاء الدين صاحب الديوان بعمل حياض في دروب بغداد وأن تملأ ماء، ويستعد الناس في السطوح بالماء لإطفاء النار، ولم يعلم سبب ذلك، إنما كان الإنسان يرى النار في كنبثة[٣] داره أو خصها. وحكي أن بعض الفقراء كان نائمًا على الجسر، فاستيقظ والنار في خلقانه. واشتغل الناس بحفظ مساكنهم ولم يبق لهم اهتمام بغير الرصد لما يقع من الرحيق وإطفائه، وكانت هذه آية من الله عز وجل حتى كشفها بلطفه ورحمته.

وفيها، توفي شمس الدين محمد بن عبيد الله الهاشمي الكوفي الواعظ[٤] ببغداد، وكان أديبًا فاضلاً عالمًا شاعرًا، ولي التدريس بالمدرسة التتشية، وخطب في جامع السلطان، ووعظ في باب بدر، وكان عمره نحو اثنتين وخمسين سنة، وكان له شعر حسن، فمنه ما كتبه على يد معشوقه إلى أحد الأعيان:

إني جعلت رسولي من كلفت به   وقد كتبت بما ألقى من الوصف
فدع كتابي وسل عني لواحظه   «فالسيف أصدق أنباء من الكتب»

---

(١) قيسارية: مدينة كبيرة في بلاد الروم، وهي كرسي مُلك السلاجقة. انظر: معجم البلدان (١/ ٤٢).

(٢) انظر التفاصيل في: ذيل المرآة (٣/ ١٧٦)، وعيون التواريخ (٢١/ ٩٩)، والبداية والنهاية (١٣/ ٢٧٢).

(٣) الكنبثة، الشرفة أو ما يسمى اليوم «بالبالكون».

(٤) تقدمت ترجمته وروى المؤلف في مواضع أخرى شيئًا من شعره، وفي عيون التواريخ (٢١/ ١٠٧)، وتاريخ ابن الفرات (٧/ ٧٢) مقطعات أخرى.

وله يذم حمام المستنصرية بأنه بارد:

ولو أن أيوب في عصرنا وقد مسه بالأذى البارد
لجاء إلينا فحمامنا شراب ومغتسل بارد

فناقضه كمال الدين الأبري فقال:

أرى ماء حمامكم كالحميم... ... نعاني من عناء وبوسى
وعهدي بكم تسمطون الجدى فما بالكم تسمطون الرؤوسا

وسبب التقصير، أن المستنصر غضب عند سماع الأولى فاعتذر إليه بالثانية.

سنة ست وسبعين وستمائة

فيها، توفي[(١)] السلطان ركن الدين بيبرس المعروف بالبندقدار صاحب مصر والشام بدمشق، وكان حسن السيرة كثير الجهاد أديبًا صالحًا لا يعرف ببلاده الخمر ولا يقدم أحد على استعماله. قيل إنه سم في الماء الذي يستعمله في الطهور، وحكي أنه قال: رأيت النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قبل وصولي إلى السلطنة وقد قلدني سيفًا، ثم رآه قبل وفاته، فقال له: «أعطني الوديعة» فأعاد إليه السيف، فأخذه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ودفعه إلى قلاوون[(٢)]، وكان أحد الأمراء فلما استيقظ أحضره واستحلفه أنه إذا صار الملك إليه يحسن إلى أولاده ولا يُسِيء إليهم، وتوفي بعد ذلك بأيام[(٣)]. وقيل: إنه لما عاد من بلاد الروم نزل قريبًا من حماة، وعزم على قتل أمير[(٤)] من أمرائه كان مقطع بعلبك، فجلس معه يشرب القمز، فأمر أن يوضع له في قدحه السم، فلما شربه نهض البندقدار لحاجة، فلما عاد سقاه الساقي في ذلك

---

(١) انظر الخبر مفصلًا في: عيون التواريخ (٢١/١٣٥)، وذيل المرآة (٣/٢٤٥).

(٢) قلاوون التركي الصالحي النجمي المعروف بالألفي، كان من أكبر أمراء زمن الظاهر ثم ولي سلطنة مصر والشام سنة ٦٧٨ هـ فلقب بالملك المنصور سيف الدين، كسر التتار على حمص وغزا الفرنج أكثر من مرة وفتح طرابلس وغيرها، توفي سنة ٦٨٩ هـ ودفن بالقاهرة، وأخباره كثيرة في عيون التواريخ (ج ٢١)، ومرآة الزمان (ج ٣)، وشذرات الذهب (٥/٤٠٩)، والعبر (٥/٣٦٣) وغيرها.

(٣) في يوم الخميس بعد صلاة الظهر الثامن والعشرين من المحرم، وأخفي خبر موته حتى استقدم ولي عهده ولده الملك السعيد. انظر: عيون التواريخ (٢١/١٣٦).

(٤) هو الملك القاهر بهاء الدين عبد الملك ابن السلطان المعظم عيسى ابن العادل أبي بكر بن أيوب كما في البداية والنهاية (١٣/٢٧٤). انظر ترجمته في: عيون التواريخ (٢١/١٥٣).

القدح، ولم يكن يعرف بالقضية، فلما شربه أحس بالشر، فأنكر ذلك على من عرف به كيف لم يكسر القدح، وأراد قتله، ثم أمسك عنه، ونهض صاحب بعلبك نحو منزله فهلك، ومرض البندقدار فسار نحو دمشق واستحلف الأمراء لولده وعهد إليه ولقبه الملك السعيد، وعاش بعد ذلك شهرًا ومات وهو يستغيث من الحر واللهيب، وكان عمره نحو ستين سنة وملكه نحو ثماني عشرة سنة[1]، ودفن في تربة له بمدرسته التي أنشأها بدمشق للشافعية، واجتمع الأمراء على طاعة ولده[2] وانقادت الجيوش له، فأطرح أكابر الأمراء مثل قلاوون الألفي والبيسري[3] وغيرهما، وقرب مماليك أبيه وأعطاهم الإقطاعات، فشغب الجند عليه بوضع الأمراء، فهرب منهم ولحق بمصر، وجمع نفرًا من الجيش وعاد بهم إلى دمشق، فلما دنا منها خرج الأمراء لقتاله، وكاتبوا من معه وأفسدوا نياتهم عليه، فأحس بذلك ففارقهم ولحق بالكرك فتحصن به وزهد في الملك[4]، وكان بالكرك زوجة[5] أبيه وهي أم أخيه الأصغر خضر[6]، ولما أقام بالكرك خرج بعض الأيام متصيدًا فسقط من فرسه فهلك. وقيل: بل سمته أم أخيه طمعًا في الملك لابنها، فأقبلت طائفة من الجيش وحصروا الكرك وطلبوا أن ينزل خضر إليهم، فقالت أمه: «لا حاجة لنا في الملك ولا يحل لكم قتل هذا الطفل» فرحلوا عن الكرك. ثم إن الأمراء والجيوش اتفقوا وملكوا عليهم قلاوون المعروف بالألفي ولقب الملك المنصور. وسبب تسميته الألفي: أن الملك الصالح اشتراه بألف دينار، فلما قرر قواعد الشام استخلف عليه سنقر الأشقر وتوجه إلى مصر وشرع في قتل كل من يخشاه من الأمراء، إلا البيسري[7] فإنه اعتقله اعتقالاً جميلاً.

---

(١) وكان الملك الظاهر شجاعًا شهمًا جسورًا يعيد الغور كما وصفه مؤرخوه. فتح فتوحات كثيرة، فقد استعاد من الإفرنج مدنًا كثيرة، منها قيسارية وارسون ويافا والشقيف وأنطاكية وحصن عكا والشقيف وغير ذلك، وأخذ من الإسماعيلية حصونهم وأوقع بالروم وكسر المغول وانتصر عليهم في مواقع عديدة واستعاد من يد المتغلبين المسلمين بعلبك وبصرى وصرخد وحمص وغير ذلك، وبنى حصونًا وحفر أنهارًا كثيرة وجوامع ومدارس ومساجد عديدة. انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٢٧٥)، وعيون التواريخ (ص ٢١).

(٢) هو الملك السعيد ناصر الدين محمد ولد سنة ٦٥٧ هـ. انظر: عيون التواريخ (٢١/ ١٣٣).

(٣) بدر الدين البيسري، كبير الأمراء البحرية، توفي سنة ٦٩٨ هـ. العبر (٥/ ٣٨٦).

(٤) انظر تفاصيل ذلك في: عيون التواريخ (٢١/ ١٧١ و٢١٩).

(٥) وهي ابنة بركه خان كما في العيون (٢/ ١٧١).

(٦) سمي فيما بعد الملك المسعود نجم الدين خضر، العيون (٢١/ ١٧١).

(٧) اعتقله سنة ٦٨١ كما في عيون التواريخ (٢١/ ٣٠٤).

وفيها، زادت دجلة وغرق ببغداد عدة أماكن وانفتح في القورج فتحة عظيمة، فخرج علاء الدين صاحب الديوان وكافة الولاة والأكابر والعوام، وأخذ الصاحب باقة شوك وضعها على فرسه فلم يبق أحد إلا وفعل مثله، ونزل الصاحب وعمل بيده وتكاثر الناس وتساعدوا فاستدركوها وسدوها.

وفي آذار، وقع بَرَد كبار أتلف كثيرًا من الزروع في الحلة ونهر الملك ونهر عيسى.

وفيها، تحاكم نفران عند قاض ببغداد في ثلاثة فلوس. وقيل: إن في سنة اثنتين وخمسين وستمائة تحاكم رجلان عند قاضي تكريت في نصف درهم.

وفيها، أمر السلطان أباقاخان بقتل معين الدين سليمان بن علي المعروف بالبروانة[1] ملك الروم، فقتل وقتل معه خلق كثير[2] من أصحابه وأتباعه، وكان كثير الصلات لأهل الدين والفقراء، وسبب قتله أنه نقل عنه الميل إلى سلطان مصر والشام.

وفيها، توفي بهاء الدين أحمد بن عثمان البروجردي ببغداد، ودفن في تربة عملها لنفسه في داره بدرب الفالوذج، وكانت وفاته في صفر وتوفي أخوه شمس الدين محمد في جمادى الآخرة بالقرب من توريز، كان قد توجه إلى الأردو المعظم فحمل إلى بغداد، ودفن عند أخيه، وكان قد ضمن الأعمال الواسطية وتفرد بها، ولم يكن لصاحب الديوان معه حكم فيها، ورتب بعده في الأعمال الواسطية الملك ناصر الدين قتلغ شاه الصاحبي.

وفيها، توفي العميد شمس الدين علي ابن الأعوج، كان حمالاً ثم صار بائعًا للغلة والتمور في الخانات وكان أميًا، ثم تولى تمغات بغداد فأثرت حاله واستعمل مع الناس والمتصرفين وأهل التناآت والمرؤة وواصلهم وأحسن إليهم، وتجمل تجملاً ظاهرًا، وصار له المماليك الترك والروم والخدم وغيرهم، وبقي على ذلك مدة، ثم رتب صدر الأعمال الحلية والفراتية، فلما قدم ششي بخشي والأمراء لتصفح حال العراق قال في علاء الدين صاحب الديوان أشياء، فلما انتصر الصاحب وعاد إلى منصبه عزله وأخذ أمواله، فرقت حاله وسافر إلى توريز فمات بها.

---

(١) تقدمت ترجمته. وانظر تفاصيل قتله في: عيون التواريخ (٢١/ ١٥)، وذيل المرآة (٣/ ٢٧٠).

(٢) في عيون التواريخ (٢١/ ١٥١) أنهم ثلاثون شخصًا.

وفيها، توفي الشيخ مجد الدين عبد الصمد المقرىء[1] إمام مسجد قمرية، وكان زاهدًا ورعًا، يقرىء الأيتام بمسجد قمرية ويصلي إمامًا به من حين فتح، ثم نقل إلى مشيخة رباط دار سوسبان، وجعل ولده الأكبر أحمد نائبًا عنه في مسجد قمرية، وبعد واقعة بغداد رتب خازنًا بالديوان، ثم أعيد إلى مسجد قمرية على قاعدته الأولى، وأضيف إليه الخطابة بجامع الخليفة، وكان مولده سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة.

وفيها، توفي عز الدين عبد السلام ابن الكبوش البصري[2] الشاعر، سكن في آخر وقته في المدرسة النظامية، وصان نفسه عن مدح الناس واسترفادهم، وكان مولعًا بصنعة الكيمياء فذهب بصره من أبخرة ما كان يصنعه من الأدوية، كان بينه وبين تقي الدين ابن المغربي[3] الشاعر منافرة فقال فيه:

يا ابن الكبوش وأصل كافك ضمةٌ إذ فتحه في الجمع ليس بجائز
لله درك كيف أشبهت الجدي والضأن ليس بمشبه للماعز

ومن شعره من قصيدة:

ودع عنك التعلل بالأماني أخي ولا تبع نقدًا بفقد
فمجلسنا كما تهواه زين بمن تهواه في قرب وبعد
به المنثور منثورًا ولكن حواشيه مقرنة بورد
وفي أوساطه كاسات خمر كنار أضرمت في نار خد
وساقينا رخيم الدل رخص ظريف مازح هزلاً بجد
لنا من كفه سكر بخمر ومن ترسانه[4] سكر بشهد
وكنت عرفت وجدك بالبوادي وما تخفيه من شوق ووجد
....

---

(١) مجد الدين عبد الصمد بن أحمد بن أبي الجيش، تقدمت ترجمته في حوادث سنة ٦٢٦ هـ.

(٢) ذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٧٢ هـ. انظر ترجمته هناك، وانظر خبر وفاته في: عيون التواريخ (٢١/ ١٥٧).

(٣) تقي الدين علي بن عبد العزيز بن علي بن جابر، الفقيه الأديب، البارع، كان شاعرًا ظريفًا، له القصيدة الدبدبية المشهورة، أولها: أي دبدبة تدبدبي، وسيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٦٨٤ هـ. انظر: فوات الوفيات (٢/ ١١٢)، والأعلام (٥/ ١١٥).

(٤) كذا في الأصل.

وفيها، أنهى مسعود البرقوطي والي الموصل وأشموط الشحنة بها إلى السلطان أباقاخان أنهما ظلما في المحاسبة على ضمان الموصل فأمر بتحقيق ذلك، فلما عملوا حسابهما أثبتوا أن البابا كان على الباطل فيما اعتمده معهما، فأمر بقتله فقتل، وولاهما الموصل وإربل فعادوا برأسه وطافوا به وعلق على باب الجسر.

سنة سبع وسبعين وستمائة

في هذه السنة، ورد تقدم إلى علاء الدين صاحب الديوان باستيفاء «خمسين ألف دينار» من بغداد وأعمالها على وجه المساعدة، فشرع في استيفاء ذلك من الناس بالعسف والقهر، ثم أمر بإثبات الدور ببغداد، فأثبتت جميعها، وطالبوا أربابها بالأجرة عنها عن شهرين، فبينما هو على ذلك وصل مَنْ طلبه إلى الأردو المعظم للمقابلة على ما نسب إليه من مكاتبة سلطان مصر والشام وقبض على شرف الدين علي بن أميران كاتب الإنشاء، وطوق وحمل صحبته، وقبض على حمزة التكريتي التاجر ونهبت داره وطوق، وحمل صحبته أيضًا، وانفرد مجد الدين ابن الأثير باستيفاء ما قرر على الناس فغلقت الأسواق، واختفى أكثر العالم، فطولب النساء بما قرر على رجالهن، ولم يخلص من هذا أحد، حتى إن العلويين والقضاة والعدول استوفي منهم بالقهر والمضايقة العنيفة، وكذلك جرى في أعمال بغداد جميعها، وأما الصاحب علاء الدين فإنه حيث قوبل على ما نسب إليه ظهر كذب القائل عنه، فأمر بقتله، وحملت أطرافه إلى البلاد، وكتب الصاحب إلى بغداد مع الواصلين برأس المذكور كتابًا قرىء ببغداد في الجامع بعد صلاة الجمعة مضمونه:

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ [النمل: الآية ١٩]. إن لله تعالى ألطافًا خفية ترى في أول الأمر خشنة خفية ويحسب الجاهل أنها نقمة فإذا انتهت عرف كل أحد أنها نعمة. ومعنى هذا الكلام لا يخفى على الخاص والعام، وذلك فضل الله في إيراد كل أمر وإصداره، وقد أردنا أن نوضح من أول الأمر إلى آخره كيفية الحال جليًا ونتلو عليكم آيات رحمته التي أنزلها علينا بفضله بكرة وعشيًا، فألهمنا الله العظيم قوله الكريم ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: الآيتان ١٧٣، ١٧٤] فهذه الآية قضية أمورنا التي جرت وعنه الحال أسفرت، فكأنما أنزلت في هذا الشأن فما احتجنا معها إلى زيادة تفصيل وبرهان،

وفي الساعة التي قدم الكذاب المزور بين يدي الأمراء ظهر من فلتات لسانه أنه كذب وافترى فمما احتجنا في تكذيبه إلى شاهد: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: الآية ٢٤]:

وهبني قلت هذا الصبح ليلاً أيعمى العالمون عن الضياء

فلما عرضوا كلامه على الآراء الشريفة برز التقدم المطاع ـ لا زال نافذًا ـ بعرضه على السيف في ملأ من الناس وأنفذوا يديه إلى بغداد وإلى الروم الرأس، ونادوا في الأسواق «هذا جزاء من يقدم على عبيدنا المخلصين بالزور والالتباس ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: الآية ٤٥] فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين»، وحيث نعرف التفات قلوب أهل بغداد حفظهم الله من كل سوء وفساد أنفذنا الأمير محمدًا يبشر بطيبة نفوسنا، ليعلموا خلو بالنا من كل ما يكدر بواطنهم ويشوش خواطرهم ويعلم أن كل ما يصل من خير وفضل هو بصالح دعاء أهل بغداد وحسن نياتهم وصفاء قلوبهم فليقابلوا هذه المراحم بإعلان الدعوات الصالحات لهذه الدولة القاهرة التي ما اندحض فيها حق ولا غلب فيها باطل، ونحن واصلون عقيب هذا إن شاء الله» ووصل بعد ذلك شرف الدين بن أميران والصاحب علاء الدين بعده.

وفيها، التجأ إلى تتارقيا شحنة بغداد رجل يعرف بالنجم بن حسين ويلقب بالكيباية، كان من دلالي العقار يتمسخر ويخلق بنفسه ويضحك عليه من يعاشره، وكان سبب قربه من الشحنة التزامه بأحمد الشربدار، وهذا أحمد من أهل واسط يعرف بابن بقا، أسر في الواقعة ثم خلص وخدم ببغداد في اصطبل البام ثم صار يتولى عصر الشراب في شرابخانة الديوان، فصار له قرب بالشحنة والتزام تام، فأثرت حاله واشتهر اسمه فشرع في البحث عن أحوال صاحب الديوان وتعريف الشحنة بذلك، فظهرت منه أمور اتصلت بالصاحب وعرف باطن حاله وما يعتمده، ثم إنه اتفق هو والكيباية على أن نسبا أكابر أهل بغداد إلى مكاتبة سلاطين الشام باتفاق صاحب الديوان، فتحدث الكيباية بذلك عند الأمراء والحكام فأحضروا صاحب الديوان وجماعة من الأكابر الذين نسبهم إلى المكاتبة، واستعادوا كلامه فقال أشياء كثيرة، فطولب بالبرهان على صحتها فلم يقدر على ذلك، فلما شدد عليه وضويق قال: «إني كاذب في كل ما قلته، والذي بعثني على الكلام نصرة الدين بن أرغش وأخوه وولده» فأحضروا وسئلوا عن ذلك فاعترفوا وقالوا إن تتارقيا الشحنة وضع القائل على ما قاله، فأمروا بحبس

الجميع وأحضر ابن بقا الشربدار وسئل عن الحال فاعترف بها، فسلم إلى صاحب الديوان فأمر بحبسه فحبس أيامًا، ثم عمل له حجلة وسمر عليها وجعل على رأسه مسخرة كان ببغداد يعرف بالموصلي يصفعه بنعل ويروحه به، ثم يبول عليه، والناس يمدون الحجلة بالحبال في الأسواق والدروب في جانبي بغداد، فأخذ في سب الصاحب وبسط لسانه فيه فنفذ إليه من قال له: «إن الصاحب قد عفا عنك وأمر بتخليصك من الحديد على أن يقطع لسانك، فإن آثرت ذلك فأخرج لسانك لنقطعه» فأخرجه فوضعوا فيه مسلة فامتنع من الكلام، وما زالوا يعذبونه بمد الحجلة واضطرابها إلى آخر النهار ثم قطع رأسه ووضع مكانه رأس معزٍ بلحيته وطيف به وأحرق العوام جثته، ورفع رأسه على خشبة وطيف به، ثم إن ابن أرغش أحضر رجلًا من العرب وأعطاه كتبًا ملصقة وأشار إليه أن يقول: «هذه سلمها إلى صاحب الديوان» فلما قال ذلك أخذ وحبس. أما الكيبابة فإنه قال: «إن فخر الدين بغدي بن قشتمر كان أيضًا من جملة الجماعة الذين اتفقوا على المكاتبة مع ابن أرغش» فأحضر وسئل عن ذلك فأنكر، فوكل به فقال الكيبابة «إن العدل جمال الدين أحمد بن عصية هو كان عن بغدي» فأحضر وسئل فأنكر فوكل به، ثم أن الصاحب عرف صدق العدل وبراءة ساحته فأفرج عنه وخلع عليه وتقدم له بمال، ولم يزل الكيبابة والبدوي في السجن إلى أن توجه الصاحب إلى الأردو المعظم وأخذهما صحبته وقتلا هناك.

وفيها، ظهر ببغداد صبيّان من الشطار يعرف أحدهما بابن الحماس والآخر بالتاج الكفني، وانضم إليهم جماعة من الجهال، وقويت شوكتهم وانتشر ذكرهم، فأعمل صاحب الديوان الحيلة حتى أحضر ابن الحماس إليه، وعين عليه واليًا في الشرطة، فبقي على ذلك أيامًا واستعفى، فأعفاه وجعله ملازمًا باب داره، ثم أشار إليه بإحضار التاج الكفني فأحضره وطيب قلبه وجعله رفيقًا له، فكبس جماعة من أهل الحلة باب الصاحب في بعض الليالي عليهما، فلم يظفروا بهما ولا يمكن الصاحب من تحصيلهم، ثم إن قتادة نائب الشرطة حكى لصاحب الديوان عن ابن الحماس والكفني أشياء من الفساد والتجرؤ على الناس وتكليفهم سرًا وتخويفهم إن امتنعوا عن مساعدتهم، فجمع بينهم وسئل قتادة عما قاله عنهما فقال أشياء أثبتها عليهما، فأمر بقتلهما وطيف برأسهما، فكبس على قتادة بعض رفقتهما يومًا وهو جالس على شاطىء دجلة في الرقة وقتله وقتل بعض أصحابه، فأمر صاحب الديوان بنبش جثتي ابن الحماس والكفني وحرقهما.

وفيها، أحضر بعض أهل السواد كارةً من الدخن بيعت بدرهم فطولب بالمؤونة عنها درهمين فانهزم وتركها.

وفيها، عزل الملك ناصر الدين قتلغ شاه الصاحبي من الأعمال الواسطية، ورتب بها فخر الدين مظفر ابن الطراح.

وفيها، رأى الناس في الليلة التاسعة من شهر رمضان بظاهر بغداد نورًا متصلاً بالسماء وفي صبيحتها. قال بعضهم: إنه رأى قبرًا فيه أحد أولاد الحسن «بمحلة الهروية» فانهال الناس لزيارته، ثم شرعوا في عمارته، وتواتر بعد ذلك أخبار العوام برؤية المنامات وكثرة الظواهر، وتحدثوا بقيام الزمني والمرضي وفتح أعين الأضراء ونقل قوم عن قوم أشياء لا أصل لها غير أهوية العوام، وبطل الناس من معايشهم وأشغالهم بسبب ذلك، فتقدم صاحب الديوان بنقل كل من يوجد له قبر إلى مشهد موسى بن جعفر ـ عليه السلام ـ ففعلوا ذلك وسكن العوام، ثم حضر بعض من يدعي أنه علوي وزعم أنه رأى في منامه ما يدل على ظهور قبر بعض أولاد الأئمة ـ عليهم السلام ـ «بتل الزبيبية»[1]، فأهرع العالم إليه، فلما كشفوا التراب عنه وجدوا صبيًا مقتولاً وعليه قميص وفي جيبه كعاب كان يلعب بها، فعرفه بعض الناس وقال «هذا ولدي وإني فقدته منذ أيام» وذكر فيه علامات، فلما لمح بَانَ صدقه، ووجدوا عند رأسه صخرة عليها مكتوب: هذا قبر عمر بن عبد الله، فلما أخبر صاحب الديوان بذلك عزم على قتل العلوي الذي أخبر به، فسأله أكابر الناس الصفح عنه، فأجابهم إلى ذلك وافتضح المشار إليه بين العالم وعرفوا قلة دينه وفساد عقله ـ نعوذ بالله من النفس الأمارة بالسوء ـ.

وفيها، أُعيد صدر الدين محمد بن شيخ الإسلام الهروي إلى القضاء بالجانب الغربي من بغداد وتدريس المدرسة البشيرية، فبقي على ذلك مدة شهرين، وأصبح ميتًا فقال أكثر الناس: إن ابنه خنقه، وكان قد ولي القضاء قبله والتدريسَ بالبشيرية ابن يونس الموصلي[2]، وتوفي بعد ذلك بشهور قليلة، فقال زين الدين بن الدهان:

أظن قاضي القضاة أيده الـلـ ـه إلى كردكوه ينتسب

إذ كل قاض يقضي إلى الجانب الغر بي يقضي وما له سبب

---

(١) تل الزبيبية، محلة ببغداد، منسوبة إلى كل امرأة كانت تبيع الزبيب، بالجانب الشرقي منها. مراصد الاطلاع (١/ ٢٧١).

(٢) مضت ترجمته.

يا صاحب الملك يا عطا ملك يا من به المكرمات تكتسب
وَلِّ الأعادي اللئام بالجانب الغر بي فصل القضا وقد نكبوا

وفيها، توفي بهاء الدين حسن بن محاسن التاجر الصرصري ودفن في تربة أعدها لنفسه على شاطىء دجلة تجاه داره ببغداد، وعمل مجاورها دارًا للقرآن المجيد، ووقف عليها عدة أماكن، وكان كثير الإحسان والصدقة كريمًا جوادًا.

وتوفي أيضًا عبد الغني ابن الدرنوس، ودفن في داره، وكان في مبدأ أمره يعمل في الكلة مع أرباب تنانير الآجر، وهو الذي ينقل اللبن إلى التنور ثم يحطه بعد طبخه، ثم ولع بالطيور الحمام فكتب في جملة البراجين بدار الخليفة ثم ترقت حاله إلى أن صار مقربًا عند الخليفة يراسل به الوزير ويشاوره في الأمور ويعمل برأيه ولقب نجم الدين، ورتب بعد واقعة بغداد خازنًا بالديوان ثم نقل خازنًا إلى الكارخانة، فبقي على ذلك إلى أن مات.

سنة ثمان وسبعين وستمائة

في هذه السنة، فسد الهواء في أكثر بلاد العجم والموصل وبغداد والحلة والكوفة وواسط والبصرة وجميع نواحي العراق، فأصاب الناس السعال وكثر ذلك فيهم حتى صار الطباخون في الأسواق يعملون المزاوير[١] حسب، وغلا الماش والعدس والحمص والسلق ودام ذلك شهورًا.

وفيها، نسب جماعة من أهل بغداد إلى ضرب الدراهم الزيوف، فأخذ بعضهم وضرب فأقر على جماعة: منهم نجم الدين حيدر بن الأيسر[٢]، وكان من أعيان المتصرفين، وأمر صاحب الديوان بقطع أيدي جماعة، منهم ابن الأخضر، كان ينقش السكة، وقرر على ابن الأيسر مالاً فأداه.

وانقطعت الغيوث في هذه السنة، وغلت الأسعار وتعذرت الأقوات، ومات أكثر المواشي.

وفيها، تمّت عمارة منارة[٣] جامع الخليفة وكانت قد سقطت في شهر رمضان سنة سبعين، وتمت عمارة مسجد الشيخ معروف الكرخي ـ قدس الله روحه ـ بالجانب

(١) كذا في الأصل ولم نتبين معناه.

(٢) ذكره الإربلي عرضًا في كشف الغمة، وسيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٦٨٥هـ.

(٣) هي منارة سوق الغزل الحالية.

الغربي من بغداد على شاطىء دجلة، أمر بعمارته شمس الدين محمد ابن الجويني صاحب ديوان الممالك، وكان قد خرب لما غرقت بغداد سنة ثلاث وخمسين وستمائة.

وفيها، وجد في قبة المؤذن بالمدرسة النظامية رجل قد صلب نفسه.

وفيها، ابتاع قاضي القضاة عز الدين أحمد ابن الزنجاني جارية من رجل يعرف بالشهاب يوسف الطفسونجي فحضر بعد مدة والتمس استعادتها منه، فلم يقض الشرع المطهر بذلك، فمات أسفًا عليها بعد أيام وخلف ولدًا وأخًا يتعلقان ببعض الأمراء، فمضيا إليه وذكر الولد له أن قاضي القضاة غصب أباه جارية، فنفذ معهما من يستوضح الحال، فاستدعي القاضي إلى الديوان وسئل عن ذلك، فأسفرت الحال على أن أدى ألفي دينار، وكتب له إبراء من جميع الدعاوى، وكان قد نسب إليه أنه قتله بالسم.

وفيها، توفي لمجد الدين محمد ابن الأثير ولد من غير مرض لأن أباه رفسه لانقطاعه عن المؤدب، وقيل: بل أنف من ذلك لكونه كان بمحضر من الأعيان فأكل شيئًا من الأفيون فمات، وكان ذكيًا حفظ القرآن ومقدمة في النحو والحماسة، وكتب خطًا حسنًا، فرثاه تقي الدين ابن المغربي[1] بقصيدة يقول فيها:

ما ينفع العلم يحويه ويجمعه ... من ليس يدري متى تحويه أكفان

قد كان يكفيه أدنى ما تعلمه ... إن الزيادة فوق القدر نقصان

من زار قبرك فلينشده شعرك إن ... هزته مثلي أشواق وأحزان

حتام أنت على المشتاق غضبان ... وفي الفؤاد صبابات وأشجان

يا أحسن الناس ما لي عنك مصطبر ... ولا لقلبي وإن عذبت سلوان

وفيها، توفيت شمس الضحى الشاهلني بنت عبد الخالق بن ملكشاه بن أيوب، زوجة علاء الدين عطاء ملك بن الجويني صاحب الديوان، ودفنت في التربة التي أنشأتها بجوار مدرستها المعروفة بالعصمتية ظاهر بغداد عند مشهد عبيد الله، وكانت كثيرة الصدقات والإحسان والمبرات، كانت تحب أهل بغداد وترى مصالحهم وتقوم في حوائجهم وتساعدهم، كانت أولاً لأبي العباس أحمد ابن الخليفة المستعصم بالله،

(١) تقدمت ترجمته، وسيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٦٨٤ هـ.

وهي والدة ابنته رابعة التي تزوجها خواجه شرف الدين هارون ابن الصاحب شمس الدين محمد ابن الجويني.

وفيها، توفي بهاء الدين محمد ابن الصاحب شمس الدين[1] المذكور وكان ملكًا[2] بأصفهان، ظالمًا سيىء السيرة متفننًا في الظلم، جدد القتل بالقنارة التي كان وضعها البساسيري[3] في أيامه، وقد نسيت لطول العهد بها.

وفيها، خالف سنقر علي «الألفي» وكان لما ملك الألفي قبض على الأمراء وقتل أكثرهم واستخلفه على الشام، وسار إلى مصر فاستفتى الفقهاء فيما اعتمده الألفي من قتل الأمراء، فأفتوا بوجوب قتاله[4]، فاستعد لذلك وتلقب بالملك الكامل شمس الدين، وخطب لنفسه وأحسن السيرة واستمال قلوب العوام فأحبوه، وكان منه ما نذكره.

وفيها، توفي كمال الدين علي ابن الصلايا العلوي، كان قد ولي نهر الملك، فالتقاه جماعة من المغول يومًا ومعه نفر قليل من أصحابه فقتلوهم وكتفوه وألقوه في دجلة، فسار نحو فرسخ، فوجده بعض صيادي السمك فأخرجه وبه رمق، وكان الزمان شتاء، فدثروه وحملوه إلى المدائن فعاش بعد ذلك عدة سنين وظهر عليه دمل فكان سبب وفاته.

وحج في هذه السنة جماعة من العراق وعادوا سالمين.

سنة تسع وسبعين وستمائة

ذكرنا في السنة الماضية أن سنقر الأشقر استعد لحرب الملك المنصور الألفي، فلما بلغه ذلك جهز إليه ستة آلاف فارس مقدمهم أيبك الحلبي[5]، فلما قرب من دمشق خرج سنقر الأشقر لقتاله في اثني عشر ألفًا، فالتقوا واقتتلوا ساعة، فانهزم

---

(١) وردت بعض أخبار بهاء الدين الجويني في الجزء الثاني من المجلد الثاني من جامع التواريخ.

(٢) تعني كلمة الملك في هذا العصر ما كانت تعنيه كلمة الصدر أو الوالي في عصر الخلفاء.

(٣) البساسيري، هو أرسلان بن عبد الله التركي، المتوفى سنة ٤٥١، تقدم ذكره وترجمته.

(٤) وفي عيون التواريخ (٢١/ ٢٢٥) وغيره: أنه لم يرض خلع بدر الدين سلامش ابن الملك الظاهر وتولية الألفي، فركب شمس الدين سنقر الأشقر في جماعة من الأمراء، واستولى على دمشق، وحلف له الأمراء والجند، وأعلن استقلاله بالشام، وتلقب بالملك الكامل وأرسل العساكر إلى غزة لحفظ الأطراف. انظر كذلك: البيان والنهاية (١٣/ ٢٨٩)، وتتمة المختصر (٢/ ٣٢٥).

(٥) في عيون التواريخ (٢١/ ٢٤٣): علم الدين سنجر الحلبي.

أصحاب الأشقر ومضى الأشقر في خواصه إلى عيسى بن مهنا[١] بنواحي الرحبة[٢]، فأقام هناك، وراسل[٣] السلطان أباقاخان في إنفاذ جيش ليملك بهم الشام ومصر، فجهز إليه خمسين ألف فارس جعل عليهم أخاه منكوتمر فدخل بهم الشام. وأما الأشقر، فإنه لما بلغه مسير منكوتمر إليه ندم على ما فرط منه وأخذ عياله وأصحابه ولحق بقلعة صهيون[٤] وتحصن بها، وكان ما سنذكره سنة ثمانين.

وفيها، اتصل مجد الملك اليزدي الذي كان ينوب عن عماد الدين القزويني ببغداد بعد فتحها، بعبودية السلطان أباقاخان، وتحدث في الصاحبين شمس الدين وعلاء الدين، فرتبه مشرفًا في جميع الممالك فعين بها نوابًا، وكانت علامته مشرف الممالك، وكان ما نذكره[٥].

وفيها، أمر علاء الدين صاحب الديوان بعمل جسر وحمله إلى تستر مكملاً بسلاسله وآلاته، فنصب تحت البند عند دروازة دزبول.

وفيها، صلبت امرأة نفسها في دارها بمحلة الجعفرية ببغداد وكان سبب ذلك أن

---

(١) شرف الدين عيسى بن مهنا، شيخ آل فضل الربيعيين وأمير عرب الشام، كان دينًا صالحًا، رابط على الفرات لصد الغزو المغولي، وكان له أثر في وقعة حمص (وسيأتي ذكرها) توفي سنة ٦٨٣ هـ. انظر: عيون التواريخ (٢١/ ٣٤٤)، وشذرات الذهب (٥/ ٣٨٣)، وصبح الأعشى (٤/ ٢٠٤).

(٢) هي رحبة مالك بن طوق: عيون التواريخ (٢١/ ٢٤٤) بينها وبين دمشق ثمانية أيام ومن حمص خمسة أيام: معجم البلدان (٣/ ٣٤)»، وفي صبح الأعشى (٤/ ٢٠٤) وديارهم ـ آل فضل ـ من حمص إلى قلعة جعبر، إلى الرحبة، آخذين على شقّي الفرات وأطراف العراق حتى ينتهي حدهم قبلةً يشرق إلى الوشم، آخذين يسارًا إلى البصرة.

(٣) كذلك في تاريخ مختصر الدول (ص ٢٨٨)، ولم يشر ابن شاكر واليونيني إلى أن الأشقر راسل المغول. انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٢٩١)، وعيون التواريخ (٢١/ ٢٤٣) وما بعدها، وذيل المرآة (٤/ ٤١) وما بعدها، وفي البداية والنهاية (١٣/ ٢٩٧)، «ورأيت في بعض تاريخ البغاددة أن قدوم منكوتمر إلى الشام إنما كان عن مكاتبة سنقر الأشقر إليهم والله أعلم».

(٤) صهيون، حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام من أعمال حمص لكنه لي بمشرف على البحر: معجم البلدان (٣/ ٤٣٦).

(٥) انظر: تفاصيل سعايته بالصاحبين في جامع التواريخ (مجلد ٢ ج ٢ ص ٧٣) وما بعدها، ومجد الدين هذا أصله من يزد، كان أبوه «صفي الدين» وزيرًا للأتابك قطب الدين يوسف شاه، واتصل ابنه مجد الملك بالصاحب شمس الدين وأبدى كفاءة ومقدرة، إلا أنه حاول الاتصال بالسلطان أباقا والوشاية بهما حتى أوقع بهما في هذه السنة، وسيذكر المؤلف في حوادث سنة ٦٨١ هـ أن السلطان أحمد الذي خلف أباقا سلمه إلى علاء الدين فقتله أشنع قتلة.

زوجها قيل عنه: إنه وجد مالاً في داره فطالبه الديوان بما لا تمتد يده إليه، فخافت أن تؤخذ وتعاقب وتفتضح فقتلت نفسها.

وفيها، غرقت ببغداد امرأة نسب إليها قتل زوجها، وكان محبًا لها محسنًا إليها وقد أوصى إليها في ماله وأولاده، فأحضرت من قتله، فلما قررت اعترفت بذلك، فأخذ القاتل وسمر.

وغرقت جارية نسب إليها قتل زوجها.

ووجد العدل ابن مزروع النيلي الدباس مقتولاً في بيته، ففحص النائب عن حاله فإذا مملوكه قد استعان بصديق له واجتمعا على قتله، فسمر المملوك وصلب رفيقه، ثم حط المملوك بعد ثلاثة أيام وعولج في المارستان وسلم.

وفيها، غلت الأسعار ببغداد واشتد الغلاء وانسلخ العام على ذلك.

وفيها، دخل تاج الدين عمر الهمذاني كاتب الكارخانة إلى علاء الدين صاحب الديوان وبين يديه مسخرة اسمه علي، فادعى على المذكور بمال، فأنكر ذلك، فقال للصاحب، «لي عليه بينة ولي فيه علامة وقد كنت طالبته من قبل فجحد فلكمته وكسرت بعض أسنانه فتقدم إليه أن يريني فمه» فلما فتح فاه لطمه المسخرة بدقيق كان في يده فطار في خياشيمه فاختنق في الحال.

سنة ثمانين وستمائة

في هذه السنة، قدم السلطان أباقاخان إلى بغداد، وكان قد أرسل أخاه منكوتمر وعدة من الجند في آخر السنة الماضية إلى الشام حيث كاتبه سنقر الأشقر يسأله إنفاذ جيش ليأخذ به الشام ومصر على ما ذكرناه، فنزل منكوتمر على الرحبة وحصرها مدة أربعين يومًا، ولم يحضر سنقر الأشقر إليه، وتحصن بقلعة صهيون، فلما رأى ذلك بالغ في القتل والنهب والخراب، ثم سار يريد دمشق فخرج الألفي منها في جيوشه، ونزل إليه[1] سنقر الأشقر من القلعة وسار معه فالتقوا[2] بالقرب من حمص، واقتتلوا

---

(١) وذلك أن المنصور كتب إلى سنقر الأشقر أن التتار قد أقبلوا إلى المسلمين والمصلحة أن نتفق عليهم لئلا يهلك المسلمون بيننا وبينهم، وإذا ملكوا البلاد لم يدعوا منا أحدًا، فكتب إليه سنقر الأشقر بالسمع والطاعة، وبرز من حصنه فخيم بجيشه ليكون على أهبة متى طلب أجاب، ونزلت نوابه من حصونهم وبقوا مستعدين لقتال التتار» البداية والنهاية (١٣/ ٢٩١).

(٢) التقوا يوم الخميس رابع عشر رجب. انظر تفاصيل المعركة في: البداية والنهاية (١٣/ ٢٩٥)،=

فانهزمت المغول وقتل منهم خلق كثير، وعادوا إلى بغداد، ثم انحدروا إلى السيب وأطراف بلاد واسط، فنهبوا من الأعراب المفسدين خلقًا كثيرًا، وعادوا إلى بغداد ومعهم الأسرى والأموال، ونزل في هذه السنة خلق كثير في الدور ببغداد وأخرجوا أهلها منها.

وقبض السلطان على علاء الدين صاحب الديوان وأصحابه ونوابه وأتباعه، وسلم إلى الصاحب مجد الملك، فاستوفى منه أموالاً كثيرة وبيع من أملاكه وأسبابه جملة طائلة[1]، ودوشخ وألقي تحت دار[2] المسناة التي بأعلى بغداد على شاطىء دجلة، مكتوفًا عليه قميص واحد، وكان البرد شديدًا جدًا، وضرب خواصه وخدمه وأتباعه واستوفيت الأموال منهم، وكان قد انضم إلى مجد الملك في الرفع على الصاحب علاء الدين رجلان نصرانيان أحدهما من بيت الجمل بغدادي اسمه عبد يشوع والآخر من ماردين اسمه يعقوب، وقالا فيه قولاً كثيرًا، وكشفا من أمواله وأموره أشياء.

وأما السلطان فإنه توجه إلى بلاد الجبل، فلما وصل همدان مرض فعهد الملك إلى ابنه أرغون، وكان بخراسان، واشتد مرضه، فتوفي في ذي الحجة[3]، فسارت الأيلجية إلى ابنه تخبره بذلك، ثم سارت الأيلجية إلى أخيه منكوتمر بالخبر، فصادفوا أيلجية من أصحابه تخبر السلطان أباقا بوفاته[4]، وهذا من غريب الاتفاق.

= وعيون التواريخ (٢٧٨/٢١) وفيهما أن ميسرة المسلمين انهزمت إلا أن ثبات القادة غير الموقف. وانظر: تاريخ مختصر الدول (ص ٢٨٨) وفيه: «أن الذي غير مسير المعارك كمين لبني تغلب انقض على ميسرة المغول حَوّل تقدمهم إلى هزيمة»، وفي عيون التواريخ (٢١/ ٢٧٩): «أن عرب الأمير عيسى بن مهنا نهبوا أثقال التتر من ورائهم فرجعوا إليهم فركب المسلمون أكتافهم»، وانظر: العبر (٣٢٦/٥).

(١) انظر: جامع التواريخ (مجلد ٢ جزء ٢ ص ٨٢) وفيه أنه تعهد بأن يقدم ثلاثمائة ألف تومان ذهبًا، وبعد سداد هذا المبلغ طالبوه بالزيادة، وأخذوا في تعذيبه بصنوف الضرب والإيلام حتى سلم كل ما كان يملكه، ثم باع بعد ذلك أبناءه أيضًا.

(٢) أي «على ما حققه الدكتور مصطفى جواد» قصر القلعة الحالي الذي بناه الناصر لدين الله العباسي، وبعض الناس تسميه الدار المعزية خطأ، فإنها كانت فوق قبر الإمام أبي حنيفة (رض).

(٣) انظر: جامع التواريخ (مجلد ٢ ج ٢ ص ٨٥)، والبداية والنهاية (٢٩٧/١٣)، وتاريخ مختصر الدول (ص ٢٨٩)، وعيون التواريخ (٢١/ ٢٩٣)، والعبر (٣٢٨/٥).

(٤) توفي منكوتمر في ١٦ محرم، وكان قد جرح في معركة حمص. انظر: عيون التواريخ (٢١/

وكان عمر السلطان أباقا نحو خمسين سنة، وملكه ثماني عشرة سنة، وكان عادلاً حسن السيرة محبًا لعمارة البلاد، لا يرى سفك الدماء، عفيفًا عن أموال رعيته، فلما توفي اجتمع الأمراء والصاحب شمس الدين ابن الجويني على رفع أرغون[١] عن التخت وتسليمه إلى أحمد، وهو تكدار ابن السلطان هولاكوخان[٢]، ثم أطلقوا الصاحب علاء الدين من الاعتقال، واعتقلوا مجد الملك، وأرسلوا إلى بغداد أيلجية للقبض على الأمير علي جليبان وصفي الدولة ابن الجمل كاتب السلة وغيرهما، ثم ساروا إلى الطاق ليجلسوا السلطان أحمد على التخت، وكان ما نذكره سنة إحدى وثمانين.

وفيها، سيّر الملك المنصور الألفي صاحب مصر والشام، بعد عود منكوتمر والمغول من قتاله، سبعة آلاف فارس مع بعض أمرائه إلى قلعة المرقب[٣] ليحصروها، فلما بلغهم ذلك خرج منهم جمع كثير وكمنوا في واد قريب من القلعة، فلما وصل العسكر ونزلوا وأحاطوا بالقلعة وهم آمنون خرج الكمين عليهم، فقتلوا أكثرهم، وانهزم الباقون وعادوا إلى الألفي وهو سائر إلى مصر، فعظم عليه ذلك ودبر في المسير إليهم.

وفيها، عمر ناصر الدين قتلغ شاه الصاحبي رباطًا للفقراء في مشهد سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ وأسكن فيه جماعة، وأوقف عليه قرايا بواسط وعدة مواضع ببغداد.

وفيها، توفي مجد الدين صالح بن الهذيل بواسط، وكان عمره نيفًا وستين سنة وكان جوادًا كريمًا، ذا معرفة وكفاية ومروءة، من أكابر المتصرفين بواسط وغيرها، خدم بها نائبًا في ديوانها في زمن الخليفة، ورتب بعد وقعة بغداد صدرا في نهر الملك ونهر عيسى ثم نقل إلى صدرية واسط ولقب بالملك، ثم أخذ

---

٢٩٢)، وفي تاريخ مختصر الدول (ص ٢٨٩) أنه سقي السم.

(١) في جامع التواريخ (مجلد ٢ جزء ٢ ص ٩١): أن الأمراء المغول والخواتين اختلفوا في خليفة أباقا، فأيّد جماعة منهم السلطان أحمد، وأراد آخرون الأمير منكوتمر الذي توفي في هذه الأثناء، وأيد آخرون أرغون، الذي رأى أن الأكثرية مع السلطان أحمد، ولما لم يكن معه جيش فقد قبل نصيحة بعض المقربين إليه فرضي مرغمًا.

(٢) في جامع التواريخ (مجلد ٢ جزء ٢ ص ٨٦) تكودار بن هولاكو، وهو الابن السابع له، اعتنق الإسلام وتسمى بالسلطان أحمد.

(٣) المرقب: اسم الموضع كان يرقب فيه، وهو بلد وقلعة حصينة، تشرف على ساحل بحر الشام وعلى مدينة بُلُنياس معجم البلدان (١٠٨/٥).

ودوشخ وطولب بأموال واسط واستوفي منه جملة كبيرة وبيعت أملاكه وأسبابه، ثم رتب بعد ذلك حاكمًا في إربل، ثم عزل ورتب صدرًا في طريق خراسان، ثم أخذ وخزم أنفه وطيف به ببغداد، ثم رتب بعد ذلك ناظرًا بقوسان، ثم عزل فرتبه شمس الدين محمد ابن البروجردي نائبًا عنه في ديوان واسط، وفوض إليه تدبير الأعمال، فبقي على ذلك إلى أن توفي شمس الدين المذكور وأعيد فخر الدين ابن الطراح إلى صدريه الأعمال الواسطية، فرتبه علاء الدين صاحب الديوان مشرفًا عليه فبقي إلى أن توفي ـ رحمه الله ـ.

سنة إحدى وثمانين وستمائة

ذكرنا في السنة الماضية مسير الأمراء وشمس الدين محمد ابن الجويني صاحب ديوان الممالك إلى الطاق ليجلسوا السلطان أحمد على التخت، فوصلوا إليه وأجلسوه على تخت الملك في سادس عشر المحرم، فلما استقر في الحكم أمر بتفريق الأموال المدخرة في الخزائن على أهل بيته وعلى الأمراء[1]، وأعاد الصاحبين شمس الدين وعلاء الدين إلى منصبهما، وسلم مجد الملك إلى الصاحب علاء الدين، فقتله قتلة شنيعة[2]، تولى ذلك شرف الدين هارون ابن أخيه، وحملت أطرافه إلى البلاد وسلخ رأسه وحمل إلى بغداد، وشوى الخربندية[3] لحمه وأكلوا منه وشربوا الخمر في قطعة من رأسه، ثم توجه علاء الدين نحو العراق، فلما وصل إلى أشنى بلغه أن أرغون سار من خراسان لما بلغه وفاة أبيه السلطان أباقاخان يريد العراق، فأقام[4] في أشنى وأنفذ الكرزدهي والجلال بخشي ونجم الدين الأصغر ومجد الدين ابن الأثير وجماعة من أصحابه، ومعهم رأس مجد الملك وكتب معهم مكتوبًا صورته:

---

(١) انظر جامع التواريخ (مجلد ٢ ج ٢ ص ٩٣).

(٢) في جامع التواريخ (مجلد ٢ جزء ٢ ص ٩٦) أن الصاحب شمس الدين لم يأذن بقتله، وأراد أن يعفو عنه، غير أن الخواجة علاء الدين والخواجة هارون كانا يصران على قتله، وسلماه ليلًا للعوام فقطعوه إربًا إربًا.

(٣) الخربندية: لعلها من «خربندة» الفارسية وتعني: مكار ـ مَنْ يؤجر الدواب للمسافرين. انظر: تكملة المعاجم العربية (٤/ ٤٢).

(٤) في جامع التواريخ (مجلد ٢ جزء ٢ ص ٩٦) «ولكن ـ علاء الدين ـ لم يذهب إليها ـ بغداد ـ لأنه كانت قد مضت مدة طويلة لم تشتغل فيها بعمل، وأرسل نوابه للتكفل بالأشغال والأعمال».

«من صاحب الديوان أضعف عباد الله تعالى: أما بعد، حمدًا لله منقذ العباد من الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد، السلام عليكم يا أهل بغداد أهل الوفاء والوداد أردنا أن نعرفكم حيث نعرف منكم صدق المحبة وحسن الصفاء والاعتقاد، ونطلعكم على ما يرد من جانبنا من بلوغ المرام والمراد، ما أسفر الحال عن جلية الأمور فيدخل بها بعد الترح على القلوب والصدور إيراد الفرج والسرور، فألهمنا إلهام الصدق والصواب، ما قاله أصدق القائلين في محكم الكتاب: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ۝٧٠﴾ [الأنبياء: الآيتان ٦٩، ٧٠] فأغنانا عن الجمل والتفصيل، وكفانا تعب الإطناب والتطويل، وستسمعون من العين والرأس ما لا ريب فيه ولا التباس، وتبيان ذلك مما عرضنا بذكره من حال المسكين المنبوذ بمجد الملك الذي أورده سوء نيته وفساد سريرته مورد الهلك، فرحم الله أمرأً عرف قدره ولم يتعد طوره، ووفقنا الله ـ تعالى ـ للقيام بشكر آلائه الصمدانية الأحدية، ودعاء الدولة القاهرة الأيلخانية الأحمدية، التي نشرت ألوية الشريعة المحمدية، وبسطت يد العدل في الأرضين، وكفت عن البلاد والعباد أكف أمثاله من الظالمين، وحمدًا لله رب العالمين. وقد نفذ ملك الأمراء والنواب جلال الدين والصدر فخر الدين الكرزدهي والنوكرية ليشافهوكم بما شاهدوا من نعم الله ـ تعالى ـ التي تدور علينا من قديم كؤوسها والأنعام الصادر عن الحضرة الشريفة الأيلخانية التي طلعت من أفق الميامن شموسها ـ أعز الله سلطانها وأعلى في الخافقين شأنها ـ» وكان وصولهم بغداد في رجب، وقرىء هذا الخط في جامع الخليفة، قرأه جلال الدين بن عكبر الواعظ، وطيف برأس مجد الملك في بغداد وشوارعها، ثم دخلوا دار مجد الملك ونهبوا ما كان بها، وقبضوا على صفي الدين ابن الجمل[1] كاتب السلة وأصحابه ونهبوا داره، وطلبوا الأمير علي جليبان فلم يوجد، وكان قد اتصل به الخبر فانهزم، وكان قد وصل مع الجماعة فخر الدين عبد العزيز ابن النيار[2] وفي حلقه طوق من حديد فركلوا به في داره، وكان معهم أيضًا صبي مثقل بعتلة من أهل أربل، كان يخدم دلالاً في العقار يعرف بعلوش، كان قد أدخل نفسه في الشنقصة[3] آذى

---

(١) ذكر المؤلف في حوادث سنة ٦٥٦ هـ أنه رتب كاتب سلة بعد احتلال بغداد.

(٢) فخر الدين أبو القاسم عبد العزيز بن عبد الله بن عبيد الله ابن النيار البغدادي المنشأ الكاتب. هكذا ذكره ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٣ ص ٢١٣).

(٣) قال الفيروزآبادي في القاموس «الشنقصة: الاستقصاء، مولّدة، والشناقصة ضرب من الجند، =

الناس، وعبد يشوع ويعقوب النصرانيان اللذان تقدم ذكرهما، كانا قد خدما مع مجد الملك وتجردا للقول في صاحب الديوان وأكثرا من ذلك، فطيف بهم في بغداد عراة والعوام يصفعونهم ويضربونهم بالآجر، ثم قتلوا بقية اليوم وجر العوام جثثهم وأحرقوهم بباب قلاية النصارى، ثم وصل الأمير منصور ابن الصاحب علاء الدين وأخوه مظفر الدين ونجم الدين الأصغر ومعهم رأس النجم الدلال المعروف بالكيباية، وقد سبق ذكر ما وقع منه من القول في الصاحب، ففرح أهل بغداد بوصولهم، وعلق رأس الكيباية بباب النوبي، وكان قتله في إربل حكي عنه أنه لما قُدِّمَ ليُقتل قال: «لي عند خالي ابن الرخشي خمسمائة دينار» فأحضر المذكور وسئل عن ذلك، فأنكر فصدق، وعرف كذب الكيباية عليه كما كذب على غيره من قبل. ثم إن الأمير منصورًا أخرج فخر الدين ابن النيار من السجن ليلاً وقتله في «اليوقلية» ظاهر بغداد، فأصبح الناس ووجدوه مقتولاً، وكان شابًا مليح الصورة اتصل بمجد الملك وخدمه، وقال في صاحب الديوان أشياء كثيرة، وكان قبل ذلك قد أخذه الصاحب وضربه ضربًا عظيمًا، وسبب ذلك ما بلغه عنه من الزيادة في الكلام والغيبة له وأنه كان في جماعة منهم رجل من أهل الحلة يعرف بابن الدربي[1] وجرى بينهم حديث نجم الدين ابن الدرنوس وحكمه في زمن الخليفة، وأن نجم الدين الأصغر قد استولى في هذه الدولة كما استولى هو، فأنشد ابن الدربي أبياتًا لنفسه وهي:

نجمان كل منهما في بلدة ... لا ناصح فيها ولا مأمون

وكلاهما ساس العراق فذاك قد ... كان الخراب به وذا سيكون

إن كان تأثير الكواكب هكذا ... هذا جنون والجنون فنون

فأمر الصاحب بتحصيل الجماعة فاختفوا أيامًا، وأمسك الصاحب عنهم، واستمر حكم نواب الصاحب علاء الدين في بغداد شهورًا من السنة، ثم اختلت الأحوال

= الواحد شناقضي، بالكسر» ويراد بالشنقصة جباة الأموال بالاحتيال، وهي استقصاء جائر، ويبدو أن للشناقص من الجند صلة بالشنقصة وفي المنتظم (٨/ ٣٢٧) أنها عراقية مولده في عصر المغول شاعت في لهجة المائة السابعة بمعنى الدس والمكر.

(١) ذكره اليعقوبي في البابليات (١/ ٨٠) قال: لم نعرف شيئًا من أخباره وإنما استطرد ذكره عبد الرزاق بن الفوطي في الحوادث الجامعة، ثم قال: ويغلب على الظن قويًا أن المترجم من أولاد الشيخ الجليل تاج الدين الحسن ابن الدربي». وقد أشار ابن ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٣ ص ٢١٤) إلى أبيات وما جرى لابن النيار بسببها. قال: «وجرت له بسبب أبيات ابن الدربي خطوب وكروب».

واضطربت الأمور، وتوفي نجم الدين الأصغر نائبه ببغداد في شعبان، وتوفي بعده الصاحب في أران[١] في ذي الحجة، وحمل إلى تبريز فدفن بها، وكان مولده في عاشر ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وستمائة، ولي العراق إحدى وعشرين سنة وشهورًا، وكان عادلاً حسن السيرة، أديبًا فاضلاً جمع تاريخًا للمغول سماه «جهان كشاي»[٢] وله رسائل جيدة وأخبار حسنة.

وأما السلطان أرغون فإنه لما بلغه وفاة أبيه السلطان أباقاخان أقبل من خراسان، فاتصل به جلوس السلطان أحمد على التخت فتمم المسير إليه، وحضر عنده[٣]، ثم رحل وتوجه إلى بغداد فدخلها[٤] في شعبان والأمير علي جليبان[٥] بين يديه، واستنقذ صفي الدولة ابن الجمل كاتب السلة من أصحاب علاء الدين صاحب الديوان وخلصهما مما كانا فيه من الصداع، ثم أمر بعمل حساب العراق، فعمل وتخلف على الضمناء شيء كثير فطولبوا به وضويقوا عليه، وألزم أهل بغداد بالمساعدة وأحضر قاضي القضاة عز الدين ابن الزنجاني وقرر عليه وعلى العدول عشرة آلاف دينار، واستوفي ذلك بالعسف وكان كل من اختفى من الناس نهبت داره وبيع ما فيها، وألزم نواب الأعمال الحلية والواسطية والبصرية وغيرهم بمثل ذلك، ثم طولب أهل بغداد بأجرة أملاكهم عن ثلاثة شهور، فاستوفي من أكثرهم، ثم تقدم بإعفاء الناس كافة، ثم عاد إلى خراسان في الربيع.

ثم إن السلطان أحمد أرسل القاضي قطب الدين الشيرازي[٦] إلى الملك المنصور الألفي برسالة خلاصتها[٧]: «إن الله ـ تعالى ـ حبانا بالأيلخانية وأمرنا بالعدل

---

(١) أران: ولاية واسعة وبلاد كبيرة من أصقاع أرمينية معجم البلدان (١/ ١٣٦).

(٢) ذكره ابن الطقطقي. انظر: الفخري (ص ٣٨).

(٣) انظر: جامع التواريخ (مجلد ٢ جزء ٢ ص ٩٣).

(٤) انظر: المصدر السابق، (ص ٩٨).

(٥) ورد ذكره في جامع التواريخ يصوره علي حكيبان رائد الخواجة علاء الدين.

(٦) أحد تلامذة النصير الطوسي كما في البداية والنهاية (١٣/ ٢٩٩) وفي جامع التواريخ أن أحمد أرسل مولانا قطب الدين الشيرازي الذي هو أفضل من في العالم برسالة إلى مصر بمشورة الشيخ عبد الرحمن والصاحب شمس الدين. انظر: المجلد الثاني الجزء الثاني (ص ٩٧) منه، وعيون التواريخ (٢١/ ٣٠٤).

(٧) وهي رسالة طويلة. انظر نصها في: تاريخ مختصر الدول (ص ٢٨٩)، وصبح الأعشى (٨/ ٦٥).

وحقن الدماء. فإن أردت الموادعة فنحن نكف عسكرنا عن قصد بلادك ونفسح للتجار في السفر كيف شاؤوا آمنين، فإن فعلت ذلك وإلا فعَيِّنْ للقتال موضعًا، واعلم أن الله يطالبك بما يسفك بيننا من الدماء»، فسار قطب الدين، فلما وصل البيرة سير إلى مصر ولم يدخل الشام، وأدخل إلى الألفي ليلاً، فوقف بين يديه وأدى الرسالة، فقال الترجمان له: «نحن نجيب إلى ذلك»، وأمر في الحال بإنشاء الكتب إلى سائر البلاد ليتمكن التجار من السفر[١]، ثم أذن لقطب الدين في العود وأمر له بمال وأعيد إلى البيرة.

وفيها، توجه من بغداد جماعة كثيرة إلى مكة ـ شرفها الله تعالى ـ فوصلوا إلى الناشبية فلم يمكنوا من المسير وحبسوا أيامًا وأخذوا منهم عن كل حمل اثني عشر دينارًا بالضرب والقهر فعادوا.

وفيها، سقط بعض الفقهاء بالمدرسة المستنصرية من غرفة[٢] إلى صحن المدرسة فمات في يومه.

وفيها، فقد الشيخ الظهير أحمد بن عبد القادر الجيلي الحنبلي من مدرسة جده، ولم يعلم حقيقة حاله، واتهم به أولاد «كديدا» فوجد في سنة «ست وثمانين» في بئر داره التي في مدرسة جده، وعرف بخاتم كان في يده، حكى بعض أصحابه: أنه رآه في المنام بعد فقده بثلاثة أيام، فسأله عن حاله فقال له: «يضرب المثل بمن يده تحت الرحا فكيف بمن قد حصل كله تحت الرحا».

وفيها، ـ أعني سنة إحدى وثماني ـ توفي جمال...[٣] النحوي وكان قد رتب مدرسًا للنحو بالمستنصرية...[٤] الشيخ عماد[٤] وكان سراباز[٥] فاضلاً... الرواية، ينقل كثيرًا من النحو غير... في ما ينقله تصرف وله تصانيف[٦].

---

(١) وأجابه برسالة طويلة. انظرها كاملة في: تاريخ مختصر الدول (ص ٢٩٢).

(٢) الغرفة: هي بيت يكون على سطح الطبقة الأولى من البنيان، في حين تكون الحجرة في الطابق الأسفل.

(٣) مطموس في الأصل، ولعله جمال الدين الحسين بن أياز مدرس العربية بالمستنصرية المتوفّى سنة ٦٨١ هـ. انظر: ترجمته تاريخ الإسلام للذهبي، حوادث سنة ٦٨١ وبغية الوعاة (ص ٢٣٢).

(٤) كذا في الأصل ولم نتبين معناه.

(٥) كذا في الأصل، ولعله (ابن أياز).

(٦) منها: «قواعد المطارحة» و«الإسعاف في الخلاف» و«آداب الملوك» و«المأخذ المتبع» و«الأصول في شرح الفصول في النحو».

وفيها، توفي الشيخ جلال الدين عبد الجبار بن عكبر[١] الواعظ مدرس الحنابلة بالمدرسة المستنصرية، ودفن في المسجد المجاور لداره، وكان عالمًا فاضلاً ورعًا زاهدًا، جلس للوعظ بباب بدر في زمن الخليفة، وبقي على ذلك إلى واقعة بغداد، ثم جلس في جامع الخليفة، واستمر إلى أن مات، وكان له قبول عند العالم.

ثم توفي الشيخ الصالح الفقير أسد الدين محمد بن برس شيخ رباط القصر، حج مرارًا، وكان منقطعًا يعبد الله تعالى قيل: إنه ولد هو والشيخ جلال الدين بن عكبر في يوم واحد وماتا في يوم واحد.

وفيها، توفي الأصيل محمد الدزفولي الشافعي، كان رجلاً صالحًا يتصدر في المجالس ويأخذ على كل من يقول شيئًا ويعارضه ويلقى الأكابر والعلماء بالكلام الخشن ولا يخجل من ذلك، وكان لهم فيه اعتقاد ويواصلونه دائمًا. حج عن الخليفة المستنصر بالله في سبيل أم المستعصم، وسكن الرباط المستجد في زمن الخليفة، وابتلي في آخر عمره بالقمل فكانت ثيابه مملوءة منه، قال «رأيت الخليفة المستعصم بالله في المنام فقلت له ما فعل الله بك؟ فقال: الحمد لله الذي من اعتذر إليه قبله».

سنة اثنتين وثمانين وستمائة

في رجب وصل شرف الدين هارون ابن الصاحب شمس الدين محمد الجويني صاحب ديوان الممالك، إلى بغداد وقد فوض إليه تدبيرها وجعل صاحب ديوانها على قاعدة عمه علاء الدين، فاستبشر الناس بقدومه وحضر الشعراء بين يديه وأنشدوه المديح فمما قاله جمال الدين ياقوت[٢] المستعصمي الكاتب:

الحمد لله الذي قد مضى الترح ... وقد أتانا السرور والفرح
وجاء صرف الزمان معتذرًا ... فكل ذنب جناه مطرح
لا تعتبوا الدهر بعدها فبنو الد ... هر وأحداثه قد اصطلحوا

---

(١) تقدمت ترجمته وقد ورد ذكره كثيرًا في هذا الكتاب.

(٢) جمال الدين ياقوت بن عبد الله المستعصمي، سيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٦٨٩ هـ، وكان من موالي الخليفة المستعصم بالله، كاتب، أديب، شاعر اشتهر بحسن الخط، وأخذ عنه كثيرون، وصنف كتبًا طبع منها: «أخبار وأشعار» و«أسرار الحكماء». انظر: النجوم الزاهرة (٥/ ٢٨٣ و٨/ ١٨٧)، وتاريخ علماء بغداد (ص ٢٣٣)، والبداية والنهاية (١٤/ ٦)، والأعلام (٩/ ١٥٧).

لئن عراهم من صرفه محن	لقد تلتها الهبات والمنح
وقد أتاهم بكل ما طلبوا	منهم ووافاهم بما اقترحوا
فهمهم بعد ضعف همته	يبدو عليه النشاط والمرح
إن الذين اصطلحوا لدولتكم	نيران بغي زنادها قدحوا
دارت رحاكم على رؤوسهم	فطحنوا حُسْنَهُ بما نطحوا
وكل حزب يسر حزبكم بر	بحِ في سعيه الذي ربحوا
إن ينج من بطشكم بجثته	جانٍ فلم ينج قلبه الفرح
أو يتخلف من العرى شبح	فسوف ينزاح ذلك الشبح
يا شرف الدين الذي شرفت	بمدحه المادحون والمدح
ما غلق الله من عطا ملك	بابًا لملك عليك ينفتح
آنست بغداد بعد وحشتها	فصدرها باللقاء منشرح
قد حليت بعد طول عطلتها	وزينتها القباب والملح
فدم لأهل العراق ملتجأً	تأسوا بجدوى يديك ما جرحوا
وابق مدى الدهر ما بدا قمر	وما دنا بالإياب منتزح

وعين شمس الدين زرديان نائبًا عنه، وخلع على القاضي بدر الدين علي بن محمد بن ملاق الرقي، وفوض إليه أمر القضاء بالجانب الغربي إضافة إلى ما كان يتولاه من الحسبة بجانبي بغداد، والتدريس بمدرسة سعادة[١]، وعين الشيخ نصير الدين عبد الله بن عمر الفاروقي مدرس الشافعية بالمدرسة المستنصرية، وسلك طريقة عمه في تدبير العراق.

ووصل بعده نظام الدين عبد الله ابن قاضي البندنيجيين، وقد رتب كاتب السلة بالديوان، وأحضر مجد الدين محمد ابن الأثير وطالبه بما وصل إليه من أموال الديوان، ودوشخ ووكل به أيامًا كثيرة واستوفي منه مقدار خمسين ألف دينار، ثم وصل في المحرم سنة ثلاث وثمانين من طلبه إلى الأردو المعظم، وأعيد عليه كل ما أخذ منه، ثم ندب إلى النيابة عن خواجه شرف الدين هارون فأجاب إلى ذلك، وعاد

---

(١) مدرسة سعادة، نسبة إلى سعادة عز الدين أبي الحسن سعادة بن عبد الله الرومي المستظهري الخادم الرسائلي، المتوفى سنة ٥٠٠ هـ وموقع هذه المدرسة في الجانب الشرقي وقد بقيت قائمة تلقى فيها الدروس إلى أواخر القرن السابع الهجري، انظر: المنتظم حوادث ٤٩٥ هـ.

إلى الحكم في الديوان على ما كان عليه، فبقي على ذلك مدة شهرين، ثم أخذ وطوق بالحديد وضويق وطولب بمال كثير واستوفي منه مبلغ مائة ألف دينار، وحمل إلى الأردو المعظم.

وفيها، ألزم التجار ببغداد بالقرض والمساعدة، وضويقوا على ذلك، وألزم الناس بأجرة مساكنهم عن ثلاثة شهور، وطولب أرباب الأموال بإقامة عسكر، وقرر عليهم على قدر أحوالهم واستوفي ذلك بالقهر والقسر.

وفيها، أبطلت الفلوس النحاس، وضرب عوضًا عنها فلوس فضة، وجعلت كل اثني عشر فلسًا بدرهم، وسميت «دناكش» ثم أبطلت في سنة ثلاث وثمانين، وأعيدت الفلوس المس وتعامل الناس بها كل ثلاثين فلسًا بدرهم.

وفيها، أرسل السلطان أحمد الشيخ عبد الرحمٰن[١] إلى الشام لتقرير ما كان التمسه من الملك المنصور قلاوون لما أرسل إليه قطب الدين الشيرازي في السنة الماضية، فلما وصل إلى دمشق حبس بها، وكان آخرَ العهد به[٢]، ونودي في الشام: أن لا يذكره أحد. وهذا الشيخ عبد الرحمٰن كان أبوه مملوكًا روميًا للخليفة المستعصم بالله، فلما نشأ عبد الرحمٰن جعل من جملة فراشي السدة، وأسر في واقعة بغداد، وقد ظفر بأشياء نفيسة من الجواهر وغيرها، فجعل من جملة فراشي الأردو، فأظهر الزهد والناموس، حتى صار يعرف بالشيخ، فدفن ما كان معه في قلعة «تلا»، ثم تنقلت به الأحوال حتى صار إلى الموصل واتصل بعز الدين أيبك[٣] دزدار[٤] العمادية[٥]، وكان مولعًا بصناعة الكيمياء مهوسًا بها، فمخرق عبد الرحمٰن عليه بشيء من ذلك، فحظي عنده وقربه، ثم سار عز الدين إلى السلطان أباقاخان وعبد الرحمٰن صحبته، فقال للسلطان: «إني رأيت في المنام أن في موضع من قلعة

---

(١) ذكره الذهبي في العبر (٥/٣٤٣)، والعماد في الشذرات (٥/٣٨١)، قال: «ويسّر له ـ أي أحمد ـ قرين صالح وهو الشيخ عبد الرحمٰن الذي قدم الشام رسولاً وسعى في الصلح».

(٢) في جامع التواريخ (مجلد ٢ جزء ٢ ص ١٠١): «فزجوا به في السجن المؤبد في دمشق، وبقي في السجن إلى أن مات». وانظر: الشذرات (٥/٣٨١)، والعبر (٥/٣٤٣).

(٣) عز الدين أبو المظفر أيبك بن عبد الله البدري، يعرف بالطويل، صاحب الموصل هكذا ذكره ابن الفوطي في التلخيص (ج ٤ ق ١ ص ٣٨).

(٤) دز دار: فارسية تعني حاكم الإقليم. انظر: تكملة المعاجم العربية (٤/٣٤٧).

(٥) العمادية: قلعة حصينة مكينة عظيمة في شمالي الموصل ومن أعمالها عمرها عماد الدين زنكي بن آق سنقر في سنة ٥٣٧ هـ، معجم البلدان (٤/١٤٩).

«تلا» دفًا[١] فيه جواهر ومال كثير» فسيره إلى هناك ومعه جماعة فجعل يمسح الأرض ويتردد من موضع إلى آخر، ثم قال: احفروا ههنا، فحفروا فظهر ذلك المال، فعادوا به إلى السلطان، فلما رأى السلطان صدقه قرّبه وحسن ظنه فيه، فجعل يمخرق عليه بشيء من أحوال الجن وما أشبه ذلك من أمور الشعبذة، حتى إنه عمل خاتمين على صورة واحدة، أعطى منهما خاتمًا للسلطان وجعل الآخر عنده، ثم قال له بعد أيام كثيرة وهو جالس على بحيرة بسياكوه لا قرار لها: «إن ألقيت هذا الخاتم في هذه البحيرة فإني استخرجه منها» فألقاه فيها، فحضر من الغد وقد صنع سمكة مجوفة وثقلها بالملح وجعل الخاتم في فمها وألقاها في البحيرة من غير أن يشعر به أحد، ثم جلس يقرأ ويوهم، فلما ذاب الملح طافت السمكة والخاتم في فمها والسلطان يشاهدها، فأخذه عبد الرحمٰن ثم جعل فيها رصاصة بخفة وألقاها فغاصت، فعجب السلطان بذلك وزاد اعتقاده فيه، ثم اتصل بالسلطان أحمد وحسن له الإسلام فأسلم وتسمى بأحمد، ووعده بانتقال الملك إليه، فلما ملك خدمه الأمراء والوزراء، وعظمت منزلته عندهم، فلما أرسل الآن إلى سلطان الشام عرف حاله فأمر بحبسه من غير أن يجتمع به:

وإذا استوت للنمل أجنحة حتى تطير فقد دنا عطبه

وفيها، أعيد تارقيا إلى شحنكية بغداد، وعزل سعد الدولة ابن صفي الدولة عن نظر وقف المارستان العضدي، وسلم إلى العميد زين الدين ضامن تمغات بغداد، فقام فيه أحسن قيام وأجرى أموره على أحسن القواعد.

وفيها، توفي عماد الدين زكريا بن محمود القزويني[٢] قاضي واسط بها، وحمل إلى بغداد ودفن في الشونيزي، وكان عالمًا فاضلًا، صنف كتابًا سماه عجائب المخلوقات[٣]، وكان يكتب خطًا جيدًا، تولى القضاء بالحلة في سنة خمسين، ثم نقل إلى القضاء بواسط سنة اثنتين وخمسين، وأضيف إليه التدريس بمدرسة الشرابي، فلم يزل على ذلك إلى أن مات، وكان حسن السيرة عفيفًا.

---

(١) الدف. في محيط المحيط: الدف الجنب من كل شيء أو صفحته. الدف أيضًا في اصطلاح المولدين: اللوح من الخشب، واحدته دفّة. انظر: تكملة المعاجم العربية (٤/ ٣٦٧).

(٢) تقدم ذكره في حوادث سنة ٦٥٢ هـ، وقد ترجمناه في الحاشية.

(٣) «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات»: ترجم إلى الفارسية، وطبع في لنكاو سنة ١٨٦٦ كما ترجم إلى الألمانية وطبع في ليبزج عام ١٨٦٨، وترجم بعضه إلى الفرنسية وطبع في باريس عام ١٨٠٥ وكذلك إلى اللغة التركية ونشر بها. وطبعه المستشرق وستنفلد عام ١٨٤٨ م وللقزويني كتاب آخر أطلق عليه «آثار البلاد وأخبار العباد» طبع في جوتنجن عام ١٨٥٠ م.

وفيها، توفي الحكيم أبو منصور ابن الصائغ الطبيب، وعمره زيادة عن مائة سنة، وكان ملازم الكتابة والنسخ، يكتب خطًا حسنًا، ولم يتغير عليه شيء من أعضائه إلى أن مات، وكان طبيبًا حاذقًا عالمًا،

وفيها، توفي الشيخ أحمد ابن القش[١] شيخ رباط جهير ورباط الشيخ علي بن إدريس ببعقوبا، ودفن تحت أقدام الشيخ علي بن إدريس وأوصى بعده في مشيخة الرباطين إلى الشيخ عفيف الدين عبد الرحمٰن بن النجح الباجسري[٢]، وكان زاهدًا ورعًا، له كرامات مشهورة.

وفيها، نقل مجد الدين علي بن جعفر من التدريس بالمدرسة النظامية إلى المدرسة البشيرية، ورتب في المدرسة النظامية نور الدين[٣] أبو التبان الحلبي.

سنة ثلاث وثمانين وستمائة

في هذه السنة، قبض أرغون على وجيه الدين زنكي بن عز الدين طاهر والي خراسان، واستصفى أمواله[٤]، ثم أخذ من أعيان أهل خراسان أموالاً كثيرة، فلما بلغ ذلك السلطان أحمد جهز إليه جماعة مع «علي ناق»[٥] فالتقوا بظاهر[٦] قزوين، واقتتلوا قتالاً شديدًا حتى كثرت القتلى بين الفريقين، وحجز الليل بينهما، فانهزم علي

---

(١) ذكر المؤلف عَرَضًا في «التلخيص» (ج ٤ ق ١ ص ٤٨٨) في ترجمه عفيف الدين عبد الرحمٰن الباجري قال: «واتصل بشيخنا العالم العارف الزاهد نجم الدين أحمد ابن القش».

(٢) عفيف الدين عبد الرحمٰن بن أبي النجح الباجسري الصوفي، قال ابن الغوطي: «كان من أولاد المشايخ، من محاسن الزمان يخدم الصوفية والفقراء والصدور والكبراء برباط ابن جهير على شاطيء دجلة». انظر: تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ١ ص ٤٨٧).

(٣) سيرد ذكره في حوادث سنة ٦٨٧ بصورة «أبي البيان».

(٤) في جامع التواريخ «وفي الربيع عاد أرغون من بغداد إلى خراسان، وحين بلغ الري ضرب الشحنة الذي كان هناك من قبل أحمد ضربًا كثيرًا بالعصا، وركب على رأسه قرنين، وأركبه حمارًا، وبعث به إلى أحمد». انظر: (المجلد ٢ جزء ٢ ص ١٠١) منه.

(٥) ورد ذكره في جامع التواريخ بصورة «ايناق» و«عليناق» وفي تاريخ مختصر الدول «ايناخ» وهو أحد كبار القادة المغول، وفي جامع التواريخ (مجلد ٢ جـ ٢ ص ١٠٢): «وفي ٢٦ من شوال سنة ٦٨٢ تحدث «عليناق» مع أحمد قائلًا: إن السلطان ينبغي أن يكون مطمئن البال، فإنني سوف أحضر أرغون كذلك إلى الحضرة مغلول اليدين، فشمل أحمد «عليناق» برعايته، وأعزه تمامًا، ورفع قدره وسلمه قيادة الجيوش».

(٦) في جامع التواريخ (مجلد ٢ جزء ٢ ص ١٠٥): «وفي يوم الخميس ١٦ من صفر سنة ٦٨٣ تلاقى الجيشان في ضواحي «آق خواجة، من نواحي قزوين».

ناق وأصحابه وعاد أرغون إلى خراسان، فلما وصل علي ناق إلى السلطان أحمد عَظُمَ ذلك عليه وسار بعساكره إلى خراسان، فمال أكثر من كان مع أرغون إليه، والتحقوا به[١]، فعند ذلك راسله السلطان أحمد يدعوه إلى طاعته، وترددت الرسل بينهما، فجمع أرغون أهله وخواصه وسار إلى قلعة «كلات»[٢] وهو جبل فسيح قريب من طوس[٣] ليس له طريق إلا من جهة واحدة ولا سور عليه، فسار في أثره الأمير بوقا وأحاط به، فاستسلم حينئذٍ ونزل، فحمله بوقا إلى السلطان أحمد فسلمه إلى علي ناق، فجعل معه جماعة يحفظونه وقتل أصحابه وكل من كان معه من الأمراء، ثم رحل السلطان يريد أذربيجان، وتخلف بعده الأمير بوقا وعلي ناق أيامًا فخلا الأمير بوقا بجماعة من الأمراء وأجمعوا رأيهم على تسليم الملك إلى أرغون، فلما اتفقوا على ذلك مضى بوقا إلى أرغون ليلاً، وركب معه جماعة من الأمراء وقبضوا على أصحاب علي ناق واستخلصوا أرغون منهم وعرّفوه على ما اتفقوا عليه، فركب أرغون في جماعة من العسكر وقصد علي ناق، وكبس عليه وقتله وقتل جماعة من أصحابه[٤] فاضطربت العساكر، فلما أسفر الصبح صعد الأمير بوقا «تلا» وأمر فنودي في الجيوش: هذا أرغون هو السلطان، وعلي ناق فقد قتل وهذا رأسه، فلما رأوا الرأس سكنوا، ثم أجلسوا أرغون على التخت وأرسلوا من يقبض على السلطان أحمد، فلما بلغه ذلك ركب يريد أن يقصد بركه خان، فلم يتمكن من ذلك وعاجلوه وأحاطوا به وقبضوا عليه، وأرسلوا إلى السلطان أرغون يعرفونه ذلك، فأمر بتسليمه إلى أولاد «قنقورتاي»[٥] فسلم إليهم فقصفوا ظهره فمات، ثم إن السلطان أرغون اختص الأمير بوقا وسماه «جنكتان» ومعناه أمير الأمراء وجعل إليه تدبير ممالكه[٦] وولي أخاه أروق العراق وديار بكر، فعين على «بدر الدين خاص» حاجب صاحب ديوان بغداد، ورتب سعد الدين مظفر ابن المستوفي القزويني مشرفًا عليه، فسار إليها ومعه الأمير «تمسكاي» شحنة ومجد الدين ابن الأثير مشاركًا في الحكم، فأرسلوا بعض مماليك

(١) انظر: جامع التواريخ (مجلد ٢ ج ٢ ص ١١٠ وما بعدها).

(٢) في المصدر السابق «كلات كسوة».

(٣) طوس، مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ معجم البلدان (٤/ ٤٩).

(٤) انظر تفاصيل ذلك في: جامع التواريخ (مجلد ٢ ج ٢ ص ١٢ وما بعدها).

(٥) قونقورتاي هو ابن هولاكو، قتله السلطان أحمد عندما شعر بحيله إلى أرغون. انظر: جامع التواريخ (مجلد ٢ ج ٢ ص ١٠١).

(٦) بوقا وأخوه آروق، كانا من المقربين إلى أباقاخان وكان رأيهم بعد وفاته أن يتولى أرغون السلطة. انظر: جامع التواريخ (مجلد ٢ جزء ٢ ص ٩١).

مجد الدين ابن الأثير وجماعة من المغول إلى بغداد، فوصلوها في عاشر جمادى الأولى، وأخبروا الأمير تتارقيا بصورة الحال، وقبضوا على خواجه هارون صاحب الديوان وشمس الدين زرديان نائبه وعز الدين جلال المشارك في كتابة السلة ونظام الدين عبد الله ابن قاضي البندنيجين وطلبوا مجد الدين إسماعيل بن إلياس نائب خواجه هارون في خاصته فلم يجدوه، فأخذوا هؤلاء ووكلوا بهم ودوشخوا وطوق خواجه هارون وحملوا جميعهم إلى العصمتية المجاورة لمشهد عبيد الله وحبسوا هناك، ثم أخرج نظام الدين ابن قاضي البندنيجين من الغد في دوشاخة وقد سود وجهه وأركب على بهيم وشهر في بغداد، والعوام يطرقون بين يديه استهزاءً به، ثم أعيد إلى موضعه وقبض على شرف الدين محمد بن بصلا وكيل الديوان ودوشخ أيضًا وضرب وطولب بمال كثير، وكان زوج أخت النظام المذكور، وكل ما كان يفعله النظام من الحيف والظلم كان بإشارته لأنه كان داهية خبيثًا ذا شر غير محمود السيرة في تصرفاته، ووصل تقدم من مجد الدين ابن الأثير إلى مهذب الدولة نصر ابن الماشعيري اليهودي بأن ينوب عنه في الديوان، فصار هو المشار إليه، وتولى الأمور، فقال يومًا للأمير تتارقيا وقد أحضر النظام وابن بصلا بين يديه: «هذا ابن بصلا مع النظام مثل الوزغة مع الأفعى» قال له: ما معنى هذا؟ قال: «إن الوزغة تسقي الأفعى السم طول الليل فإذا كان النهار ألقت الأفعى ذلك السم على الناس» فضحك تتارقيا وأمر بضربهما، فضربا ضربًا كثيرًا فأدى ألف دينار في عدة دفعات وعزل من الوكالة ورتب عوضه نجم الدين حيدر بن الأيسر، وأما النظام فإنه أدى مالاً كثيرًا وعوقب معاقبة عظيمة وقصفت رقبته بدوشاخة فمات، وأما خواجه هارون فإنه لم يزل موكلًا به إلى أن وصل الأمير أروق إلى العراق فحمل إليه وهو بطريق خراسان والطوق في حلقه فأمر بإزالته وسلم إليه ما أخذ منه من الدواب وغيرها وعاد إلى داره على اختياره، وظهر أصحابه الذين اختفوا ومجد الدين إسماعيل بن إلياس وكيله، وأما شمس الدين صاحب ديوان الممالك فإنه لما بلغه جلوس السلطان أرغون على التخت فارق السلطان أحمد ولحق بأتابك يوسف شاه بارستان واستتر عنده، ثم عرف أنه لا ينجيه ذلك ولا يعصمه فحضر بين يديه وتنصل مما فرط منه واعتذر بما أمكنه وضمن القيام بأمر الدولة وعمارة الممالك، فهم باستبقائه ورق له[1]، فأشير عليه بقتله، فأمر بتسليمه إلى من يحفظه واستيفاء الأموال منه، فضرب وعوقب، فقال: «ضرب مثلي

(١) انظر تفاصيل ذلك في: جامع التواريخ (مجلد ٢ جزء ٢ ص ١٢٨)، وتاريخ مختصر الدول (ص ٢٩٨).

غير لائق ومهما طلب مني من الأموال قمت به» فعرضوا ذلك على السلطان، فأمر بالتخفيف عنه، فأخذ في جمع الأموال والقرض من التجار وغيرهم، فأشار أعداؤه بقتله علمًا بما في تأخر ذلك من الضرر، فأمر بقتله، فلما أحضر ليقتل سأل المهلة ساعة يوصي بها فأمهل، فكتب بخطه وصية بالفارسية قال في آخرها «فإن وجد الناظر فيها خللاً فلا غرو فأني سطرتها وأنا عريان والسيف مشهور»[1] فلما فرغ من ذلك قتل[2]، وحملت جثته إلى تبريز ودفن إلى جانب أخيه علاء الدين، وجعل السلطان أرغون ابنه «غازان» في خراسان ولّاه ذلك الثغر[3].

وفي شهر رمضان من هذه السنة ظهر في سواد الحلة رجل يعرف بأبي صالح ادعى أنه نائب صاحب الزمان، وقد أرسل إليه: أن يعلم الناس أنه قد قرب ظهوره، واستغوى الجهال بذلك وانضم إليه خلق كثير من الناس، فقصد بلاد واسط ونزل في موضع يسمى «بلد الدجلة» من معاملاتها، وأخذ من أموال الناس شيئًا كثيرًا، وسار إلى قرية قريبة من واسط تعرف بالأرحاء[4] وراسل صدر واسط فخر الدين ابن الطراح بأن يخرج إليه، فقال لرسوله «قل له: يرحل عن موضعه أو يحفظ نفسه، ومتى تأخر أنفذت العسكر لقتاله» فرحل وقصد الحلة، فأرسل إلى صدرها «ابن محاسن» يستدعيه إليه، فأخرج ولده في جماعة من العسكر فالتقوا واقتتلوا قتالًا شديدًا، فقُتل ابن محاسن وجماعة من أصحابه وانهزم الباقون، فكاتب والده الحكام ببغداد يعرفهم ذلك، فركب شحنة العراق وسار إليه، وأما أبو صالح فإنه قصد قبة الشيخ ابن البلقي بناحية النجمية من قوسان فقتل كل من بها من الفقراء والصالحين ونهب أموال أهل الناحية فوصل شحنة العراق بعساكره إليه وأحاط به وبأصحابه ووضع السيف فيهم فلم ينج منهم إلا نفر يسير، وحمل رأس أبي صالح وأصحابه إلى بغداد وعلق بها وكفى الله شره. ولما رحل أبو صالح من واسط ظهر في قرية من قراها تعرف بقرية الشيخ رجل اسمه «شامي» ادعى ما ادعاه أبو صالح وأمر الناس بالمعروف ونهاهم عن المنكر فمال الناس إليه وتاب خلق كثير على يده واعترف قوم بالقتل وغيره وسألوا أن يقتص منهم، واعترف آخرون أنهم... مال فلان وفلان يوم كذا، فكثر جمعه، فأرسل

---

(١) انظر نص الوصية في: جامع التواريخ (مجلد ٢ ج ٢ (ص ١٣٢) ولم يزد فيها هذه العبارة.

(٢) وبعده قتلوا ابنه يحيى في ميدان تبريز المصدر السابق (ص ١٣٤).

(٣) في جامع التواريخ (مجلد ٢ ج ٢ ص ١٢٨)، «وعهد ببلاد خراسان ومازندران وقوس والري إلى ابنه غازان».

(٤) الأرحاء: قرية قرب واسط، معجم البلدان (١/ ١٤٤).

فخر الدين ابن الطراح صدر واسط إليه ينهاه عن فعله ويتهدده بالقتل، فلما اتصل به ما جرى لأبي صالح هرب والتجأ إلى العرب وتفرق جمعه.

وفيها، اشتهر ببغداد أن عز الدولة بن كمونة اليهودي[١] صنف كتابًا سماه «الأبحاث عن الملل الثلاث» تعرض فيه بذكر النبوات وقال ما نعوذ بالله من ذكره، فثار العوام وهاجوا واجتمعوا لكبس داره وقتله، فركب الأمير تمسكاي شحنة العراق ومجد الدين ابن الأثير وجماعة الحكام إلى المدرسة المستنصرية واستدعوا قاضي القضاة والمدرسين لتحقيق هذه، وطلبوا ابن كمونة فاختفى، واتفق ذلك اليوم يوم جمعة، فركب قاضي القضاة للصلاة فمنعه العوام فعاد إلى المستنصرية، فخرج ابن الأثير ليسكن العوام فأسمعوه قبيح الكلام ونسبوه إلى التعصب لابن كمونة والذب عنه، فأمر الشحنة بالنداء في بغداد بالمباكرة في غد إلى ظاهر السور لإحراق ابن كمونة، فسكن العوام ولم يتجدد بعد ذلك له ذكر، وأما ابن كمونة فإنه وضع في صندوق مجلد وحمل إلى الحلة وكان ولده كاتبًا بها فأقام أيامًا وتوفي هناك.

وفيها، زادت دجلة زيادة عظيمة وغرقت في الجانب الغربي من بغداد عدة نواح ووصل إلى قباب دير الثعالب[٢] والجنيبة ومعروف، وتهدمت حيطان البساتين ودار الرقيق[٣] وهلكت الأشجار، وظهر بعد ذلك جراد دباب أتلف أشياء كثيرة من الزروع والغلات والكرم وغير ذلك.

وفيها، اجتمع الفقهاء بالمستنصرية على جمال الدين الدستجردي صدر الوقوف ونالوا منه وأسمعوه قبيح الكلام، فجاء منهم الشيخ ظهير الدين البخاري المدرس وخلصه من أيديهم، فاتصل ذلك بالحكام فعزلوه، ورتبوا رضي الدين بن سعيد فلم ينهض بأمور الوقف وصحت الحال بين يديه، فأعيد جمال الدين الدستجردي ووصل

---

(١) عز الدولة أبو الرضا سعد بن نجم الدولة منصور بن سعد بن الحسن بن هبة الدين كمونة الإسرائيلي البغدادي الحكيم الأديب المتفلسف، له عدة كتب في الفلسفة منها: «تنقيح الأبحاث في البحث عن الملل الثلاث» و«التذكرة في الكيمياء» و«شرح كتاب الإشارات» لابن سينا و«شرح التلويحات في المنطق والحكمة» وقد رد عليه ابن الساعاتي بكتابه «الدر المنضود في الرد على فيلسوف اليهود» وغيره. انظر: تلخيص مجمع الآداب (ج ٢ ص ١٥٩).

(٢) دير الثعالب: دير مشهور، بينه وبين بغداد ميلان أو أقل في كورة نهر عيسى على طريق صرصر معجم البلدان (٢/ ٢).

(٣) دار الرقيق، محله ببغداد متصلة بالحرم الطاهري من الجانب الغربي (مراصد الاطلاع).

بعد ذلك فخر الدين أحمد ابن خواجه نصير الدين الطوسي[1] وقد أعيد أمر الوقوف بالممالك جميعها إليه، وحذفت الحصة الديوانية في الوقوف ووفرت على أربابها، فعين علي مجد الدين إسماعيل بن إلياس صدرًا بالوقوف عوضًا عن جمال الدين الدستجردي، فعين علي عز الدين محمد بن شمام نائبًا عنه فيها.

وفيها، قلد قاضي القضاة عز الدين ابن الزنجاني، جمال الدين عبد الله ابن العاقولي القضاء نيابة عنه، وجعله مقدمًا على كل النواب منفردًا بالشباك وأضاف إليه الحسبة عوضًا عن القاضي بدر الدين الرقي وأقر بدر الدين على القضاء بالجانب الغربي.

وفيها، توفي شهاب الدين علي بن عبد الله وكيل الديوان، وكان سبب موته أنه أحيل عليه بعض المغول فاختفى منه ليحصل له ما أحيل به، فكبس داره، فارتقى إلى سطحها فسقط من الكنبثة فمات وعمره أربع وسبعون سنة، وكان من أكابر المتصرفين، خدم في عدة خدمات في زمن الخلفاء، وما زال محترمًا مقدمًا ذا رأي سديد وتدبير جيد.

وفيها، رتب نور الدين أحمد ابن الصياد التاجر، صدر الأعمال الواسطية عوضًا عن فخر الدين مظفر ابن الطراح، فأنفذ خادمًا اسمه إقبال لينوب عنه، فأصعد فخر الدين إلى بغداد، وتحدث في ضمان أعمال واسط فعقد ضمانها عليه، فانحدر إليها، وكانت مدة ولاية ابن الصياد شهرًا واحدًا.

وفيها، توفي الشيخ ركن الدين عبد الله بن حبيب الكاتب كتب على طريقة ابن النواب، وكان عالمًا فاضلًا، رتب شيخ الصوفية برباط الأصحاب سنة سبع وخمسين وأضيف إليه مشيخة رباط مجد الدين ابن الأثير سنة اثنتين وسبعين، وكان عمره ستًا وسبعين سنة.

وتوفي نور الدين علي بن تغلب الساعاتي، كان يتولى تدبير الساعات التي تجاه المستنصرية، كان مولده سنة إحدى وستمائة.

---

(١) فخر الدين أبو القاسم أحمد بن محمد بن محمد بن الحسن الطوسي، كان أصغر إخوته، اشتغل بالعلوم الرياضية، وقدم العراق مع أرغون سنة ٦٨١، ثم قدم إلى العراق مع الأمير أروق سنة ٦٨٣ وقيل في سيواس من بلاد الروم سنة ٧٠٠ هـ، وفي فوات الوفيات (٢/٣١٢) أنه أكل وقوف بلاد الروم وظلم فقتل. انظر: تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٣ ص ١٠٢).

وفي رابع رمضان توفي مجد الدين حسين ابن الدوامي وكان مولده في شعبان سنة عشرين وستمائة، وهو من البيت الأثيل المشهور، خدم والده وجده الخلفاء وكانوا مقربين عندهم، وكان تاج الدين والده حاجب الباب يحضر دائمًا عند الخليفة في الخلوات، ولما ملك السلطان هولاكوخان بغداد حضر عنده وأمره أن يتولى تدبير الأعمال الفراتية، فلم تطل أيامه، وتوفي قبل عودة السلطان إلى بلاد الجبل فأمر أن يكون مجد الدين يتولاه، فبقي على ذلك مدة ونقل إلى إشراف الحلة وغير ذلك من الخدم الجليلة، وكان أديبًا فاضلًا عفيفًا يقول شعرًا جيدًا.

وفيها، توفي مجد الدين عبدالله بن بلدحي الموصلي مدرس مشهد أبي حنيفة وعمره ثلاث وثمانون سنة، ودفن بالمشهد المذكور، وكان فاضلاً مبرعًا في العلوم الدينية.

وفيها، توفي شمس الدين الصباغ الطبيب المشهور، وعمره مائة وست سنين، وكان مبرعًا في علم الطب.

سنة أربع وثمانين وستمائة

في المحرم، وصل الأمير تاج الدين علي جليبان إلى بغداد. وقد عين مشرفًا بالعراق عوضًا عن سعد الدين مظفر ابن المستوفي[1] القزويني، وعين المذكور كاتب سلة بغداد، وأبطلت الدراهم وتعطلت أمور العالم لذلك وبطلت معايشهم، وضرب دراهم غيرها وقرر سعرها ثمانية مثاقيل بدينار، واختلفت قيمة الدراهم الأولى فكان منها عشرة مثاقيل بدينار ومنها اثنا عشر مثقالاً بدينار، فذهب من الناس شيء كثير، ثم ضرب في بقية السنة دراهم مثل الدراهم الأبغانية وتقدم أن يتعامل الناس بها عددًا كما تعاملوا بالأبغانية ثم غلت الأسعار، فبلغ الكر من الحنطة مائة وثمانين دينارًا وكر الشعير مائة دينار، وبيع الخبز ثلاثة أرطال بدرهم، ووصل من الموصل دقيق وخبز مرقق بيع في الحجر، خبز ولا جلب إلى بغداد إلا بعد الواقعة[2]، فإن أهل الحلة أمنهم السلطان على نفوسهم وأموالهم كما ذكرناه، فكانوا يحملون الغلة والخبز والتمر

---

(١) هو أخو فخر الدين ابن المستوفي، سيذكر المؤلف قتله في حوادث سنة ٦٨٥ هـ. وانظر: جامع التواريخ (مجلد ٢ جزء ٢١ ص ١٣٦).

(٢) كذا وردت وصياغتها (كما قال الدكتور جواد) يقتضي «وما جلب خبز إلى بغداد إلا بعد الواقعة» أي واقعة هولاكوخان بها.

والسمك وغير ذلك، وباع القوم الضعفاء أولادهم، وألقت امرأة نفسها إلى دجلة، قيل: إنها كانت على الجسر تطلب فلم يعطها أحد شيئًا فآثرت إتلاف نفسها، وأكل الناس ورق الجزر والسلجم والبصل ونبات الأرض كعروق القصب والبردى والحلفاء وغيرها، وانقضت السنة والناس على ذلك، ولقوا شدة عظيمة من الغلاء وكسر الدراهم.

وفيها، أغارت طائفة من عسكر الشام على ديار بكر والموصل وأربل وقتلوا ونهبوا وسبوا وأخذوا أموال التجار من قيسارية الموصل، وقتلوا كثيرًا من النصارى في إربل، ونهبت الأكراد بلد البوازيج[1] وباصفرا[2] وقتلوا جماعة من النصارى ونهبوا الأموال وهرب شحنة البوازيج منهم وقصد بغداد.

وفيها، توفي موفق الدين أبو الفتح بن أبي فراس الهنايسي أخو قاضي القضاة، وكان رجلًا صالحًا خطب بجامع الخليفة إلى أن أضر فاستناب ولده مكانه.

وتوفي تقي الدين علي بن عبد العزيز[3] المغربي الأصل البغدادي المنشأ كان شابًا أديبًا فاضلًا شاعرًا وله ديوان مشهور.

وتوفي نجم الدين محمد بن هلال المنجم، وكان حاذقًا في علم النجوم فقيهًا شافعيًا.

وفيها، أعيد تدريس البشيرية إلى جمال الدين عبد الله ابن العاقولي، وعزل عنها صدر الدين محمد ابن شيخ الإسلام ورتب مدرسًا بمدرسة الأصحاب.

سنة خمس وثمانين وستمائة

في المحرم، فوض الأمير أروق أمر العراق إلى عزيز الدين الأربلي ومجد الدين إسماعيل بن إلياس، وخلع عليهما وعزل مجد الدين ابن الأثير والأمير تاج الدين علي جليبان المشرف وسعد الدين القزويني الكاتب، وسلموا إلى عز الدين ومجد الدين وأمرا بمحاسبتهم ومطالبتهم بما تعهدوه من المال، فطولبوا وضويقوا ثم حملوا إلى

---

(١) البوازيج: بلد قرب تكريت على فم الزاب الأسفل حيث يصب في دجلة، وهي من أعمال الموصل. انظر: معجم البلدان (١/٥٠٣).

(٢) باصفرا: قرية كبيرة في شرقي الموصل في لحف الجبل، كثيرة البساتين والكروم. معجم البلدان (١/ ٣٢٤).

(٣) تقدمت ترجمته. وانظر خبر وفاته في: عيون التواريخ (٢٢/٣٦٦) وقد أورد بعض شعره.

الأردو المعظم فأمر بقتلهم، فقتلوا[١] وحملت جثة ابن الأثير إلى بغداد، ودفن في تربة له في مدرسته، وحملت جثة الأمير علي جليبان إلى بغداد أيضًا، ودفن في تربة له مجاورة داره، وجثه سعد الدين حملت إلى بلده، ووصل الملك ناصر الدين قتلغ شاه مملوك الصاحب علاء الدين بعد ذلك وقد رتب مشرقًا بالعراق وعزل فخر الدين مظفر ابن الطراح عن الأعمال الواسطية، ورتب بها نور الدين ابن الصياد، ثم رتب فخر الدين صدر الأعمال الحلية.

وكانت الأسعار في هذه السنة على ما كانت عليه في السنة الخالية والضعفاء في ويل عظيم من تعذر القوت، وكثرت الأمراض ببغداد والموت، ولطف الله بخلقه فتراخت الأسعار في جمادى الأولى ورخصت الأشياء في آخر السنة، وزاد الفرات زيادة عظيمة غرقت أعمال الكوفة والحلة ونهر الملك ونهر عيسى والأنبار وهيت، وذهب من أموال التناة شيء كثير.

وفيها، استناب قاضي القضاة عز الدين ابن الزنجاني في القضاء ببلاد الحلة العدل الفقيه تاج الدين محمد بن محفوظ بن وشاح الحلي[٢] ورتب نجم الدين محمد بن أبي العز البصري الشافعي مدرسًا بالمستنصرية.

وتوفيت رابعة ابنة أبي العباس أحمد ابن الخليفة المستعصم بالله زوجة خواجه هارون ابن الصاحب شمس الدين محمد ابن الجويني ببغداد ودفنت في تربة والدتها التي بمشهد عبيد الله.

وورد الخبر بعد ذلك أن السلطان أمر بقتل خواجه هارون في حدود الروم[٣]، قيل كان قتله بعد وفاتها بسبعة أيام.

---

(١) جاء في جامع التواريخ (مجلد ٢ جزء ٢ ص ١٣٦): «ولتهور آروق ولاعتماده على نفوذ أخيه بوقا قتل مجد الدين الأثير وسعد الدين أخا فخر الدين المستوفي، وعلي جكيبان دون إذن الملك.

(٢) تاج الدين، وفي بعض المصادر شمس الدين محمد بن محفوظ بن وشاح الحلي الأسدي، فقيه إمامي، أديب شاعر توفي سنة ٦٩٠ هـ . انظر: البابليات (١/ ٨٤) وفيه إشارة إلى مصادر ترجمته.

(٣) جاء في جامع التواريخ (مجلد ٢ جزء ٢ ص ١٣٦): أن گيخاتو «وكان ناقمًا على آروق لقتله حكام العراق. وأخبر أن آروق فعل ذلك بإشارة من هارون» فسير في ذلك الوقت قاصدًا الروم، فاصطحب معه هارون وقتله في «الأقاغ».

وتوفي نجم الدين حيدر بن الأيسر[١]، وكان من أكابر المتصرفين ببغداد، خدم في آخر وقته وكيل الديوان ببغداد، وكان حسن السيرة مشكورًا في تصرفاته، بلغ من العمر خمسًا وسبعين سنة.

سنة ست وثمانين وستمائة

ذكرنا في السنة الماضية: أن الأمير أروق قتل جماعة الحكام بالعراق، وفي هذه السنة جعل عوضهم الملك ناصر الدين قتلغ شاه بن سنجر مملوك علاء الدين صاحب الديوان، فسأل إبعاد سعد الدولة ابن الصفي الحكيم اليهودي عنه، وأن يكف يده عن الحكم معه، فأجيب إلى ذلك، فأقام سعد الدولة في الأردو المعظم على قاعدة الأطباء هناك[٢]، فاتفق له القرب من حضرة السلطان أرغون والخلوة، وحصل له ما لم يخطر بباله، فكشف له أمور العراق وعرفه جميع الأحوال، ثم أخذ في الطعن على الأمير بوقا وأخيه الأمير أروق وبين له وجه ارتفاقهما في الممالك فتغير قلبه عليهما[٣].

ولما وصل قتلغ شاه إلى بغداد قسط على الناس أموالاً على سبيل القرض وثقل عليهم في استيفائها فنفرت نفوس الناس منه فبينما هو على ذلك وردت الأخبار بوصول الأمير أردوقيا وسعد الدولة لتصفح أحوال العراق، ثم إنهما وصلا واجتمعا بالأمير أروق فكان أول ما اعتمداه إسقاط ما قرر على الناس من القرض، ثم أصلحا حال العراق واسترفعا حسابه وجمعا المال من وجهه[٤]، وتوجهوا جميعًا إلى حضرة السلطان فأنهى إليه سعد الدولة ما فعل أروق وقتلغ شاه بالرعية وما صار إليهما من الأموال، فأمر باستخراج ذلك من قتلغ شاه، فعاد سعد الدولة إلى بغداد واستصحبه معه، وكان ما نذكره سنة سبع وثمانين.

وفيها، طولب نجم الدين كاتب الجريد بالحساب ودوشخ على بقايا وجبت عليه، فلما عرف من نفسه العجز عما يطلب منه وخشي من العقاب قتل نفسه، وكان شابًا حسن الصورة.

---

(١) ذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٧٨ فيمن نسب إلى ضرب الدراهم الزيوف.

(٢) انظر: جامع التواريخ (مجلد ٢ ج ٢ ص ١٣٨).

(٣) انظر: المصدر السابق. وفيه: أن سعد الدولة أدرك أن أردوقيا رجل مقتدر للغاية. فوطد معه إحساس المودة وأخبره أن أموال بغداد وافرة جدًا، ولو تسلم زمام الحكم فسوف يوفر أموالاً أكثر مما يوفره الآخرون. انظر: (مجلد ٢ ج ٢ ص ١٣٩).

(٤) وفي جامع التواريخ (مجلد ٢ ج ٢ ص ١٤٠): «وحصلا أموالاً وافرة بضرب العصا والتعذيب».

وفيها، دخلت العرب في يوم جمعة إلى الجامع بالمحول فأخذوا ثياب كل من كان فيه ثم قصدوا ناحية الحارثية وكبسوها ليلاً وأخذوا ما قدروا عليه وقتلوا جماعة من أهلها، فلم يزل شحنة العراق يفحص عنهم حتى ظفر بأكثرهم وضرب أعناقهم وبني برؤوسهم في قبة الجسر وجعل وجوههم ظاهرة ليعتبر بها كل مفسد.

وفيها، تزوج رجل من نهر الملك يعرف بابن البيضاوي امرأة مغنية ببغداد، ونقلها إلى قريته وأسكنها مجاور دار زوجته وكانت ابنة عمه، فدخلت إليها وضربتها بدبوس فقتلتها، وخرج عمه أبو زوجته إليه فضربه بنشابه فمات من ساعته، فعلم ولده بذلك فضرب عم أبيه بسيف فقتله، ومضى الثلاثة في هوى النفس الأمارة بالسوء ـ نعوذ بالله من شر الشيطان وبلائه ـ.

وفيها، قصد بعض أولاد التجار خان الصخر المجاور لخان السلسلة ليلاً فدخل وقتل الخاني وفتح بيتًا لأبيه وأخذ منه مالاً، فأدركه أبوه ليأخذ المال منه فقتله، فمضى الخاني إلى نائب باب البوبي وعرفه ذلك فطلبوا ولده فلم يحصل.

وفيها، تزوج شهاب الدين سليمان بن علي أخو الشيخ نظام الدين محمود شيخ المشايخ ببلقيس ابنة شرف الدين علي بن علجة فقال بعض الشعراء في اتفاق الاسمين:

هذا سليمان قد تمت محاسنه ... فراقبوا الله لا تطغوه بل قيسوا
لو لم يكن كسليمان النبي لما ... زفت إليه ولا جاءته بلقيس

وفيها، كثر اهتمام عوام بغداد بقتل السباع وجرى بينهم فتن كثيرة وحروب بين أهل المال، فأنكر الديوان ذلك وتقدم بحرق السباع لإطفاء الفتنة، ومنعوا عن الخروج بعد ذلك لقتل السباع.

ووقع بنيسان بَرَد كثير أتلف الزروع في أعمال بغداد. قال الشيخ ظهير الدين الكازروني في تاريخه: «حكى لي قاضي طرق خراسان أن جماعة شهدوا عنده أنهم رأوا في ناحية الخوزية؟ من أعمال براز الروز[1] بَرَدًا كبارًا فيه بردة طويلة عظيمة كالرجل النائم ـ والله أعلم ـ.

(١) هي ـ على ما حققه الدكتور جواد في حاشيته ـ بلد روز الحالية، تبعد عن يعقوبا بزيارة على ثلاثين ميلاً على نهر بلد روز المتفرع من مجالي.

وفيها، حج الناس وعادوا طيبين وأخبروا بأمن الطريق ورخص الأشياء في مكة والمدينة.

وفيها، عقد ضمان الأعمال الحلية على مجد الدين إسماعيل بن إلياس إضافة إلى نيابة الديوان والحكم في بغداد، وكان ذلك سببًا لذهاب أمواله وأملاكه.

سنة سبع وثمانين وستمائة

في المحرم، وصل الأمير أردوقيا وسعد الدولة ابن الصفي اليهودي إلى بغداد، وحضرا عند الأمير أروق وعرضا عليه ما معهما من الفرامين، فأمر بأن ينادى في بغداد: أن يحضر إلى الديوان كل من معه فرمان ويابزه، فلما حضروا أخذوا ذلك منهم، وعزل ناصر الدين قتلغ شاه عن الحكم ببغداد، وأعيد أمر الإشراف بالعراق إلى سعد الدولة، وتقدم بإعادة ما أخذ من الرعية في السنة الخالية من القرض، ثم طولب ولاة الأعمال والضعفاء بما عليهم من البقايا وضويقوا على ذلك، فأدوا أموالاً كثيرة.

وضرب عز الدين عبد العزيز الأربلي[1] ناظر الكوفة فباع أملاكه فلم يقم بما عليه، وكان مريضًا فمات من تواتر الضرب والعقاب. وضرب الزين الحظائري عميد بغداد ودوشخ، فأدى مالاً كثيرًا وباع أملاكه وأسبابه وقام بما تخلف عليه من ضمان الحلة، فلما تكملت الأموال في الخزانة توجه الأمير أردوقيا بها إلى السلطان واستصحب سعد الدولة معه، فعين شرف الدين محمد بن أحمد السمناني صاحب ديوان العراق، ورتب سعد الدولة مشرفًا عليه، فوصلا بغداد وصحبتهما ناصر الدين قتلغ شاه يطالب بما عليه من الأموال ورتب فخر الدين مظفر ابن الطراح صدرًا في الحلة عوضًا عن مجد الدين إسماعيل بن إلياس.

وفي صفر، وصل إلى بغداد جماعة من اليهود من أهل تفليس[2] وقد رتبوا ولاة على تركات المسلمين، فأجروا الأمر على أن لا يورثوا ذوي الأرحام، فأنكر الأمير

---

(١) عبد العزيز بن علي بن أبي الهيجاء الأربلي الجلالي الكاتب، عز الدين أبو المجد، ترجمه ابن الفوطي التلخيص. قال: كان كاتبًا حسن الكتابة، وأورد شيئًا من كلامه. انظر: (ج ٤ ق ١ ص ٢٢٠).

(٢) بلد بأرمينية الأولى، وبعض يقول باران، وهي قصبة ناحية جرزان قرب باب الأبواب، افتتحها المسلمون أيام عثمان بن عفان، ثم ملكها الكرج حسن ٥١٥ هـ وأخذها منهم جلال الدين منكبرتي سنة ٦٥٣ هـ. انظر: معجم البلدان (٢/ ٣٥).

أروق ذلك وأمر أن يعمل بمذهب الشافعي ـ رضي الله عنه ـ كما كان يعمل قديمًا، فاتفق وفاة بعض العوام وخلف ابن عم له، فأنكر النواب نسبه وختموا على تركته فاستغاث واستنصر بالعوام، فاجتمع معه خلق كثير ووقعت فتنة أوجبت خوف النواب من القتل، فاختفوا وتحصنوا في بيوتهم فنهب العوام دكاكين اليهود من المخلطين وغيرهم فكفهم الديوان عن ذلك، فخرج النواب من بغداد متوجهين إلى بلادهم فصادفهم الأكراد في الجبل فقتلوهم.

وفيها، تزوج مبارك شاه ابن الشيخ نظام الدين محمود شيخ المشايخ بابنة فخر الدين[١] ابن خواجه نصير الدين الطوسي على صداق عشرة آلاف دينار، وحضر العقد قاضي القضاة عز الدين ابن الزنجاني.

وفيها، رتب نجم الدين محمد بن أبي العز مدرسًا بالنظامية حيث توفي مدرسها نور الدين عبد الغني المعروف بأبي البيان الحلبي[٢] إضافة إلى القضاء، وخلع سعد الدولة عليه، فلما ألقي الدرس قال: «هذه بضاعتنا ردت إلينا».

وفيها، كفت يد صدر الدين[٣] وإخوته[٤] أولاد خواجه نصير الدين الطوسي عن النظر في وقوف العراق، وأعيد الأمر فيها إلى حكام بغداد، ثم عاد الأمر إليهم في سنة ثمان وثمانين، وحج من العراق في هذه السنة خلق كثير، وأخبروا بتعذر الأقوات وعدم الأشياء هناك.

سنة ثمان وثمانين وستمائة

فيها، تقدم الملك شرف الدين السمناني صاحب ديوان العراق بإعادة الزين عميد بغداد إلى التمغات بعد أن استوفى ما عليه من بقايا الضمان بالضرب والعذاب،

---

(١) هو فخر الدين أحمد، قتله السلطان غازان لكونه أكل أوقاف الروم وظلم، فوات الوفيات (٢/ ٣١٢) وقد أثنى عليه المؤلف في التلخيص فقال: كان أصغر إخوته، جميل السيرة، كريم الكف، يتصف بالأخلاق. انظر: (ج ٤ ق ٣ ص ١٠٢).

(٢) تقدم ذكره في حوادث سنة ٦٨٢ بصورة «أبي التبان».

(٣) صدر الدين علي، ولي بعد أبيه غالب مناصبه. انظر: فوات الوفيات (٢/ ٣١٢).

(٤) هم الأصيل حسن، ولي بعد وفات صدر الدين كافة مناصبه، وقدم الشام مع غازان وحكم في أوقاف الشام تلك الأيام، وأخذ منها جمعة، وأخذ منها جملة، ورجع مع غازان وولي نيابة بغداد فأساء السيرة، فعزل وصودر وأهين، فمات غير حميد، وفخر الدين أحمد، قتله غازان لكونه أكل أوقاف الروم وظلم. انظر: فوات الوفيات (٢/ ٣١٢).

ثم عزم الملك على التوجه إلى الأردو المعظم، فقصد سعد الدولة المشرف عليه مشهد موسى بن جعفر ـ عليه السلام ـ وزار ضريحه الشريف وأخذ المصحف متفائلاً به فخرج له ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ۝٨٠﴾ [طه: الآية ٨٠] فاستبشر بذلك وأطلق للعلويين والقُوّام مائة دينار، فلما وصلوا إلى حضرة السلطان عزل الملك شرف الدين ورتب سعد الدولة صاحب ديوان الممالك، وأمر السلطان بقتل الأمير «بغا نوين»[1] فقتل هو وأولاده وأصحابه وكان الأمير أروق أخوه في ديار بكر فأنفذ إليه من قبض عليه ثم قتله[2]، وكان ذلك لتغير نياتهم في طاعته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: الآية ١١]. ثم إن سعد الدولة رتب في العراق أخاه فخر الدولة[3] ومهذب الدولة نصر ابن الماشعيري[4] ورتب معهما جمال الدين الدستجرداني كاتبًا، فوصلوا إلى بغداد وقرروا قواعد أعمالها، ثم وصل تقدم سعد الدولة بالقبض على الزين الحظائري ضامن التمغات ومجد الدين إسماعيل بن إلياس واستيفاء ما عليهما من الأموال ثم قتلهما بعد ذلك فقبض عليهما ووكل بهما وعوقبا بالضرب وغيرها وأخذ مالهما من مال وملك، ثم قتل زين الدين ظاهر سور بغداد في العشرين من جمادى الآخرة، وقتل مجد الدين في يوم الأربعاء ثاني عشرين الشهر تحت الدار الشاطئية وسلمت جثته إلى أولاده، وكان قتله آخر النهار وهو صائم، فطلب ماءً، فلما أُتِيَ به نظر إلى الشمس وقد قرب غروبها فلم يشربه وقال للسياف: «اضرب ضربة واحدة»، فقال له: نعم، وكان ـ رحمه الله ـ من محاسن الزمان، عالمًا فاضلاً أديبًا جوادًا سخيًا

---

(١) تقدم في مواضع عديدة بصورة «بوقا». انظر تفاصيل الخبر في: جامع التواريخ (مجلد ٢ جزء ٢ ص ١٤٠) وكان قد ارتفع شأنه وأصبح من المقربين إلى أرغون مما حمله على الغرور والاستهانة بخواص السلطان (أرغون) فعملوا على الإطاحة به، فلما شعر بتغير أرغون عليه كاتب أحد الأمراء واسمه (جوشكاب) وأغراه بالتعاون معه لتنحية أرغون، فوشى هذا به.

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ١٤٧).

(٣) فخر الدولة إيليا بن صفي الدولة هبة الدين موسى الإسرائيلي، أنقذه أخوه سعد الدولة (لما ولي الوزارة للسلطان أرغون) إلى العراق، وأقام حاكمًا نافذ الأمر إلى أن يكب هو وأخوته بعد وفاة أرغون سنة ٦٩٠ هـ، وسيرد ذكره كثيرًا في هذا الكتاب. انظر: تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٣ ص ١٢٨).

(٤) مهذب الدولة، نصر الدين إسحاق الماشعيري، نسبة إلى من كان يبيع ماء الشعير من آبائه، وسيرد ذكره مرارًا في هذا الكتاب، وانظر التلخيص فقد ورد ذكره فيه بعدة مواضع.

كريمًا يكتب خطًا جيدًا ويقول الشعر. فمما قاله في المعادن ووزنها:

إذا استوت الحجوم لفلزات فوزن الكل معتبر بنسبه
فدرز يقم أصح حصح مص وجف قرع فخذ وزنًا ورتبه[١]
فهذا سر ما أخفاه قوم قديمًا قد كشفنا عنه حجبه

وقتل الملك ناصر الدين قتلغ شاه الصاحبي في تبريز وحملت جثته إلى بغداد، فدفنت في رباط كان قد عمره مجاور قبر سلمان الفارسي وجعل فيه جماعة من الفقراء ووقف عليه عدة نواح بواسط وغيرها وكان يحب الفقراء ويواصلهم، وبنى في البصرة لما كان واليًا فيها رباطًا وحمامًا ووقف الحمام وغيره عليه وبنى في المأمن الذي عمله الصاحب علاء الدين في أعمال واسط مدرسة.

ثم قتل[٢] منصور بن علاء الدين صاحب الديوان ببغداد في رجب ودفن في تربة والدته.

وفيها، عزل نور الدين ابن الصياد من واسط ورتب عوضه الملك «نور الدين عبد الرحمٰن بن تاشان».

وفيها، قتل الكمال حسن بن يحيى الفراش البغدادي بدمشق، قتله رجل من أهلها ثم قعد عنده، فلما عرف الوالي بذلك أحضره فاعترف بأنه قتله وقال: «عرفت أنكم تسألوني عنه وأني قتلته غيرة على النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لأنه أساء ذكره وتعرض بالصحابة وقال أشياء يستحق عليها القتل وقد بذلت نفسي لله ـ تعالى ـ فطلبوا منه من يشهد أنه سمع منه ذلك، فأحضر جماعة من أهل دمشق شهدوا بصحة ما قال فخلي سبيله. وهذا الصبي كان يعتقد مذهب الفلاسفة ويتظاهر به، وكان أبوه يدعي أنه أخو علاء الدين عطاء ملك الجويني صاحب الديوان لأنه كان قد حضر عنده لما أخذه علي بهادر شحنة بغداد ووكل به، فقال له: قد رأيت منامًا يدل على أنك تخلص عن قريب وتحكم في العراق، فلما خلص قربه وأحسن إليه وكان يخاطبه بالأخ، ثم وقع منه ما أوجب أنه أمر بأخذه وضربه، ثم أركب حمارًا وطيف به في أسواق بغداد ثم ضرب حتى هلك.

وفيها، وجد في الخزانة المحمولة من بغداد إلى الأردو المعظم كيس فيه فلوس فتقدم بالفحص عن ذلك، فظهر أن بعض فراشي الديوان فعل ذلك فأمر بصلبه فصلب.

---

(١) هكذا ورد البيت في الأصل ولم نتبين معناه.

(٢) انظر خبر قتله في: جامع التواريخ (مجلد ٢ جزء ٢ ص ١٥٠).

وفيها، صلب شهاب الدين عمر ابن أخت صفي الدين عبد المؤمن[١] نفسه في داره ولم يكن فقيرًا ولا عليه دين، ولم يعلم السبب الموجب لذلك، وكان شابًا حسنًا.

وفيها، توفي عزالدين علي بن عصحة[٢] ودفن تحت أقدام سلمان الفارسي وكان من أكابر المتصرفين ببغداد.

وفيها، توفي بهاء الدين عبد الوهاب ابن قاضي دقوقا ودفن في مدرسة بناها على شاطىء دجلة بباب الأزج، وكان ذا مال وجاه من أكبر التناة بالعراق.

وتوفي صفي الدولة سليمان ابن الجمل النصراني كاتب السلة ببغداد.

وفيها، غلت الأسعار ببغداد وحج منها خلق كثير.

سنة تسع وثمانين وستمائة

فيها، سطر ببغداد محضر كتب فيه أعيان الناس، يتضمن الطعن على سعد الدولة ويتضمن آيات من القرآن وأخبارًا نبوية أن اليهود طائفة أذلهم الله - تعالى - ومن حاول إعزازهم أذله الله - عز وجل - فعرف سعد الدولة بذلك، فلما وصل المنفذ به أخذه منه وعرضه على السلطان أرغون، فحَكَّمه في كل من كتب فيه، فتأني في مؤاخذتهم واستعمل الحزم وعاقبة[٢] العجلة، لكنه تقدم بصلب جمال الدين ابن الحلاوي ضامن تمغات بغداد، فصلب بباب النوبي وثيابه عليه، وسلم إلى أهله بقية النهار.

وفيها، سئل السلطان عمن تخلف من أولاد شمس الدين محمد ابن الجويني صاحب الديوان فأُخبر بهم فأمر بقتلهم، وكان في تبريز منهم مسعود وفرج الله فقتلا[٣] ودفنا في تربة أبيهما، أما مسعود فإنه كان قد أعرس منذ ليال، وأما فرج الله فإنه كان صبيًا في المكتب فلما أخرج ليقتل توهم أنهم يريدون تأديبه لئلا ينقطع عن المكتب فجعل يقول بالفارسية «والله ما بقيت انقطع عن المكتب» فرقت الناس له، وكان أخوهما نوروز في الروم فسارت الأيلجية إليه فقتل هناك.

---

(١) صفي الدين عبد المؤمن بن يوسف، سيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٦٩٣ هـ. انظر ترجمته في الحاشية.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) انظر خبر قتلهما في: جامع التواريخ (مجلد ٢ ج ٢ ص ١٥١).

وفيها، عزل نجم الدين بن أبي العز البصري ونجم الدين عبد الله القوساني وعفيف الدين ربيع الكوفي من القضاء ببغداد.

وحج من العراق هذه السنة خلق كثير وعادوا من بعض الطريق وقد نهبهم العرب.

وفيها، اتفقت بنت لبعض الأعيان بشيراز مع مملوك لأبيها على فاحشة، فلما رأت أنه افتضّها خافت فهربت، فلما عرف أبوها الحال قتل المملوك ثم تطلبها إلى أن وجدت بعد أيام فحكم شحنة شيراز يومئذٍ بقتلها، فحملت إلى رأس جبل بظاهر شيراز فيه جب كبير بعيد القعر تلقى فيه النساء المستوجبات للقتل، فألقيت الجارية فيه فلم تهلك ولم يهن منها عضو، فعجب الحاضرون وسألوا الإفراج عنها، فقال الشحنة المذكور: ما معنى قول الشاعر:

من لم يمت يومه يموت غدًا ... أو لم يمت في غد فبعد غد؟

فأرسل إليه شمس الدين ابن المنتجب عامل فارس في أمرها، فأخرجت وزوجت وذلك في ذي الحجة منها.

سنة تسعين وستمائة

في هذه السنة، انحدر مهذب الدولة ابن الماشعيري إلى واسط وقبض على ملكها نور الدين عبد الرحمٰن بن تاشان، وطوقه بالحديد ونفذه إلى بغداد على أن يقتل بها ويحمل رأسه إليه، وسبب ذلك أنه تحدث على السكر: أن سعد الدولة قد قتل، فلما وصل إلى بغداد وكل به في دار النيابة ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الثالث وصلت الأيلجية من أردو «بايدو»[1] ودخلوا بغداد ليلاً وحضروا عند جمال الدين الدستجرداني كاتب العراق، وعرفوه أن السلطان أرغون توفي، وأن الأمراء قتلوا سعد الدولة قبل وفاة السلطان، وأنه قد فوض أمر العراق إليه، وأمر بالقبض على فخر الدولة أخي سعد الدولة، فاتفق مع الأيلجية والأمير... شحنة بغداد وقبضوا على فخر الدولة ليلة السبت... ربيع الآخر، وأحضروا الملك نور الدين عبد

(١) هو بايدو بن طرغاي بن هولاكو. وفي جامع التواريخ (مجلد ٢ ج ٢ ص ١٦٣): «كان أميرًا ذا حياء ووقار» وكان مرشحًا لخلافة أرغون، . ولما تولى كيخاتو أعلن العصيان عليه وقتله وتولى الملك بعده سنة ٦٩٤ هـ فثار عليه غازان وقتله بعد ثمانية أشهر من حكمه. انظر: تتمة المختصر (٢/ ٣٤٢).

الرحمٰن من السجن، وتقدموا إليه بالانحدار إلى واسط والقبض على مهذب الدولة وحمله إلى بغداد ولما قبض فخر الدولة نهب الكلجية وعوام بغداد داره ودور اليهود كافة وأخذوا أموالهم، ودام ذلك ثلاثة أيام فركب جمال الدين في جماعة من الجند والكلجية ومنعوا العوام عن ذلك وحبسوا جماعة منهم وقتلوا نفرين فسكنت الفتنة، ولما وصل مهذب الدولة إلى بغداد حبس في دار النيابة فسأل من جمال الدين أن ينقل إلى حجر النبر فنقل، ثم أحضر بعد أيام إلى الديوان وسئل عن الأموال فقال «أما مال الديوان ففي الخزانة وأما ما يخصني فأنت تعلم أني لم أجمع مالاً» فأمر بضربه فضرب، ثم أقعد وسئل فلم يعترف بشيء غير الظاهر فأمروا بقتله فضرب بالسكاكين والسيوف، وكان بالاتفاق في الديوان نجار قد جاء متفرجًا ومعه فأس فضربه عدة ضربات، ثم قطع أربًا أربًا وتناهبه العوام، فتعمم نفاط بمصرانه، وطافوا به في شوارع بغداد ودروبها، ثم أحرق بباب جامع الخليفة ما عدا رأسه فسلخ وحشي تبنا وطيف به في جانبي بغداد وحمل إلى واسط فعلق على جسرها، وقتل من اليهود شاب يعرف بابن فلالة وقطعت أعضاؤه وشد العوام في إحليله حبلاً وطافوا به سحبًا في دروب بغداد، ثم أحرق بباب جامع الخليفة أيضًا، فلما سكنت الفتنة وخرج اليهود على عادتهم في معايشهم أشاع طائفة من العوام أن الحكام قد فسحوا في نهبهم فسارع الأشرار والسفل والشطار في ذلك، ونهبوا دورهم ودكاكينهم، فركب جمال الدين في جمع من الكلجية وكفهم عن ذلك، ولم يبق بلد من بلاد العراق إلا وجرى فيه على اليهود من النهب مثل ما جرى في بغداد حتى أسلم منهم جماعة ثم عادوا بعد ذلك، وأرسل بايد والي الموصل مَنْ قبض على أمير الدولة أخي سعد الدولة، وكان حاكمًا بها، واعتمد معه مثل ما اعتمد مع أخيه فخر الدولة.

حُكِيَ أن فخر الدين مظفر ابن الطراح حرض جمال الدين الدستجرداني على قتل مهذب الدولة، وقال «إن تركه لا يؤمن» وخوفه من عاقبة الحال حتى قال له:

جمال دين العلى يا ملك من يأملك
عجل بقتل المهذب قبل أن يقتلك

....

وانظر إلى صاحب الديوان ومجد الملك

وكان ملك السلطان أرغون نحو ثماني سنين، وكان عادلاً محمود السيرة رؤوفًا بالرعية، وأرسل الأمراء إلى كيغاتو[١] وكان بالروم يعرفونه وفاة أخيه، فسار إليهم وجلس على التخت.

وفيها، توفي[٢] الملك المنصور قلاوون الألفي بالقاهرة، وعمره ثمانون سنة ودفن في مدرسة بناها سماها المنصورية، وكان قد برز ليسير إلى عكة فمرض وعاد، وعهد إلى ابنه صلاح الدين خليل[٣] ولقبه الملك الأشرف واستحلف له الأمراء والقواد وكان عادلاً حسن السيرة ذا رأي سديد وضبط للملك والسياسة، فلما ولي الملك الأشرف عطف على من يخافه من الأمراء قتلًا وتفريقًا وخنقًا وتسميرًا وغير ذلك. فممن قتل ترنطاي[٤] وسنقر الأشقر[٥] وعمد إلى لاجين[٦] وهو من أكابر مماليك والده فخنقه بوتر قوس حتى ظن[٧] أنه مات، ثم أمر أن يلقى على قارعة الطريق فألقي فأفاق ومضى إلى بيته فأنهي ذلك إلى الأشرف فقال: «إن الله لم يأذن في هلاكه» وأعرض عنه، فكان هلاك الأشرف على يده وسنذكره، وكان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس يفضله بالشجاعة وهو يفضل الملك الظاهر بالدهاء.

---

(١) كيخاتو بن آباقا بن هولاكو، ولد سنة ٥٦٤ هـ وجلس على سرير الملك بعد أرغون سنة ٦٩٠ هـ، وقتل سنة ٦٩٤ هـ، انظر: جامع التواريخ (مجلد ٢ جزء ٢ ص ١٦٩) وما بعدها.

(٢) في البداية والنهاية (٣١٦/١٣) أنه توفي سنة ٦٨٩ هـ يوم السبت سادس ذي القعدة بالمخيم ظاهر القاهرة، وكذلك في تاريخ الخلفاء (ص ٤٨٢)، وشذرات الذهب (٤٠٩/٥)، والعبر (٥/ ٣٦٣)، وخطط المقريزي (٣/ ٩٤)، وتتمة المختصر (٢/ ٣٣٥).

(٣) صلاح الدين خليل الملك الأشرف ملك بعد أبيه وفتح عكا وأخذ صور وحيفا وعتليت، وأنطرسوس وصيدا وأجلى الإفرنج من الساحل. وأخذ قلعة الروم من الأرمن سنة ٦٩١ هـ ثم قتله أمراؤه سنة ٦٩٣ هـ وأقيم بعده أخوه الناصر محمد بن قلاوون.

(٤) حسام الدين طرنطاي، أحد كبار القادة على عهد الملك المنصور، وناب عنه في حكم دمشق، فلما ولي الملك الأشرف قبض عليه فكان آخر العهد به. انظر: تتمة المختصر (٢/ ٣٣٦).

(٥) في تتمة المختصر (٢/ ٣٤٢) أنه قتل سنة ٦٩٣ هـ على عهد الملك الناصر.

(٦) حسام الدين لاجين المنصوري، أحد كبار القادة على عهد الملك المنصور، وكان كاتب السلطان في دمشق، ولما ولي الملك الأشرف كاد أن يقتله. فاستتر، ثم وثب عليه مع بعض الأمراء فقتله، فلما ولي كتبغا وثب عليه وعزله وتولى الملك سنة ٦٩٦ هـ ثم وثب عليه بعض المماليك وقتلوه سنة ٦٩٨ هـ. انظر: تتمة المختصر (٢/ ٣٥٠)، والعبر (٥/ ٣٩٠).

(٧) وفي العبر (٥/ ٣٩٠) «أنه رقّ له وتركه بآخر رمق».

وفي هذه السنة، احتبست الغيوث حتى انقضاء بعض شباط فاجتمع الناس عند قاضي القضاة عز الدين ابن الزنجاني ثم خرجوا إلى مقبرة معروف ـ رحمه الله ـ يوم الخميس سابع عشرين صفر واجتمعوا في باب المدرسة البشيرية ونصب هناك كرسي خطب عليه العدل شمس الدين ابن الهنايسي خطيب جامع الخليفة، ثم تضرع الناس وسألوا الله ـ عز وجل ـ أن يعمهم برحمته، وأكثروا من البكاء والاستغفار وعادوا[1] ثم خرجوا يوم الجمعة إلى ظاهر سور بغداد يتقدمهم شيخ المشايخ نظام الدين محمود راجلاً مستكينًا، وكذلك قاضي القضاة، واجتمعوا وراء جامع السلطان وخطب الخطيب المذكور ثم تلاه الشيخ شهاب الدين عبد المحمود السهروردي فأرخت السماء عزاليها وتواتر الغيوث فدخلوا بغداد وقد توحلت الطرق ودام نزول الغيث ثلاثة أيام ثم سكن، وزادت دجلة بعد ذلك وانتفع العالم بما عمهم من لطف الله ورحمته.

وفيها، وصل مظفر الدين علي بن علاء الدين عطا ملك الجويني صاحب الديوان إلى بغداد، حيث اتصل به قتل سعد الدولة وكان قد هرب لما قتل أخوه المنصور والتجأ إلى بعض مشايخ العرب بالسيب ثم توجه إلى تبريز وتزوج ينكي ابنة أرغون آغا التي كانت زوجة عمه شمس الدين ثم جاء إلى بغداد وهي صحبته وقد استخلصت له بعض أملاك أبيه وصار بسببها ذا جاه، ثم قتل بعد ذلك على ما نذكره.

سنة إحدى وتسعين وستمائة

في هذه السنة، أمر السلطان كيخاتو بإنفاذ أميرين هما ساطي وبكتمر إلى العراق لتصفح الأعمال وعمل الحساب، فقدما بغداد فقام جمال الدين الدستجرداني بين أيديهما، فأقاما شهورًا واعتمدا ما أمرا به، ثم عادا فمات ساطي وولده ونساؤه جميعًا في أيام قلائل وجمع جمال الدين مال العراق ثم وجهه، وحصل سلاحًا كثيرًا وتوجه إلى حضرة السلطان، فأنعم عليه وأقره على ولاية العراق ورتب معه رفيقين هما أثير الدين التستري ابن أخت مجد الدين محمد ابن الأثير. وتاج الدين علي تاشان، وسيرهم جميعًا مع أمير اسمه تيطاق، فكانوا بالعراق إلى آخر السنة، ولما توجه جمال الدين استخلف على بغداد سعد الدين أسد ابن الأمير علي جكيبان فناب عنه إلى حين عوده.

(١) في هامش الأصل (فقام اليهود ببغداد ثلاثة أيام متواليات وأكثروا فيها من الدعاء والصلاة وخرجوا في اليوم الثالث وهم صيام واستسقوا فلم يسقوا).

وفيها، سار الملك الأشرف صاحب مصر والشام في جيوشه إلى عكا[١]، ونازلها وحصرها برًا وبحرًا وتابع الزحف والقتال ونصب عليها المناجيق والأبراج الخشب، وقاتل من بها مدة أربعين يومًا حتى فتحها عنوة، وقتل في أهلها قتلاً عظيمًا وسبى ذراريهم ونهب أموالهم، ثم أمر بهدمها فهدمت حتى عفى آثارها وألحقها بالأرض ثم عاد إلى دمشق فأقام بها شهرًا ومدحه الشعراء. فمما قاله بعضهم[٢] قصيدة يوازن بها قصيدة أبي تمام الطائي عند فتح عمورية التي أولها: السيف أصدق أنباء من الكتب:

ولكن بينهما فرق عظيم. وأول القصيدة:

الحمد لله ذلت[٣] دولة الصلب ... وعز بالترك دين المصطفى العربي
هذا الذي كانت الآمال لو طلبت ... رؤياه في النوم لاستحيت من الطلب
ما بعد عكة إذ هدت قواعدها ... في البحر للشرك عند البر من أرب
عقيلة ذهبت أيدي الخطوب بها ... دهرًا وشدت عليها كف مغتصب
لم يبق من بعدها للكفر إذ خربت ... في البر والبحر ما ينجي سوى الهرب
كانت تخيلها آمالنا فنرى ... إن التفكر فيها أعجب العجب
أم الحروب فكم قد أنشأت فتنًا ... شاب الوليد بها هولاً ولم تشب
كأنما كل برج حوله فلك ... من المجانيق ترمي الأرض بالشهب
فعاجلتها جنود الله يقدمها ... غضبان لله لا للملك والنشب
ليث أبى أن يرد الوجه من أمم ... يدعون رب العلى سبحانه بأب
كم رامها ورماها قبله ملك ... جم الجيوش فلم يظفر ولم يصب

---

(١) في البداية والنهاية (١٣/ ٣٢٠) أنها افتتحت سنة ٦٩٠ هـ قال: وفيها ـ (أي سنة ٦٩٠) جاء البريد إلى دمشق في مستهل ربيع الأول لتجهيز آلات الحصار لعكا، ونودي في دمشق الغزاة في سبيل الله إلى عكا، وقد كان أهل عكا في هذا الحين عدوا على من عندهم من تجار المسلمين فقتلوهم وأخذوا أموالهم. ثم زحف يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى... الخ). وانظر كذلك: العبر (٥/ ٣٦٥)، وفيه: «وأخذ المسلمون بعد يومين صور بلا قتال، ثم افتتح الشجاعي صيدا في رجب وأخربت، ثم افتتح بيروت بعد أيام وهدمها، والشذرات (٥/ ٤١١).

(٢) هو شهاب الدين محمود القاضي كما في البداية والنهاية (١٣/ ٣٢٣)، وفوات الوفيات وقد وردت القصيدة فيه كاملة.

(٣) في البداية والنهاية «زالت».

لم يلهه ملكه بل في أوائله نال الذي لم ينله الناس في الحقب

لم ترض همته إلا التي قعدت للعجز عنها ملوك العجم والعرب

فأصبحت وهي في بحرين مائلة ما بين مضطرم نارًا ومضطرب

جيش من الترك ترك الحرب عندهم عار وراحتهم ضرب من الوصب

خاضوا إليها الردى بالبحر فاشتبه الأ مران واختلفا في الحال والنسب

تسنموها فلم يترك ثباتهم في ذلك الأفق برجًا غير منقلب

تسلموها فلم تخل الرقاب بها من فتك منتقم أو كف منتهب

يا يوم عكة قد أنسيت ما سبقت به الفتوح وما قد خُطَّ في الكتب

لم يبلغ النطق بعد الشكر فيك فما عسى يقوم به ذو الشعر والخطب

كانت تمني بك الأيام عن أمم والحمد لله شاهدناك عن كثب

واطلع الله جيش النصر فابتدرت طوالع الفتح بين السمر والقضب

وأشرف المصطفى الهادي البشير على ما أسلف الأشرف السلطان عن قرب

وقر عينًا بهذا الفتح وابتهجت ببشره الكعبة الغراء في الحجب

وسار في الأرض مسرى الريح سمعته فالبر في طرب والبحر في حرب

وخاضت البيض في بحر الدماء فما أبدت من البيض إلّا ساق مختضب

وغاص زرق القنا في زرق أعينهم كأنها شطن تهوي إلى قلب

كم أبرزت بطلاً كالطود قد بطلت حواسه فغدا كالمنزل الخرب

كأنه وَسِنَانُ الرمح يطلبه برج هوى ووراه كوكب الذنب

أغضبت عباد عيسى إذ أبدتهم لله أيّ رضًى في ذلك الغضب

بشراك يا ملك الدنيا لقد شرفت بك الممالك واستعلت على الرتب

ما بعد عكة إذ لانت عريكتها لديك شيء يلاقيه على نصب

فانهض إلى الأرض فالدنيا بأجمعها مدت إليك نواصيها بلا تعب

أدركت شأن صلاح الدين إذ غضبت منه لسر طواه الله في اللقب

وجئتها بجيوش كالسيول على أمثالها بين أجسام من القصب

وحطتها بالمجانيق التي رفعت أمام أسوارها في جحفل لجب

مرفوعة نصبوا أضعافها فنبت للجزم والكسر منها كل منتصب

وجالت النار في أرجائها وعلت فأطفأت ما بصدر الدين من كرب

أضحت أبا لهب تلك البروج وقد كانت بتعليقها حمالة الحطب
وتمت النعمة العظمى وقد ملكت بفتح صور بلا حصر ولا نصب
أختان في أن كلاً منهما جمعت صليبة الكفر لا أختان في النسب
لما رأت أختها بالأمس قد خربت كان الخراب بها أعدى من الجرب
فالله أعطاك ملك البر فابتدأت بك السعادة ملك البحر فارتقب
من كان عكة مبدأه وصور معًا فالصين أدنى إلى كفيه من حلب
سما بك الملك حتى إن قبته على الثريا عدت ممدودة الطنب
فلا برحت عزيز النصر مبتهجًا بكل فتح قريب النجح مرتقب

ثم إن الأشرف سيّر قائدًا يعرف بالشجاعي[١] في عشرين ألف فارس إلى صيدا[٢] وصور[٣]، فنازل صيدا وفتحها وقتل من بها وأخربها، ثم رحل إلى صور فتلقاه أهلها بالطاعة، فدخلها وأغلق أبوابها ووضع السيف فيهم وقتل الرجال وسبى النساء وأخربها[٤] وعاد إلى الأشرف وهو بدمشق، ولم يبق للفرنج في ساحل البحر حجر على حجر، ثم إن الأشرف عاد إلى مصر وأخذ يتجهز للغزاة وكان ما نذكره.

(١) علم الدين الشجاعي، أحد القادة الكبار، فتح صيدا وصور وتولى نيابة السلطنة في دمشق سنة ٦٩٠ هـ، وقتل سنة ٦٩٣ هـ. انظر: العبر (٥/ ٣٧٨ و٣٩٠) وفي مواضع متفرقة من الجزء ٢١ من عيون التواريخ.

(٢) صيدا، أو صيداء، مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق شرقي صور، بينهما ستة فراسخ، وكان الإفرنج قد افتتحوها سنة ٥٠٤ هـ فاستعادها منهم صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٣ هـ. معجم البلدان (٣/ ٤٣٨).

(٣) صور: كانت من ثغور المسلمين، وهي مشرفة على بحر الشام دخله في البحر، وهي حصينة جدًا ركينة افتتحها المسلمون أيام عمر بن الخطاب ولم تزل بأيديهم حتى أخذها الفرنج سنة ٥١٨ هـ. معجم البلدان (٣/ ٤٣٣).

(٤) انظر: العبر (٥/ ٣٦٥) (حوادث سنة ٦٩٠) وفيه: «وأخذ المسلمون بعد يومين مدينة صور بلا قتال، لأن أهلها هربوا في البحر لما علموا بأخذ عكا، وسلمها الرعية بالأمان، وأخربت أيضًا، ثم افتتح الشجاعي صيدا في رجب وأخربت ثم افتتح بيروت بعد أيام وهدمها، فلما رأى أهل حصن عثليث خلو الساحل من عباد الصليب أحرقوا حواصلهم وهربوا في البحر ليلة أول شعبان فهدمه المسلمون، وكذلك فعل أهل أنطرسوس، فتسلمها الطباخي في خامس شعبان ولم يبق للنصارى بأرض الشام معقل ولا حصن». وانظر كذلك: البداية والنهاية (١٣/ ٣٢١) (حوادث سنة ٦٩٠)، وتتمة المختصر (٢/ ٣٣٦).

سنة اثنتين وتسعين وستمائة

فيها، سار[١] الملك الأشرف صاحب مصر إلى قلعة الروم[٢]، فأقام عليها شهرين[٣] يتابع الزحف والقتال حتى فتحها وملكها، فقتل من بها وسبى الذراري ونهب الأموال، ثم هدمها وعاد إلى مصر، وحدث نفسه بالمسير إلى العراق وتجهز وعمل سلاسل ومروسًا من القنب لأجل الجسر، ثم برز من القاهرة إلى الصالحية[٤] في آخر السنة فقتل في سنة ثلاث وتسعين على ما نذكره.

وفيها، وُلّيَ[٥] السلطان كيغاتو صدر الدين أحمد بن عبدالرزاق الخالدي صاحب ديوان الممالك وفوض إليه تدبير ملكه.

وفيها، ظهر بالحجاز نار أذابت الصخور كما ظهرت في سنة أربع وخمسين وستمائة إلا أن هذه كانت تتراقى إلى عنان السماء ثم تهبط ويسمع لها دوي عال، وإذا ألقي فيها الخشب وكل ما تأكله النار لا تحرقه، ودامت على ذلك ثلاثة أيام.

وفيها، توفي[٦] الملك المظفر قرا أرسلان صاحب ماردين وعمره نحو ثمانين سنة، فقام بعده ابنه شمس الدين داود[٧] ولقب بالملك السعيد[٨].

---

(١) في العبر (٥/ ٣٧١)، والبداية والنهاية (١٣/ ٣٢٧)، وشذرات الذهب (٥/ ٤١٨)، وخطط المقريزي (٣/ ٩٤)، وتاريخ الخلفاء (ص ٤٨٢): أنه افتتحها في سنة ٦٩١ هـ.

(٢) قلعة الروم: قلعة حصينة في غربي الفرات مقابل قلعة البيرة. انظر: معجم البلدان (٤/ ٣٩٠)، والشذرات (٥/ ٤١٨)، والعبر (٥/ ٣٧١).

(٣) في خطط المقريزي (٣/ ٩٤) أنه حاصرها ثلاثة وثلاثين يومًا.

(٤) الصالحية، قرية كبيرة ذات أسواق وجامع في لحف جبل قاسيون معجم البلدان (٣/ ٣٩٠)، وفي تتمة المختصر (٢/ ٣٤٠)ك أنه قتل بنيروجة، وهي كما في معجم البلدان (٢/ ٢٧): قرية بمصر من كورة البحيرة من أعمال الإسكندرية.

(٥) انظر: جامع التواريخ (مجلد ٢ جزء ٢ ص ١٧٩) وفيه: «وفي السادس من ذي الحجة سنة ٦٩١ هـ تقرر إسناد منصب صاحب الديوان إلى صدر الدين».

(٦) في البداية والنهاية (١٣/ ٣٣١)، وتتمة المختصر (٢/ ٣٣٩) أنه توفي سنة ٦٩١ هـ.

(٧) سيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٦٩٤ هـ.

(٨) في هامش الأصل «وفيها، أعني سنة اثنتين وتسعين وستمائة، وثب باطني على نقاجو أمير المسلمة بالعراق على رأس الجسر العضدي ببغداد وضربه بحجر عدة ضربات قتله بها وشد هاربًا فمد له رجل أصفهاني رجلًا على الجسر فسقط فقبض، فجعل يقول «فداء الملك الأشرف فداء الملك الأشرف» فسلم إلى ابن تقاجا المغولي فمثل به وقطع أطرافه وهو حي ومد. . . . ظهره سرًا ولم يعبس ولم يتأوه، ثم قال لقاتله: «يا مخنث، إنك لم تضع شيئًا إلا وهو دون ما كان في نفسي، فاصنع ما بدا لك» فقتله وألقاه في المكان الذي قتل فيه أباه وكان. . .».

سنة ثلاث وتسعين وستمائة

فيها، أمر السلطان كيخاتو شمس الدين محمد التركستاني المعروف بالسكورجي بالمسير إلى العراق واليًا عليها مزيلًا عن الرعية ما جدد عليهم من الأثقال، فلما دخل بغداد أظهر العدل والإحسان وحسن النظر في أحوال الناس وأجراهم على أجمل القواعد ونظر في أمور الوقوف وأجرى أربابها على شروط الواقفين وأدر عليهم الأخباز والمشاهرات، ووعد الناس بأشياء يخاطب فيها السلطان ويعتمدها معهم، فلم تطل أيامه وقتل [على] ما نذكره.

واتصل بالسلطان أن في بلاد واسط وسوادها جماعة من الأعراب الباغية المفسدين، فأمر «بايدو» بالمسير إلى هناك وقتلهم ونهبهم، فسار من سياه كوه إلى بغداد وانحدر إلى واسط حتى وصل إلى آخر أعمالها ولم يتعرض بأحد ولا ثقل على الرعية، فلما عاد شرع في نهب القرايا وأخذ الأموال والجواميس والبقر والغنم وأسر الذراري وسبي النساء، كل ذلك من الرعية، وأما الباغية فإنهم اعتصموا بالبطائح فلم يقدر عليهم، وصادف عسكره سفن التجار الواصلين من البحر فنهبوا بعض ما فيها من القماش، وخرجت الأعراب من البطائح فنهبوا الباقي وأحرقوا بعض السفن، فأصبح التجار عراة حفاة لا يقدرون على شيء، ثم أنفذ بايدو جماعة من العسكر إلى عين التمر[1] والكنيسات فنهبوا الرعية وسبوا وأسروا وعملوا كل منكر وعادوا إلى بايدو وقد وصل بغداد، فتكمل معهم زيادة على ثلاثين ألف أسير ثم رحل من بغداد راجعًا إلى سياه كوه فتوجه شمس الدين محمد السكورجي إلى السلطان وأخبره بما فعل «بايدو» بالرعية، فأنكر عليه ذلك وأمر بحبسه فحبس في خركاه ثلاثة أيام، ثم كلم فيه فأطلقه، واستخلص من العسكر بعض الأسرى وسلموا إلى شمس الدين محمد السكورجي فكساهم، وعاد إلى بغداد وهم صحبته، فأطلقهم فتوجهوا إلى أهليهم.

وفيها، وضع[2] صدر الدين صاحب ديوان الممالك بتبريز «الجاو» وهو كاغد عليه تمغة السلطان عوض السكة على الدنانير والدراهم وأمر الناس أن يتعاملوا به وكان من عشرة دنانير إلى دون ذلك حتى ينتهي إلى درهم ونصف وربع، فتعامل به

---

(١) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة، بغربها موضع يقال له شفاثا، منها يجلب القسب والتمر إلى سائر البلاد معجم البلدان (١٧٦/٤).

(٢) انظر تفاصيل وضع «الجاو» في: جامع التواريخ (مجلد ٢ جزء ٢ ص ١٨١).

أهل تبريز اضطرارًا لا اختيارًا بالقسر والقهر، فاضطربت أحوالهم اضطرابًا أضرَّ بهم وبغيرهم حتى تعذرت الأقوات وسائر الأشياء وانقطعت المواد من كل نوع، فكان الرجل يضع الدرهم في يده تحت «الجاو» ويعطي الخباز والقصاب وغيرهما، ويأخذ حاجته، خوفًا من أعوان السلطان، ثم حمل منه عدة أحمال إلى بغداد صحبة الأمير لكزي بن أرغون آقا، فلما بلغ ذلك أهلها استعدوا بالأقوات وغيرها حيث عرفوا ما جرى في تبريز، فلما أنهي ذلك إلى السلطان كيخاتو أمر بإبطاله فأبطل قبل وصول لكزي إلى بغداد وكفى الله العالم شره.

وفيها، وصل إلى بغداد الملك إمام الدين يحيى القزويني البكري[1] وفخر الدين الرازي العلوي[2] وقد فوض السلطان إليهما أمر العراق فأقاما إلى آخر السنة، ثم توجها إلى السلطان واستخلفا جمال الدين الدستجرداني على بغداد.

وفيها، وصل إلى بغداد زين الدين محمد الخالدي على أنه قاضي القضاة متولي الوقوف والوكالة والتركات والمقاطعات والجوالي، فلم يمض شمس الدين محمد السكورجي له من ذلك غير القضاء والحسبة فحكم إلى آخر السنة وعاد إلى الأردو واستخلف أحد أصحابه على منصبه.

وفيها، قتل[3] الملك الأشرف ابن الألفي صاحب مصر والشام وسبب ذلك أنه كان قد استوزر رجلًا يعرف بابن السعلوس[4]، فكان لا يلتفت إلى الأمراء ويتوقف في أمورهم، حتى رد يومًا على الأمير بيدرا بن كتبغا أمرًا أشار به، فأحضره وكشف

---

(١) سيذكر المؤلف أنه عقد ضمان العراق عليه وعلى الشيخ جمال الدين إبراهيم ابن السواملي في سنة ٦٩٦ هـ.

(٢) فخر الدين أبو محمد الحسن بن علاء الدين المرتضى بن الحسن الرازي، ملك الري هكذا ذكره ابن الفوطي في التلخيص (ج ٤ ق ٣ ص ١٤٩)، وفيه أنه قدم بغداد حاكمًا سنة إحدى وتسعين وستمائة وتوفي سنة تسع وسبعمائة وترجمه في (ص ١٥١) باسم الحسن بن علاء الدين المرتضى أبي الحسن العلوي الرازي.

(٣) انظر خبر قتله في: البداية والنهاية (١٣/ ٣٣٤) وفيهك «وتألم الناس لفقده وأعظموا قتله، وقد كان شهمًا شجاعًا عالي الهمة حسن المنظر، وكان قد عزم عن غزو العراق واسترجاع تلك البلاد من أيدي التتار». وانظر: شذرات الذهب (٥/ ٤٢٢)، والعبر (٥/ ٣٧٧).

(٤) ابن السعلوس، شمس الدين محمد بن عثمان التنوخي، التاجر الكاتب، ولي حلية دمشق فأحسن السيرة ثم ولي الوزارة، وكان قبل ذلك يكثر الصلاة والصيام، فلما أصبح وزيرًا تكبر على الناس ولا سيما الأمراء، فلما قتل الملك الأشرف قبض عليه خصومه واستصفوا أمواله وقتلوه وقتلوا أقاربه وذويه. انظر: الشذرات (٥/ ٤٢٤).

رأسه وأهانه، فعاد إلى الأشرف على حالته، فأحضر الأشرف بيدرا وضربه وقيده أيامًا ثم أفرج عنه، فشرع يفسد الأمراء سرًا ويدعوهم إلى الفتك بالأشرف ويحذرهم منه، فأجابوه إلى ذلك وحلفوا له على الوفاء به، منهم: لاجين وكتبغا[١]، فلما تجهز لقصد العراق كما ذكرناه في السنة الخالية وبرز إلى الصالحية، ركب يومًا متصيدًا بنفر قليل فانتهز الأمراء الفرصة وقتلوه، فانهزم أصحابه وكان عمره نحو ثلاثين سنة، فاضطرب العسكر، فسكنهم بيدرا وسار بهم يريد القاهرة ليسبق خبره ويملكها، وكان الأشرف قد استخلف عليها سنقر الشجاعي بعض مماليك أبيه، فوضع لاجين من قال لمماليك الأشرف وخواصه «هذا بيدرا هو الذي قتل الأشرف فما يمنعكم منه؟» فحملوا عليه وقتلوه وولوا كتبغا عليهم فأقبل بالعسكر على ظاهر القاهرة وبات هناك، فشاع الخبر فحدث الشجاعي نفسه بالملك واستعد للقتال وأخرج الفرنج من السجن لمساعدته وتلقب بالملك القاهر وخطب له في القاهرة بالسلطنة، فلما رأى لاجين ذلك استتر عند كتبغا، ودام الشجاعي على ذلك أربعين يومًا، فأشار لاجين على كتبغا سرًا أن يراسل والدة الأشرف، وكانت بالقاهرة، ويشير عليها بقتل الشجاعي حتى يسلطن ابنها الأصغر محمد[٢]، فأكمنت له أربعة نفر واستدعته للمشورة، فلما دخل عليها قتلوه، وأرسلت رأسه إلى كتبغا وفتحت له الأبواب، فدخل القاهرة وسلطن بها ابنها ولقبه الملك الناصر وكان عمره اثنتي عشرة سنة، وكان أعرج، وصار كتبغا أمير الجيوش وسير لاجين إلى نواحي الصعيد، ثم أخذ له من الطفل وأمه أمانًا، فلما حضروا وضع في عنقه منديلًا ودخل على الطفل فعفا عنه، واستمرت الحال على ذلك مدة شهرين، فأشار لاجين

---

(١) كتبغا، زين الدين المنصوري، المغولي، أسر من عسكر هولاكو حدثًا، أثناء معركة حمص الأولى سنة ٦٥٨ هـ، وأمره الملك المنصور، وعظم أمره في دولة الأشرف، ولما قتل الأشرف التف حوله الأمراء، فقتل بهم بيدرا، وجعله الملك الناصر نائبًا له، ثم عزل الناصر وتولى الملك وتلقب بالملك العادل، ونهض بأمرة لاجين، ثم توثب عليه مع بعض الأمراء وهو ببيسان، ففر إلى دمشق، ثم أقر للاجين بالسلطة، وأقام بصرخد إلى أن توفي سنة ٧٠٢ هـ. انظر: فوات الوفيات (٢/ ٢٨٢).

(٢) سمي فيما بعد بالملك الناصر «محمد بن قلاوون» ولي السلطنة في مصر وهو طفل سنة ٦٩٣ هـ وقام الأمير زين الدين كتبغا بتدبيره، ثم خلعه بعد سنة، وأعيد إلى السلطنة سنة ٦٩٨ هـ وقام بتدبيره الأميران سلار نائب السلطنة، وبيبرس الحاشنكير استادار. فحكم تسع سنين وستة أشهر ثم انخلع من السلطنة وعاد إلى الكرك، ثم أعيد للمرة الثالثة للسلطنة سنة ٧٠٩ واستبد بالأمر حتى وفاته سنة ٦٤١ هـ وأقيم بعده ابنه سيف الدين أبو بكر. انظر: خطط المقريزي (٣/ ٩٥).

كتبغا بخلع الصبي فخلعه وتفرد بالملك[١]، وخطب له بالديار المصرية وأنزله وأمه من القلعة وصعد إليها، وجعل لاجين أمير الجيوش.

وفيها، توفي شرف الدين علي بن أميران كاتب الإنشاء ببغداد، وكان عالمًا فاضلاً يكتب خطًا حسنًا، وتوفي النقيب غياث الدين عبد الكريم ابن طاووس[٢] في مشهد موسى بن جعفر، وحمل إلى جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ.

وتوفي بهاء الدين علي بن أبي الفتح الفخر عيسى الأربلي[٣] ببغداد.

وتوفي صفي الدين عبد المؤمن بن يوسف بن فاخر[٤] وعمره نحو ثمانين سنة.

وتوفي شمس الدولة ابن مخلد النصراني كاتب السلة ببغداد.

وفيها، أيضًا مات أبو منصور الطبيب النصراني المعروف بكتيفات، وكان حاذقًا في علم الطب محمود العلاج وكأن الشاعر عناه:

كأنه من اللطف إذ كان يجول ... بين المحمرة والدم
إن غضبت جسم على روحها ... ألف بين الروح والدم

سنة أربع وتسعين وستمائة

في هذه السنة، تغيرت نيات الأمراء في طاعة السلطان كيخاتو وراسلوا بايدو، وكان في دقوقا، يعرفونه أنهم قد اتفقوا على طاعته وتمليكه، فأعاد الجواب بقبول ذلك ووعدهم بالإجابة إلى ملتمساتهم فقبضوا على السلطان كيخاتو وقتلوه، وكان عمره نحو ثلاثين سنة، وأرسلوا إلى بايدو يعرفونه ذلك، فأرسل الأمير جارغتاي إلى بغداد وأمره بالقبض على محمد السكورجي وحمله إليه وولاية جمال الدين

---

(١) وتسمى بالملك العادل.

(٢) عبد الكريم بن أحمد بن موسى بن طاووس الحسني (غياث الدين) ترجمه ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ ق ٢ ص ١١٩٤). وانظر: عمدة الطالب (ص ١٥٧) وفيه «العالم النسابة».

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) صفي الدين عبد المؤمن بن يوسف بن فاخر، كان أديبًا فاضلاً جيد الخط ويجيد الضرب على العود، رتبه الخليفة المستنصر كاتبًا في المستنصرية، يكتب ما يختاره، حدث عن نفسه قال إنه أحضر عند هولاكو بعد وقعته ببغداد فغناه، واتصل بخدمه علاء الدين الجويني وأخيه شمس الدين وولي أيامهما كتابة الإنشاء ببغداد، وتولت أيامه بعدهما. توفي محبوسًا على دين مبلغه ٣٠٠ دينار. انظر: فوات الوفيات (٢/ ٣٩).

الدستجردني العراق، فوصل بغداد يوم السبت ثامن عشر ربيع الأول، وقبض على محمد السكورجي وأبيه وأخيه وعمه وجميع أهل بيته وأصحابه، ونهب أموالهم وكل ما في دورهم، وحمل محمد إلى بايدو، وهو في نواحي البت[١]، فأمر بقتله، فقتل[٢] وقطعت أعضاؤه وحمل رأسه إلى بغداد ويداه وعلق الجميع على الجسر، وكان جمال الدين الدستجرداني معتقلاً لإيضاح بقايا العراق مع أصحاب محمد السكورجي، فأحضره الأمير جارغتاي إليه وولاه أمر العراق، فركب وسكن الناس، وكانوا قد اضطربوا وانزعجوا لما قبض على محمد السكورجي، ثم جلس في الديوان وطلب فخر الدين مظفر ابن الطراح صدر الحلة، وكان موكلاً به مع أصحاب محمد السكورجي على بقايا الحلة، فولاه قوسان وواسط والبصرة عوضًا عن نور الدين عبد الرحمٰن بن تاشان، وولي الأمير دولة شاه بن سنجر الصاحبي الحلة، ورتب شمس الدين محمد زرديان مشرفًا بواسط، ورتب عز الدين محمد بن شمام ناظرًا لنهري عيسى والملك، وعين النواب في سائر الأعمال، ثم أخذ في جمع الأموال الديوانية، وكلف أرباب الأموال من أهل بغداد والتجار والتناة وغيرهم شيئًا على وجه المساعدة، وحمل ذلك إلى بايدو أولاً أولاً ثم توجه إلى بايدو وعين في العراق نور الدين عبد الرحمٰن بن تاشان وشرف الدين بديعًا، فلما وصل إلى بايدو والأموال صحبته ولاه صاحب ديوان الممالك وفوض إليه تدبير الملك، ولما بلغ غازان ما جرى على السلطان كيخاتو وكان في خراسان عظم عليه، وأقبل بعساكره ومعه الأمير نوروز وقصد بايدو وهو بآذربيجان، فلما قرب منه أرسل إليه نوروز ينكر عليه قتل عمه، فاعتذر بالأمراء وركب الحجة عليهم في ذلك وطلب من نوروز أن يصلح الحال بينهما، فعاد إلى غازان وعرفه ذلك، فترددت الرسل بينهما ومال أكثر الأمراء إلى غازان، فهرب بايدو بنفر من أصحابه فأدركوه وحملوه إلى غازان، فأمر بتسليمه إلى أصحاب كيخاتو، فسلم إليهم فقتلوه، وكان ذلك في شوال، وكان عمره نحو أربعين سنة وملكه سبعة أشهر، وجلس السلطان غازان على التخت في ذي الحجة ودخل تبريز وصلى في جامعها وأمر بإلزام أهل الذمة الغيار، فكانت علامة النصارى شد الزنار في أوساطهم واليهود خرقة صفراء في عمائمهم، فداموا على ذلك شهورًا ثم أزيل بمجرد تسلط العوام عليهم وطمع الجهال فيهم،

---

(١) وفي معجم البلدان (١/ ٣٣٤)، بتا: من قرى النهروان من نواحي بغداد.

(٢) في جامع التواريخ (مجلد ٢ ج ٢ ص ١٨٥)، «وأرسل بايدو الرسل إلى بغداد، فقتلوا «محمد سكورجي» الذي كان شحنة هذه المدينة من قبل كيخاتو».

وتقدم السلطان بأخذ دار علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير من النصارى فإنها كانت بأيديهم من حيث ملكت بغداد، وأزيل ما بها من التماثيل والخطوط السريانية واستعيد الرباط الذي تجاه هذه الدار المعروف بدار الفلك، وكان قد جعله النصارى مدفنًا لأكابرهم فأزيلت القبور منه، وصار مجلسًا للوعظ جلس فيه الشيخ شرف الدين محمد بن عكبر وكان يجتمع عنده خلق كثير، ثم ولي الأمير توغو لدار شحنة بغداد، ورتب شرف الدين السمناني صاحب الديوان بها، ورتب جمال الدين عبد الجبار البصري قاضي قضاة بغداد نقلًا من قضاء البصرة وعزل عز الدين أحمد ابن الزنجاني عن قضاء القضاة حيث كف بصره. ثم إن جمال الدين الدستجرداني تقدم إلى نور الدين عبد الرحمٰن نائبه ببغداد بأخذ فخر الدين مظفر ابن الطراح صدر واسط والبصرة وقتله، فانحدر إلى واسط وقبض عليه وعلى أصحابه، ثم دوشخ وطوق وأُسمع كل قبيح وأخذ خطه بأنه وصل إليه شيء كثير من الأموال، وأشهد عليه بذلك القاضي والعدول، ثم حمله إلى بغداد ووكل به أيامًا ثم ضرب وعوقب وقتل، وحمل رأسه إلى واسط وعلق على الجسر بعد أن طيف به في شوارعها وسوقها، وكان جوادًا سخيًا كريمًا ذا ناموس عظيم وسياسة، يخافه الأعراب وسائر الرعايا، خدم في أعمال العراق كلها، ناب في صباه عن نجم الدين ابن المعين في الحلة، ثم ولي ناظر طريق خراسان، وناب عن الملك فخر الدين منوجهر ابن ملك همذان في واسط، فلما سافر إلى بلاده استقل بالحكم فيها وأضيف إليه قوسان والبصرة، ثم عزل ورتب صدرًا بالحلة والسيب ثم عزل وأعيد إلى واسط مرة أخرى، ثم عزل وأعيد إلى الحلة والسيب، ثم نقل في هذه السنة إلى صدرية واسط وقوسان والبصرة وآلت حاله إلى القتل، ودفنت جثته في مشهد موسى بن جعفر ـ عليه السلام ـ وكان قد تجاوز في العمر ستين سنة، وكان يقول الشعر الجيد. وله أشعار كثيرة مدح بها الصاحب علاء الدين ابن الجويني وأخاه شمس الدين، وآخر ما قاله وهو في السجن بدار النيابة ببغداد قبل أن يقتل بأيام ووجدت بخطه:

القول فيما مضى من عمرنا هدر ... فدعه واصبر لما يأتي به القدر
واستشعر الصبر إن نابتك نائبة ... فالصبر أجمل ما حلي به البشر
ولا ترعك من الأيام منقصة ... فشيمة الدهر في أبنائه الغير
فالشمس كم كسفت بعد البهاء وكم ... أمسى حليف خسوف مثلها القمر
وبعد أن كسفا والله مقتدر ... عادا ونورهما يعشو له البصر

فلا تضق خلقًا من نعمة سلبت فالمال يرجع والرزاق مقتدر
فكم مددت يدًا بالعرف باسطة وكم قضى لي في بذل اللهى وطر
ومثلما زال ذاك البشر وانقبضت كفّ السرور يزول الهم والفكر
وإن أرى الآن بعد النطق ذا حصر فسوف يذهب عني العي والحصر
وإن تصبني سهام الخطب نافذة فلم تزل أسهم الأيام تعتذر
وكل حادثة في الدهر هينة إذا غدا سالمًا في طيها العمر
قل للعتاة من الغايات ويحكم طيبوا فقد فقد الرئبالة الذمر
وقل لبيض السيوف المرهفات لدى الأغماد قري فقد أودي به القدر
مضى المظفر ليث الغاب عن كثب فليهن أعداءه من بعده الظفر

وتوفي، نور الدين عبد الرحمٰن بعد قتله بمدة شهرين، وكان يسلك نور الدين في أيام حكمه قاعدة بهاء الدين بن شمس الدين الجويني في التمثيل وشناعة القتل، وأحدث القنارة بواسط كما أحدثها بهاء الدين في أصفهان وكانت قد نسيت من عهد البساسيري، ولما قبض على فخر الدين ابن الطراح رجم بعض أصحابه قيل إنه زنى بامرأة، وصلب امرأة بادية العورة قيل عنها إنها استودعت رجلًا لبعض أصحاب ابن الطراح.

وفي هذه السنة، سار كتبغا صاحب مصر من القاهرة إلى الشام واستصحب قائد جيوشه حسام الدين لاجين خوفًا من أن يخلفه إذا انفرد بنفسه، فأقام في دمشق شهورًا، فشرع لاجين في محادثة الأمراء والقواد في خلعه ووعدهم بالإحسان والزيادة فوافقوه على ذلك، فلما عزم كتبغا على العود إلى مصر أشار عليه لاجين باستصحاب ما في خزائن الشام من الأموال والسلاح والذخائر[١]، ففعل ذلك، فلما كانوا في بعض الطريق وضع لاجين الجيوش على الشغب، ففعلوا، فأشار على كتبغا بترك الالتفات إليهم سرًا، ثم إنه ركب يومًا والجيوش معه وأحاط بفسطاط كتبغا فلما رأى ذلك علم أنه لا يتمكن من الهرب فأقبل نحو لاجين وسلم عليه بالسلطنة وسأله الأمان فأمنه، وقال له: انج بنفسك، فركب فرسه ومعه مملوك واحد[٢] وقصد دمشق وفيها

(١) (لئلا يبقى بدمشق شيء من المال يتقوى به العادل إن فاتهم ورجع إلى دمشق). انظر: البداية والنهاية (٣٤٧/١٣٣) (حوادث سنة ٦٩٦ هـ).

(٢) في البداية والنهاية (٣٤٧/١٣) أن العامل ساق جريدة إلى دمشق فدخلها، وتراجع إليه بعض مماليكه، ودخل الملك المنصور (لاجين) مصر وجلس على سرير الملك يوم الجمعة عاشر=

نائبه ملك الأمراء، فأنزله القلعة وقام بين يديه، فأمره كتبغا بجمع الأموال فشرع في ذلك واستوفاها من وجهها ومن غير وجهها وكان في حلب أمير اسمه «كجك» فلما بلغه ذلك سار إلى دمشق فحصرها يومين، ثم دخل القلعة وقبض على كتبغا، وكتب بذلك إلى لاجين، فأمره بحمله إلى صرخد[1]، فحمله إليها وحبسه بها موسعًا عليه، وحمل لاجين إليه نساءه وأولاده من القاهرة، وأما لاجين فإنه دخل مصر ورفع البيسري «الچتر»[2] على رأسه ولقب الملك المنصور وخطب له بالديار المصرية، فأحسن إلى الناس وأظهر العدل وحسن السياسة.

وفيها، قتل ببغداد رجل أعجمي يعرف بتاج الدين ابن الدامغاني بدرب حبيب واتهم بقتله جماعة من مجاوريه فأخذوا وحبسوا، فحصل الحماة بقية النهار قاتله، وهو صبي أمرد من الدرب فاعترف بقتله من غير أن يضرب وقال: «إن ابن أخي المقتول أعطاه ولآخر معه مائة دينار على أن يقتلا عمه وأدخلهما دارًا كان يخلو عمه فيها، فلما دخل وسط النهار على عادته نزلا إليه وقتلاه، فأحضر ابن أخيه فاعترف بذلك فصلب، وأما القاتل فضرب في يديه مسامير إلى لوح وراء ظهره وطيف به بجانبي بغداد، ثم سمر بباب السور وعمل عليه بقية الشمس ليطول عذابه، فبقي أيامًا لا يظهر عليه جزع بل يطلب من النظارة أنواع المآكل والفواكه وغيرها، ويحادثهم ويتطارف عليهم ويطلب من الناس شيئًا لأجل من يرش الماء حول خشبته ويقول «في عزمنا نقيم هذه السنة ههنا» ثم قتل بعد ذلك على خشبته وهو قوي الجنان، قال للذي يريد أن يقتله «اضرب ضربة جيدة في مكان كذا» ففعل.

وفيها، ولي السلطان العطفاجار الروم وسيره إلى هناك.

ثم ولي نوروز خراسان وجعله في خدمة أخيه خدابنده بن أرغون على قاعدته.

وفيها، توفي السلطان الملك السعيد داود وقام بالملك مقامه أخوه السلطان الملك المنصور نجم الدين إيلغازي[3].

= صفر، وضعف أمر العادل، فلما رأى انحلال أمره قال للأمراء: أنا وهو شيء واحد، وأنا سامع مطيع، وأنا أجلس في أي مكان من القلعة حتى تكاتبوه وتنظروا ما يقول.

(١) صرخد: بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق، وهي قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة معجم البلدان (٣/٤٠١).

(٢) الچتر، وتسمى المظلة: وهي قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب، على أعلاها طائر من فضة مطلية بالذهب صبح الأعشى (٤/٧).

(٣) الملك المنصور غازي بن المظفر أرسلان الأرتقي، استمر بالحكم حتى وفاته سنة ٧١٢ هـ=

وفيها، توفي سعدي الشاعر المشهور بالفارسية بشيراز.

وفيها، توفي شمس آل الكبشي[1] بها.

سنة خمس وتسعين وستمائة

فيها، رتب جمال الدين الدستجرداني أخاه عماد الدين نائبًا عنه ببغداد، حيث توفي نور الدين عبد الرحمٰن بن تاشان وكان قليل المعرفة بأحوال العراق فاعتمد على عز الدين محمد بن شمام في ذلك فكان هو الحاكم وعماد الدين صورة، وعزل شرف الدين السمناني صاحب ديوان الممالك ورتب عوضه جمال الدين الدستجرداني فلم تطل أيامه، وقتل في سنة ست وتسعين.

وتوفي أثير الدين التستري مشرف العراق وهو ابن عم مجد الدين ابن الأثير.

وتوفي قاضي القضاة جمال الدين عبد الجبار البصري بالبصرة، انحدر إليها فمرض بها ومات، وولي بعده ولده عماد الدين قضاء القضاة ببغداد.

وفي رجب منها، سير القان غازان إلى بغداد أميرًا اسمه توختا لتصفح أعمال العراق، وسير معه سعد الدين أسد بن علي مشرفًا على العراق، فقدما بغداد وقبضا على شرف الدين بديع، وكان مشرفًا به فهرب من الموكلين عليه بعد شهر، ولحق بنوروز بخراسان. وأما توختا وسعد الدين فإنهما جمعا جراية وافرة من السلاح وبرزا بها إلى الكشك بظاهر باب الحلبة في شوال منها، ففي بعض تلك الأيام ركب سعد الدين عامل توختا يريد داره ببغداد، وذلك وقت العتمة في نفر يسير من أصحابه غير مستظهر بسلاح ولا عدة فلما جاز باب الظفرية تواثب عليه رجالة ملثمون من رجالة الحلة وضربوه بالسيوف والخناجر فجرحوه في رأسه ويده اليسرى وكادوا يقتلونه، فهرب أصحابه عدا غلامه «ختاي» فجعل يضرب قطاة بغلته ويحثها، وجعل سعد الدين يدافع عن نفسه بالمقرعة فنجا ولم يكدر، وكانت نجاته من العجب الذي هو فرج بعد شدة، وكان ذلك بوضع جمال الدين الدستجرداني، وكان المدبر لهذه القضية حسن بن مجهر وكان من بطانته.

= وملك بعده (ماردين) ابنه علي. انظر: تتمة المختصر (٢/ ٣٧٢).

(١) شمس الدين محمد ابن الكبشي كما ورد في حوادث سنة ٦٦٥ هـ.

سنة ست وتسعين وستمائة

في المحرم، سار السلطان غازان يريد العراق، فلما وصل همذان بلغه أن نوروز قد تغيرت طاعته في نيته وفسدت سريرته، وأن جمال الدين الدستجرداني صاحب الديوان عين له يخبره بالأحوال، فأمر بقتل الدستجرداني، فقتل توسيطًا، ورتب صدر الدين الخالدي عوضه، ثم توجه إلى بغداد بجيوش كثيرة وشمل الناس بالعدل والإحسان، ولم يتعرض أحد من العسكر لأهل السواد بما جرت به العادة من رعي الزروع وغير ذلك، ثم إنه دخل المدرسة المستنصرية من الدار المجاورة لها، كان يسكن بها نظام الدين محمود شيخ المشايخ، وكان المدرسون والفقهاء قد جلسوا على عادتهم والربعات الشريفة في أيديهم، فلما عاينوه قاموا وخدموه، فأمر رشيد الدين أن يقول له: «أنتم مشغولون بقراءة كتاب الله ـ عز وجل ـ كيف جاز لكم تركه والاشتغال بغيره؟» فقال أحد المدرسين: «السلطان ظل الله في أرضه، وطاعتُه وتعظيمه والانقياد له واجب في الشرع» فدخل خزانة الكتب ولمحها، ثم عاد إلى الدار المذكورة فبات بها، ونزل من الغد في شبارة وقصد المحول وأقام بدار الخليفة أيامًا، فتألم الناس في إلزامهم بالخراج ذهبًا أحمر، وكان جمال الدين الدستجرداني قد استوفاه في السنة الماضية كذلك وقال «قد كانوا في زمن الخلفاء يؤدونه ذهبًا» فأضر بالناس ذلك، فأمر السلطان بإجرائهم على عادتهم منذ فتحت بغداد، فتوفر عليهم شيء كثير، ثم توجه إلى الحلة وقصد مشهد علي ـ عليه السلام ـ فزار ضريحه الشريف وأمر للعلويين بشيء كثير ثم قصد مشهد الحسين ـ عليه السلام ـ وفعل مثل ذلك، وعاد إلى أعمال الحلة وقوسان متصيدًا، وزار قبر سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ وأمر للفقراء المقيمين هناك بمال، وتوجه إلى بغداد وأقام إلى أيام الربيع، ثم سار إلى بلاد الجبل وقد تأكد عنده ما بلغه في حال نوروز، ولما وصل إلى خانقين أمر بقتل إخوة نوروز وأهله وأصحابه فقتلوا، وكان من جملتهم كمال الدين كوجك وكان ببغداد، فأحضر وقتل، ثم أمر الأمير قتلغ شاه بالمسير إلى خراسان والقبض على نوروز وقتله، فسار وأوقع ببيوته وقتل كثيرًا من أهله حتى أدركه بنواحي هراة، فاعتصم بها وقاتل أهل البلد عنه أيامًا، فأرسل الأمير قتلغ شاه إليهم يتهددهم ويخوفهم عاقبة الأمر فقبض وأخرج راجلاً وسلم إلى قتلغ شاه، فقتله وأنفذ رأسه إلى السلطان فطيف به في تلك البلاد ونفذ إلى بغداد، ثم أمر بقتل مظفر الدين علي بن علاء الدين صاحب الديوان، فنفذ إلى بغداد من قبض عليه واعتقله أيامًا، ثم قتل ودفن في دار المسناة التي

بأعلى بغداد، وعملت الدار رباطًا، ثم نقل منها ودفن عند والدته في الرباط المجاور للعصمتية.

وفيها، عقد ضمان العراق على الشيخ جمال الدين إبراهيم ابن السواملي[١] والملك إمام الدين يحيى البكري القزويني[٢] ورتب زين الدين محمد الخالدي قاضي القضاة ببغداد على القاعدة التي تقدم ذكرها في سنة ثلاث وتسعين، فوصل إلى بغداد وجرى بينه وبين قاضي القضاة عماد الدين البصري من المنافسة على المنصب والحكم أشياء لا يليق ذكرها فاستظهر زين الدين عليه بمساعدة أخيه صدر الدين صاحب ديوان الممالك وطولب عماد الدين بحقوق ديوانية كان قد سومح بها أبوه في البصرة، وسلم إلى من يستوفي ذلك منه، فأدى بعضه ببغداد ثم أحدر إلى البصرة لاستيفاء الباقي فهرب واعتصم بالبطائح، فلما قتل صدر الدين سنة سبع وتسعين ظهر من البطيحة وتوجه إلى الأردو المعظم فأعيد إلى القضاء على ما تذكره.

سنة سبع وتسعين وستمائة

فيها، أمر السلطان غازان بقتل صدر الدين أحمد بن عبد الرزاق الخالدي[٣] صاحب ديوان الممالك لما ظهر من سوء حركاته، وكان غير محمود السيرة ظالمًا أظهر «الجاو» وقسر الناس على المعاملة به فأضر بهم وبطلت معايشهم وتعطلت أمورهم إلى أن لطف الله تعالى وألهم السلطان إبطاله، ثم ضاعف الخراج كما فعل جمال الدين الدستجرداني وبالغ في المصادرات والتثقيلات، فلما قتل أمر بقتل أخيه قطب الدين فقتل وطلب أخوه زين الدين الذي كان قاضي القضاة ببغداد فهرب ولحق بصاحب جيلان[٤]، فسأل من السلطان العفو عنه فأجاب سؤاله فسأل أن يعاد إلى القضاء بالعراق، فأخذ وحبس بتبريز فهرب من الحبس فأدرك وأعيد إليه ثم قتل.

وفيها، عزل الأمير تاولدار شحنة بغداد. وسبب ذلك أن نائبه رستم أساء السيرة وتعدى الحد في الشنقصة وأنواع التأويلات واعتمد ما أوجب قتله وعزل تاولدار

(١) جمال الدين إبراهيم بن محمد بن سعدي الطيبي الكوفي. المعروف بابن السواملي ترجم ابن الفوطي ولديه عز الدين عبد العزيز وفخر الدين أحمد التلخيص (ج ٤ ق ١ ص ٢٠٥).

(٢) ذكر المؤلف في حوادث سنة ٦٩٣ أنه قدم بغداد حاكمًا مع فخر الدين الرازي العلوي.

(٣) ذكر المؤلف أن كيغاتو قد رتبه صاحب ديوان المماليك في سنة ٦٩٢ هـ.

(٤) جيلان: اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان، وليس في جيلان مدينة كبيرة إنما هي قرى في مروج بين جبال معجم البلدان (٢/ ٢٠١).

ورتب عوضه الأمير أذينا[١] فمهد العراق بحسن سيرته وعظم سطوته وشدة وزعته ولا يأخذه في المفسدين لومة لائم، فالناس في أيامه آمنون على نفوسهم وأموالهم في البلاد والنواحي والطرق.

وفيها، قتل بجامع الخليفة ببغداد في يوم الجمعة رجل علوي كان متغير العقل نسب العوام إليه أنه قال ما لا يجوز، فاجتمعوا عليه وضربوه ورفسوه حتى مات، ثم أخرجوه إلى باب الجامع، فأنكر الديوان ذلك ولم يعرف قاتله.

وفي يوم عرفة، حضر الشيخ الصالح شمس الدين محمد بن الزياتين في الجامع وصلى العصر، وقد اجتمع الناس للتعريف، فمات فجأة فحمله أصحابه إلى زاويته، وكان على قاعدة جميلة من الزهد والانقطاع والانعكاف على عبادة الله ـ تعالى ـ.

وفيها، توفي الشيخ ظهير الدين علي بن محمد الكازروني[٢] ببغداد وكان عالمًا فاضلاً خدم الديوان في الأشغال الجليلة، وجمع تاريخًا[٣] وعمل كتابًا في الاختيارات[٤] سلك فيه طريقة ابن حراز في الاختيارات التي عملها لشرف الدين إقبال الشرابي، وكتب خطًا جيدًا وتجاوز في العمر ثمانين سنة.

سنة ثمان وتسعين وستمائة

فيها، سار السلطان غازان إلى العراق وجعل طريقه إلى جوخا[٥] وسير بعض العسكر إلى بطائح واسط، فحصروا الأعراب وأكثروا القتل فيهم والنهب والسبي وغنموا أموالهم، وعين جماعة لملازمة أعمال واسط ومنع من تخلف من العرب عن الفساد، ثم توجه إلى الحلة وقصد زيارة المشاهد الشريفة وأمر للحلويين والمقيمين بها بمال كثير، ثم أمر بحفر نهر بأعلى الحلة فحفر وسمي النهر الغازاني، تولى ذلك شمس الدين صواب الخادم السكورجي وغرس الدولة ابن. . . ، ثم سار إلى بغداد، وأمر بالإحسان إلى الرعية وزاد في العدل والرأفة بهم، وأمر أن يصفى الذهب والفضة

---

(١) ذكره ابن الفوطي في التلخيص (ج ٤ ق ١ ص ٣٢٧) رسمه بصورة (آدينة بن أحمد).

(٢) ترجمناه في حوادث سنة ٦٤٩ هـ.

(٣) هو مختصر التواريخ حققه الدكتور مصطفى جواد ونشره الأستاذ سالم الألوي ببغداد سنة ١٩٧٠.

(٤) الاختيارات في علم النجوم واختيار أوقات الأعمال والأفعال والحركات للإنسان، وهذا الكتاب غير معروف اليوم. انظر: مقدمة مختصر التواريخ (ص ١٨).

(٥) جوخا: اسم نهر عليه كدرة واسعة في سواد بغداد، بالجانب الشرقي منه الراذانان، وهو بين خانقين وخوزستان معجم البلدان (٢/ ١٧٩).

من الغش ويبالغ في ذلك، وتضرب الدراهم متساوية الوزن ليتعامل بها الناس عددًا، ويكون وزن الدرهم نصف مثقال، وعملت دراهم وزن الدرهم منها ثلاثة مثاقيل، ومثقال يخرج بنسبة ذلك، ويكون كل مثقال من الذهب بأربعة وعشرين درهمًا، وضرب من الذهب أشياء مختلفة الوزن خمسة مثاقيل، وثلاثة مثاقيل، ومثقالان ومثقال، ونصف مثقال، وربع مثقال، وأمر أن يعمل ذلك في جميع الممالك، فعمل وانتفع الناس به، ثم عاد في زمن الربيع إلى بلاد الجبل.

ووصل من بلاد الشام أمير اسمه قنجاق[1] هاربًا من سلطان مصر ملتجئًا إلى ظل السلطان غازان، فأنعم عليه وأمر له ولأصحابه بمال وثياب وخيل وجمال، وسار في جملة الأمراء إلى بلاد الجبل.

وعقد ضمان العراق على الملك إمام الدين يحيى القزويني البكري واستقل بالحكم فيه وكفت يد الشيخ جمال الدين إبراهيم ابن السواملي.

وفيها، أعيد عماد الدين البصري إلى قضاء القضاة ببغداد وقد تقدم ذكر ما جرى له واعتصامه ببطائح واسط، فلما قتل صاحب الديوان صدر الدين ظهر وقصد الأردو المعظم وعرض حاله على الوزراء، فأعادوه إلى القضاء، فوصل بغداد في صفر.

وفيها، وثب الأمراء بمصر على حسام الدين لاجين سلطان مصر والشام فقتلوه[2]. وسبب ذلك: أنه أساء السيرة فيهم وقتل كثيرًا منهم ليتوطد ملكه، ثم اتفقوا على إعادة الصبي الملقب بالملك الناصر، وهو أخو الأشرف الذي خلعه كتبغا ـ كما تقدم ذكره ـ فامتنعت والدته من ذلك وامتنع هو أيضًا، فلم يلتفتوا إليهم وأجلسوه على التخت صورة، وتولوا تدبير الملك[3]، وكان قد هرب من الأمراء قنجاق خوفًا على نفسه من لاجين وقصد السلطان غازان وكان ببغداد، فأنعم عليه وأكرمه، وكان انهزامه قبل أن يقتل لاجين، فلما عرف الأمراء انهزامه أرسلوا إليه يعرفونه ذلك وكتبوا إليه بعلائم كانت بينهم، فلم يثق بصحة قولهم ولا رجع إليهم.

---

(١) اسمه في البداية والنهاية (١٤/ ٣) «قبجق» قال: «وجاءت الكتب إلى نائب الشام قبجق ـ لتخبره بمقتل لاجين ـ فوجدوه قد فرّ خوفًا من عائلة لاجين، فسارت إليه البريدية فلم يدركوه إلا وقد لحق بالقوى عند رأس العين».

(٢) انظر: العبر (٥/ ٣٨٩)، والبداية والنهاية (١٤/ ٣)، والشذرات (٥/ ٤٤٠) وفيها أنهم قتلوا معه نائبه سيف الدين منكوتمر.

(٣) قام بتدبير الأمور الأميران سلار نائب السلطنة، وبيبرس الجاشنكير، خطط المقريزي (٣/ ٩٥).

وفيها، بلغ نجم الدين إيلغازي صاحب ماردين، أن وزيره المعروف بابن المرأة قد عمل في هلاكه وإقامة بعض أخوته، فأمر بقتله فقتل.

وفيها، كان في بلاد فارس قحط ووباء، مات فيه خلق كثير خصوصًا بشيراز.

وفيها، أغارت طائفة من عسكر الشام على ماردين فنهبوا ريفها وعادوا بقية يومهم.

وتوفي ببغداد جمال الدين ياقوت[1] المستعصمي الكاتب، كان أديبًا عالمًا فاضلاً شاعرًا، بلغ من الخط غاية كما بلغها ابن البواب، كان قد اشتراه الخليفة المستعصم صغيرًا وربي بدار الخلافة، واعتنى بتعليمه الخط صفي الدين عبد المؤمن[2]، ثم كتب على الشيخ ابن حبيب وكتب عليه أبناء الأكابر ببغداد، وحظي عند علاء الدين ابن الجويني صاحب الديوان وكتب عليه أولاده وابن أخيه شرف الدين هارون وله الأشعار المستحسنة الرائقة التي جمعت من الأوصاف ما تفرق في جميع الأشعار وذلك قوله:

بدا بوجه مخجل ... شمس النهار المشرقة
في أذنه لؤلؤة ... كأنها والحلقة
قد أخذت في وردة ... بالياسمين ملحقة

وله يهنئه بعيد:

همك إسعاف وإسعاد ... قدمت تزدان وتزداد
ما العيد في عصرك مستظرفًا ... جميع أيامك أعياد

وله:

صدقتم في الوشاة وقد حظى ... في حبكم غيري ولي تكذيبها
وزعمتم أني مللت حديثكم ... من ذا يمل من الحياة وطيبها

وله:

لقد قدمت بمقدمك الأماني ... قدمت لأهليك مدى الزمان

---

(١) تقدمت ترجمته. وانظر: خبر وفاته في العبر (٥/ ٣٩٠).

(٢) المتوفى سنة ٦٩٣ هـ. انظر ترجمته هناك.

تمول مملقًا وتريش عارٍ وتؤمن خائفًا وتفك عان
ويجني من جنابك كل عانٍ وتعفو عن جناية كل جان

وله:

أتعتقدون أن الملك يبقى وأن العيش في الدنيا يدوم
ولا يجري الزوال لكم ببال كأن الموت ليس له هجوم
فهبكم نلتم ما نال كسرى وقيصر والتبابعة القروم
ومتعتم بذلك عمر نوح وحفتكم بأسعدها النجوم
أليس مصير ذاك إلى زوال لعمر أبي لقد هفت الحلوم

وله:

أراك فأغضي الطرف عنك مخافة عليك وعندي منك دار مخامر
يزيد على مر الجديدين جدة وليس ببال القوم تبلى السرائر

سنة تسع وتسعين وستمائة

فيها سار[١] السلطان غازان إلى بلاد الشام، حيث بلغه ما فعلوا بأهل ماردين في السنة الماضية من النهب، وكان قنجاق أحد أمراء الشام الذى اتصل بعبوديته عنده، فحسن له ذلك وعرفه ضعفهم عن لقائه، فلما قرب من حلب راسل واليها ودعاه إلى طاعته، فأجاب إلى ذلك وسأل أن يمهل إلى أن يملك الشام، فتركه وسار إلى حمص فلما قاربها لقيته الجيوش المصرية فاقتتلوا ساعة فلم يثبت المصريون وانهزموا راجعين فغنم عسكر السلطان سوادهم وسار السلطان إلى دمشق، فنزل بظاهرها وتصدق بحقن دماء أهلها وأمنهم على أموالهم، فلم يعرض أحد من العسكر للرعية بنهب ولا غيره واحتوى على ما في القلعة من الأموال والذخائر، ورتب[٢] في دمشق الأمير قنجاق المذكور وجعل عنده الأمير مولاي في عشرين ألف فارس، وعاد السلطان إلى الموصل يريد مقر ملكه، فلما عرف قنجاق أن السلطان قد بعد عن الشام أرسل إلى

---

(١) انظر: خبر مسيره في تتمة المختصر (٢/ ٣٥٣).

(٢) انظر: البداية والنهاية (١٤/ ٨) وفيه «وفي يوم الجمعة رابع عشر ربيع الآخر خطب لقازان على منبر دمشق بحضور المغول بالمقصورة ودعي له على السدة بعد الصلاة وقرىء مرسوم بنيابة قجق على الشام.

مولاي يقول له «أني أكلت من نعمة القان وشملني إحسانه وإنعامه ورحمته ولا يجوز لي الغدر بأصحابه، وقد وصلت عساكر سلطان مصر وأعرف أن لا طاقة لك بهم والرأي أن ترحل إلى العراق» فرحل ولم يلبث فخلت البلاد لقنجاق فكاتب الأمراء بمصر يعرفهم ذلك فسيروا إليه جيشًا خوفًا من عودة مولاي أو غيره، فلما بلغ السلطان غازان ما اعتمده قنجاق تجهز للمسير إلى الشام في سنة سبعمائة.

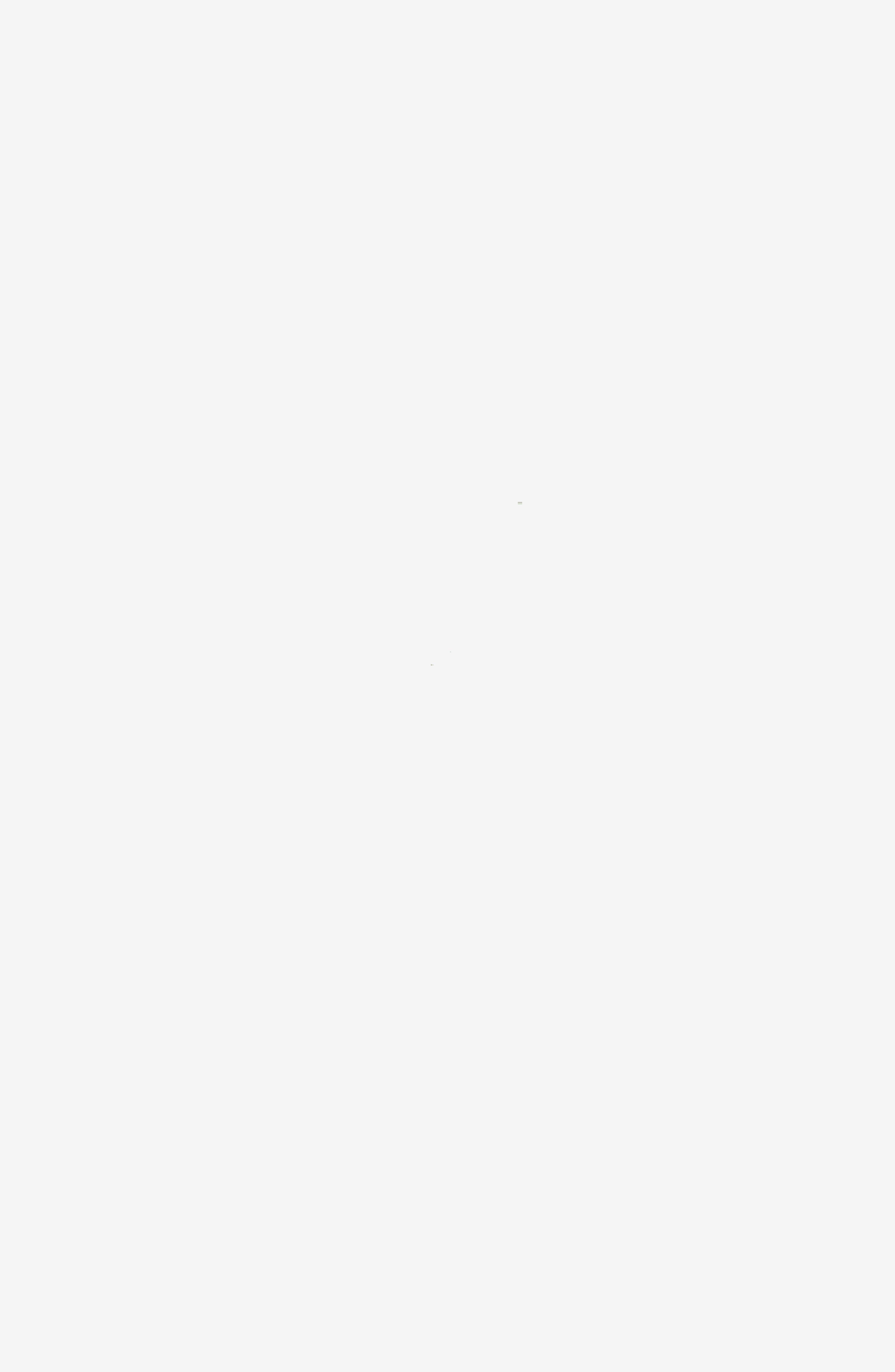
وفيها، توفي عز الدين دولة شاه الصاحبي العلائي بلرستان، وكان مستترًا هناك بسبب بقايا تخلفت عليه من ضمان الحلة، فلما توفي حمل إلى تربة أخيه الملك ناصر الدين قتلغ شاه بمشهد سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ.

سنة سبعمائة

في المحرم، سار[1] السلطان غازان إلى بلاد الشام في جيوش تملأ الفضاء لا تحصى كثرة فرقهم في طرق شتى، وساروا على الموصل وعبر الفرات فلقيت مقدمته طائفة من عسكر الشام، فقاتلوهم فانهزم الشاميون وغنم المغول سوادهم وقتلوا منهم خلقًا كثيرًا وأسروا، فاتفق تواتر الغيوث وشدة البرد ودوام ذلك حتى امتنعوا من الحركة وتلفت خيولهم وقلت الميرة عليهم فجعل السلطان على الجيوش الأمير قتلغ شاه وتوجه إلى سنجار، فأقام قتلغ شاه إلى رجب فلم يخرج إليه أحد من عسكر الشام ومصر، فأنهى ذلك إلى السلطان فأذن له في العود ورحل السلطان من سنجار عائدًا إلى بلاده.

وفيها، توفي الملك إمام الدين يحيى البكري القزويني صاحب ديوان بغداد بالحلة وحمل إلى بغداد ودفن في تربة عملها في مدرسته بدرب «فراشا» وأقيم ابنه افتخار الدين في العراق مقامه.

(١) انظر: تتمة المختصر (٢/ ٣٥٥)، والعبر (٥/ ٤٠٨).



مراجع التحقيق

الأعلام، خير الدين الزركلي، بيروت ط ٣، ١٩٦٧.

البابليات، الشيخ محمد علي اليعقوبي، النجف، ١٣٧٠ هـ.

بغداد مدينة السلام، ابن الفقيه الهمداني، تحقيق د. صالح أحمد العلي، بغداد، ١٩٧٧.

تاريخ الخلفاء، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت ٩١١ هـ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، ١٩٥٢.

تاريخ الطبري، أبو جعفر بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار المعارف بمصر.

تاريخ علماء بغداد، المسمّى منتخب المختار، محمد بن رافع السلامي، ت ٧٧٤ هـ، تحقيق: عباس العزاوي، بغداد، ١٩٣٨.

تاريخ اليمن، المسمّى بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني، ت ٧٤٣ هـ، تحقيق: مصطفى حجازي، بيروت.

تتمة المختصر في أخبار البشر، زين الدين عمر بن الوردي، تحقيق: أحمد رفعت البدراوي، بيروت، ١٩٧٠.

التذكرة الفخرية، للصاحب بهاء الدين الإربلي، ت ٦٩٢، تحقيق: نوري حمودي القيسي، وحاتم صالح الضامن، بغداد، ١٩٨٤.

تراجم رجال القرنين السادس والسابع، المعروف بالذيل على الروضتين، شهاب الدين عبد الرحمٰن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة المقدسي الدمشقي، ت ٦٦٥ هـ، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، بيروت.

تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي، ترجمة سليم النعيمي، بغداد.

تاريخ إربل، المسمّى نباهة الخامل لمن ورده من الأماثل، شرف الدين أبو البركات المبارك بن أحمد الأربلي، المعروف بابن المستوفي، ت ٦٣٧ هـ، تحقيق سامي ابن السيد خماس الصفار، بغداد، ١٩٨٠.

تاريخ مختصر الدول، غريغوريوس الملطي، المعروف بابن العبري، ت ٦٨٥ هـ.

تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، كمال الدين عبد الرزاق أحمد بن أحمد المعروف بابن الفوطي، ت ٧٢٣ هـ، تحقيق: الدكتور مصطفى جواد، دمشق ١٩٦٢ ـ ١٩٦٧ م.

الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون الأخبار، أبو طالب علي بن أنجب، تاج الدين المعروف بابن الساعي الخازن، ت ٦٧٤ هـ، تحقيق: الدكتور مصطفى جواد، بغداد، ١٩٣٤.

جامع التواريخ، رشيد الدين فضل الله الهمداني، نقله إلى العربية محمد صادق نشأت وفؤاد عبد المعطي الصياد، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

خطط المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المقريزي، طبعة دار التحرير، عن طبعة بولاق سنة ١٢٧٠ هـ.

الدارس في أخبار المدارس، عبد القادر محمد النعيمي الدمشقي، ت ٩٢٧ هـ، تحقيق: جعفر الحسيني، دمشق، ١٨٤٨.

دليل خارطة بغداد، الدكتور مصطفى جواد، والدكتور أحمد سوسة، بغداد، ١٩٥٨.

ذيل تاريخ بغداد مدينة السلام، الحافظ أبو عبد الله محمد بن سعيد المعروف بابن الدبيثي، ت ٦٣٧ هـ، تحقيق: بشّار عوّاد معروف، بغداد، ١٩٧٤.

الذيل على طبقات الحنابلة، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمٰن بن أحمد، المعروف بابن رجب، ت ٧٩٥، تحقيق محمد حامد، القاهرة، ١٩٥٢.

شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، ت ١٠٨٩، بيروت، دار الفكر.

شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، ت ٦٥٦ هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار المعارف، مصر.

شعراء بغداد، علي الخاقاني، بغداد.

الشعر العربي في العراق، من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد، عبد الكريم توفيق العبود، بغداد، ١٩٧٦.

صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، ت ٨٢١ هـ، المؤسسة العربية للتأليف والترجمة والنشر.

طبقات ابن سعد، محمد بن سعيد كاتب الواقدي، طبعة كتاب التحرير بمصر ١٩٦٨.

طبقات الشافعية، جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي، تحقيق: عبد الله الجبوري، بغداد، ١٣٩٠ هـ.

العِبَر في خبر مَن غَبَر، للحافظ الذهبي، ت ٧٤٨ هـ، تحقيق: صلاح الدين المنجد وفؤاد السيد، الكويت، ١٩٦٠ ـ ١٩٦٦.

عيون التورايخ، محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: الدكتور فيصل السامر، ونبيلة عبد المنعم داود، بغداد، ١٩٧٧ ـ ١٩٨٤.

عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، أحمد بن علي الداودي الحسيني، حققه: الدكتور نزار رضا، بيروت، د.ت.

العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، الملك الأشرف الغساني، تحقيق: شاكر محمود عبد المنعم، بيروت، ١٩٧٥.

الكامل في التاريخ، ابن الأثير الجزري، ت ٦٣٠ هـ، دار الفكر، بيروت.

كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، شهاب الدين، وعبد الرحمٰن بن إسماعيل المقدسي الشافعي، دار الجيل، بيروت.

الفخري في الأحكام السلطانية والدول الإسلامية، محمد بن علي ابن طباطبا، المعروف بابن الطقطقي، المطبعة الرحمانية بمصر، ١٩٢٧.

فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبي ت ٧٦٤ هـ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر.

مختصر التاريخ، الشيخ ظهير الدين علي بن محمد البغدادي، المعروف بابن الكازروني، ت ٦٩٧ هـ، تحقيق: الدكتور مصطفى جواد، بغداد، ١٩٧٠.

المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، رينهارت دوزي، ترجمة الدكتور أكرم فاضل، بغداد، ١٩٧١.

المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن الدبيثي، انتقاء محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: الدكتور مصطفى جواد، بغداد، ١٩٥١.

المدرسة المستنصرية، حسين أمين، بغداد، ١٩٦٠.

مراصد الاطّلاع، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، البغدادي، ت ٧٣٩ هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب، القاهرة.

معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار الكتاب العربي، بيروت.

معجم الأدباء، ياقوت بن عبد الله الحموي، بيروت.

المعارف، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ت ٢٧٦ هـ، تحقيق ثروت عكاشة، مطبعة دار الكتب بمصر، ١٩٦٠.

مؤيد الدين ابن العلقمي، وأسرار سقوط الدولة العباسية، محمد الشيخ حسين الساعدي، النجف، ١٩٧٢.

المؤرّخ البغدادي ابن الفوطي، وكتابه **تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب**، رسالة ماجستير مُقدّمة إلى جامعة بغداد سنة ١٩٩٠، من قِبَل الطالبة زكية حسن إبراهيم الديلمي.

مؤرّخ العراق ابن الفوطي، الشيخ محمد رضا الشعبي، بغداد، ١٩٥٠ و١٩٥٨.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، ت ٦٨١ هـ، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، بيروت، ١٩٧٧.

فهرس المحتويات